بسم الله الرحمن الرحيم

ثم شرع يخبر عن أشياء تقع منهم عند الرجوع دلالة على أن هذا كلامه و أنه عالم بالمغيبات كليها و جزئيها ، يعلم ما كان و ما يكون و ما لم يكن لو كان كيف [كان - [1]] يكون ، فقال مبينا لعدم علمهم : ﴿ يعتذرون ﴾ أى يثبتون الأعذار لأنفسهم : و أشار إلى بعدهم بالقلوب بقوله : ﴿ اليكم ﴾ أى عن التخلف ﴿ اذا رجعتم اليهم ﴾ أى من هذه الغزوة ، كأنه قيل : فما ذا يقال فى جوابهم ؟ فقال للرأس الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم : ﴿ قل لا تعتذروا ﴾ أى فان أعذاركم كاذبة ، و لذلك علل النهى بقوله : ﴿ لن نؤمن لكم ﴾ أى نصدقكم فى شىء منها ، ثم علل عدم تصديقهم بما أوجب[2] لهم القطع بذلك فقال : ﴿ قد نبانا الله ﴾ أى أعلمنا الملك الذى له الإحاطة الكاملة بكل شىء إعلاما جليلا ﴿ من اخباركم ﴾ أى التى ظننتم[3] جهلا بالله أنها تخفى فقد علمناها ؛ ثم هددهم بقوله : ﴿ و سيرى الله ﴾ أى لأنه عالم بكل شىء و إن دق قادر على كل شىء ﴿ عملكم ﴾ أى بعد ذلك أ تتبينون[4] أم تثبتون على حالكم هذا الخبيث / كما رأى الذى قبل ﴿ و رسوله ﴾ أى بما يعلمه به سبحانه ٥٤٠ /

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : احب (٣) من ظ ، و فى الأصل : قلتم (٤) فى ظ : تدبيون - كذا .

وحيا أو تفرسا، و لما كان الكلام فى المنافقين، فكانت الرؤية لنفاقهم الذى[1] يجتهدون فى إخفائه، و كان المؤمنون لا اطلاع لجميعهم عليه، لم يذكرهم بخلاف من يأتى بعد فانهم مؤمنون .

و لما كان هذا ربما أوهمهم أنه لا يعلم إلا ما أوقعوه بالفعل ، نفى ذلك باظهار وصفه فى موضع الإضمار مهددا بقوله مشيرا بأداة التراخى إلى استبعادهم لقيامهم إلى معادهم : ﴿ ثم تردون ﴾ أى براد قاهر لا تقدرون على دفاعه بعد استيفاء[2] آجالكم بالموت و إن طالت ثم البعث[2] ﴿ الى علم الغيب ﴾ و هو ما غاب عن الخلق ﴿ و الشهادة ﴾ و هو ما اطلع عليه أحد منهم . فصار بحيث يطلعون عليه و هذا ترجمة عن الذى يعلم الشيء قبل كونه كما يعلم بعد كونه ﴿ فينبئكم ﴾ أى يخبركم إخبارا عظيما جليلا مستوعبا ﴿ بما كنتم ﴾ أى بجبلاتكم ﴿ تعملون ه ﴾ أى مما أبرزتموه إلى الخارج و مما كان فى جبلاتكم ، و لو تأخرتم لبرز ، و هو تهديد عظيم . و وقع ترتيبهم للاعتذار على الأسهل فالأسهل على ثلاث مراتب : الأولى مطلق الاعتذار و قد مضى ما فيها ؛ الثانية[3] تأكيد ذلك بالحلف[4] الاعراض عنهم فقال سبحانه : ﴿ سيحلفون بالله ﴾ أى الذى لا أعظم منه ﴿ لكم اذا انقلبتم اليهم[5] ﴾ أى جهد أيمانهم أنهم كانوا معذورين فى التخلف

(١) من ظ ، و فى الأصل : التى (٢-٢) فى ظ : آجالهم و ان طالت و هو الموت ثم بالبعث (٣) تأخر فى الأصل عن « تأكيد ذلك » و الترتيب من ظ (٤) من ظ . و فى الأصل : الحلف (٥) تقدم فى الأصل على « اعتقدتم فيهم » و الترتيب من ظ .

كذبا منهم إرادة أن يقلبوا قلوبكم[1] عما اعتقدتم فيهم ﴿ لتعرضوا عنهم ﴾ أى إعراض الصفح عن معاتبتهم ﴿ فاعرضوا عنهم ﴾ إعراض المقت؛ روى أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : لا تجالسوهم [و لا تكلموهم -[2]]؛ ثم علل وجوب الإعراض بقوله : ﴿ انهم رجس ﴾ أى لا يطهرهم العتاب فهو عبث .

و لما كان من المقرر أنه لا بد لهم من جزاء . و أن النفس تتشوف إلى معرفته، قال: ﴿ و ماوىهم ﴾ أى فى الآخرة ﴿ جهنم جزآء ﴾ أى لأجل جزائهم ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ أى فلا تتكلفوا لهم جزاء غير ذلك بتوبيخ و لا غيره؛ المرتبة ؛ الثالثة الحلف للرضى عنهم فقال : ﴿ يحلفون لكم ﴾ أى مجتهدين فى الحلف بمن تقدم أنهم يحلفون به و هو الله ﴿ لترضوا عنهم ﴾ خوفا من غائلة غضبكم ﴿ فان ترضوا عنهم ﴾ أى لمجرد أيمانهم المبنى على عدم إيمانهم ﴿ فان الله ﴾ [أى - [2]] الذى له الغنى المطلق ﴿ لا يرضى ﴾ عنهم، هكذا كان الأصل و لكنه قال: ﴿ عن القوم الفسقين ﴾ إشارة إلى تعليق[3] الحكم بالوصف و تعميما لكل من اتصف بذلك، و المعنى أنه لا ينفعهم رضاكم و تكونون به مخالفين الله . فهو فى الحقيقة نهى للؤمنين عن الرضى عنهم، أبرز فى هذا الأسلوب العجيب المرقص، و فى ذلك رد على من يتوهم أن رضى المؤمنين لو رضوا عنهم [يقتضى - [1]] رضى الله، فان ذلك نزغة مما يفعل الأحبار و الرهبان فى رضاهم و غضبهم و تحليلهم و تحريمهم الذى يعتقد أتباعهم أنه عن الله تعالى .

(١) فى ظ : قلوبهم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : تعليم .

و لما رتب سبحانه الاستئذان في القعود و الرضى بما فيه من الدناءة على عدم الفقه تارة و العلم أخرى و ختم بصنف الأعراب، بين أن الأعراب أولى بذلك لكونهم أعرق[1] في هذا الوصف و أجرأ[2] على الفسق لبعدهم عن معدن العلم و صرفهم أفكارهم في غير ذلك من أنواع المخازي لتحصيل المال الذي كلما داروا عليه[3] طار عنهم فابعد، فهم لا يزالون في همه قد شغلهم ذلك عن كل هم و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقال تعالى: ﴿ الاعراب ﴾ أي أهل البدو ﴿ اشد ﴾ أي من أهل المدر ﴿ كفرا و نفاقا ﴾ لبعدهم عن دار الهجرة و معدن العلم و جفائهم بأن مرائي قلوبهم لم تصقل بأنوار الكتاب و السنة ﴿ و اجدر ان ﴾ أي و أحق بأن ﴿ لا[4] يعلموا ﴾ [5] و لما كان الإحجام أصعب من الإقدام، و أطراف الأشياء المختلطة في غاية الإلباس، قال: ﴿ حدود مآ انزل الله ﴾ أي المحيط علما و حكمة بكل شيء ﴿ على رسوله ﴾ أي الذي أعلم الخلق من القرآن و الشرائع و الأحكام لعدم إقبالهم عليه شغلا بغيره فان الله يعلم ذلك منهم ﴿ و الله ﴾ أي الذي له جميع صفات الكمال / ﴿ عليم ﴾ /٥٤١
أي بالغ العلم بكل شيء ﴿ حكيم ﴾ أي بالغ الحكمة فهو يضع الأشياء[6] في أتم محالها.

و لما أثبت هذا الوصف لهذا الصنف بين أن أفراده انقسموا إلى من

(١) في ظ: اعرف (٢) من ظ، وفي الأصل: اجرى (٣) من ظ، وفي الأصل: عليهم (٤) كذا إتباعا للتفسير، و إلا فرسم خط القرآن «الا» (٥) زيد في ظ: أي (٦) زيد بعده في الأصل: فهو، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها.

ثبت على ما هو الأليق بحالهم ، وقسم نزع إلى ما هو الأليق بأهل المدر ، كما انقسم أهل المدر إلى مثل ذلك ، و بدأ بالخبيث لأنه الأصل فيهم فقال : ﴿ و من الاعراب ﴾ أي المذكورين ﴿ من يتخذ ﴾ أي يتكلف غير ما تدعو إليه الفطرة الأولى من الأريحية و الهمم العلية بأن يعد ﴿ ما ينفق مغرما ﴾ أي فلا يبذله إلا كرها و لا يرى له فائدة أخروية بل يراه مثل الصنائع[1] بالنهب و نحوه ﴿ و يتربص ﴾ أي يكلف نفسه الربص ، و هو أن يسكن و يصبر و ينتظر ﴿ بكم الدوآئر ﴾ أي الدواهي التي تدور بصاحبها فلا يتخلص منها ، و ذلك ليستريح من الإنفاق و غيره مما ألزمه به الدين.

و لما تربصوا هذا التربص ، دعا عليهم بمثل ما تربصوه فقال : ﴿ عليهم دآئرة السوء ﴾ أي دائما لا تنفك[2] إما باذلال[3] الإسلام و إما بعذاب الاصطلام ، فهم فيما أرادوه بكم على الدوام. و قراءة ابن كثير و أبي[4] عمرو بضم السين[5] على أن[6] معناه الشر و الضر ، و قراءة الباقين بالفتح على أنه مصدر ، فهو ذم للدائرة .

و لما كان الانتقام من الأعداء و إيقاع الباس بهم لا يتوقف من القادر غالبا إلا على سماع أخبارهم و العلم بها ، جرت سنته تعالى في ختم مثل ذلك بقوله : ﴿ و الله ﴾ أي الملك الأعلى الذي له الإحاطة الكاملة ﴿ سميع ﴾ [يسمع ما يقولون -[7]] ﴿ عليم ﴾ أي[6] فهو يعلم ما يضمرون عطفا على نحو أن يقال : فالله على كل شيء قدير ، و نحوه قوله " اني

(١) في ظ : الصانع (٢) من ظ ، و في الأصل : لا ينفك (٣) في ظ : ذلال .
(٤) من ظ ، و في الأصل : ابو (٥) من ظ ، و في الأصل : الشين (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ .

معكما اسمع و ارى[1]".

و لما افتتح الآية الثانية بقوله: ﴿ و من الاعراب من يؤمن ﴾ أى لا يزال يجدد إيمانه آثار الدين ﴿ بالله و اليوم الآخر ﴾ علم أن القسم الأول غير مؤمن بذلك، و إنما وقع منهم الإقرار باللسان من غير إذعان، و الإيمان هو الأصل الذى يترتب عليه الإنفاق [عن طيب نفس لما يرجى من ثوابه فى اليوم الآخر الذى لولا هو انتفت الحكمة -[2]] من هذا الخلق على هذا الترتيب: ثم عطف عليه ما يثمره الإيمان فقال: ﴿ و يتخذ ﴾ أى[3] يحث نفسه و يجاهدها إن عرضت له الوساوس الشيطانية على أن يعد ﴿ ما ينفق ﴾ أى فيما أمر الله به ﴿ قربٰت ﴾ جمع قربة لما تقرب إليه سبحانه ﴿ عند الله ﴾ [أى -[2]] الذى لا أشرف[4] من القرب منه[5] لأنه الملك الأعظم ﴿ و صلوٰت ﴾ أى دعوات ﴿ الرسول ﴾ أى الذى وظيفته التبليغ فهو لا يقول لهم شيئا إلا عن الله. و أطلق القربة و الصلاة على سببهما.

و لما أخبر عن أفعالهم، أخبر عن عاقبتهم و مآلهم؛ فقال مستأنفا محققا لرجائهم ترغيبا فى الصدقة بأبلغ تأكيد لما لأعدائهم من التكذيب: ﴿ الا انها ﴾ أى نفقاتهم ﴿ قربة لهم ﴾ أى كما أرادوا؛ ثم بين ثمرة كونها قربة بقوله: ﴿ سيدخلهم الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال بوعد لا خلف فيه ﴿ فى رحمته ﴾ أى إكرامه فتكون[6] محيطة بهم ثم علل ذلك بقوله

(١) سورة ٢٠ آية ٤٦ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: ان (٤) فى ظ: شرف (٥) فى ظ: عنه (٦) من ظ، و فى الأصل: فيكون.

معبرا بالاسم الأعظم تنبيها على أنه لا يسع الإنسان إلا العفو وإن أعظم الاجتهاد : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى لا يقدر أحد على أن يقدره حق قدره ﴿غفور﴾ أى بليغ الستر لقبائح من تاب ﴿ رحيم ﴾ أى بليغ الإكرام، ذلك وصف له ثابت ، يحلله كل من يستأهله[١] .

و لما ذكر القسم الصالح منهم ، كانوا متفاوتين فنهم[٢] السابق و أكثرهم التابع اللاحق ، أتبعه ذكر السابقين على وجه شامل حاصر لصنفى البادى و الحاضر إشارة إلى أنه - و إن أخره - أصله فقد قدمه وصفه بحيث ساوى أهل الكمال فى مطلق الانخراط فى سلكهم و الفوز بدرجتهم لإحسانه فى اتباعهم ترغيبا لأهل القدرة و الرحمة فى اتباع أهل الرضوان و النعمة فقال : ﴿ و السبقون ﴾ و لما دل على سبقهم بالعلو فى مراتبه[٣] دل على قديم دخولهم فيه فقال : ﴿ الاولون ﴾ أى إلى هذا الدين القيم ﴿من المهجرين﴾ أى لدار الكفر فضلا عن أهلها ﴿و الانصار﴾ أى الذين آووا و نصروا ﴿ و الذين اتبعوهم ﴾ أى / الفريقين ﴿ باحسان ﴾ / ٥٤٢
أى فى اتباعهم فلم يحولوا عن شيء من طريقهم[٤] ﴿رضى الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ عنهم ﴾ أى بأفعالهم هذه التى هى وفق ما أمر [به -[٥]] ﴿ و رضوا عنه ﴾ أى بما تم عنه من البشرى[٦] و قذف فى قلوبهم من النور بلطيف الوعظ[٧] و الذكرى ﴿ و اعد لهم ﴾ أى جزاء على فعلهم ﴿جنت تجرى﴾ و نبه على عموم ريها و كثرة مائها بنزع الجار على قراءة

(١) فى ظ : يتأهله (٢) من ظ ، و فى الأصل : فيهم (٣) فى ظ : معاتبه .
(٤) فى ظ : طريقه (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : البسرى (٧) فى ظ : الوعد .

الجماعة فقال: ﴿ تحتها الانهر ﴾ أي هي كثيرة المياه. فكل موضع أردته نبع منه ماء فجرى منه نهر؛ ولما كان المقصود من الماء إنما هو السهولة في إنباطه بقربه ويسر[1] جريه وانبساطه أثبته[2] ابن كثير دلالة على ذلك كسائر المواضع، ولعل تخصيص هذا الموضع بالخلاف لأنه يخص هذه الأمة، فلعلها تخص بجنة هي أعظم الجنان ريا وحسنا وزيا.

ولما كان أعظم العيوب الانقطاع، نفاه بقوله: ﴿ خلدين فيهآ ﴾ وأكد المراد من الخلود بقوله: ﴿ ابدا ﴾ ثم استأنف مدح هذا الذي أعده لهم بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أي الأمر العالي المكانة خاصة ﴿ الفوز العظيم ﴾

ولما استوفى الأقسام الأربعة: قسمي الحضر وقسمي البدو، ثم خلط بين قسمين منهم تشريفا للسابق وترغيبا للاحق، خلط بين الجميع على وجه آخر ثم ذكر منهم فرقا[3] منهم من نجز الحكم بجزائه باصرار أو متاب، ومنهم من أخر أمره إلى يوم الحساب، وابتدأ الأقسام بالمستور عن[4] غير علمه ليعلم أهل ذلك القسم أنه سبحانه عالم بالخفايا فلا يزالوا أذلاء خوفا مما هددهم[5] به فقال مصرحا بما لم يتقدم التصريح به من نفاقهم: ﴿ وممن حولكم ﴾ أي حول بلدكم المدينة ﴿ من الاعراب ﴾ أي الذين[6] قدمنا أنهم أشد كفرا لما لهم من الجفاء ﴿ منفقون ﴾ أي راسخون في النفاق، وكأنه قدمهم لجلافتهم وعتوهم، وأتبعهم من هو أصنع منهم

(١) من ظ، وفي الأصل: سير (٢) في ظ: اتبعه (٣) من ظ، وفي الأصل: فريقا (٤) من ظ، وفي الأصل: بمن (٥) من ظ، وفي الأصل: حددهم (٦) في ظ: الذي.

فى النفاق فقال: ﴿و من أهل المدينة قف﴾ أى منافقون أيضا ؛ ثم بين أنهم لا يتوبون بوصفهم بقوله: ﴿مردوا﴾ أى صلبوا و داموا و عتوا و عسوا و عصوا و صار لهم [به - [١]] دربة عظيمة[٢] و ضراوة حتى ذلت لهم فيه[٣] جميع أعضائهم الظاهرة و الباطنة و صار لهم خلقا ﴿على النفاق قف﴾ أى استعلوا على هذا الوصف بحيث صاروا فى غاية المكنة[٤] منه ؛ ثم بين مهارتهم فيه بقوله: ﴿ لا تعلمهم ط ﴾ أى بأعيانهم مع ما لك من عظيم الفطنة و صدق الفراسة لفرط توقيهم و تحامى ما يشكل من أمرهم ؛ ثم هددهم و بين خسارتهم بقوله: ﴿ نحن ﴾ أى خاصة ﴿ نعلمهم ط ﴾ [ثم - [١]] استأنف جزاءهم بقوله : ﴿ سنعذبهم ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿ مرتين ﴾ أى إحداهما برجوعك سالما و شفوف[٥] أمرك و علو شأنه و ضخامة أركانه و عز سلطانه و ظهور برهانه ، فانهم قطعوا لغباوتهم و جلافتهم و قساوتهم كما أشرت إليه بقولى " و يتربص[٦] بكم الدوائر " - أنك لا ترجع هذه المرة من هذه السفرة لما يعرفون من ثباتك للأقران ، و إقدامك على الليوث الشجعان ، و اقتحامك للأهوال ، إذا ضاق المجال ، و نكص الضراغمة الأبطال ، و من عظمة الروم و قوتهم و تمكنهم و كثرتهم ، و غاب عن الأغبياء و خفى عن الأشقياء الأغنياء أن الله الذى خلقهم أعظم منهم و أكبر ، و جنوده أقوى من جنودهم و أكثر ؛ و الثانية بعد وفاتك بقهر أهل الردة و محقهم و رجوع ما أصلته بخليفتك الصديق رضى الله عنه إلى

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : عظيم (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : المنكر - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : سوف (٦) فى ظ : يتربصن .

ما كان عليه فى أيامك من الظهور و انتشار الضياء و النور و الحكم على من خالفه بالويل و الثبور، وسيأتى أنه يمكن أن تكون[1] المرة الثانية إخراب مسجد الضرار و الإخبار بما أضمروا فى شأنه من خفى الأسرار ﴿ثم يردون﴾ أى بعد الموت ﴿الى / عذاب عظيم ؏﴾ أى لا يعلم عظمه حق علمه إلا الله /٥٤٣ تعالى، و هو العذاب الأكبر الدائم الذى لا ينفك أصلا .

و لما ذكر هذا القسم المارد الجافى، ثنى بمقابلة اللين الصافى، و هى الفرقة التى نجز المتاب عليها و النظر بعين الرحمة إليها فقال: ﴿و اٰخرون﴾ أى و ممن حولكم من الأعراب و من أهل المدينة آخرون ﴿اعترفوا بذنوبهم﴾ أى كلفوا أنفسهم ذكرها توبة منهم ندما[2] و إقلاعا و عزما و لم يفزعوا إلى المعاذير الكاذبة [و هم المقتصدون - [3]] .

و لما كان الخلط جمعا فى امتزاج، كان بمجرد ذكره يفهم أن المخلوط امتزج بغيره، فالإتيان بالواو فى " اٰخر " يفهم أن المعنى: ﴿خلطوا عملا صٰلحا﴾ بسيئ ﴿و اٰخر سيئا ط﴾ بصالح، فهو من ألطف شاهد لنوع الاحتباك، و لعل التعبير بما أفهم ذلك إشارة إلى تساوى العملين و أنه ليس أحدهما بأولى من الآخر أن يكون أصلا ، [و قد فسرها النبى صلى الله عليه و سلم بذلك فى أناس رآهم فى المنام شطر منهم حسن و شطر منهم قبيح كما رواه البخارى فى التفسير عن سمرة رضى الله عنه - [3]] ثم أوجب تحقيق توبتهم الملزومة للاعتراف بقبولها بقوله: ﴿عسى الله﴾ أى بما له من الإحاطة بأوصاف الكمال

(١) فى ظ : يكون (٢) فى ظ : بدءا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

أن

﴿ ان يتوب عليهم ﴾ فان " عسى " منه سبحانه و تعالى واجبة لأن هذا دأب الملوك و لعل التعبير بها يفيد ـ مع الإيذان[١] بأنه لا يجب عليه لأحد[٢] شيء و أن كل[٣] إحسان يفعله فانما هو على سبيل الفضل إشارة[٤] إلى أنهم صاروا كغيرهم من خلص المؤمنين غير المعصومين فى مواقعة[٥] التقصير و توقع الرحمة من الله بالرجوع بهم إلى المراقبة ، فكما أن أولئك معدودون فى حزب الله مع هذا التقصير المرجو له العفو فكذلك هؤلاء ؛ ثم علل فعله بهم مرجيا للزيـــد بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى ذا الجلال و الإكرام ﴿ غفور رحيم ﴾ أى لم يزل موصوفا بقبول المعرض إذا أقبل و إبدال سيئه بحسن فضلا منه [٢]و إكراما[٢] ؛ روى البخارى فى صحيحه فى التفسير عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لنا : أتانى[٦] الليلة آتيان فابتعثانى فانتهيا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب و لبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهـــم كأحسن ما أنت راء[٧] و شطر كأقبح ما أنت راء[٧] ، قالا [لهم - [٨]] : اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر ، فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة ، قالا لى : هذه جنة عدن ، و هذاك منزلك ، قالا : أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن و شطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا عفا[٩] الله عنهم .

---

(١) فى ظ : الاستيذان (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : لك ـ كذا. (٤) من ظ ، وفى الأصل: لاشارة (٥) فى ظ: موافقة (٦) فى ظ: اتى (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) زيد من ظ وصحيح البخارى (٩) فى الصحيح : تجاوز .

و لما كان من شأن الرضوان قبول القربان، أمره صلى الله عليه وسلم تطهيرا لهم و تطيبا لقلوبهم بقوله: ﴿خذ﴾ و زحمهم بالتبعيض فقال: ﴿من اموالهم صدقة﴾ أى تطيب أنفسهم باخراجها ﴿تطهرهم﴾ أى هى من ذنوبهم و تجرى بهم[1] مجرى الكفارة ﴿و تزكيهم﴾ أى أنت تزيدهم[2] و تنميهم ﴿بها﴾ بتكثير حسناتهم ﴿و صل﴾ أى اعطف ﴿عليهم ط﴾ و أظهر شرفهم بدعائك لهم؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ان صلوٰتك﴾ أى دعواتك التى تصلهم بها فتكون موصلة لهم إلى الله ﴿سكن لهم ط﴾ أى تطمئن بها قلوبهم بعد قلق الخوف من عاقبة الذنب لما يعلمون من أن القبول لا يكون إلا ممن حصل له الرضى عنهم[3] و من [أن ـ[4]] الله يسمع قولك إجابة لك و يعلم صدقك[5] فى صلاحهم ﴿و الله﴾ أى المحيط بكل شىء ﴿سميع عليم ۝﴾ أى لكل ما يمكن أن يسمع و ما يمكن أن يعلم منك و منهم و من غيركم. فهو جدير بالإجابة و الإثابة، و ذلك أن هذا الصنف لما[6] اشتد ندمهم على التخلف أوثقوا أنفسهم بسوارى المسجد فسأل عنهم رسول الله صلى الله عليه و سلم حين قدم فقيل: ندموا على التخلف عنك لحلفوا: لا يطلقهم إلا أنت، فقال: و أنا لا أطلقهم حتى أومر بذلك، فأنزل الله سبحانه و تعالى هذه الآيات فقالوا: يا رسول الله! هذه أموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها! فقال: ما أمرت بذلك[7]، فلما أنزل [الله ـ[4]] / هذه الآية أخذ الثلث فتصدق به. ٥٤٤ /

(١) فى ظ: لهم (٢) فى ظ: تزكيهم (٣) من ظ، و فى الأصل: عنه (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: قصدك (٦) فى ظ: مما (٧) سقط من ظ.

و لما ساق توبتهم سبحانه فى حيز ''عسى''، و كان الأصل فيها الترجية فى المحبوب و الإشفاق فى المكروه ؛ [و - ١] أمر سبحانه بالأخذ من أموالهم لذلك ، و كان إخراج المال شديدا على النفوس لا سيما فى ذلك الزمان ، كان ربما استوقف الشيطان من لم يرسخ قدمه فى الإيمان عن التوبة و ما يترتب عليها من الصدقة لعدم الجزم بأنها تقبل ، فاتبع ذلك سبحانه بقوله : ﴿ الم يعلموآ ﴾ أى المعترفون بالذنوب حتى تسمح أنفسهم بالصدقة أو غيرهم حتى يرغبوا فى التوبة و الصدقة ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ يقبل ﴾ أى من شأنه أن يقبل ﴿ التوبة ﴾ تجاوزا ﴿ عن عباده ﴾ أى التائبين المخلصين ﴿ و ياخذ ﴾ ٢أى يقبل قبول الآخذ لنفسه٢ ﴿ الصدقت ﴾ أى ممن يتقرب بها إليه بنية خالصة ﴿ و ان الله ﴾ أى المحيط بصفتى الجلال و الإكرام ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ التواب الرحيم ﴾ أى لم يزل التجاوز و الإكرام من شأنه و صفته ، و فى ذلك إنكار على غيرهم من المتخلفين فى كونهم لم يفعلوا مثل فعلهم من الندم الحامل على أن يعذبوا أنفسهم بالإيثاق فى السوارى و يقربوا بعض أموالهم كما فعل هؤلاء أو نحو ذلك مما يدل على الاعتراف و الندم .

و لما أمره من تطهيرهم بما يعيدهم إلى ما كانوا عليه قبل الذنب ، عطف على قوله ''خذ'' قوله تحذيرا لهم من مثل ما وقعوا فيه : ﴿ و قل اعملوا ﴾ أى بعد طهارتكم ﴿ فسيرى الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ عملكم ﴾ أى بما له من إحاطة العلم و القدرة فاعملوا عمل من

---

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

يعلم أنه بعين الله ﴿ و رسوله ﴾ أى بإعلام الله له . و لما كان هذا[1] القسم من المؤمنين فكانت أعمالهم لا خفاء فيها ، قال ﴿ و المؤمنون ط ﴾ فزينوا أعمالكم جهدكم و أخلصوا ، و فى بعض الأحاديث « لو أن رجلا عمل فى صخرة لا باب لها لأظهر الله عمله للناس كائنا ما كان » .

و لما كان هذا السياق للمؤمنين حذف منه ' ثم ' لكنه لما كان للذنبين ، أكد بالسين فقال : ﴿ و ستردون ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿ الى علم الغيب و الشهادة ﴾ أى بعد الموت و البعث ﴿ فينبئكم ﴾ أى بعلمه بكل شىء ﴿ بما كنتم تعملون ج ﴾ أى ما أظهرتم عمله و ما كان فى غرائزكم ، فلو تأخرتم تظهرتم ، يجازيكم على حسنة و يزيد من فضله ، و على سيئة عدلا إن شاء و لا يظلم مثقال ذرة .

و لما ذكر القسمين المنجز عذابهم و مثابهم ، ذكر المؤخر أمرهم [و هو القسم الظالم لنفسه فى الذى بدأ به فى سورة فاطر سورة الحشر الآخر ، و لا يبعد أن تكون هذه سورة الحشر الأول لأنه صلى الله عليه و سلم ساق الناس إلى أرض المحشر - [2]] فقال : ﴿ و اخرون ﴾ أى و منهم آخرون ﴿ مرجون ﴾ أى مؤخرون بين الرجاء و الخوف ﴿ لامر الله ﴾ أى لما يأمر به فيهم الملك الأعظم الذى له الأمر كله لا يدرون أيعذبون أم يرحمون ؟ و قدم قوله - : ﴿ اما يعذبهم ﴾ إن أصروا - تخويفا [لهم - [2]] حملا على المبادرة إلى التوبة و تصفيتها و الإخلاص فيها و حثا[3] على أن يكون الخوف ما دام الإنسان صحيحا

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ . و فى الأصل : حقا .

أغلب و ثنى بقوله : ﴿ و اما يتوب عليهم ﴾ أى إن تابوا ترجية لهم و ترقيقا لقلوبهم بالتذكير بمنزل[1] الأنس[2] الذى أخرجوا أنفسهم منه و منعوها من حلوله و طيب مستقره و مقيله و حلىّ أوقاته و علىّ مقاماته و شهىّ أقواته.

و لما كان ربما قال قائل : ما فائدة التأخير و ما المانع من التنجيز ؟ قال : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿ عليم حكيم ﴾ ترهيبا و ترغيبا و تبعيدا و تقريبا و احتراسا مما قد يوهمه الترديد من الشك و تدريبا . و قراءة " غفور رحيم " للزيادة فى الترجية .

و لما ذكر الذين أقامهم فى[3] مقام الخطر أتبعه تعيين طائفة من القسم الأول المستور الموصوف بالمرود . فألحق بهم الضرر فقال : ﴿ و الذين ﴾ و هو معطوف فى قراءة من أثبت الواو على قوله "و آخرون" و خبره على ما يليق بالقصة : منافقون / ماردون ، و أما على قراءة المدنيين / ٥٤٥
و ابن عامر بحذفها فيكون على تقدير سؤال سائل ، و ذلك أنه [لما - [4]] قال تعالى " لا تعلمهم نحن نعلمهم " تشوفت النفس إلى الإعلام بهم ، فلما قال " و آخرون اعترفوا بذنوبهم " اشتغل السامع بتفهمه ، و ربما ظن أنه يأتى فى آخر الكلام[5] من تسميتهم ما يغنيه عن السؤال ، فلما انتقل بقوله " و آخرون مرجون " إلى قسم آخر . و ختم الآية بصفتى العلم و الحكمة ليعلم أن الترديد للتقسيم و أنه إن كان شك فهو بالنسبة إلى العباد و أما الله تعالى فمنزه عنه فذكر السامع بالصفتين ما كان دار

---

(١) فى ظ : بمنزلة (٢) من ظ . و فى الأصل: الانسان (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ فحذفناها .

في خلده و مال إليه قلبه من الإعلام بالماردين على النفاق ، فاشتد تشوفه إليه فكان كأنه قال : من من الماردين منهم؟ فقال تعالى [الذين - ١] ﴿ اتخذوا مسجدا ﴾ [أي - ١] من الماردين و هم من[٢] أعظمهم مهارة في النفاق و إخفاء الكيد و الشقاق لأنهم توصلوا إلى ذلك بأن كلفوا أنفسهم الأخذ لأعظم عرى الدين[٣] مع المنازعة للفطرة الأولى و الحذر من أن يفضحوا[٣]، فكان ختام هذه الآية من بديع الختام فانه احتراس عما يتوهم فيما قبله و دليل على ما بعده ، و لذلك ختم قصتهم أيضا بصفتي العلم و الحكمة . و لاح من هذا أن قوله "سنعذبهم مرتين" يمكن أن يراد به : مرة برجوعك . و مرة باخرابك مسجدهم و تفريقك لشملهم بعد هتك سرائرهم بكشف ضمائرهم ، و بين سبحانه علة اتخاذهم بقوله : ﴿ ضرارا ﴾ أي لأهل مسجد قباء أو لحزب الله [عامة - ١] ﴿ و كفرا ﴾ أي بالله لاتخاذ دينه هزؤا ﴿ و تفريقا ﴾ أي [بما - ١] يبيتونه من المكايد باستجلابهم لبعض من يخدعونه من المؤمنين و يطمعون فيه ليأتي مسجدهم و يترك المسجد المؤسس[٤] على التقوى ﴿ بين المؤمنين ﴾ أي الراسخين في الإيمان بما جاء من عند الله ، لأنهم كانوا يجتمعون في مسجد قباء فيغتص[٥] بهم ﴿ و ارصادا ﴾ أي إعدادا و انتظارا ﴿ لمن حارب الله ﴾ أي الملك الأعظم ﴿ و رسوله ﴾ و لما لم تكن محاربتهم مستغرقة للزمن الماضي ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل ط ﴾

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣-٣) سقط مابين الرقمين من ظ (٤) في ظ : المسس (٥) من ظ ، و في الأصل : فيفيض .

أى قبل اتخاذهم لهذا المسجد بزمن قريب و هو أبو عامر الفاسق ليأتى إليهم فيزيدهم قوة على نفاقهم بأن يصير كهفا يأوون إليه و رأسا [لهم - [1]] يتجمعون[2] عليه، و ذلك أنه كان من بنى غنم بن عوف، و هو والد[3] حنظلة الغسيل الذى كان من خيار الصحابة. و كان أبو عامر قد ترهب فى الجاهلية و لبس المسوح. فلما قدم النبى صلى الله عليه و سلم المدينة قال له: ما هذا الدين الذى جئت به؟ قال[4]: الحنيفية دين إبراهيم، قال أبو عامر: أنا عليها، قال صلى الله عليه و سلم: لست عليها. قال: بلى، و لكنك أدخلت فيها ما ليس منها، قال: ما فعلت، و لكنى جئت بها بيضاء[5] نقية، قال أبو عامر: أمات الله الكاذب منا طريدا شريدا وحيدا غريبا! فقال صلى الله عليه و سلم: آمين! و سماه الفاسق، ثم تحيز إلى قريش و قاتل النبى صلى الله عليه و سلم معهم يوم أحد و قال: لا أجد قوما[6] يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلما قاتل يوم حنين مع هوازن[7] و انهزموا أيس و هرب إلى الشام، و أرسل إلى المنافقين أن استعدوا فانى ذاهب إلى قيصر فآت بجنود و مخرج محمدا! و كانوا قد حسدوا إخوانهم بنى عمرو بن عوف على مسجد قباء لما بنوه، و كان النبى صلى الله عليه و سلم يأتيه و يصلى فيه، فبنوا مسجد الضرار

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: يجتمعون (٣) فى ظ: ولد (٤) من ظ، وفى الأصل: فان، والقصة مسوقة فى معالم التنزيل أيضا ـ راجع لباب التأويل ٣/١٢١.
(٥) فى ظ: بيضة (٦) زيد بعده فى الأصل: ما. و لم تكن الزيادة فى ظ و المعالم فحذفناها (٧) فى ظ: هوام.

و أرسلوا إليه صلى الله عليه و سلم ليأتيهم فيصلي فيه ، و كان يتجهز لتبوك فقال : أنا[1] على جناح سفر و حال شغل ، و إذا قدمنا صلينا فيه إن شاء الله ! فلما قدم فكان قريبا من المدينة نزلت الآية ، فدعا مالك بن الدخشم /٥٤٦ و جماعة و قال [لهم -[2]] : انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه و أحرقوه ، ففعلوا ، و أمر صلى الله عليه و سلم أن يتخذ مكانه كناسة يلقى فيها الجيف و القمامة ؛ و مات أبو عامر بالشام [وحيدا غريبا طريدا -[2]] . و قيل : كل مسجد بني مباهاة أو لغرض ليس به إخلاص أو بمال مشتبه فهو لاحق بمسجد الضرار .

و لما أخبر عن سرائرهم، أخبر عن نفاقهم في[3] ظواهرهم بقوله : ﴿ و ليحلفن ﴾ أي جهد أيمانهم ﴿ ان ﴾ أي ما ﴿ اردنآ ﴾ [أي - [2]] باتخاذنا له ﴿ الا الحسنى ﴾ أي من الخصال ؛ ثم كذبهم بقوله : ﴿ و الله ﴾ أي الذي له الإحاطة الكاملة ﴿ يشهد ﴾ أي يخبر إخبار الشاهد ﴿ انهم لكذبون ﴾ و قد بان بهذا كله أن[4] سبب فضيحتهم ما تضمنه فعلهم من عظيم الضرر للاسلام و أهله ؛ ثم قال ناهيا عن إجابتهم إلى ما أرادوا به من التلبيس إنتاجا عن هذا الكلام الذي هو أمضى من السهام : ﴿ لا تقم فيه ﴾ أي مسجد الضرار ﴿ ابدا ﴾ أي سواء تابوا أولا ، و أراد بعض المخلصين أن يأخذه[5] أولا ، أي لا بد من إخرابه و محو أثره عن وجه الأرض .

و لما ذمه و ذم أهله ، مدح مسجد النبي صلى الله عليه و سلم ، إما الذي

(١) في ظ : ان (٢) زيد من ظ (٣) في ظ « و » (٤) في ظ : اي (٥) في ظ : يأخذوه .

بالمدينة الشريفة و إما الذي بنى عمرو بن عوف بقباء على الخلاف في ذلك . و هو الذي اتخذ في أول الإسلام مسجدا إحسانا و إيمانا و جمعا بين المؤمنين و إعدادا لمن صادق الله و رسوله ، و مدح أهله إرشادا لكل من كان مال إليه من المؤمنين لقرب أو غيره إلى العوض عنه ، و أعله أبهم تعيينه و ذكر وصفه ليكون صالحا لكل من المسجدين .

و لما اتصف بهذا الوصف من غيرهما فقال مؤكدا تعريفا بما له من الحق و لما للمنافقين من التكذيب : ﴿ لمسجد اسس ﴾ أي وقع تاسيسه ﴿ على التقوى ﴾ أي فأحاطت التقوى به لأنها إذا أحاطت بأوله أحاطت بآخره ؛ و لما كان التأسيس قد تطول مدة أيامه فيكون أوله مخالفا لآخره ، قال : ﴿ من اول يوم ﴾ أي من أيام تأسيسه ، و فيه إشارة إلى ما تقدم من احتمال أن يريد أحد من أهل الإخلاص أن يتخذه مصلى . فبين أنه لا يصلح لذلك لأن تأسيسه كان لما هو مباعد له ﴿ احق ان تقوم فيه ﴾ أي بالصلاة و الوعظ و غيره من مسجد لم يقصد[1] به التقوى على تقدير فرض محال إلا في[2] ثاني الحال .

و لما مدحه مدح أهله بقوله : ﴿ فيه رجال ﴾ أي لهم كمال الرجولية ﴿ يحبون ان يتطهروا ﴾ أي في أبدانهم و قلوبهم كمال الطهارة - بما أشار إليه الإظهار ، فهم دائما في جهاد أنفسهم في ذلك فأحبهم الله[3]

---

(١) في ظ : لم تقصد (٢) من ظ ، و في الأصل : الى (٣) زيد بعده في الأصل : و لا ثبات ما افهم الاجتهاد حصل الغنى عن إظهار تاء التفعل فقال ، و لم تكن الزيادة هنا في ظ فحذفناها و سيأتي .

﴿ والله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ يحب ﴾ أى يفعل ما يفعل المحب من الإكرام بالفضل والإحسان، ولإثبات ما أفهم الاجتهاد حصل الغنى عن إظهار تاه التفعل أو للندب إلى الطهارة ولو على أدنى الوجوه المجزئة فقال: ﴿ المطهرين ﴾ أى قاطبة منهم ومن غيرهم.

ولما علم من هذا بطريق الإشارة والتلويح أن التأسيس مثل ابتداء خلق الحيوان، فمن جبل من [١]أول مرة[١] جبلة شر لا يصلح[٢] للخير أبدا ولا يقبله كما قال تعالى "ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون[٣]" ذكره على سبيل التصريح فسبب عما مضى قوله ممثلا الباطل ببناء على حرف واد واه جدا[٤] على شفير جهنم: ﴿ افمن اسس بنيانه ﴾ أى كما أشرت إليه فى المسجد المحثوث بالإقبال عليه ﴿ على تقوى من الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ ورضوان ﴾ فكان[٥] كمن بنى بنيانه على جبل لا تهدمه الأمطار ولا تؤثر فيه السيول ﴿ خير ام من اسس بنيانه ﴾ على فسق وفجور وعدم اكتراث بالأمور فكان كمن بنى بنيانه ﴿ على شفا ﴾ أى حرف، ومنه الشفة ﴿ جرف ﴾ أى مكان جفرة السيل / وجرفه /٥٤٧
فصار مشرفا على السقوط، ولذلك قال: ﴿ هار ﴾ أى هائر، من هار الجرف - إذا أشرف لتخريق السيول على السقوط ﴿ فانهار ﴾ أى فكان بناؤه لذلك سببا لأنه سقط سقوطا لا تماسك معه ﴿ به ﴾ أى وهو فيه آمنا من سقوطه بقلة عقله وسفاهة رأيه ﴿ فى نار جهنم[٤] ﴾

(١ - ١) من ظ، وفى الأصل: امره - كذا (٢) زيد بعده فى ظ: الا.
(٣) سورة ٨ آية ٢٣ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: فمن.

فالجواب : لا شك الأول خير بل ، لا خير فى الثانى أصلا ، و العجب كل العجب من كونه بنى هذا البناء هكذا . فأجيب بأنه لا عجب لأن الأمر بيد الله، لا مفر من قضائه ، و هو قد هدى الأول إلى ما فيه صلاحه ، و لم يهد[1] الثانى لما علم فيه من عدم قابلية الخير ﴿ و الله ﴾ الذى له صفات الكمال ﴿ لا يهدى القوم ﴾ أى الذين لهم قوة المحاولة لما يريدون ﴿ الظلمين ه ﴾ أى المطبوعين على ظلام البصائر ، فهم لا يفكرون فى شيء إلا جاء فى غير موضعه و على غير نظام كخطوات[2] الماشى فى الظلام ، و قد علم أن الآية من قبيل الاحتباك : أثبت أولا التقوى لأن أهل الإسلام أحق بها ، فدلت على حذف[3] ضدها ثانيا ، و أثبت ثانيا ضعف البناء حسا لأن مسجد الضرار أولى به ، فدل على حذف ضده أولا ، فذكر النهاية المعقولة لأهلها و البداية المحسوسة للناظرين لها ؛ و روى عن جابر رضى الله عنه قال : رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار ؛ و حكى عن خلف بن يسار[4] أنه رأى فيه حجرا يخرج منه الدخان فى أول دولة بنى العباس .

و لما كان ما تقدم غير قاطع فى إخرابه لما ثبت للمساجد من الحرمة ، استأنف الإخبار عن أنه لا يعد فى عداد المساجد بوجه ، و إنما هو فى عداد بيوت الأصنام فهو واجب الإعدام فقال : ﴿ لا يزال بنيانهم ﴾

---

(١) فى الأصل و ظ : لم يهدى (٢) من ظ ، و فى الأصل : لخطوات (٣) زيد بعده فى الأصل : مضاف ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى تفسير الطبرى : ياسين ـ راجع آية ١٠٩ فيه .

أي نفس المبنى و هو المسجد ﴿ الذى بنوا ريبة ﴾ أى شكا و نفاقا ﴿ فى قلوبهم ﴾ كما أن بيوت الأصنام كذلك لأهلها . فكان ذلك حثا على إخرابه و محوه و قطع أثره . و المعنى أنه جامع لهم على الريبة فى كل زمان يمكن أن يكون ﴿ الآ ان ﴾ و لما كان القطع محصلا للمقصود من غير نظر إلى قاطع معين . قال بانيا للفعول : ﴿ تقطع قلوبهم[1] ﴾ أى إلا زمان يوجد فيه القطع البليغ الكثير لقلوبهم و عزائمهم و يباعد بينهم و يفرق شملهم بإخراجه ، و قراءة يعقوب بـ " الى " الجارة واضحة فى المراد ، أو يكون المراد أنه لا يزال حاملا لهم[1] على التصميم على النفاق إلى أن يموتوا ، فهو كناية عن عدم توبتهم .

و لما كان التقدير : فالله عليم بما أخبركم به فلا تشكوا فيه ، عطف عليه تعميما للحكم و تعظيما[2] للأمر قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم بكل معلوم ﴿ حكيم ع ﴾ فهو يتقن ما يأمر به .

و لما تقدم الإنكار على المتثاقلين عن النفر فى سبيل الله فى قوله تعالى " [3]ما لكم اذا قيل لكم[3] انفروا " - الآية ، ثم الجزم بالأمر[4] بالجهاد بالنفس و المال فى قوله " انفروا خفافا و ثقالا " - الآية . و كان أمره تعالى كافيا للمؤمن الذى صدق إيمانه بالإسلام فى امتثاله لذلك[5] فى منشطه و مكرهه . و كان كثير منهم قد فعلوا بتثاقلهم ما يقدح فى

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تعليقا (٣-٣) من ظ و القرآن الكريم سورة ٩ آية ٣٨ ، و فى الأصل : ما قيل لكم (٤) فى ظ : بها (٥) من ظ ، و فى الأصل : ذلك .

إيمانهم طمعا فى ستره بمعاذيرهم و أيمانهم ، اقتضى المقام تبكيت المتاقلين و تأنيب[1] المنافقين على وجه مهتك لأستارهم مكشف لأسرارهم . فلما استوفى تعالى فى ذلك أقسامهم ، و نكس ألويتهم و أعلامهم ، و ختمهم بهذه الطائفة التى ظهر[2] فيها امتثاله صلى الله عليه و سلم لقوله تعالى "جاهد الكفار و المنفقين و اغلظ عليهم" بأن هد[3] مسجدهم و حرقه بالنار و أزال بنيانه و فرقه ، و قد أديمه عن جديد الأرض و مزقه ، أتبع ذلك سبحانه بتذكير المؤمنين ما أمرهم به فى قوله تعالى "قاتلوا الذين لايؤمنون بالله و لا باليوم الأخر" و قوله "انفروا خفافا و ثقالا" ليفعلوا فيه ما فعله / رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما أمر[4] به ، فساق / ٥٤٨
مساق الجواب لسؤال من كأنه قال : لقد طال المدى و عظم الخطب فى هذه السورة فى إبانة الفضائح و هتك السرائر و إظهار القبائح ، فلم فعل ذلك و قد جرت عادته بالأمر بالستر و أخذ العفو؟ قوله : ﴿ان الله﴾ أى الملك الذى لا ملك فى الحقيقة غيره و لا يخشى إلا عذابه و لا يرجى إلا خيره ﴿اشترٰى﴾ [أى -[5]] بعهود أكيدة و مواثيق غليظة شديدة ، و لذلك عبر بما يدل على اللجاج فيها فقال : ﴿ من المؤمنين ﴾ أى بالله و ما جاء من عنده ، و قدم النفس إشارة إلى أن المبايعة سابقة على اكتساب المال فقال مقدما للأعز : ﴿ انفسهم ﴾ أى التى تفرد بخلقها ﴿ و اموالهم ﴾ أى التى تفرد برزقها و هو يملكها دونهم .

---

(١) فى ظ : تانيث (٢) فى ظ : اظهر (٣) فى ظ : هذا (٤) فى ظ : فسر .
(٥) زيد من ظ .

و لما ذكر المبيع أتبعه الثمن فقال: ﴿بأن لهم الجنة﴾ أى خاصة بهم مقصورة[1] عليهم، لا يكون لغير مؤمن، فيزهم حتى يقابل[2] كل بما يستحقه، فكأنه قيل: اشترى منهم ذلك بما ذا[3]؟ فقيل: ﴿يقاتلون فى سبيل الله﴾ أى [الملك الأعلى - [4]] بسبب دينه الذى لا يرضى غيره، قتالا يكون الدين محيطا به و ظرفا، فلا يكون فيه شائبة لغيره؛ ثم سبب عن ذلك[5] ما هو حقيق به، فقال: ﴿فيقتلون و يقتلون قف﴾ أعم من أن يكون ذلك بالقوة أو بالفعل، فيخصهم بالجنة كما وعدهم، و قراءة[6] حمزة و الكسائى بتقديم المبنى للمفعول أمدح، لأن من طلب الموت - لا يقف له خصمه. فيكون المعنى: فطلبوا أن يكونوا مقتولين فقتلوا أقرانهم، و يجوز أن يكون النظر إلى المجموع فيكون المعنى أنهم يقاتلون بعد رؤية مصارع أصحابهم[7] من غير أن يوهنهم[8] ذلك، و عن بعض الأعراب أنه لما سمع هذه الآية قال: بيع و الله مربح! لا نقيل و لا نستقيل، فخرج إلى الغزو[9] فاستشهد.

و لما كان القتل لكونه سببا للجنة بشارة و وعدا. أكد[10] ذلك بقوله: ﴿وعدا﴾ و زاده[11] بحرف الإيجاب فقال: ﴿عليه﴾ و أتم التأكيد بقوله: ﴿حقا﴾ و لما أكد هذه المبايعة[12] الكريمة هذه التأكيدات العظيمة، زاد ذلك بذكره فى جميع الكتب القديمة فقال: ﴿فى التورٰة﴾

(١) فى ظ: مقصودة (٢) فى ظ: يعامل (٣) فى ظ: لما ذا (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: هذا (٦) من ظ، وفى الأصل: فرا (٧) فى ظ: اصابهم (٨) فى ظ: يهينهم. (٩) من ظ و البحر المحيط ٥/١٠٢، وفى الأصل: العدو (١٠) سقط من ظ. (١١) فى ظ: زاد (١٢) فى ظ: المبالغة.

كتاب موسى عليه السلام ﴿ و الانجيل ﴾ [1] كتاب عيسى عليه السلام[1] ﴿ و القرآن ﴾ أى الكتاب الجامع لكل ما قبله و لكل خير، و هؤلاء المذكورون[2] فى هذه السورة كلهم ممن[3] ادعى الإيمان و ارتدى به حلل الأمان[4]، ثم إنهم فعلوا بتخلفهم عن الإقباض و توقفهم عن الإسراع و الإيفاض و غير ذلك من أقوالهم و مساوئ أفعالهم فعل الكاذب فى دعواه أو الشاك أعم[5] من أن يكون كذب بالآخرة المشتملة على الجنة أو يكون شك فى وعد الله بايراثهم إياها أو بتخصيصهم بها، و جوز أن يدخلها غيرهم و طمع أن يكون هو ممن يدخلها مع التكذيب، و الله تعالى منزه عن جميع ذلك و هو وفى بعهده ﴿ و من ﴾ أى وعد بذلك و الحال أنه أوفى المعاهدين فهو مقول[6] فيه على طريق الاستفهام الإنكارى: من ﴿ اوفى بعهده من الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال لأن الإخلاف لا يقدم عليه الكرام من الناس فكيف بخالقهم[7] الذى له الغنى المطلق.

و لما كان ذلك سببا للتبشير[8]، لأنه لا ترغيب فى الجهاد أحسن منه، قال مهنئا لهم: ﴿ فاستبشروا ﴾ أى فأوجدوا فى نفوسكم غاية البشر يا معاشر المجاهدين. و لما ذكره فى ابتداء العقد بلفظ يدل على التأكيد، ذكره فى آخره بلفظ يدل على السعة إشارة إلى سعة الجزاء فقال: ﴿ ببيعكم الذى بايعتم ﴾

(١ - ١) فى ظ: اى الكتاب الجامع لكل ما قبله (٢) فى ظ: المذكورين (٣) فى ظ: من (٤) من ظ، وفى الأصل: الايمان (٥) فى ظ: اوهم (٦) من ظ، وفى الأصل: يقول (٧) من ظ. وفى الأصل: بمخالفهم (٨) فى ظ: للبشر.

أي أوقعتم المبايعة لله ﴿ به ﴾ فانه موفيكم لا محالة فذلك هو الأجر الكريم ﴿ و ذلك ﴾ أي إيراثكم الجنة و تخصيصكم بها ﴿ هو ﴾ أي خاصة لا غيره ﴿ الفوز العظيم ﴾ فالحاصل أن هذه الآية واقعة موقع التعليل للأمر بالنفر بالنفس و المال .

٥٤٩ / و لما ثبتت المعاقدة / و أحكامها ، وصف المعاقدين على طريق المدح للحث على أوصافهم فقال : ﴿ التآئبون ﴾ مبتدئا أوصافهم بالتوبة التي هي أساس العمل الصالح . ثم ابتدأ المؤسس[1] بمطلق العبادة الشاملة لجميع أنواع الدين من العلم و غيره فقال : ﴿ العٰبدون ﴾ أي الذين أقبلوا على العبادة فأخلصوها لله ؛ و لما كان التزام الدين لا يعرف إلا بالإقرار باللسان ، أتبع ذلك الحمد الذي تدور مادته على بلوغ الغاية الذي من جملته الثناء اللساني بالجميل الشامل للتوحيد و غيره فقال : ﴿ الحٰمدون ﴾ أي المثنون عليه سبحانه ثناء عظيما ، تطابقت عليه ألسنتهم و قلوبهم فتبعته آثاره ؛ و لما كان الإقرار باللسان لا يقبل إلا عند مطابقة القلب ، تلاه بالسياحة التي تدور بكل ترتيب على الاتساع الذي[2] منه إصلاح القلب ليتسع للتجرد عن ضيق المألوفات إلى فضاء الحضرات الإلٰهيات فقال : ﴿ السآئحون ﴾ و لما كانت الصلاة نتيجة ذلك لكونها جامعة لعمل القلب و اللسان و غيرهما من الأركان ، و هي أعظم موصل إلى بساط الأنس في حضرات القدس و أعلى مجرد عن الوقوف مع المألوف . وكان[3] أول مراتب التواضع القيام و أوسطها الركوع و غايتها السجود . و كان جميع

(١) في ظ : المسس ـ كذا (٢) في ظ : التي (٣) من ظ ، و في الأصل : كانت .

أشكال

أشكال الصلاة موافقا للعادة[1] إلا الركوع و السجود ، أشار إليها بقوله مخصصا لها بالذكر تنبيها على أن المراد من الصلاة نهاية الخضوع: ﴿ الرّٰكعون ﴾ فبين أن تمام هذه البشرى لهذه الأمة أن[2] صلاة غيرهم لا ركوع فيها ، و أتمها بقوله: ﴿ السّٰجدون ﴾ و لما كان الناصح لنفسه بتهذيب لسانه و قلبه و جميع جوارحه لا يقبل إلا إذا بذل الجهد فى نصيحة غيره كما صرح به مثال السفر فى السفينة ليحصل المقصود من الدين و هو جمع الكل على الله المقتضى للتعاضد و التناصر الموجب لدوام العبادة و النصرة و بذلك يتحقق التجرد عن كل مألوف مجانس و غير مجانس ، أتبع ذلك قوله: ﴿ الأٰمرون بالمعروف ﴾ أى السنة .

و لما كان الدين متينا فلن يشاده أحد إلا غلبه .كان المراد من المأمورات مساها دون تمامها و منتهاها « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » و المراد من المنهيات تركها كلها ، و من الحدود الوقوف عندها من غير مجاوزة « و إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » رواه البخارى فى الاعتصام من صحيحه و مسلم أيضا عن أبي هريرة رضى الله عنه ، وكانت العرب - كما تقدم فى البقرة عند قوله تعالى " و الصلوٰة الوسطى[3] " و فى آل عمران عند قوله " الصّٰبرين و الصّٰدقين[4] " عن الأستاد أبي الحسن الحرالى - إذا[5] أتبعت بعض الصفات بعضا من غير عطف علم أنها غير تامة ، فاذا عطفتها أردت التمكن[6] فيها و العراقة فى التمام . فأعلم سبحانه أن المراد

(١) من ظ ، و فى الأصل: للسانحة (٢) من ظ . و فى الأصل: لان (٣) آية ٢٣٨ .
(٤) آية ١٧ (٥) من ظ ، و فى الأصل: اذ (٦) من ظ ، و فى الأصل: التمكين .

فيما تقدم من الأوصاف الإتيان بما أمكن منها، فأتى بها اتباعا دون عطف لذلك. و أشار إلى أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الوقوف عند الحدود لا يقنع[1] منه إلا بالتمام لأن المقصر في شيء من ذلك إما راض بهدم الدين و إما هادم بنفسه، فيجب التجرد التام [فيه -[2]] لأن النهي أصعب أقسام العبادة لأنه متعلق بالغير و هو مثير[3] للغضب موجب للحمية و ظهور الخصومة، فربما كان عنه ضرب و قتل، فلذلك عطفها و لم يتبعها فقال: ﴿و الناهون﴾ أي بغاية الجد ﴿عن المنكر﴾ أي البدعة. و لما كان فاعل الخير لا ينفعه فعله إلا باستمراره عليه إلى الموت أتبعه قوله: ﴿و الحفظون﴾ أي بغاية العزم[4] و القوة ﴿لحدود الله﴾ أي الملك الأعظم التي حدها في هذا الشرع القيم فلم يتجاوزوا شيئا منها، فختم بما به بدأ / مع قيد الدوام بالرعي و القوة، و الحاصل أن الوصف /٥٥٠ الأول للتجرد عن ربقة مألوف خاص و هو شرك المعصية بشركه أو غيره، و الثاني للتجرد عن قيود[5] العادات إلى قضاء العبادات، و الثالث لبلوغ الغاية في تهذيب الظاهر. و الرابع للتوسع إلى التجرد عن قيود الباطن. و الخامس و السادس للجمع بين كمال الباطن و الظاهر، و السابع للسير إلى إفاضة ذلك على الغير. و الثامن للدوام على تلك الحدود بترك جميع القيود. فمقصود الآية العروج من الحضيض الجسماني إلى الشرف الروحاني؛ ثم أمره صلى الله عليه و سلم بتبشير المتخلق بهذه الأوصاف عاطفا لأمره به

(١) في ظ : لا يقع (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : مشير (٤) في ظ : الجزم (٥) في ظ : قيد .

على محذوف تقديره - و الله أعلم : فأنذر من تخلى منها بكل ما يسوءه بعد سجنه فى دار الشقاوة فانه كافر و بشرهم ، أى هؤلاء الموصوفين ، هكذا كان الأصل الإضمار ، و لكنه أظهر ختاما بما به[1] بدأ و تعليقا بالوصف و تعميما فقال : ﴿ و بشر المؤمنين ﴾ أى المتخلقين بها بكل ما يسرهم بعد تخصيصهم بدار السعادة ، و فى[2] ختم الآيتين بالبشارة تارة من الخالق و تارة من أكمل الخلائق أعظم مزية للمؤمنين ، و فى جعل الأولى من الله أعظم ترغيب فى الجهاد و أعلى حث على خوض غمرات الجلاد ، و فى ابتداء الآيتين بالوصف المشعر بالرسوخ فى الإيمان الذى هو الوصف المتمم للعشر و ختمهما بمثله إشارة إلى أن هذه مائدة لايخلس[3] عليها طفيلى ، و أن من عدا الراسخين فى درجة الإهمال لا كلام معهم و لا التفات بوجه إليهم .

و لما كثرت فى هذه السورة الأوامر بالبراءة من أحياء المشركين و جاء الأمر أيضا بالبراءة من أموات المنافقين بالنهى عن الدعاء لهم ، جاءت هذه الآية مشيرة إلى البراءة من كل مشرك فوقع التصريح بعدها بما أشارت إليه ، و ذلك أنه لما ثبت بهذه الآية فى تقديم الجار أن المبايعة وقعت على تخصيص الجنة بالمؤمنين و أنه تعالى أوفى من عاهد ، ثبت أنه لايجوز أن يدخل غيرهم الجنة و أن غيرهم أصحاب النار . لأنه قد علم أن الآخرة داران : جنة و نار ، و لما ثبت هذا كله علم قطعا علم النتيجة من المقدمات الصحيحة أنه ﴿ ما كان ﴾ أى فى نفس الأمر

---

(١) فى ظ : فيه (٢) زيد بعده فى الأصل : اية ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : لا يخلص .

﴿للنبی﴾ أی الذی لا ینطق إلا بما عنده فیه بیان من الله ﴿و الذین اٰمنوآ﴾ أی أقروا بأنهم صدقوا بدعوته فلا یفعلون[1] إلا ما عندهم منه علم ﴿ان یستغفروا﴾ أی یطلبوا المغفرة و یدعوا بها ﴿للمشرکین﴾ أی الراسخین فی الإشراك فی عبادة ربهم ﴿و لو کانوآ﴾ أی المشرکین ﴿اولی قربیٰ﴾ أی للذین[2] آمنوا ﴿من بعد ما تبین لهم﴾ أی بموتهم علی الشرك و إنزال[3] هذه الآیة للختم بالتخصیص بالجنة ﴿انهم اصحٰب الجحیم﴾ أی لا أهلیة لهم للجنة. فان الاستغفار معناه محو الذنوب حتی ینجو صاحبها من النار و یدخل الجنة و ما ینبغی لهم أن یکون لهم إلیهم لتفات فان ذلك ربما جر إلی ملاینة تفتر عن القتال الواقع علیه المبایعة[4]، فما ینبغی إلا محض المقاطعة و المخاشنة و المنازعة. و تقیید النهی بالتبین[5] یدل علی جواز الدعاء للحی فان القصد بالاستغفار الإقبال به إلی الإیمان الموجب للغفران. و لما[6] أنکر أن یکون لهم ذلك، و کان الخلیل علیه السلام المأمور بالاقتداء به و اللزوم بملته[7] قد استغفر لأبیه، بین أنه کان أیضا قبل العلم بما فی نفس الأمر من استحقاقه للتأبید فی النار، فقال دالا بواو العطف علی أن التقدیر: فما استغفر لهم بعد العلم أحد من المؤمنین: ﴿و ما کان استغفار ابرٰهیم﴾ أی خلیل الله ﴿لابیه﴾ أی بعد أن خالفه فی الدین ﴿الا عن موعدة﴾ / أی و هی قوله /٥٥١
"لاستغفرن لك و ما املك لك من الله من شیء[8]" و أکد صدور

(١) فی ظ : فلا یفعلوا (٢) من ظ . و فی الأصل : الذین (٣) فی ظ : انزل .
(٤) فی ظ : المبالغة (٥) فی ظ : بالتبیین (٦) فی ظ : ما (٧) من ظ ، و فی الأصل : بمثله (٨) راجع آیة ٤ سورة ٦٠ .

الوعد بقوله: ﴿وعدها اياه﴾ أى الخليل لأبيه قبل أن يعلم أنه أبدى الشقاوة، و قيل: الضمير لأبيه. كان وعده أنه يسلم فاستغفر له ظنا منه أنه صدق فى وعده فأسلم، [و الذى يدل على أنه كان قبل علمه بذلك قوله -[1]]: ﴿فلما تبين له﴾ [أى بيانا شافيا قاطعا -[1]] ﴿انه عدو لله﴾ أى الملك الأعلى مؤبد العداوة له بموته على الكفر أو بالوحى بأنه يموت عليه ﴿تبرا﴾ أى أكره نفسه على البراءة ﴿منه﴾ ثم علل ما أفهمته صيغة التفعل من المعالجة بقوله: ﴿ان ابرٰهيم لاواه﴾ أى شديد[2] الرقة الموجبة للتأوه من خوف الله و من الشفقة على العباد؛ قال الزجاج: و التأوه أن يسمع للصدر صوت من تنفس[3] الصعداء ﴿حليم﴾ أى شديد التحمل و الإغضاء عن المؤذى له. هكذا خلقه فى حد ذاته فكيف فى حق أبيه و لو قال له "لارجمنك و اهجرنى[4]" و أضعاف ذلك: قال الإمام [5]أبو محمد[5] إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل البستى القاضى فى تفسيره: حدثنا حرملة حدثنا ابن وهب أخبرنى ابن جريج عن أيوب بن هانئ عن مسروق بن الأجدع عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم خرج يوما و خرجنا معه حتى انتهى إلى المقابر فأمرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فجلس إليه فناجاه طويلا ثم ارتفع نحيب رسول الله صلى الله عليه و سلم باكيا فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم إن

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: شديده (٣) من ظ و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣ / ١٢٧، و فى الأصل: تنفيس (٤) راجع سورة ١٩ آية ٤٦.
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.

النبي صلى الله عليه و سلم أقبل إلينا فتلقاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: ما الذى أبكاك يا نبي الله فقد أبكانا و أفزعنا ، فأخذ بيد عمر رضى الله عنه ثم أقبل إلينا فأتيناه فقال : أفزعكم بكائى ؟ قلنا : نعم يا رسول الله ! قال : إن القبر الذى رأيتمونى أناجى قبر آمنة بنت وهب و إنى استأذنت[١] ربى فى الاستغفار لها فلم يأذن لى و نزل على " ما كان للنبي و الذين امنوا[٢] ان يستغفروا للشركين [و لو كانوا اولى قربى"-[٣]] حتى ختم الآية " و ما كان استغفار ابرٰهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه " فأخذنى ما يأخذ الولد من الرقة فذلك[٤] الذى أبكانى[٥]- و هذا سند[٦] حسن . و لمسلم و أبى داود و النسائى و ابن ماجه فى الجنائز عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : زار النبي صلى الله عليه و سلم قبر أمه[٧] فبكى و أبكى من حوله و قال: استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم يأذن لى و استأذنته أن أزور قبرها فأذن لى ، فزوروا القبور فانها تذكر الموت . و للبخارى فى التفسير و غيره عن ابن المسيب عن أبيه رضى الله عنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل النبي صلى الله عليه و سلم و عنده أبو جهل و عبد الله بن أبى أمية فقال النبي صلى الله عليه و سلم : أى عم ! قل : لا إله إلا الله ، أحاج لك بها عند الله ، فقال أبو جهل و عبد الله بن [أبى -[٨]] أمية : يا أبا طالب !

(١) فى ظ : اذنت (٢) زيد بعده فى ظ : معه (٣) زيد من ظ و القرآن الكريم .
(٤) فى ظ : فلذلك (٥) و هذا الحديث قد أخرجه السيوطى فى الدر المنثور حول تفسير هذه الآية بما يقاربه (٦) فى ظ : سنده (٧) من ظ و المراجع ، و فى الأصل : آمنة -كذا (٨) زيد من صحيح البخارى .

أ ترغب عن ملة عبد المطلب؟ - و فى رواية: فكان آخر ما كلمهم أن قال: هو على ملة عبد المطلب - فقال النبي صلى الله عليه و سلم: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فنزلت " ما كان للنبي و الذين اٰمنوا ان يستغفروا للشركين " - الآية، [و أنزل الله فى أبى طالب " انك لا تهدى من احببت و لٰكن الله يهدى من يشاء[1] " الآيـة - [2]]. و لعله استمر[3] يستغفر له ما بين موته و غزوة تبوك حتى نزلت، و روى فى سبب نزولها غير هذا أيضا، و قد تقدم أنه يجوز أن تتعدد الأسباب.

و لما كان الاستغفار للشركين أمرا عظيما، و كان فيه نوع ولاية لهم، أظهر سبحانه للؤمنين ما منّ عليهم به من عدم المؤاخذة بالإقدام عليه تهويلا لذلك و قطعا لما بين أرج الإيمان و حضيض الكفران بكل اعتبار فقال تعالى: ﴿ و ما كان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال؛ و لما كان الضلال سبب الهلاك، و كان من شرع شريعة ثم عاقب ملتزمها[4] من غير بيان كمن دل على طريق[5] غير موصل فهلك صاحبه فكان الدال بذلك مضلا، قال: ﴿ ليضل قوما ﴾ أى يفعل بهم ما يفعل بالضالين / ٥٥٢
من العقوبة لأجل ارتكابهم لما ينهى عنه بناسخ نسخه ﴿ بعد اذ هدٰىهم ﴾ أى بشريعـــة نصبها لهم ﴿ حتى يبين لهم ﴾ أى بيانا شافيا لداء العى ﴿ ما يتقون ﴾ أى مما هو جدير بأن يحذروه و يتجنبوه خوفا من غائلته [بناسخ ينسخ حال الإباحة التى كانوا عليها - [1]].

(١) سورة ٢٨ آية ٥٦ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ: يستمر.
(٤) فى ظ: ملتزما (٥) زيد فى ظ: من.

و لما كان الذى يأمر بسلوك طريق ثم يترك فيها ما يحتاج إلى البيان إنما يؤتى عليه من الجهل أو النسيان ، نفى ذلك سبحانه عن نفسه فقال معللا لعدم الإضلال: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ بكل شىء عليم ﴾ أى بالغ العلم فلا يتطرق إليه خفاء بوجه من الوجوه فى حين من الأحيان فهو يبين لكم جميع ما تأتون و تذرون وما[1] يتوقف عليه الهدى ، و ما تركه فهو إنما يتركه رحمة لكم "لا يضل ربى و لا ينسى[2]" فلا تبحثوا عنه؛ ثم علل علمه بكل شىء بأن قدرته شاملة فهو قادر على نصرة من يريد و[3] الانتقام ممن يريد ، فلا ينبغى لأحد أن يحب إلا فيه و لا يبغض إلا فيه و لا يهتم بعداوة أحد ممن عاداه فقال: ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ له ﴾ أى بكل اعتبار تعدونه من اعتبارات الكمال ﴿ ملك السموت و الارض ﴾ فلا يخفى عليه شىء فهو خبير بكل ما ينفعكم و[4] يضركم و هو وليكم ، يبينه[5] لكم ، و من كان له جميع الملك كان بحيث لا يستعصى على أمره شىء: علم و لا غيره ، لأن العلم من أعظم القوى و القدر ، و لا يكون الملك إلا عالما قادرا؛ ثم علل قدرته و علمه بما يشاهد متكررا من فعله فى الحيوان و النبات و غير ذلك فقال: ﴿ يحي و يميت ﴾ أى بكل معنى فهو الذى أحياكم و غيركم الحياة الجسمانية و خصكم أنتم بالحياة الإيمانية ، و كما جعل غيركم بعضهم[6] أولياء بعض و جمعهم كلهم على ولاية عدوهم الشيطان جعلكم

(١) فى ظ : مما (٢) سورة ٢٠ آية ٥٢ (٣) سقطت الواو من ظ (٤) فى ظ : او.
(٥) من ظ ، وفى الأصل : بينه (٦) فى ظ : بينكم .

انتم

أنتم أولياء ربكم الرحمن فهو وليكم و ناصركم ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنه ما ﴿لكم﴾ و لما[١] كان ليس لأحد أن يحوز كل ما دون رتبته سبحانه. أثبت الجار فقال : ﴿ من دون الله ﴾ أى [الملك - [٢]] الذى له الأمر كله ، و أغرق فى النفى بقوله[٣] : ﴿ من ولى ﴾ أى قريب يفعل معكم من الحياطة و النصح ما يفعل القريب من النصر و غيره .

و لما كان الإنسان قد ينصره غير قريبه قال : ﴿ و لا نصير ه ﴾ أى فلا توالوا[٤] إلا من كان من حزبه و أهل حبه و قربه ، و فيه تهديد لمن أقدم على ما ينبغى أن يتقى لا سيما الملاينة لأعداء الله من المساترين و المصارحين ، فان غاية ذلك موالاتهم و هى لا تغنى من الله شيئا .

و لما أشار إلى أنه هو وليهم أحياهم بروح منه مبين لهم ما يصلحهم و أنه لا ولى [٥]لهم غيره[٥] ، أقام الدليل على ذلك بقوله : ﴿ لقد تاب الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ﴿ على النبى ﴾ أى الذى لا يزال عنده من الله خبر عظيم يرشده إلى ما يؤذن بتقوية حياته برفع درجاته ، فما من مقام يرقيه إليه إلا رأى أنه لمزيد [٦]علوه و تقربه[٦] للقام الذى كان دونه، فهو فى كل لحة فى ارتقاء من كامل إلى أكمل إلى ما لا نهاية له .

و لما أخبر تعالى بعلو رتبة النبى صلى الله عليه و سلم [٧]بترقيته فى[٧] رتب الكمالات و الأكمليات إلى ما لا نهاية له على وجه هو فى غاية البعث لكل

(١) من ظ ، و فى الأصل : ما (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : قوله (٤) فى ظ : فلا يوالوا (٥ - ٥) فى ظ : له غيرهم (٦ - ٦) فى ظ : علو رتبة (٧ - ٧) فى ظ : بترقيه إلى .

مؤمن على المبادرة إلى التوبة ، أكد ذلك بقوله : ﴿ والمهجرين و الانصار ﴾ بمحو هفواتهم و رفع درجاتهم ﴿ الذين اتبعوه ﴾ أى النبى صلى الله عليه و سلم ﴿ فى ساعة العسرة ﴾ أى أزمنة غزوه تبوك . كانوا فى عسرة من الزمان بالجدب و الضيقة الشديدة و الحر الشديد ، و عسرة من الظهر [1]يعتقب العشرة[1] على بعير واحد . و عسرة من الزاد « تزودوا التمر [المدوّد - [2]] و الشعير [المسوّس - [3]] و الإهالة الزنخة ، و بلغت بهم الشدة أن اقتسم التمرة اثنان . و ربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء ، و فى[4] عسرة من الماء حتى نحروا الإبل و اعتصروا فروثها ؛ و سماها 'ساعة' تهوينا[5] لأوقات[6] الكروب و تشجيعا على مواقعة المكاره فان أمدها[7] يسير و أجرها عظيم خطير . فكانت حالهم باتباعه فى هذه الغزوة أكمل من حالهم قبلها ، / و أشار سبحانه إلى تفاوتهم فى الثبات على مقامات /٥٥٣
عالية ، ترقوا بالتوبة[8] إلى أعلى منها ، و فى قبول وساوس أبعدتهم التوبة عن قبولها بقوله : ﴿ من بعد ما كاد ﴾ أى قرب قربا عظيما ﴿ تزيغ[9] ﴾ أى تزول عن أماكنها الموجبة لصلاحها . و أشار بـ 'من' إلى تقارب[10] ما بين كيدودة[11] الزيغ و التدارك بالتوبة . و لما كان المقام للزلازل[12] ،

(١-١) من ظ وروح المعانى ٣ / ٣٨٤ ، و فى الأصل : معقب العسرة - كذا .
(٢) زيد من الروح (٣) زيد من ظ و الروح (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : تهويلا (٦) من ظ ، و فى الأصل : لاهل (٧) فى ظ : امرها (٨) من ظ ، و فى الأصل : بالسوية (٩) و القراءة الثابتة فى مصاحفنا : يزيغ (١٠) فى ظ : تفاوت .
(١١) من ظ ، و فى الأصل : كيدورة (١٢) من ظ ، و فى الأصل : للزلزال .

ناسب التعبير بما منه الانقلاب و الفرقة فقال: ﴿ قلوب فريق ﴾ أي هم بحيث تحصل[1] منهم الفرقة لما هناك من الزلازل المميلة[2] ﴿ منهم ﴾ أي من[3] عظيم ما نالهم من الشدائد فتميل[4] لذلك عن الحق كأبي خيثمة و من أحب الراحة و هاب السفر في ذلك الحر الشديد إلى بني الأصفر الملوك الصيد الأبطال الصناديد . و هم ملء الأرض كثرة و قدر الحصى عدة و مثل الجبال شدة، ثم عزم الله له فلحق برسول الله صلى الله عليه و سلم فرجع سبحانه بالجميع إلى ما كانوا عليه قبل[5] مقاربة الزيغ من مباعدته، و لما صاروا كمن لم[6] يقارب الزيغ . أعلاهم إلى مقام آخر عبر عن عظمته بأداة التراخي فقال: ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ أي [كلهم تكريرا للرفعة، أو على من كاد يزيغ -[7]] بالثبات على مباعدة الزلات و بالترقي في أعالي الدرجات إلى المهات: و نقل أبو حيان عن الحسن أن زيغها همها بالانصراف لما لقيت من المشقة . قال: و قيل: ساء ظنها بما رأته من شدة العسرة و قلة الوفر[8] و بعد الشقة و قوة العدو المقصود - انتهى . و يجوز أن يكون عبر بـ "ثم" لوصولهم إلى حالة يبعد[9] معها الثبات فضلا عن مباعدة مواقع الزلات فثبتها حتى عادت كالحديد من غير سبب ظاهر من [10]جيش أو غيره[10] فثبت بذلك أنه[11] مالك الملك متمكن

(١) في ظ: تصل (٢) في ظ: المهينة (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفي الأصل: فيميل (٥) في ظ: قبل (٦) من ظ، وفي الأصل: لا (٧) زيد من ظ .
(٨) من ظ و البحر المحيط ٥ / ١٠٩ . وفي الأصل: الوفد (٩) من ظ، وفي الأصل: تبعد (١٠-١٠) من ظ، وفي الأصل: عيش أو عبرة (١١) في ظ: ان .

من فعل كل ما يريده وأنه لا ولى لهم سواه : ثم علل لطفه بهم بقوله: ﴿انه بهم رءوف رحيم ٥ؗ﴾ و الرأفة : شدة الرحمة ، فقدم الأبلغ فيقال فيه ما قيل فى " الرحمن الرحيم[١] " فالمعنى أنه يرحمهم أعلى الرحمة باسباغ جلائل النعم و دفع جلائل النقم ، و يرحمهم[٢] أيضا باسباغ دقائق النعم و دفع دقائق النقم ، و قيل : الرأفة : إزالة الضر ، و الرحمة : إيصال النفع ، و مادة " رأف " تدور مع السعة[٣] على ما أشير إليه فى سورة سبحان على شدة الوصلة . فالرأفة[٤] - كما قال الحرالى فى البقرة - عطف العاطف على من يجد عنده منه وصلة ، فهى رحمة ذى الصلة بالراحم . و الرحمة تعم من لا صلة له بالراحم - انتهى . فتكون الرأفة حينئذ للثابتين[٥] و الرحمة لمن قارب الزيغ ، فيصير الثابت مرحوما مرتين لأنه منظور إليه بالصفتين ، و تقدم عند الحزبين من البقرة ما ينفع هنا .

و لما صرح بالتوبة على من قارب الزيغ و خلط معهم أهل الثبات إشارة إلى أن كل أحد[٦] فقير إلى الغنى الكبير [و ليكون اقترانهم بأهل المعالى ، و جعلهم فى حزبهم تشريفا لهم و تأنيسا لئلا يشتد انكسارهم -[٧]] ، أتبعه التوبة على من وقع منه الزيغ فقال غير مصرح بالزيغ تعليما[٨] للأدب و جبرا للخواطر المنكسرة -[٧]] : ﴿[٩] و على[٩]﴾ أى و لقد

(١-١) فى ظ : الرحيم الرحمن (٢) فى ظ : يرحم (٣) من ظ ، و فى الأصل : السبعة . (٤) من ظ ، و فى الأصل : فالراه (٥) من ظ . و فى الأصل : للبايس (٦) فى ظ : واحد (٧) زيد من ظ (٨) من ظ . و فى الأصل : تعظيما (٩ - ٩) تأخر ما بين الرقمين فى ظ عن « الله على » .

تاب

تاب الله على ﴿ الثلثة الذين[1] ﴾ .

و لما كان الخالع للقلوب مطلق التخليف، بنى للمفعول قوله: ﴿ خلفوا ﴾ أى خلفهم[2] رسول الله صلى الله عليه و سلم بالهجران و نهى الناس عن كلامهم، و أخر الحكم فيهم ليأتى أمر الله فى بيان أمرهم و استمر تخليفهم ﴿ حتى اذا ضاقت ﴾ أشار إلى عظيم الأمر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿ عليهم الارض ﴾ أى كلها ﴿ بما رحبت ﴾ أى مع شدة اتساعها. أى ضاق عليهم فسيحها و وسعها[3].

و لما كان هذا قد يراد به[4] الحقيقة، و كان ضيق المحل [قد -[5]] لا يستلزم ضيق الصدر، أتبعه الدلالة على أن المراد المجاز فقال: ﴿ و ضاقت عليهم ﴾ بالهم المزعج، الغم المقلق ﴿ انفسهم ﴾ أى من شدة ما لاقوا من الهجران حتى بالكلام حتى برد السلام؛ و لما كان ذلك لا يقتضى التوبة إلا بالمراقبة، أتبعه - بيانا للتخلف بها - قوله: ﴿ و ظنوآ ﴾ أى أيقنوا، و لعله عبر بلفظ إيذانا بأنهم لشدة الحيرة كانت قلوبهم لا تستقر على حال، فكان يقينهم لشدة الخواطر كأنه ظن. [أو يقال - و هو أحسن - : إن التعبير به عن يقين المخلصين إشارة إلى أن أعلى اليقين فى التوحيد لا يبلغ الحقيقة على ما هى عليه أن لا يقدر أحد أن يقدر لله حق قدره - كما قال أصدق الخلق صلى الله عليه و سلم «لا أحصى ثناء عليك، انت كما أثنيت على نفسك» و هذا من النفائس فاستعمله فى أمثاله -[5]] ﴿ ان لا ملجا ﴾ أى مهرب و مفزع ﴿ من الله ﴾

---

(١) وقع فى ظ بعد «الخواطر المنكسرة» (٢) فى ظ: خلفوا (٣) فى ظ: اوسعها.
(٤) فى ظ: منه (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ.

/٥٥٤ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ الآ اليه ﴾ / أى بما يرضيه ، و هو مثل تحـيرهم فى أمرهم ، و جواب ' إذا ' محذوف دل عليـه صدر الـكلام تقديره[١] : تداركهم بالتوبة فردهم إلى ما كانوا عليه قبل مواقعة الذنب .

و لما كان ما عملوه من التخلف عن أمر الرسول صلى الله عليه و سلم عظيما بمجرد المخالفة ثم[٢] بترك المواساة ثم بالرغبة عنه صلى الله عليه و سلم ثم بأمور عظيمة شديدة القبح وخيمة فكان يبعد معه الزيادة عن رتبة التوبة ، أعلم سبحانه أنه رقاهم[٣] فى رتب الكمال بأن جعل ذلك سببا لتطهيرهم من جميع الأدناس و تنقيتهـم من سائر الأدران المقتضى لمزيد القرب بالعروج فى مصاعد المعارف - كما أشار إليه قوله صلى الله عليـه و سلم لـكعب رضى الله عنه « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » ، أتبع ذلك سبحانه الإعلام به بقوله - مشيرا إلى [ما - [٤]] بعده لولا فضل الله - بأداة الاستبعاد : ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ أى رجع بهم بعد التوبة إلى مقام من مقامات سلامة الفطرة الذى هو أحسن تقويم يعلو[٥] لعلوه بالنسبة إلى ما دونه ، توبة ﴿ ليتوبوا ﴾ أى ليرجعوا إلى ما تقتضيه الفطرة الأولى من الثبات على ما كانوا عليه من الإحسان فى الدين و التخلق بأخلاق السابقين . و لعله عبر بالظن موضع العلم إشارة إلى أنه يكفى فى الخوف من جلاله للانقطاع إليه مجرد الظن بأنه لا سبب إليه إلا منه لأنه محيط بكل شىء لا يعجزه شىء . و يمكن أن يكون التعبير بـ " ثم " إشارة إلى عظيم ما قاسوا من الأهوال و ما ترقوا إليه من مراتب الخوف ، و امتنانا عليهم بالتوبة

(١) فى ظ : بتقدير (٢) من ظ ، و فى الأصل : لم (٣) من ظ ، و فى الأصل : رقاهم (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : بعد .

من عظيم ما ارتكبوا، و إنما خصوا عن رفقائهم بأن أرجئوا[1] لأمر الله لعلو مقامهم بما لهم من السابقة و رسوخ القدم فى الإسلام، فالمخالفة اليسيرة منهم أعظم من الكثير من غيرهم لأنهم أئمة الهدى و مصابيح الظلم، و من هذا البارق «حسنات الأبرار سيئات المقربين» ثم علل التوبة بأمر يعم غيرهم ترغيبا فقال معبرا بما[2] يشير مع أعلى مقامهم إلى[3] نزوله عن[4] مقام من قبلهم: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ التواب ﴾ أى البليغ التوبة على من تاب و إن عظم جرمه و تكررت توبته لتكرر ذنوبه ﴿ الرحيم ﴾ أى المكرم لمن أراد من عباده بأن[5] يحفظه على ما يرتضيه فلا يزيغ، و يبالغ فى الإنعام عليه.

و لما كان الذى نالوا به الإقبال من مولاهم عليهم - مما وصفهم به [من الضيق و ما معه -[6]] - هو التقوى و الصدق فى الإيمان كما كان ما يجده[7] الإنسان فى نفسه مما الموت عنده و القذف فى النار أحب إليه من التلفظ به صريح الإيمان بشهادة المصطفى صلى الله عليه و سلم، رغب سبحانه فى الصدق فقال: ﴿ يأيها الذين امنوا ﴾ أى ادعوا ذلك ﴿ اتقوا الله ﴾ أى خافوا سطوة من له العظمة الكاملة تصديقا لدعواكم فلا تفعلوا إلا ما يرضيه ﴿ و كونوا ﴾ أى كونا صادقا بجميع الطبع و الجبلة ﴿ مع الصدقين ﴾ أى فى كل أمر يطلب منهم[8]، و لعله أخرج الأمر مخرج العموم ليشمل

---

(1) من ظ، و فى الأصل: ارهبوا (2) فى الأصل: مع ما، و فى ظ: ما - كذا.
(3) فى ظ: مع (4) فى ظ: إلى (5) من ظ، و فى الأصل: ان (6) زيد من ظ (7) فى ظ: حده (8) فى ظ: منه.

كل مؤمن ، فمن كان مقصرا كانت آمرة له باللحاق ، و من كان مسابقا[١]
كانت حاثة له على حفظ مقام الاستباق . و لعله عبر بـ " مع " ليشمل
أدنى الدرجات . و هو السكون بالجثث . و قد روى البخارى توبة كعب
أحد هؤلاء الثلاثة رضى الله عنهم فى مواضع من صحيحه منها التفسير ،
و كذا رواه غيره عن كعب نفسه رضى الله عنه أنه لم يتخلف عن رسول الله
صلى الله عليه و سلم [فى غزوة غزاها قط غير غزوتين : غزوة العسرة[٢] -
يعنى هذه - و غزوة بدر . و أن تخلفه ببدر إنما كان لأن النبى صلى الله
عليه و سلم - [٣]] لم يندب الناس إليها [٤]و لاحثهم عليها[٤] لأنه ما خرج
أولا إلا لأجل العير ، قال[٥] : فأجمعت صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم ،
و كان قل ما يقدم من سفر سافره إلا ضحى ، و كان يبدأ بالمسجد فيركع
ركعتين و نهى النبى صلى الله عليه و سلم عن كلامى و كلام صاحبى - يعنى
مرارة بن الربيع العمرى و هلال / بن أمية الواقفى - و لم ينه عن كلام /٥٥٥
أحد من المتخلفين غيرنا ، فاجتنب[٦] الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال
علىّ الأمر . و ما من شيء أهم إلى من أن أموت فلا يصلى علىّ النبى
صلى الله عليه و سلم أو يموت النبى صلى الله عليه و سلم فأكون من الناس
بتلك المنزلة فلا يكلمنى أحد منهم و لا يصلى علىّ ، فأنزل الله عز و جل
توبتنا على نبيه صلى الله عليه و سلم حين بقى الثلث الآخر من الليل و رسول الله
صلى الله عليه و سلم عند أم سلمة رضى الله عنها ، و كانت أم سلمة

---

(١) فى ظ : سابقا (٢) من صحيح البخارى كتاب التفسير و السياق له ، و فى ظ : الصرة - كذا (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٦) فى ظ : فاجتنبت .

محسنة

محسنة فى شأنى معنية[1] فى أمرى فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يا أم سلمة ! تيب على كعب، قالت : أفلا أرسل إليه فأبشره ؟ قال : إذنْ يحطمكم الناس فيمنعوكم النوم سائر الليلة حتى إذا صلى الله عليه و سلم صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا[2] ، وكان إذا استبشر استنار[3] وجهه حتى كأنه[4] قطعة من القمر ، وكنا - أيها الثلاثة الذين خلفوا - خلفنا عن الأمر الذى قبل من هؤلاء الذين اعتذروا حين أنزل الله لنا التوبة ، فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه و سلم من المتخلفين و اعتذروا بالباطل ذكروا بشر[5] ما ذكر به أحد ، قال الله عز و جل " يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم " - الآية .

و لما كان ما نالهم من الأهوال إنما نالهم بتخلفهم عن أشرف الخلق ، والذى[6] التفت بهم إلى مرابع الإقبال إنما هو الصدق ، قال تعالى ناهيا بصيغة الخبر ليكون أبلغ ، جامعا إليهم من كان على مثل حالهم فى مطلق التخلف[7] : ﴿ ما كان ﴾ أى ما صح و ما انبغى بوجه من الوجوه ﴿ لاهل المدينة ﴾ أى التى هى سكن رسول الله صلى الله عليه و سلم و هى دار الهجرة و معدن النصرة ﴿ و من حولهم ﴾ أى فى جميع نواحى المدينة الشريفة ﴿ من الاعراب ﴾ أى من[2] سكان البوادى الذين أقسموا بالإسلام ﴿ ان يتخلفوا ﴾ أى فى أمر من الأمور ﴿ عن رسول الله ﴾

(١) فى ظ و صحيح البخارى بعلامة النسخة : معينة (٢) سقط من ظ (٤) فى ظ : نار - كذا (٤) من ظ و الصحيح ، و فى الأصل : كان (٥) من ظ و الصحيح ، و فى الأصل : بنشر (٦) فى ظ : اذا (٧) فى ظ : التصرف .

أي الملك الأعلى[1]، و من شأن المرسل إليه أن لا يبرح عن جناب الرسول لا سيما و هو رأس الصادقين الذين وقع الأمر بالكون معهم ﴿ و لا يرغبوا ﴾ أي و [ما - [2]] كان لهم أن يرغبوا ، و لعله قللهم بصيغة القلة بالنسبة إلى من أيده به[3] صلى الله عليه و سلم من جنوده فقال تعالى : ﴿ بانفسهم عن نفسه[5] ﴾ أي التي هي أشرف النفوس مطلقا بأن [4]يصونوا نفوسهم[4] عما باشره[5] صلى الله عليه و سلم بل يلقونها في المتالف دونه[3] و صيانة لنفسه الشريفة عن أدنى الأذى ، فهي[6] كالتعليل للأمر بالتقوى أي خافوا الله و اصدقوه كما صدق هؤلاء ليتوب عليكم كما تاب عليهم فانه لم يكن لكم التخلف فهو[7] نهي بليغ مع تقبيح و توبيخ و إلهاب و تهييج .

و لما علل الأمر[8] بالتقوى ، علل النهي عن التخلف بما يدل على صدق الإيمان فيصير نقيضه دالا على نقيضه فقال : ﴿ ذلك ﴾ أي النهي العظيم عن التخلف في هذا الأسلوب النافي للكون ﴿ بانهم لا يصيبهم ظمأ ﴾ أي عطش شديد ﴿ و لا نصب ﴾ أي تعب بالغ ﴿ و لا مخمصة ﴾ أي شدة مجاعة ﴿ في سبيل الله ﴾ أي طريق دين الملك الأعظم المتوصلة[9] به إلى جهاد أعدائه ، و رتبت هذه الأشياء ترتيبها في الوجود فان[7] مطلق الحركة يهيج الحرارة فينشأ العطش و تماديها يورث التعب ، و الأغلب

---

(١) في ظ : الاعظم (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤-٤) في ظ : يصونوها. (٥) من ظ ، و في الأصل : يأمره (٦) في ظ : فهو (٧) في ظ : فانه (٨) في ظ : الالهاب (٩) في ظ : المتوصل .

أن يكون قبل الجوع .

و لما كان المقصود من إجهاد النفس بما ذكر إرغام الكفار باقتحام أرضهم المتوصل به[1] إلى إيهانهم بالنيل منهم ، أتبع ذلك قوله : ﴿ و لا يطؤن موطئا ﴾ أى وطئا أو[2] مكانا وطؤه[2] ﴿ يغيظ الكفار ﴾ أى وطؤهم له[3] بأرجلهم أو دوابهم[3] ﴿ و لا ينالون من عدو نيلا ﴾ أى كائنا ما كان صغيرا أو[4] كبيرا ﴿ الا كتب لهم به ﴾ أى فى صحائف الأعمال ، بنى للفعول لأن القصد إثباته[5] لا من معين ﴿ عمل صالح ﴾ أى رتب[6] لهم عليه أجر جزيل .

و لما كان فاعل هذه الأشياء مقدما على المعاطب فى نفسه و محصلا لغرض الجهاد ، أشير على وجه التأكيد فى جملة اسمية إلى انه محسن ، أما فى حق نفسه فباقامة الدليل بطاعته عن صدق إيمانه . و أما فى غيره من المؤمنين فبحمايتهم عن طمع الكافرين . و أما فى حق الكفار فبحملهم على الإيمان بغاية الإمكان . فقال تعالى معللا للجازاة : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ لا يضيع ﴾ أى لا يترك تركه ما من شأنه الإهمال ﴿ اجر المحسنين ﴾ و أظهر موضع الإضمار تعميما و تعليقا بالوصف .

ولما كانت[7] المشقة بالإنفاق العائد ضرره إلى المال ، و وطئ مطلق الأرض

(١) سقط من ظ (٢-٢) فى ظ :مكان وطى (٣-٣) فى ظ : بدوابهم و ارجلهم.
(٤) فى ظ « و » (٥) فى ظ : اتيانه (٦) فى ظ : يرتب (٧) من ظ ، و فى الأصل : كان .

الذى قد لا يلزم منه وصول إلى ما يغيظ العــدو دون المشقة الحاصلة فى النفس بالظمأ و ما معه من فعل ما يغيظ العدو و ينقصه ، قدم ذلك على قوله: ﴿ و لا ينفقون ﴾ و لما كان القليل قد يحتقر ، ابتدأ به ترغيبا فى قوله : ﴿ نفقة صغيرة ﴾ و لما كان ربما تعنت متعنت لجعل ذكرها قيدا ، قال : ﴿ و لا كبيرة ﴾ إعلاما بأنه معتد به لئلا يترك ، و فيه إشارة إلى آية اللمز للطوعين فى الصدقات ﴿ و لا يقطعون واديا ﴾ أى من الأودية بالسير فى الجهاد ، و الوادى : كل منفرج[1] بين جبال و آكام ينفذ فيه[2] السيل ، و هو فى الأصل فاعل من ودى - إذا سال ﴿ الا كتب لهم ﴾ أى ذلك الإنفاق و القطع ، بناه للفعول لأن القصد الحفظ بالكتابة مطلقا ﴿ ليجزيهم الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام ، أى[3] بذلك من فضله ﴿ احسن ما كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ يعملون ﴾ مضاعفا عــلى قدر الثبات[4] ، و أكدت فاصلة الأولى دون هذه لزيادة تلك فى المشقة و النفع ، و لذا صرح فيها بالأجر و العمل الصالح - نبه على ذلك الإمام أبو حيان[5] . و من هنا بل من عند " ان الله اشترى " شرع فى عطف الآخر على الأول الذى مضمونه البراءة من المشركين و الاجتهاد فى قتالهم بعد انقضاء مدتهم حيث وجدوا - إلى أن قال " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الأخر و لا يحرمون ماحرم الله و رسوله " - إلى أن قال " مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض " ثم قال

(١) من ظ ، و فى الأصل : مفترج (٢) فى ظ : فيها (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : النيات (٥) راجع البحر المحيط ٥/١١٣ .

إن

" انفروا خفافا و ثقالا " ثم أتبع ذلك قصص المنافقين[1] كما أنه فعل هنا كذلك أن ختم بقوله " قاتلوا الذين يلونكم من الكفار " الآية ثم أتبعها ذكر المنافقين[1] .

و لما تواترت النواهى للتخلفين و تواصلت الزواجر و تعاظم التبكيت و التهديد ، طارت القلوب و أشفقت النفوس ، فكان ذلك مظنة أن لا يتخلف بعدها أحد عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و عمن يقوم مقامه فيتمكن حينئذ الأعداء من الأموال و الذرارى و العيال ، فأتبع ذلك قوله تعالى : ﴿ و ما كان المؤمنون ﴾ أى الذين حثهم على النفر الرسوخ فى الإيمان ﴿ لينفروا كآفة ﴾ أى جميعا فان ذلك يخل بكثير من الأغراض الصالحة ، و هو تعليم لما هو الأنسب بالدين و الدنيا من انقسام الناس قسمين : قسما للجهاد ، و قسما للنفقة و حفظ الأموال و الأولاد ، كل ذلك بأمره عليه الصلاة و السلام و العمل بما يرضاه ، و لا يخفى ذلك على المخلص ، و لعل التعبير بالفعل الماضى فى قوله مسببا عما قبله : ﴿ فلو لا نفر ﴾ ليفهم تبكيت من قصد تبكيته من المتخلفين فى جميع هذه السورة بأنه كان عليهم أن ينفر مع النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ من كل فرقة ﴾ أى ناس [كثير -[2]] يسهل افتراقهم ، قالوا : و هو اسم يقع على ثلاثة ﴿ منهم طآئفة ﴾ أى ناس لا ينفكون حافين بالنبى صلى الله عليه وسلم يلزمونه ، قيل : و الطائفة واحد و[3] اثنان ، فالآية حجة على قبول خبر الواحد و وجوب العمل به ، [و كأنه عبر به للاشارة

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : او .

إلى الحث على كثرة النافرين كما هو أصل مدلولها الأغلب فيه -[1]] ﴿ ليتفقهوا ﴾ أى ليكلف النافرون أنفسهم الفهم منه صلى الله عليه و سلم شيئا فشيئا / ﴿ فى الدين ﴾ أى بما يسمعونه من أقواله و يرونه من جميل ٥٥٧/ أفعاله و يصل إلى قلوبهم من مستنير أحواله ، و هذا غاية الشرف للعلم حيث جعل غاية الملازمة له صلى الله عليه و سلم للجهاد[2] ، هذا إن كان هو صلى الله عليه و سلم النافر فى تلك الغزاة ، و إن كان[3] غيره كان ضمير " يتفقهوا " للباقين معه صلى الله عليه و سلم .

و لما[4] كان من العلم بشارة و منه نذارة ، و كان الإنسان - لما فيه من النقصان - أحوج شيء إلى النذارة ، خصها بالذكر فقال عطفا على نحو : ليخافوا فى أنفسهم فيعملوا فى خلاصها : ﴿ و لينذروا قومهم ﴾ أى يحذروهم ما أمامهم من المخاوف إن فرطوا فى جانب التقوى ﴿ اذا رجعوآ اليهم ﴾ أى بما أنذرهموه الرسول صلى الله عليه و سلم و يبشروهم [بما بشرهم -[1]] به ؛ ثم بين[3] غاية العلم مشيرا إلى أن من جعل له غاية غيرها من [5]ترفع أو افتخار[5] فقد ضل ضلالا كبيرا . فقال موجبا لقبول خبر من بلغهم : ﴿ لعلهم ﴾ أى كلهم ﴿ يحذرون ع ﴾ أى ليكون حالهم حال أهل[4] الخوف من الله بما حصلوا من الفقه لأنه أصل كل خير ، به تنجلى القلوب فتقبل على الخير و تعرض عن[4] الشر . فان الحذر تجنب الشيء لما فيه من الضرر ، و المراد بالفقه هنا حفظ الكتاب و السنة و فهم معانيهما من

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : فى الجهاد (٣) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ : افتخار او ترفع .

الأصول و الفروع و الآداب و الفضائل ، و قال الرمانى[١] : الفقه فهم موجبات المعانى المضمنة بها من غير تصريح بالدلالة عليها .

و لما علمت المقاصد و تهيأت القلوب [لقبول -[٢]] الفوائد ، و أمر بالإنذار بالفقه ، و كان من الناس من لا يرجع إلا بشديد[٣] البأس ، أقبل على الكل مخاطبا لهم بأدنى أسنان القلوب[٤] ليتوجه إلى الأدنى و يتناول الأعلى منه من باب الأولى[٥] فقال : ﴿ يٰأيها الذين ءامنوا ﴾ أى ادعوا بألسنتهم الإيمان ﴿ قاتلوا ﴾ أى تصديقا لدعواكم ذلك ﴿ الذين يلونكم ﴾ أى يقربون منكم ﴿ من الكفار ﴾ فالذين يلونهم إن لم تروا غيره أصلح لمعنى يعرض لما فى ذلك من حسن الترتيب و مقتضى الحكمة و لأن الجهاد معروف و إحسان ، و الأقربون أولى بالمعروف ، و لتبعدوا[٦] العدو عن بلادكم فيكثر صلاحكم و يقل فسادكم و تكونوا قد جمعتم بالتفقه[٧] و القتال بين الجهادين : جهاد الحجة و جهاد السيف مع الاحتراس بهذا الترتيب من[٨] أن يبقى وراءكم إذا قاتلتم من تخشون كيده .

و لما كانت الملاينة أولى بالمسالمة ، و المخاشنة أولى بالمصارمة[٩] ، قال : ﴿ و ليجدوا ﴾ من الوجدان ﴿ فيكم غلظة ﴾ أى شدة و حمية لأن ذلك أهيب فى صدورهم[١٠] .

---

(١) هو على بن عيسى بن على - راجع معجم المؤلفين ٧/١٦٢ (٢) زيد من ظ .
(٣) فى ظ : بتشديد (٤) فى ظ : القبول (٥) فى ظ : الادنى (٦) من ظ ، و فى الأصل : ليبعد (٧) فى ظ : بالفقه (٨) فى ظ : مع (٩) من ظ ، و فى الأصل : بالمضاربة (١٠) فى ظ : صدرهم .

و أكف عن فجورهم، و حقيقة الغلظة فى الأجسام، استعيرت هنا للشدة فى الحرب، و هى تجمع الجراءة[1] و الصبر على القتال و شدة العداوة، فاذا فعلوا ذلك كانوا جامعين بين جهاد الحجة و السيف كما قيل:

من لا يعدله القرآن كان له   من الصغار[2] و بيض الهند تعديل

نبه [3]على ذلك[3] أبو حيان.

و لما كان التقدير: و ليكن كل ذلك مع التقوى لا بسبب مال و لا جاه فانها ملاك الأمر كله، قال[4] منبها على ذلك بقوله: ﴿و اعلموآ ان الله﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿مع المتقين ﴾ فلا تخافوا أن يؤدى شيء من مصاحبتها إلى وهن فان العبرة بمن كان الله معه.

و لما ذكر هذه السورة آى الطائفة الخاصة[5] بصيغة 'لولا' على[6] النفر مع رسول الله صلى الله عليه و سلم الآمرة بجهاد الكفار و الغلظة عليهم، و كان لا يحمل على ذلك إلا ما أشار إليه ختم الآية السالفة من التقوى بتجديد الإيمان كلما نزل شيء من القرآن، و كان قد ذكر سبحانه المخالفين لأمر الجهاد بالتخلف دون أمر الإيمان حين قال "و اذا انزلت سورة ان آمنوا بالله و جاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم و قالوا ذرنا نكن مع القعدين" التفت إلى ذلك ليذكر القسم الآخر و هو القاعد عن الإيمان فقال: ﴿و اذا﴾ و أكد [7]بزيادة النافى[7] تنبيها على فضل الإيمان

(١) فى ظ: الحرارة (٢) من البحر المحيط ٥/١١٤، و فى الأصل وظ: الصعاد - كذا (٣-٣) فى ظ: عليه (٤) زيد بعده فى الأصل: ذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) فى ظ: الخاصة (٦) سقط من ظ (٧-٧) فى ظ: بالنافى.

فقال

فقال : ﴿ مآ ﴾ .

و لما كان المنكى لهم / مطلق النزول، بنى للفعول قوله : ﴿انزلت سورة﴾ / ٥٥٨
أى قطعة من القرآن ، أى[1] فى معنى من المعانى ﴿ فنهم ﴾ أى من[1] المنزل إليهم ﴿ من يقول ﴾ [أى - [2]] إنكارا و استهزاء، و هم المنافقون ﴿ ايكم ﴾ أى أيها العصابة المنافقة ﴿ زادته هذه ايمانا ﴾ إيهاما لأنهم متصفون بأصل الإيمان ، لأن الزيادة ضم الشئ إلى غيره مما يشاركه فى صفته ، هذا ما يظهرون تسترا[3]، و أما حقيقة حالهم عند أمثالهم[4] فالاستهزاء استبعادا لكونها تزيد أحدا فى حاله شيئا، و سبب شكهم و استفهامهم أن سامعيها انقسموا إلى قسمين: مؤمنين و منافقين، و لذلك أجاب تعالى بقوله مسببا عن إنزالها : ﴿ فاما الذين امنوا ﴾ أى أوقعوا الإيمان حقيقة لصحة أمزجة قلوبهم ﴿ فزادتهم ﴾ أى تلك السورة ﴿ ايمانا ﴾ أى بإيمانهم بها إلى ما كان لهم من الإيمان بغيرها و بتدبرها[5] و رقة القلوب بها و فهم ما فيها من المعارف الموجبة لطمأنينة القلوب و ثلج الصدور .

و لما كان المراد بالإيمان الحقيقة و كانت الزيادة مفهمة لمزيد عليه، استغنى عن أن يقول: إلى إيمانهم ، لذلك و لدلالة " الذين امنوا " عليه ﴿ و هم يستبشرون ﴾ أى يحصل[6] لهم البشر بما زادتهم من الخير الباقى الذى لا يعدله شىء ﴿ و اما الذين ﴾ و بين أن أشرف ما فيهم مسكن الآفة فقال : ﴿ فى قلوبهم مرض ﴾ فمنعهم الإيمان و أثبت لهم الكفران فلم يؤمنوا .

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : سترا (٤) فى ظ : امثالهم .
(٥) فى ظ : بتدبيرها (٦) فى ظ : يجعل .

و لما كان المراد بالمرض الفساد المعنوى المؤدى إلى خبث العقيدة ، عبر عنه بالرجس فقال : ﴿ فزادتهم رجسا ﴾ أى اضطرابا موجبا للشك ، و زاد الأمر بيانا بأن المراد المجاز بقوله : ﴿ الى رجسهم ﴾ أى شكهم الذى كان فى غيرها ﴿ و ماتوا ﴾ أى و استمر بهم ذلك لتمكنه عندهم إلى أن ماتوا ﴿ و هم كٰفرون ﴾ أى عريقون فى الكفر ، و سمى الشك فى الدين مرضا لأنه فساد فى الروح يحتاج [إلى علاج - [1]] كفساد البدن فى الاحتياج ، و مرض القلب أعضل . و علاجه أعسر[2] و أشكل ، و دواءه أعز و أطباؤه أقل . و لما زاد الكفار بالسورة رجسا من أجل كفرهم بها[3] ، كانت [كأنها - [1]] هى التى زادتهم ، و حسن وصفها بذلك[4] كما حسن : كفى بالسلامة داء ، و كما قال الشاعر :

أرى بصرى قد رابنى بعد نصحه و حسبك داء أن تصح و تسلما

قاله الرمانى ، فالمؤمنون يخبرون عن زيادة إيمانهم و هؤلاء يخبرون عن عدمه فى وجدانهم[5] ، فهذا موجب شكهم و تماديهم فى غيهم و إفكهم ، و لو أنهم رجعوا إلى حاكم العقل لأزال شكهم و عرفهم صدق المؤمنين بالفرق بين حالتيهم ، فان ظهور الثمرات مزيل للشبهات ، و الآية من الاحتباك : إثبات الإيمان أولا دليل على حذف[6] ضده ثانيا ، و إثبات المرض ثانيا دليل على حذف الصحة أولا .

و لما كان التقدير تسبيبا عما[7] جزم به من الحكم بعراقتهم فى الرجس

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : اغسل (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : لك (٥) فى ظ : وحدتهم (٦) من ظ ، و فى الأصل : صدق (٧) فى ظ : كما .

و ازديادهم منه : أ فلا يرون إلى تماديهم فى النفاق و ثباتهم عليه ؟ عطف عليه[١] تقريرهم بعذاب الدنيا و الإنكار عليهم فى قوله : ﴿ او لا يرون ﴾ أى المنافقون . قال الرمانى : و الرؤية[٢] هنا قلبية لأن رؤية العين لا تدخل على الجملة لأن الشيء لا يرى[٣] من وجوه مختلفة ﴿ انهم ﴾ أى المنافقين ؛ و لما كان مطلق وقوع الفتنة من العذاب ، بنى للفعول قوله : ﴿ يفتنون ﴾ أى يخالطون من حوادث الزمان و نوازل الحدثان بما يضطرهم إلى بيان أخلاقهم باظهار سرائرهم فى نفاقهم ﴿ فى كل عام ﴾ أى و إن كان الناس أخصب ما [٤]يكونون و أرفعه[٤] عيشا ﴿ مرة او مرتين ﴾ فيفضحون بذلك ، و ذلك موجب[٥] للتوبة للعلم بأن من علم سرائرهم - التى هم يجتهدون فى إخفائها - عالم بكل شيء قادر على كل مقدور ، فهو جدير بأن تمتثل أوامره و تخشى زواجره .

و لما كان عدم توبتهم مع فتنتهم على هذا الوجه مستبعدا ، أشار إليه بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم لا يتوبون ﴾ أى لا يجددون توبة ﴿ و لا هم ﴾ أى بضمائرهم ﴿ يذكرون ﴾ / أى أدنى تذكر بما أشار إليه[٦] الإدغام ، / ٥٥٩ فلولا أنه حصلت لهم زيادة فى الرجس لأوشك تكرار الفتنة أن يوهى رجسهم إلى أن يزيله و لكن كلما أوهى شيئا خلقه مثله أو أكثر بسبب[٧] الزيادات المترتبة على وجود نجوم القرآن ، و التذكر طلب الذكر للعنى بالكفر فيه ، [فالآية ذامة لهم على عدم التوبة باصابة المصائب لعدم تذكر

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الرواية (٣) فى ظ : لا يبطل (٤-٤) فى ظ : يكون وارفعهم (٥) من ظ ، و فى الأصل : موجبة (٦) زيد بعده فى ظ : باداة (٧) من ظ ، و فى الأصل : تسبب .

أنه سبحانه ما أصابهم بها إلا بذنوبهم " و يعفو عن كثير " كما أن أحدهم لا يعاقب فتاه إلا بذنب و ما لم يتب فهو يوالى عقابه - [١]] .

و لما ذكر ما يحدث منهم من القول استهزاء، أتبعه تأكيدا لزيادة كفرهم و توضيحا[٢] لتصويره ما يحدث من فعلهم استهزاء من الإيمان و التغامز[٣] بالعيون فقال: ﴿ و اذا ﴾ و أكد بالنافى فقال: ﴿ مآ ﴾ و لما كان الغرض نفس الإنزال لا تعيين المنزل، بنى للمفعول قوله: ﴿ انزلت سورة ﴾ أى طائفة من القرآن ﴿ نظر بعضهم ﴾ أى المنافقين ﴿ الى بعض ط ﴾ أى متغامزين سخرية و استهزاء قائلين: ﴿ هل يرٰنكم ﴾ و أكدوا العموم فقالوا: ﴿ من احد ﴾ أى من المؤمنين إن انصرفتم، فانه يشق علينا [سماع مثل هذا، و يشق علينا - [١]] أن يطلع المؤمنون على هذا السر منا.

و لما كان انصرافهم عن مثل[٤] هذا المقام مستهجنا، أشار إلى شدة قبحه بأداة التراخى فقال: ﴿ ثم انصرفوا ط ﴾ أى إن لم يكن أحد يراهم، و إن رآهم أحد من المؤمنين تجشموا المشقة و ثبتوا؛ و لما كانوا مستحقين لكل سوء، أخبر عنهم فى أسلوب الدعاء بقوله: ﴿ صرف الله ﴾ أى الذى له الغنى المطلق و الكمال كله ﴿ قلوبهم ﴾ أى عن الإيمان؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ بانهم قوم ﴾ و إن كانوا ذوى قوة على ما يحاولونه فانهم ﴿ لا يفقهون ه ﴾ أى قلوبهم مجبولة على عدم الفهم لما بها من الغلظة،

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : توبيخا (٣) فى ظ : التعاير .
(٤) سقط من ظ .

و هذا

و هذا دليل على ختام الآية قبلها ، و هاتان الآيتان المختتمتان - بـ" لا يفقهون " التاليتان للأمر بالجهاد فى قوله" قاتلوا الذين يلونكم من الكفار " الموازى لـ" انفروا خفافا و ثقالا " الآية - قد احتوتا مع وجازتهما على حاصل أوصاف المنافقين التالية لآية " انفروا " المختتم ما هو العام منها فى أهل الحاضرة[1] فى قوله "استاذنك اولوا الطول منهم" بـ" يفقهون " ثم عند إعادة ذكرهم بـ" لا يعلمون "، و تصويب هاتين الآيتين إلى أهل الحاضرة[2] ظاهر لكونهم ممن يحضر نزول الذكر كثيرا مع احتمالها للعموم ، و الختم هنا بـ" لا يفقهون " أنسب لأن المقام - و هو النظر فى زيادة الإيمان بالنسبة إليهم - يقتضى فكرا و تأملا و إن كان بالنظر إلى المؤمنين فى غاية الوضوح .

و لما أمر صلى الله عليه و سلم أن يبلغ هذه الأشياء الشاقة[3] جدا من أمر هذه السورة ، وكان من المعلوم أنه لا يحمل ذلك إلا من وفقه الله تعالى ، و أما المنافقون فيكرهون ذلك و كان انصرافهم دالا على الكراهة ، عرفهم أن الأمر كان يقتضى توفر دواعيهم على محبة هذا الداعى لهم المقتضى لملازمته و البعد عما يفعلونه به من الانصراف عنه ، [و - [4]] أن أحواله[5] الداعية لهم إلى محبته أعظم من أحوال آبائهم التى أوجبت لهم منهم من المحبة و عليهم من الحقوق ما هم مفتخرون بالتلبس به و المغالاة فيه ، و أن كل ما يحصل بهذا القرآن من العز

(١) فى ظ : الكافر (٢) فى ظ : الحاضر (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو لاستقامة العبارة (٥) من ظ ، و فى الأصل : احوالهم .

و الشرف فى الدنيا فهو لكل من آمن به فقال : ﴿ لقد جآءكم رسول ﴾ . و لما كان الرسول يجب إكرامه و الوقوف فى خدمته لأجل مرسله و لو تجرد عن غير ذلك الوصف ، شرع يذكر لهم من أوصافه ما يقتضى لهم مزيد إكرامه فقال : ﴿ من انفسكم ﴾ أى ترجعون معه إلى نفس
د واحدة بأنكم لأب قريب ، و ذلك أقرب إلى الألفة و أسرع إلى فهم الحجة و أبعد من المحل و اللجاجة ﴿ عزيز ﴾ أى شديد جدا ﴿ عليه ما عنتم ﴾ و العزة : امتناع الشيء بما يتعذر معه[1] ما يحاول منه بالقدرة أو بالقلة أو بالصعوبة ، و العنت : لحاق الأذى الذى يضيق الصدر به و لا يهتدى
للمخرج[2] منه / ﴿ حريص ﴾ أى بليغ الحرص ﴿ عليكم ﴾ أى على نفعكم ، /٥٦٠
و الحرص : شدة طلب الشيء على الاجتهاد فيه . و قدم الجار لإفادة الاختصاص فقال : ﴿ بالمؤمنين ﴾ أى العريقين فى هذا الوصف كافة خاصة . و لما ذكر الوصف المقتضى للرسوخ ، قدم ما يقتضى العطف على من يتسبب[3] له بما يقتضى الوصلة فقال : ﴿ رءوف ﴾ أى شديد الرحمة لمن له منه عاطفة و صلة لما تقدم من معنى الرأفة قريبا .

و لما كان المؤمن يطلق مجازا على من يمكن منه الإيمان فوصلته الآن[4] ليست بالفعل بل بالإمكان ، قال تعميما لرحمته صلى الله عليه و سلم كما هو اللائق بشريف منصبه و عظيم خلقه : ﴿ رحيم ه ﴾ و لأجل مثل هذه الأغراض النفسية رتب سبحانه هذين الوصفين هكذا[1] ، و لكن

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : المخرج (٣) فى ظ : تسبب (٤) زيدت الواو بعده فى ظ .

المعانى المرادة تارة يظهرها الله تعالى لعبده منحة له و إكراما ، و تارة يخفيها إظهارا لعجزه و نقصانه ثم يظهرها له فى وقت آخر إن صدق فى التضرع و إظهار الافتقار و التذلل و أدام الطلب ، أو لغيره ممن هو أقل منه علما و أضعف نظرا و فهما ، و إذا تأملت كتابى هذا ظهر لك أن كثيرا من الآيات فسرها على غير المراد منها قطعا أكابر العلماء ، فعلى الإنسان - إذا خفى عليه أمر - أن يقول : لا أعلم ، و لا يظن أنه رتب شيء من هذا الكتاب العزيز لأجل الفواصل ، فذلك أمر لا يليق بكلام الله تعالى ، و قد عاب النبى صلى الله عليه و سلم السجع ، لأن الساجع يكون محط نظره الألفاظ ، فيدير المعانى عليها و يتبعها إياها ، فربما عجز اللفظ عن توفية المعنى ؛ روى البخارى فى الطب و غيره من صحيحه و مسلم فى الديات و أبو داود و النسائى و غيرهم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قضى فى الجنين يقتل فى بطن أمه بغرة عبد أو وليدة ، فقال الذى قضى عليه : كيف أغرم من لا شرب و لا أكل ، و لا نطق و لا استهل ، فمثل ذلك بطل ؛ فقال النبى صلى الله عليه و سلم : إنما هذا من إخوان الكهان - من أجل سجعه الذى سجع ، و فى رواية : فقال النبى صلى الله عليه و سلم : سجع كسجع الأعراب . و ذلك - و الله أعلم - أنه لو كان نظره إلى المعنى و تصحيحه لأغنى عن هذا السجع أن يقال : كيف أغرم من[1] لا حياة له ، و لو قصد السجع و تهذيب المعنى لأتى بما يدل على نفى الحياة التى جعلها محط أمره فان

(١) فى ظ : ما .

ما أتى به لا يستلزم نفيها، و لو[1] تقيد بالصحة لاغتنى[2] بنفي النطق عن نفي الاستهلال، فصح بهذا أنه دائر مع تحسين اللفظ[3] صح المعنى أم لا، و لا ينطبع في عقل عاقل أن يكون النبي صلى الله عليه و سلم يذم السجع و هو يأتي به و يقصده في القرآن أو في السنة، و لو كان ذلك لأسرعوا الرد عليه، و ذكر أصحاب فتوح البلاد في فتح مكران من بلاد فارس أن الحكم بن عمرو لما فتحها أرسل بالأخماس مع صحار[4] العبدي، فلما قدم على عمر رضي الله عنه سأله عن مكران و كان لا يأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذي يجيء منه فقال: يا أمير المؤمنين! أرض سهلها جبل، و ماءها وشل، و تمرها[5] دقل، و عدوها بطل، و خيرها قليل، و شرها طويل، و الكثير بها قليل، و القليل بها ضائع، و ما وراءها شر منها؛ فقال، أ سجاع أنت أم مخبر؟ فقال: لا بل مخبر، قال: لا و الله! لا يغزوها جيش لي[6] ما أطعت، فقد[7] جعل الفاروق السجع قسيما للخبر فدل على أن التقيد[8] به عيب لإخلاله[9] بالفائدة و بتمام الفائدة، و لعله إنما جوز أن[10] يكون مخبرا لأنه انفك عن السجع في آخر كلامه و كرر لفظ "قليل" فكان ما ظنه، لأنه لو أراد السجع لأمكنه[11] أن يقول: و الكثير بها ذليل،

(١) من ظ، و في الأصل: لا (٢) من ظ، و في الأصل: لاغني (٣) في ظ: اللذة.
(٤) من ظ و الإصابة، و في الأصل: صحاري - كذا (٥) من ظ و تاريخ الطبري ٥/٧، و في الأصل: تمرها (٦) من التاريخ، و في الأصل و ظ: الى.
(٧) سقط من ظ (٨) من ظ، و في الأصل: التعصيد - كذا (٩) من ظ، و في الأصل: لاخلال (١٠) من ظ. و في الأصل: إنما (١١) من ظ، و في الأصل: لا يمكنه.

و القليل[1] بها ضائع كليل ، و ما وراءها شر منها بأقوم قيل ؛ [2]و قد[2] نفى سبحانه عن هذا القرآن المجيد / تصويب النظر إلى السجع كما نفى عنه ٥٦١ / الشعر فانه تعالى قال " و ما هو بقول شاعر قليلا ما يؤمنون ه و لا بقول كاهن قليلا ما تذكرون[3] " فكما أن [قول -[4]] الشاعر إتيانه بالكلام موزونا ، فكذلك قول الكاهن إتيانه بالكلام مسجوعا و القرآن ليس من هذا و لا من هذا ، و إن وقع فيه كل من الأمرين فغير مقصود إليه و لا معول عليه ، بل لكون المعنى انتظم به على أتم الوجوه فيؤتى به لذلك ، ثم تبين أنه غير مقصود بالانفكاك عنه فى كثير من الأماكن بقرينة ليس لها مجانس فى اللفظ لتمام المعانى المرادة عندها فيعلم قطعا أن ذلك غير مقصود أصلا لأن مثل ذلك لا يرضى به أقل الساجعين ، بل يراه عجزا و ضيقا عن تكميل المشاكلة و نقصا - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، و مما يوجب لك القطع بأن ترتيب هذين الاسمين الشريفين هكذا لغير مراعاة المواصل قوله تعالى فى سورة الحديد " و جعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رافة و رحمة[5] " و سيأتى إن شاء الله فى سورة طٰهٰ عن الفخر الرازى و القاضى أبى بكر الباقلانى منع النظر إلى السجع فى الكتاب العزيز نقلا عن جميع الأشاعرة ، و إذا تأملت الفواصل[6] فى الإتيان بها تارة بكثرة و تارة [بقلة ، و تارة -[4]] تترك[7]

(١) فى ظ : العليل (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سورة ٦٩ آية ٤١ و ٤٢ (٤) زيد من ظ (٥) آية ٢٧ (٦) فى ظ : الفاصل (٧) من ظ ، و فى الأصل : يترك .

بالكلية و يؤتى فى كل آية بفاصلة لا توافق الأخرى ، علمت أن هـذا المذهب هو الصواب و لا سيما آخر سورة " اقرا " و إذا تأملت كتب أهل العدد أتقنت علم هذا المستند ، و إذا تأملت ما قلته فى هذا النحو من كتابى 'مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور' لم يبق عندك شك فى شيء من هذا . فاياك أن تجنح[١] لهذا القول فتكون قد وقعت فى أمر عظيم و أنت لا تشعر ، و أورد سبحانه هذه الآية إيراد المخاطب المتلطف المزيل لما عندهم من الريب بالقسم ، فكأنه قال : [ما لكم - [٢]] تنصرفون[٣] عن حضرته الشماء و شمائله العلى ! و الله لقد جاءكم - إلى آخره ، ثم أقبل عليه[٤] مسليا له مقابلا لإعراضهم إن أعرضوا بالإعراض عنهم و البراءة منهم ملتفتا إلى أول السورة الآمر[٥] بالبراءة من كل مخالف ، قائلا مسببا عن النصيحة بهذه الآية التى لا يشك عاقل فى مضمونها : ﴿ فان تولوا ﴾ أى اجتهدوا فى تكليف فطرهم الأولى أن ولوا مدبرين عنك بالانصراف المذكور أو غيره بعد النصيحة لهم بهذه الآية ﴿ فقل ﴾ [أى - [٢]] استعانة بالله [تفويضا إليه - [٢]] ﴿ حسبى ﴾ أى كافى ؛ قال الرمانى : و هو من الحساب لأنه جل ثناءه يعطى بحسب الكفاية التى تغنى عن غيره ، و يزيد من نعمته ما لا يبلغ إلى حد و نهاية إذ نعمه دائمة و منه متظاهرة ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له ، و إنما كان كافيا لأنه ﴿ لآ إلـه الا هو ﴾ فلا مكافىء له فلا راد لأمره و لا معقب لحكمه . و لما قام الدليل على أنه لا كفوء له ، وجب قصر الرغائب عليه

---

(١) فى ظ : تنجح (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ينصرفون . (٤) فى ظ : علينا (٥) فى ظ : الآمرة .

فقال : ﴿ عليه ﴾ أى وحده ﴿ توكلت ﴾ لأن أمره نافذ فى كل شىء ﴿و هو رب﴾ أى مالك و مخترع و مدبر ؛ [و لما كان فى سياق القهر و الكبرياء بالبراءة من الكفار و الكفاية للأبرار ، كان المقام بالعظمة أنسب كآية النمل فقال - [١]] : ﴿العرش العظيم ﴾ أى[٢] المحيط بجميع الأجسام الحاوى لسائر الأجرام [الذى ثبت بآية الكرسى و غيرها أن ربه أعظم منه لأن عظمته على الإطلاق - [١]] فلا شىء إلا و هو فى قبضته و داخل فى دائرة[٣] مملكته ، و إذا[٤] كان كافى فأنا برىء ممن تولى عنى و بعد منى كائنا من كان فى كل زمان و مكان ؛ فقد عانق آخر السورة أولها و صافح منتهاها مبتدأها و تأكد ما فهمته من سر الالتفات فى " فسيحوا " و فى " فان تبتم فهو خير لكم و ان توليتم فاعلموا انكم غير معجزى الله " - [و الله تعالى أعلم - [١]] .

سورة يونس[٥] عليه السلام

و هى أولى المئين إن جعلنا براءة مع الانفال من الطول ، و إلا فبراءة أولاهن ، مقصودها وصف الكتاب بأنه من عند الله لما اشتمل عليه من الحكمة و أنه ليس إلا من عنده سبحانه لأن غيره لا يقدر على شىء منه ، و ذلك دال بلا ريب على أنه واحد فى ملكه لا شريك له فى شىء من أمره ، و تمام الدليل على هذا قصة قوم يونس[٦] عليه السلام بأنهم لما آمنوا

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : داير (٤) فى ظ : ان (٥) هى السورة العاشرة ، مكية على المشهور و آياتها مائة و تسع عند الجميع غير الشامى (٦) فى ظ : نوح .

/٥٦٢ / عند المخايل كشف عنهم، فدل قطعا على أن الآتى به هو الله الذى آمنوا به إذ لو كان غيره لكان إيمانهم به موجبا للايقاع بهم، و لو عذبوا كغيرهم[1] لقيل: هذه عادة الدهر، كما قالوا: قد مس آباءنا الضراء و السراء و دل ذلك على أن عذاب غيرهم من الأمم إنما هو من عند الله لكفرهم لما اتسق[2] من ذلك طردا بأحوال سائر الأمم من أنه كلما وجد الإصرار على التكذيب وجد العذاب، و عكسا من أنه كلما انتفى فى وقت يقبل قبول التوبة انتفى - و الله الموفق ﴿ بسم الله ﴾ أى الذى لا أمر لأحد سواه فلا كلام يشبه كلامه فلا كفوء له ﴿ الرحمٰن ﴾ الذى عم بكلامه جميع خلقه فأوضح[3] البيان ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى أتم لمطيعهم نعمة الامتنان ﴿ الٓر قف ﴾ فخم الراء ابن كثير و نافع و حفص عن عاصم، و أمالها ورش عن نافع بين بين، و الباقون بالإمالة المحضة، و الأصل فى ذلك الفتح، وكذا ما كان من أمثالها مما ألفاتها ليست منقلبة عن ياء نحو ما و لا، و إمالتها للتنبيه على أنها أسماء للحروف و ليست حروفا - نقل ذلك عن الواحدى .

لما قدم فى أول الاعراف الحث على إبلاغ النصيحة بهذا الكتاب و فرغ مما اقتضاه السياق من التحذير من مثل وقائع الأولين و مصارع الماضين و مما استتبع ذلك من توصيل القول فى ترجمة هذا النبى الكريم مع قومه فى أول أمره و أثنائه و آخره فى سورتى الانفال و براءة، و ختم ذلك بأن سور الكتاب تزيد كل أحد مما هو ملائم له متهيئ[4]

---

(١) من ظ، و فى الأصل: كغير (٢) من ظ، و فى الأصل: اساق (٣) فى ظ: بأوضح (٤) من ظ، و فى الأصل: منتهى .

لقبوله و تبعده عما هو منافر له بعيد من[1] قبول ملاءمته ، و أن الرسول صلى الله عليه و سلم بذلك قد حوى من[2] الأوصاف و الحلى و الأخلاق العلى ما يوجب الإقبال عليه و الإسراع إليه . و الإخبار بأن توليهم عنه لا يضره شيئا لأن ربه كافيه لأنه لا مثل له و أنه ذو العرش العظيم ؛ لما[3] كان ذلك كذلك ، أعاد سبحانه القول فى شأن الكتاب الذى افتتح به الاعراف و ختم به سورة التوبة ، و زاده وصف الحكمة و أشار بأداة البعد إلى أن رتبته[4] فيها بعيدة المنال بديعة المثال فقال : ﴿ تلك ﴾ أى الآيات العظيمة جدا التى اشتملت عليها هذه السورة ، أو السور التى تقدمت هذه السورة أو هذه[5] الحروف المقطعة المشيرة إلى أن القرآن كلام الله و إلا لما أعجز[6] القادرين على التلفظ بهذه الأحرف[7] ﴿ ءايٰت الكتٰب ﴾ أى الذكر الجامع لكل خير ، و هو هذا القرآن الذى وافق كل ما فيه من القصص كل ما فى[8] التوراة و الإنجيل من ذلك ، فدل ذلك على صدق الآتى به قطعا لأنه لم يكن يعرف شيئا مما فى الكتابين و لا جالس أحدا يعلمه ﴿ الحكيم ۝ ﴾ فكان فيما مضى - أن كونه من عند الله كاف فى وجوب اتباعه - و فيما هنا تأكيد[9] الوجوب بكونه مع ذلك حكيما ، و الآية : العلامة التى تنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة ، و الحكيم : الناطق بالحكمة ، و هى المعروف بما يجتمع عليه مما يمنع الفعل من الفساد

(١) فى ظ : عن (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : كما (٤) من ظ ، و فى الأصل : ترتيبه (٥) فى ظ : هى (٦) فى ظ : عجز (٧) فى ظ : الحروف (٨) فى ظ : فيه من . (٩) من ظ ، و فى الأصل : تأكد .

و النقص ، استعير له ذلك لأنه دليل كالناطق بالحكمة لأنه يؤدى إلى المعرفة التى يميز بها[1] طريق النجاة من طريق الهلاك ، و هو حاكم يبين[2] الحق من الباطل فى الأصول و الفروع و يحكم بالعدل الذى لا جور فيه بوجه فى كل نازلة. و محكم لما أتى به ، مانع له من الفساد ، لا يمحوه الماء و لا تحرقه النار و لا تغيره الدهور ، و[3] هذا ما ظهر لى فى التحامها بما قبلها ؛ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تضمنت سورة براءة قوله تعالى " الا تنصروه فقد نصره الله[4] " و قوله " عفا الله عنك لم اذنت لهم[5] " و قوله " و رحمة للذين[6] اٰمنوا منكم و الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم[7] " و قوله " لقد جاءكم رسول [من انفسكم -[8]] " - إلى آخر ٥٦٣ / السورة إلى ما تخلل أثناء آى هذه السورة الكريمة مما شهد / لرسول الله صلى الله عليه و سلم بتخصيصه بمزايا السبق و القرب و الاختصاص و الملاطفة فى الخطاب و وصفه بالرأفة و الرحمة ، هذا ما انطوت هى و الانفال عليه من قهره أعداءه [9]و تأييده[9] و نصره عليهم و ظهور دينه و علو دعوته و إعلاء كلمته إلى غير هذا من نعم الله سبحانه عليه ، كان ذلك كله مظنة[10] لتعجب المرتاب و توقف الشاك و مثيرا لتحرك ساكن الحسد[11] من العدو لعظيم[12] ما منحه عليه السلام ، قال تعالى " ا كان [13]للناس عجبا[13] ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس - إلى قوله :

(١) من ظ ، و فى الأصل : ها (٢) فى ظ : بين (٣) سقط من ظ (٤) آية ٤٠ . (٥) آية ٤٣ (٦) فى ظ : للمومنين (٧) آية ٦١ (٨) زيد من ظ و القرآن الكريم آية ١٢٨ (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ ، و فى الأصل : الحسد (١٢) فى ظ : العظيم (١٣-١٣) فى ظ : عجبا للناس .

لسحر[1] مبين" ثم قال " ان ربكم الله" - الآيات ، فبين انفراده تعالى بالربوبية و الخلق و الاختراع و التدبير، فكيف تعترض[2] أفعاله أو يطلع البشر على وجه الحكمة فى كل ما يفعله و يبديه ، و إذا كان الكل ملكه و خلقه فيفعل فى ملكه ما يشاء و يحكم فى خلقه بما[3] يريد " ذلكم الله ربكم فاعبدوه " " ما خلق الله ذلك الا بالحق " ثم توعد سبحانه الغافلين عن[4] التفكر فى عظيم آياته حتى أدتهم الغفلة إلى مرتكب سلفهم فى العجب و الإنكار حتى قالوا "مال هذا الرسول يا كل الطعام و يمشى فى الاسواق[5]" وقالوا " لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا[6]" وهذه[7] مقالات الأمم المتقدمة "قالوا ما انتم[8] الا بشر مثلنا[9]" ، " قالوا انومن لبشرين مثلنا[10]" ، " ما[11] هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم" فقال تعالى متوعدا للغافلين " ان الذين لا يرجون لقاءنا و رضوا بالحيوة الدنيا" - الآية ، ثم وعد المعتبرين[12] فقال " ان الذين امنوا و عملوا الصلحت يهديهم ربهم بايمانهم " - الآيات . وكل هذا بيّن الالتحام جليل الالتئام ، ثم تناسجت آى السور - انتهى .

و لما كان كونه من عند الله - مع كونه حكيما - موجبا لقبوله بادئ بدء و السرور به لما تقرر فى العقول و جبلت عليه الفطر من أنه تعالى

(١) و اختلاف القراءة فيه يأتى فى محله (٢) فى ظ : يعترض (٣) فى ظ : مـا .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : على (٥) سورة ٢٥ آية ٧ (٦) سورة ٢٥ آية ٢١ .
(٧) فى ظ : هذا (٨) فى ظ : انت (٩) سورة ٣٦ آية ١٥ (١٠) سورة ٢٣ آية ٤٧ .
(١١) من القرآن الكريم سورة ٣٤ آية ٤٣ ، و فى الأصل و ظ : ان - كذا .
(١٢) من ظ ، و فى الأصل : المغترين .

الخالق الرازق كاشف الضر و مدبر الأمر، كان ذلك موضع أن يقال: ما كان حال من تلى عليهم؟ فقيل: لم يؤمنوا، فقيل: ما شبهتهم؟ هل قدروا على معارضته و الطعن فى حكمته؟ فقيل: لا! بل تعجبوا من إنزاله على محمد صلى الله عليه و سلم و ليس بأكثرهم مالا و لا [١]بأقدمهم سنا[١]، فرجع حاصل تعجبهم إلى ما قاله تعالى إنكارا عليهم. فانه لو أرسل ذا سن قالوا مثل ذلك، و هل مثل[٢] ذلك محل العجب! ﴿ اكان ﴾ [أى بوجه من الوجوه - [٣]] ﴿ للناس عجبا[٤] ﴾ أى الذين فيهم أهلية التحرك [٥]إلى المعالى[٥]، و العجب: تغير النفس بما لا يعرف[٦] سببه مما خرج عن العادة؛ ثم ذكر الحامل على العجب و هو اسم "كان" فقال بعد ما حصل لهم[٢] شوق إليه: ﴿ ان اوحينآ ﴾ أى ألقينا أوامرنا بما لنا من العظمة بواسطة رسلنا فى خفاء [منهين - [٣]] ﴿ الى رجل ﴾ أى [هو - [٣]] فى غاية الرجولية، و هو مع ذلك ﴿ منهم ﴾ بحيث أنهم يعرفون جميع أمره كما فعلنا بمن قبلهم و المَلِك العظيم المُلْك المالك التام المِلْك لا اعتراض عليه فيما به تظهر خصوصيته من إعلاء من شاء.

و لما كان فى[٢] الإيحاء معنى القول، فسره بقوله: ﴿ ان انذر الناس ﴾ أى عامة، و هم الذين تقدم نداءهم أول البقرة، ما أمامهم من البعث و غيره إن لم يؤمنوا أصلا أو إيمانا خالصا ينفى كل معصية صغيرة أو كبيرة و كل هفوة جليلة أو حقيرة على اختلاف الرتب و تباين المقامات ﴿ و بشر ﴾ أى خص ﴿ الذين امنوآ ﴾ أى أوجدوا هذا

(١ - ١) من ظ، و فى الأصل: باسنهم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ. (٤) تأخر فى ظ عن «و العجب تغير» (٥-٥) فى ظ: للعالى (٦) فى ظ: تعرف.

الوصف

الوصف و عملوا تصديقا لدعواهم [له - [١]] الصالحات ، أى من الأعمال اللسانية و غيرها ، بالبشارة بقبول حسناتهم و تكفير سيئاتهم و التجاوز عن هفواتهم و ترفع درجاتهم كما كان إرسال الرسل قبله و كما هو مقتضى العدل فى إثابة الطائع و عتاب[٢] العاصى ، و الإنذار : الإعلام بما ينبغى أن يحذر منه ، و التبشير : التعريف بما فيه السرور ، و أضاف القدم - الذى هو السابقة بالطاعة - إلى الصدق فى قوله تعالى موصلا لفعل[٣] البشارة إلى المبشر به دون حرف جر : ﴿ ان لهم ﴾ أى خاصة ﴿ قدم صدق ﴾ أى أعمالا حقة ثابتة قدموها لأنفسهم صدقوا فيها و أخلصوا فيما يسّروا له / لأنهم خلقوا له و كان مما يسعى إليه بالأقدام ، [و زاد فى البشارة ٥٦٤ بقوله - [١]] : ﴿ عند ربهم ط ﴾ [فى إضافة القدم - [١]] تنبيه[٤] على أنه يجب أن يخلص[٥] [له - [١]] الطاعة كاخلاص الصدق من شوائب الكذب ، و فى التعبير بصفة[٦] الإحسان إشارة إلى المضاعفة .

و لما ثبت أن الرسول و ما أرسل به على وفق[٧] العادة ، انتفى أن يكون عجبا من هذه الجهة ، فصار المحل قابلا لأن يتعجب منهم فيقال : ما قالوا حين أظهروا العجب ؟ و من أىّ وجه رأوه عجبا ؟ فقيل : ﴿ قال الكفرون ﴾ أى الراسخون فى هذا الوصف [منهم و تبعهم غيرهم - [١]] مؤكدين لما [يحق - [١]] لقولهم من الإنكار ﴿ ان هذا ﴾ أى القول و ما تضمنه من الإخبار بما[٨] لا يعرف من البعث و غيره

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : عقاب (٣) فى ظ : فعل (٤) من ظ ، وفى الأصل : تنبيها (٥) فى ظ : تخلص (٦) فى ظ : بصيغة (٧) فى ظ : وقف (٨) من ظ ، و فى الأصل : ما .

﴿ لسحر ﴾ أى محمد لساحر - كما فى قراءة ابن كثير و حمزة و الكسائى[1] ﴿ مبين ﴾ أى ظاهر فى نفسه ، و هو من شدة ظهوره مظهر لكل شيء أنه كذلك ، فجاؤا[2] بما هو فى غاية البعد عن وصفه ، فان السحر قد تقرر لكل ذى لب أنه - مع كونه[3] تمويها لا حقيقة له - شر محض ليس فيه شيء من الحكمة فضلا عن أن يمتطى[4] الذروة منها مع أن فى ذلك ادعاءهم أمرا متناقضا ، و هو أنه من قول البشر كما هى العادة فى السحر ، و أنهم عاجزون عنه . لأن السحر فعل تخفى الحيلة فيه حتى يتوهم الإعجاز به ، فقد اعترفوا بالعجز عنه و كذبوا فى ادعاء أنه لسحر[5] لأن الآتى [به -[6]] منهم لم[7] يفارقهم قط و ما خالط عالما لا بسحر و لا غيره حتى يخالطهم فيه شبهة ، فهم يعلمون أن قولهم فى غاية الفساد ، فشرع سبحانه يقيم الدليل على بطلان قولهم من أنه - مع ما تضمنه من البعث[5] - سحر ، و على حقيقة[8] أنه من عنده من غير شبهة ، و على أن الرسالة لا عجب فيها ، لأنه سبحانه خلق الوجود كله و هو نافذ الأمر فيه و قد ابتلى من فيه من العقلاء ليردهم إليه و يحاسبهم فانه لم يخلقهم سدى لأنه حكيم ، فلا بد من رسول يخبرهم بما يرضيه و ما يغضبه لتقوم بذلك الحجة فقال : ﴿ ان ربكم ﴾ أى الموجد لكم و المربى و المحسن ﴿ الله ﴾ أى من ربى[9] شيئا ينبغى أن يكون حكيما و قادرا على أسباب

---

(١) و فى قراءة حفص عن عاصم أيضا كما فى مصاحفنا (٢) فى ظ : بجاء (٣) فى ظ : كونها (٤) فى ظ : يتمطى (٥) فى ظ : سحر (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : لما (٨) من ظ ، و فى الأصل : حقته (٩) فى الأصل وظ : رب .

صلاحه ، فأيقظوا أنفسكم من سنة غفلتها تعلموا أن هذا الكتاب من عند [الذى - [1]] له العظمة كلها قطعا ، وأنه قادر على بعثكم لأنه ربكم ﴿ الذى ﴾ بدأ الخلق بأن ﴿ خلق ﴾ أى قدر وأوجد ﴿ السموٰت و الارض ﴾ على اتساعهما وكثرة ما فيهما[2] من المنافع ﴿ فى ستة ايام ﴾ لحكمة أرادها على أن ذلك وقت يسير لا يفعل مثل ذلك فى مثله إلا من لا يعجزه شيء .

و لما أوجد سبحانه هذا الخلق الكثير المتباعد الأقطار الواسع الانتشار المفتقر إلى عظيم التدبير و لطيف التصريف و التقدير ، عبر سبحانه عن عمله فيه عملَ الملوك فى ممالكهم بقوله مشيرا إلى عظمته بأداة التراخى : ﴿ ثم استوى ﴾ أى عمل فى تدبيره و إتقان[3] ما فيه و إحكامه عملَ[4] المعتنى بذلك ﴿ على العرش ﴾ المتقدم وصفه بالعظمة ، و ليست ' ثم ' للترتيب بل كناية عن علو الرتبة و بعد منالها ؛ ثم بين ذلك الاستواء بقوله : ﴿ يدبر ﴾ لأن التدبير أعدل أحوال الملك [5]فالاستواء كناية عنه ﴿ الامر ﴾ [5]كله فلا يخفى عليه عاقبة أمر من الأمور ، لحصل الأمن بهذا من أن يفعل شيء بغير علمه ، لأن التدبير تنزيل الأمور فى مراتبها على[6] إحكام عواقبها ، و هو مع ذلك منزه عما تعرفونه من أحوال الملوك من أنه يكون فى ممالكهم من يقضى[7] بعض الأمور بغير[8] إذن منهم و إن علموا به لعجزهم عن المجاهرة بادامة دفعه ،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : فيها (٣) فى ظ : اتقانه (٤) من ظ ، و فى الأصل : على (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : عن (٧) من ظ ، و فى الأصل : يقتضى (٨) فى ظ : من غير .

بل هو متصف بأنه ﴿ ما من شفيع ﴾ أى و إن كان بليغ الاتصاف بذلك .

و لما كان تمام قهره و عظيم سلطانه لا يفيد أحدا عند إذنه له إذنا عاما لجميع[1] الأزمان و الأماكن ، أتى بالجار فقال: ﴿الا من بعد اذنه[2]﴾ فاذا لم يقدر شفيع على الكلام فى الشفاعة إلا باذنه فكيف يقدر أحد أن يأتى بشيء من الأشياء بغير إذنه فكيف يأتى بكتاب حكيم[2] ليس من عنده يعجز الخلق عن معارضته ، لحصل الأمن أن يكون غيره قاله أو شفع فيمن أبلغه فأبلغه من غير إرادة منه سبحانه ، فتحرر أنه / ليس /٥٦٥
إلا من عنده[3] و أنه أمر بابلاغه ، و قد عرف من هذا أن " ما من شفيع " فى موضع الدلالة على أنه لا يخرج عن تدبيره [4]أمر من الأمور[4] و لا يغلبه شيء أصلا فبطل ما كانوا يقولون فى الأصنام من الشفاعة و غيرها[5] و الشفيع : السائل فى غيره بتبليغ منزلته من عفو أو زيادة منزلة ، و قد وقع ذكر[6] الكتاب و الرسول و العرش مرتبا فى أول هذه على ما رتب آخر تلك ؛ فلما تقرر ما وصف به من العظمة التى لا يشاركه[7] فيها [4]أحد ، وجب أن يعبد عبادة لا يشاركه[4] [فيها - [8]] شيء ، فنبه على ذلك بقوله: ﴿ ذٰلكم ﴾ أى العظيم الشأن العالى المراتب ﴿ الله ﴾ أى

---

(١) فى ظ : بجميع (٢) سقط من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل : بعجز الخلق عن معارضته لحصل ، و لم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : وغيره (٦) فى ظ : ذلك (٧) من ظ ، و فى الأصل : لم يشاركه (٨) زيد لاستقامة العبارة .

الملك

الملك الأعلى ﴿ ربكم ﴾ الذى تقرر[1] له من العظمة و الإحسان بالإيجاد و التربية[2] ما لا يبلغه وصف ﴿فاعبدوه[3]﴾ أى تخصوه بالعبادة فان عبادتكم مع الإشراك ليست عبادة، و لولا فضله لم يكن [لمن -[3]] زل أدنى زلة طاعة .

و لما سبب [سبحانه -[3]] عن أوصافه[4] العلى ما وجب له[5] من الأمر بالعبادة، تسبب[6] عن ذلك الإنكار عليهم فى التوقف عنها و الاحتياج فيها إلى بروز الأمر بها لما قام على استحقاقه للافراد بها من الأدلة التى فيهم[7] شواهدها فقال : ﴿ افلا تذكرون ﴾ أى و لو بأدنى أنواع التذكر بما أشار إليه الإدغام، ما أخبركم سبحانه به و نبهكم عليه بما يعلمه كل أحد من نفسه من أنه لا يقدر أحد أن يعمل كل ما يريده و يعمل كثيرا مما لا غرض له فيه و يعلم أنه يضره[8] إلى غير ذلك من الأمور ليعلم قطعا أن الفاعل الحقيق غيره [و -[3]] أنه لا بد لهذا الوجود من مؤثر فيه هو فى غاية العظمة لا يصح [بوجه -[3]] أن يشاركه شيء و لو كان أعظم ما يعرف من الأشياء فكيف بجماد لا يضر و لا ينفع !

فلما تقرر أنه هو الذى بدأ الخلق، تقرر بذلك أنه قادر على إعادته فقال : ﴿ اليه ﴾ أى خاصة ﴿ مرجعكم ﴾ [أى رجوعكم و موضع رجوعكم و وقته -[3]] حال كونكم ﴿جميعا[4]﴾ لا يتخلف منكم أحد، تقدم وعده لكم بذلك ﴿ وعد الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿حقا[9][4]﴾

---

(١) من ظ، و فى الأصل : يقر (٢) فى ظ : بالتربية (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : اوصاف (٥) فى ظ : عليه (٦) فى ظ : سبب (٧) من ظ، و فى الأصل : فهم . (٨) فى ظ : يضر (٩) ليس فى الأصل .

فهو تعليل لعبادته لوحدانيته، فيحيون[1] بعد الموت و يحشرون إلى موضع جزاء الله تعالى لهم فى زمانه الذى قدره له، و يرفع ما كان لهم من المكنة فى الدنيا، فعلم قطعا أنه لا بد من الرسول، فاستعدوا للقاء هذا الملك الأعظم بكل ما أمركم به رسوله صلى الله عليه و سلم؛ ثم [2]أوضح التنبيه على قدرته مضمنا له[2] بيان حكمته فقال معللا لوجوب المرجع إليه مؤكدا عدا لهم فى عداد المنكر الابتداء لأجل إنكارهم ما يلزم عنه من تمام القدرة على البعث وغيره: ﴿ انه يبدؤا الخلق ﴾ أى ينشئه النشأة الأولى، له هذه الصفة متجددة التعلق على سبيل الاستمرار ﴿ ثم يعيده ﴾ ليقيم العدل فى خلقه بأن ينجز لمن عبده، وعده بأن يعزه و يذل عدوه و ذلك معنى قوله: ﴿ ليجزى ﴾.

و لما كان فى سياق البعث، قدم أهل الجزاء و بدأ بأشرفهم فقال: ﴿ الذين[3] امنوا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف الذى هو الأساس المتقن لكل عمل صالح ﴿ وعملوا ﴾ أى و صدقوا إيمانهم بأن عملوا ﴿ الصلحت ﴾ جزاء كائنا ﴿ بالقسط[4] ﴾، [و اقتصر على العدل دون الفضل ليفهم أن ترك الحشو مخل بالعمل الذى هو محط الحكمة التى هى أعظم مصالح السورة[4]]، و الجزاء: الإعطاء بالعمل [5]ما يقتضيه من خير أو شر، فلو كان[5] الإعطاء ابتداء لم يكن جزاء، و لو كان

(١) من ظ، و فى الأصل: يحيون (٢-٢) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على «فعلم قطعا» والترتيب من ظ (٣) فى ظ: الذى (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.

ما لا يقتضيه العمل لم يكن جزاء مطلقا، و القسط : العدل ﴿ و الذين[1] كفروا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف ﴿ لهم ﴾ أى فى الجزاء على جهة الاستحقاق ﴿ شراب من حميم ﴾ أى مسخن بالنار أشد الإسخان ﴿ و عذاب اليم ﴾ أى بالغ الإيلام ﴿ بما كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ يكفرون ﴾ فان عذابهم من أعظم نعيم المؤمنين الذين عادوهم فيه سبحانه " فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون[2] " و كأنه قال : " يبدؤ " مضارعا لا كما قال فى آية أخرى " كما بدأكم تعودون[3] " حكاية للحال و تصويرا لها تنبيها على تأمل ما يتجدد إنشاءه ليكون أدعى لهم إلى تصور القدرة على الإعادة ؛ قال الرمانى : و قد تضمنت الآية البيان عما يوجبه التمكين / فى الدنيا من تجديد ٥٦٦ / النشأة للجزاء لأنه لابد - مع[4] التمكين من الحسن و القبيح - من ترغيب و ترهيب لا يؤمن معه العذاب على الخلود ليخرج المكلف بالزجر عن القبيح عن حال الإباحة له برفع التبعة عليه - انتهى . فقد لاح بما ذكر - مع ما تعين[5] فى أثناء السورة بتكريره لتوضيحه و تقريره - [6]أن مقصودها وصف الكتاب بما يدل قطعا على أنه من عنده سبحانه و باذنه ، لأنه لا غائب عن علمه و لا مدانى[7] لقدرته و لا يجترئ على عظمته ، و أنه تام القدرة متفرد بالخلق و الأمر[8] فهو قادر على الإعادة كما قدر على الابتداء ،

(۱) فى ظ : الذى (۲) سورة ۸۳ آية ۳٤-۳٦ (۳) فى ظ : تعدون، و راجع سورة ۸ آية ۲۹ (٤) فى ظ : من (٥) فى ظ : يعنى (٦) زيدت الواو بعده فى ظ .
(۷) من ظ ، و فى الأصل : يدان - كذا (۸) من ظ ، و فى الأصل : بالامه .

و أن المراد بالكتاب البشارة و النذارة للفوز عند البعث و النجاة من غوائل يوم الحشر مع أنه سبحانه نافذ القضاء، فلا تغني الآيات و الدلالات البينات عمن حكم بشقاوته و قضى بغوايته، و أن ذلك من حكمته و عدله فيجب التسليم لأمره و قطع الهمم عن سواه؛ ثم شرع سبحانه يقرر[1] أمر بدئه للخلق و إعادته في سياق مذكر بالنعم التي يجب شكرها، [2]و يسمى المعرض عن شكره[2] كافرا فقال: ﴿هو﴾ أي لا غيره ﴿الذي جعل﴾ أي بما هيأ من الأسباب ﴿الشمس﴾.

و لما كان النور كيفية قابلة[3] للشدة و الضعف، خالف سبحانه في الأسماء[4] بما يدل على ذلك فقال في نور الشمس: ﴿ضياء﴾ أي ذات نور قوي ساطع و قدرها منازل، هكذا التقدير[5]، لكن لما كانت في تقلبها بطيئة بالنسبة إلى القمر ذكره دونها فقال: ﴿و القمر﴾ أي و جعل القمر ﴿نورا﴾ أي ذا نور من نورها ﴿و قدره﴾ أي و زاده[6] عليها بأن [7]قدره مسيرة[7] ﴿منازل﴾ سريعا يقلبه[8] فيها، و باختلاف حاله في زيادة نوره و نقصانه تختلف أحوال الرطوبات و الحرارات التي[9] دبر الله بها هذا الوجود - إلى غير ذلك من الأسرار التي هي فرع وجود الليل و النهار ﴿لتعلموا﴾[10] بذلك علما سهلا ﴿عدد السنين[11]﴾ أي المنقسمة إلى الفصول الأربعة و ما يتصل بذلك من الشهور و غيرها

---

(١) في ظ: يقدر (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) في ظ: قابلية.
(٤) في ظ: الأشياء (٥) في ظ: التقرير (٦) في ظ: زاد (٧ - ٧) في ظ: تقدر مسيره (٨) في ظ: تقلبه (٩) في ظ: اي (١٠) في ظ: عدد - كذا (١١) زيد بعده في ظ: لتعلموا.

ليمكن

ليمكن لكم تدبير المعاش فى أحوال الفصول و غيرها ﴿ و الحساب ﴾ أى فى غير ذلك مما يدل على بعض تدبيره سبحانه .

[و لما كان ذلك مشاهدا لا مرية - [1]] فيه ، وصل به قوله : ﴿ ما خلق الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم جدا ﴿ الا بالحق ﴾ أى خلقا ملتبسا [2] بالحق الكامل فى الحقية لا مرية فيه ، فعلم أنه قادر على إيجاد الساعة كذلك إذ لا فرق . و إذا كان خلقه كذلك فكيف يكون أمره الناشئ عنه الخلق غير الخلق [3] بأن يكون من السحر الذى مبناه على التمويه و التخييل الذى هو عين الباطل ، أو [4] ما خلقه إلا بسبب إظهار الحق من العدل بين العباد باعزاز الطائع و إذلال العاصى ، فانه لا نعيم كالانتصار على المعادى و الانتقام من المشانئ [5] ، و الجعل : وجود ما به يكون الشيء على صفة [5] لم يكن عليها ، و الشمس : جسم عظيم النور ، به يكون ضياء النهار ؛ و القمر : جسم نير يبسط نوره على جميع الظاهر من الأرض و يكسفه [6] نور الشمس ؛ و النور : شعاع فيه ما ينافى الظلام ؛ و الحساب : عدد [7] يحصل به [7] مقدار الشيء من غيره .

و لما كان النظر فى هذه الآيات من الوضوح بحيث لا يحتاج [8] إلى كثير [8] من الاتصاف بقابلية العلم . ختم الآية بقوله : ﴿ يفصل ﴾ أى الله

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : متلبسا (٣) من ظ ، و فى الأصل : حق (٤) فى ظ « و » (٥) من ظ ، و فى الأصل : صفته (٦) فى ظ : يكشفه (٧-٧) فى ظ : به يحصل (٨-٨) فى ظ : لا كثير .

فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو و حفص عن عاصم بالياء التحقيـــة ، و بالالتفات إلى أسلوب العظمة تعظيما للبيان فى قراءة الباقين بالنون ﴿ الأيٰت ﴾ أى يبين الدلائل الباهرة واحدة فى إثر واحدة متفاعلة بيانا شافيا . و لما كان البيان لمن لا علم له كالعدم ، قال : ﴿ لقوم ﴾ أى لهم قوة المحاولة لما يريدون ﴿ يعلمون ﴾ أى لهم هذا الوصف على سبيل التجدد و الاستمرار ؛ و لما كانت لهم المعرفة التامة و النظر الثاقب فى منازل القمر عدت من الجلى .

و لما أشار سبحانه إلى الاستدلال على فناء العالم بتغيره و إلى القدرة
٥٦٧ / على البعث بإيجاد كل من / الملوين بعد إعدامه فى قوله - مؤكدا له[1] لإنكارهم أن يكون فى ذلك دلالة - : ﴿ ان فى اختلاف اليل ﴾ أى على تباين أوصافه ﴿ و النهار ﴾ أى كذلك ﴿ و ما ﴾ أى و فيما ﴿ خلق الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ فى السمٰوٰت و الارض ﴾ من أحوال السحاب و الأمطار و ما يحدث من ذلك الخسف[2] و الزلازل و[3] المعادن و النبات[3] و الحيوانات و غير ذلك من أحوال الكل التى لا يحيط البشر باحصائها ؛ لما أشار إلى ذلك ختمها بقوله : ﴿ لأيٰت ﴾ أى دلالات بينة[4] جدا ﴿ لقوم يتقون ﴾ أى أن من نظر فى هذا الاختلاف و تأمل تغير الأجرام الكبار كان جديرا بأن يخاف من أن تغير[5] أحواله و تضطرب أموره فيتقى الله لعلمه قطعا بأن أهل هذه الدار غير مهملين ،

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الحن - كذا (٣-٣) فى ظ : النبات و المعادن (٤) فى ظ : بينات (٥) من ظ ، و فى الأصل : يغير .

فلا بد لهم من أمر و نهى و ثواب و عقاب ؛ و الاختلاف : ذهاب كل من الشيئين فى غير جهة الآخر . فاختلاف الملوين : ذهاب هذا فى جهة الضياء و ذاك فى جهة الظلام ؛ و الليل : ظلام من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثانى ، و هو جمع ليلة كتمر و تمرة ؛ و النهار : اتساع الضياء من طلوع الفجر الثانى إلى غروب الشمس ؛ و الخلق : فعل الشىء على ما تقتضيه الحكمة ، و أصله التقدير ؛ و نبه بما خلق فى السماوات و الأرض على وجوه الدلالات . لأن الدلالة فى الشىء قد تكون من جهة خلقه أو اختلاف صورته أو حسن منظره أو [1]كثرة نفعه[1] أو عظم أمره أو غير ذلك .

و لما أشير بالآية إلى انقراض الدنيا بأن الحادث لا ثبات له ، و قام الدليل القطعى على المعاد ، ناسب تعقيبها بعيب[2] من اطمأن إليها فى سياق مبين أن سبب الطمأنينة إنكار الطمأنينة[3] اعتقادا أو حالا ؛ و لما كان ختم تلك بـ"يتقون" لاح أن ثَمّ من يتق و من لا يتق ؛ و لما كان المغرور أكثر ، بدأ به تنفيرا عن حاله ، لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح ، فقال مؤكدا لأجل إنكارهم : ﴿ ان الذين ﴾ و لما كان الخوف و الرجاء معدن السعادة ، و كان الرجاء أقرب إلى الحث على الإقبال ، قال مصرحا بالرجاء ملوحا إلى الخوف : ﴿لا يرجون لقآءنا ﴾ بالبعث بعد الموت و لا يخافون ما لنا من العظمة ﴿ و رضوا ﴾ أى عوضا

(١-١) فى ظ : لترفعه (٢) من ظ ، و فى الأصل : تعقيب (٣) زيد بعده فى الأصل : اعتقاد الطمأنينة . و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

عن الآخرة ﴿ بالحيوٰة الدنيا ﴾ [أى -[1]] فعملوا لها عمل المقيم فيها مع ما اشتملت عليه مما يدل على حقارتها ﴿ و اطمانوا ﴾ إليها [2]مع الرضى[2] ﴿ بها ﴾ طمأنينة من لا يزعج عنها مع ما يشاهدونه مع سرعة زوالها ﴿ و الذين هم ﴾ أى خاصة ﴿ عن ايٰتنا ﴾ أى على ما لها من العظمة لا عن غيرها من الأحوال الدنية الفانية ﴿ غفلون لا ﴾ أى غريقون فى الغفلة . وتضمن قوله تعالى استئنافا - : ﴿ اولٰٓئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ ماوٰهم النار بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ يكسبون ه ﴾ فان كسبهم كله ضلال - أنه لا يعاجلهم بالعقاب على تأخير المتاب . و جعلت ملاقاة ما لا يقدر عليه إلا الله ملاقاة الله[3] تفخيما لشأنها كما جعل إتيان[4] جلائل آيات الله فى قوله " الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام " و نحوه . و الاطمئنان : الركون إلى الشيء على تمكن[5] فيه . فهؤلاء مكنوا الأحوال للدنيا فصار فرحهم و سخطهم لها ؛ و الغفلة : ذهاب المعنى عن القلب بما يضاد حضوره إياه ، و اليقظة نقيضها .

و لما انقضى هذا القسم حالا و مآلا ، أتبعه سبحانه القسم الآخر بقوله مؤكدا لإنكار الكفار هدايتهم : ﴿ ان الذين امنوا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف بما لهم من القوة النظرية التى كمالها معرفة الأشياء و سلطانها معرفة الله تعالى ﴿ و عملوا ﴾ أى و صدقوا دعواهم الإيمان بأن عملوا ﴿ الصّٰلحٰت ﴾ بالقوة العملية التى سلطانها[6] عبودية الله تعالى ، و الصالح : ما جاء بالحث عليه الأنبياء عليهم السلام ﴿ يهديهم ﴾ أى على

---

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) فى ظ : راضين (٣) فى ظ : لله (٤) من ظ ، وفى الأصل : اثبات (٥) من ظ ، و فى الأصل : تمكين (٦) فى ظ : سلطانه .

سبيل

سبيل التجدد و الاستمرار ﴿ربهم﴾ أى المحسن إليهم ﴿ بإيمانهم ج ﴾ أى بسبب تصديقهم و إذعانهم لمعرفة الآيات التى غفل عنها الذين يأملون البقاء و لا يرجون اللقاء. فقادتهم إلى دار السلام ، و هذا كما كان كثير من /٥٦٨ الصحابة رضى الله عنهم بعد إسلامهم يشتد تعجبهم [مما كان - [1]] من تباطؤهم عن الإسلام ، وكما ترى أنك تحنق على بعض الكملة [2] فلا يدعك حظ النفس ترى له حسنة . ثم إنك قد ترضى عنه فتراه كله محاسن .

و لما ذكر أن مآل القسم الأول النار ، ذكر مآل هذا القسم فى معرض سؤال من يقول : ما ذا تورثهم هدايتهم ؟ فقيل له : ﴿ تجرى ﴾ و أشار إلى [3] قرب منال [3] المياه و انكشافها عن كل ما ينتفع به فى غير ذلك بإثبات [4] الجار فقال : ﴿ من تحتهم ﴾ أى تحت غرفهم و أسرّتهم و غير ذلك من مشتهياتهم كقوله [5] تعالى " قد جعل ربك تحتك سريا [6] " و كذا قول فرعون " و هذه الانهر تجرى من تحتى [7] " ﴿ الانهٰر ﴾ كائنين ﴿ فى جنّت النعيم ﴾ [أى التى ليس فيها من غيره - [1]] .

و لما كان الواجب على العباد أولا تنزيهه تعالى عن النقائص التى أعظمها الإشراك . وكان من فعل ذلك سلم من غوائل الضلال فربح نفسه فعرف ربه و فاز فى شهود حضرته بمشاهدة أوصاف الكمال ، أشار إلى التسليك فى ذلك بقوله : ﴿ دعوٰهم ﴾ أى دعاؤهم العظيم الثابت

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الكلمة (٣-٣) فى ظ : اقرب مال - كذا .
(٤) فى ظ : باتيان (٥) من ظ ، و فى الأصل : لقوله (٦) سورة ١٩ آية ٢٤ .
(٧) سورة ٤٣ آية ٥١ .

الكثير الذى يقولونه فيها [لا - [1]] على وجه التكليف ، بل يلهمونه إلهام النفس فى الدنيا ﴿ فيها ﴾ و أشار إلى مجامع التنزيه عن كل شائبة نقص فقال : ﴿ سبحنك اللهم ﴾ إشارة إلى الأمر الأول الذى هو الأساس و هو المعراج فى الآخرة ﴿ و تحيتهم ﴾ أى لله [2] و فيما بينهم ﴿ فيها سلم ج ﴾ إشارة إلى أول نتائج الأساس بأنه لا عطب [3] معه بوجه و هو نزول عن المعراج بالنظر فى أحوال الخلق ﴿ و اٰخر دعوٰىهم ﴾ أى دعائهم العظيم و هو المعراج الكمالى ﴿ ان الحمد ﴾ أى الكمال ﴿ لله ﴾ أى المحيط بجميع أوصاف [4] الجلال و الجمال يعنى أن التنزيه [5] عن النقص أوجب لهم السلامة ؛ و لما سلموا من كل نقص وصلوا إلى الحضرة فغرقوا فى بحار الجلال و انكشفت لهم سمات الكمال ؛ و الدعوى : قول يدعى به إلى أمر ؛ و التحية : التكرمة بالحال الجليلة ، و أصله من قولهم [6] : أحياك الله حياة طيبة . و أشار بقوله : ﴿ رب العلمين ﴾ إلى نعمة الإيجاد إرشادا بذلك إلى القدرة على المعاد ، و فيه هبوط عن المعراج الكمالى إلى [7] الخلق ، و ذلك إشارة إلى أن الإنسان لا ينفك عن الحاجة و النقصان .

و لما أشير فى هذه الآية إلى تنزهه تعالى و علوه و تفرده بنعوت الكمال ، و دل بختمها بالحمد على إحاطته و برب العالمين على تمام قدرته و حسن تدبيره فى ابتدائه [8] و إعادته ، اتبعت بما يدل على ذلك من لطفه

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الله (٣) فى ظ : عطف (٤-٤) فى ظ : بأوصاف (٥) فى ظ : التنويه (٦) فى ظ : قوله (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : ابدايه .

فى معاملته من أنه لا يفعل شيئا قبل أوانه لأن[1] الاستعجال من سمات الاحتياج[2]، بل و روى أبو يعلى و أحمد بن منيع عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال « التأنى من الله و العجلة من الشيطان » قال شيخنا ابن حجر : و فى الباب عن سهل و سعد رضى الله عنهما، فقال تعالى عاطفا على قوله " يدبر الامر " ما معناه أنه تعالى يفعل فعل من ينظر فى أدبار الأمور فلا يفعل إلا ما هو فى غاية الإحكام، فهو لا يعاجل العصاة بل يمهلهم و يسبغ عليهم النعم و هم فى حال عصيانهم له أضل من النَعم يطلبون خيراته و يستعجلونه بها: ﴿و لو يعجل الله﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ للناس ﴾ [أى - [3]] الذين اتخذوا القرآن عجبا لما لهم من صفة الاضطراب ﴿ الشر استعجالهم ﴾ أى عاملا فى إرادته لإيقاع الشر بهم مثل عملهم فى إرادتهم و طلبهم العجلة ﴿ بالخير لقضى ﴾ أى حُتم و بت و أدى، بناه للمفعول فى قراءة الجماعة دلالة على هوانه عنده، و لأن المحذور مجرد فراغه لا كونه من معين. و بناه ابن عامر للفاعل و نصب الأجل ﴿ اليهم ﴾ أى الناس خاصة ﴿ اجلهم ﴾ أى عمرهم أو[4] آخر لحظة تكون منه، فأهلك من فى الأرض فاختل النظام الذى دبره، و لكنه لا يفعل إلا ما تقدم من إمهاله لهم إلى ما[5] سمى من الآجال المتفاوتة، و ذلك سبب إضلال من يريد ضلاله، و لعل التعبير بنون /٥٦٩ العظمة فى " فنذر " إشارة إلى أن الأمر فى غاية الظهور؛ فكان القياس هداهم لكثرة ما عليه من الدلائل الظاهرة و لكنه تعالى أراد ضلالهم

---

(١) فى ظ : لا ان (٢) من ظ ، و فى الأصل : الاحتجاج (٣) زيد من ظ .
(٤) فى ظ : اى (٥) سقط من ظ .

و هو من العظمة بحيث لا يعجزه شيء، و يجوز أن يكون معطوفا على قوله "اوائك ماوٰيهم النار" لأن معناه: أولئك يمهلهم الله إلى انقضاء ما ضرب لهم من الآجال مع مبالغتهم في[1] الإعراض. ثم يكون مأواهم النار [2]و لا يعجل لهم[2] ما يستحقونه من الشر "و لو يعجل الله للناس الشر" أي و لو يريد عجلة الشر للناس إذا خالفوه أو إذا استعجلوه به في نحو قولهم "امطر علينا [حجارة من السماء" -[3]] و دعاء الإنسان على ولده و عبده، مثل استعجالهم أي مثل إرادتهم تعجيل الخير، و عدل عن أن يقال: و لو يستعجل[4] الله للناس الشر "استعجالهم بالخير" أي يعجل، دفعا لإيهام النقص بأن من يستعجل[4] الشيء ربما يكون طالبا عجلته من غيره لعدم قدرته، وتنبيها على أن الأمر ليس إلا بيده "لقضى اليهم اجلهم" فانه إذا أراد شيئا كان و لم يتخلف أصلا.

و لما كان التقدير لأن 'لو' امتناعية[5]: و لكنه سبحانه لا يفعل ذلك لأنه لا يفوته شيء بل يمهل الظالمين و يدر لهم النعم و يضربهم بشيء من النقم حتى يقولوا: هذه عادة[6] الدهر، قد مس آباءنا الضراء و السراء، سبب عنه قوله: ﴿ فنذر ﴾ أي على أيّ حالة كانت، و وضع موضع الضمير تخصيصا و تنبيها على ما أوجب لهم الإعراض و الجرأة قوله: ﴿الذين﴾ و أشار بنفي الرجاء إلى نفي الخوف على الوجه[7] الأبلغ فقال: ﴿ لا يرجون لقآءنا ﴾ [أي - [8]] بعد الموت بهذا الاستدراج على ما لنا

---

(١) من ظ، و في الأصل « و » (٢ - ٢) في ظ : لا يعاجلهم (٣) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ٨ آية ٣٢ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٥) في ظ : امتناعه (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : الاوجه (٨) زيد من ظ .

من العظمة التى من أمنها كان أضل من الانعام ﴿ فى طغيانهم ﴾ أى تجاوزهم للحدود تجاوزا لا يفعله من له أدنى روية ﴿ يعمهون ﴾ [أى -[1]] بحكم مشيئتنا السابقة فى الأزل عميا عن رؤية الآيات صما عن سماع البينات ؛ و التعجيل : تقديم الشيء على وقته الذى هو أولى به ؛ و الشر : ظهور ما فيه الضر ، و أصله الإظهار من قولهم : شررت الثوب - إذا أظهرته للشمس ، و منه شرر النار - لظهوره بانتشاره ؛ و الطغيان : الغلو فى ظلم العباد ؛ و العمه ، شدة الحيرة .

و لما بين تعالى أن دأبهم استعجالهم بالخير ، و كان منه استكشاف الضر ، بين أن حالهم عنده الاعتراف ، و شكرهم على النجاة منه الإنكار [فدأبهم الطغيان و العمه[1] -] ، و ذلك فى غاية المنافاة لما يدعونه من رجاحة العقول و إصالة الآراء و سلامة الطباع ، فالحاصل أن الإنسان عند البلاء غير صابر ، و عند الرجاء غير شاكر ، فكأنه قيل : فاذا مس الإنسان منهم الخير كان فى غفلة بالفرح و الأشر و المرح ﴿ و اذا مس الانسان ﴾ منهم ﴿ الضر ﴾ [و إن كان من جهة يتوقعها لطغيان هو فيه و لا ينزع عنه خوفا مما يتوقعه من حلول الضر لشدة طغيانه و جهله -[1]] ﴿ دعانا ﴾ مخلصا معترفا بحقنا عالما بما لنا من كمال العظمة عاملا بذلك معرضا عما ادعاه شريكا لنا كائنا ﴿ لجنبه ﴾ أى مضطجعا حال إرادته للراحة ، و كأنه عبر باللام إشارة إلى أن ذلك أسر[2] أحواله إليه ﴿ او قاعدا ﴾ أى متوسطا[3] [فى أحواله -[1]] ﴿ او قآئما ج ﴾ أى فى غاية السعى فى

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : احد (٣) من ظ ، و فى الأصل : متوطنا .

مهماته ، لايشغله عن ذلك شيء فى حال من الأحوال ، [بل يكون ظرف المس بالضر ظرف الدعاء بالكشف - [1]] ، و يجوز أن يكون عبر بالأحوال الثلاثة عن مراتب الضر ، و قال : لجنبه ، إشارة إلى استحكام الضر و غلبته بحيث لا يستطيع جلوسا كما يقال : فلان لما به ، و أشار بالفاء إلى قرب زمن الكشف فقال : ﴿ فلما كشفنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ عنه ضره ﴾ [أى - [1]] الذى دعانا لأجله ﴿ مر ﴾ أى فى كل[2] ما يريده لاهيا عنا بكل اعتبار ﴿ كان ﴾ أى كأنه ﴿ لم يدعنآ ﴾ أى على ما كان يعترف به وقت الدعاء من عظمتنا ؛ و لما كان المدعو يأتى إلى الداعى فيعمل ما دعاه لأجله قال : ﴿ الى ﴾ أى كشف ﴿ ضر مسه ﴾ أى كأن لم يكن له بنا معرفة أصلا فضلا عن أن يعترف بأنا نحن كشفنا عنه ضره ، فهذه الآية[2] فى بيان ضعف الإنسان و سوء عبوديته ، و[2] التى قبلها فى بيان قدرة الله و حسن ربوبيته ؛ و المس : لقاء من غير فصل ؛ و الدعاء : طلب الفعل من القادر عليه ؛ و الضر : إيجاب الألم بفعله أو السبب المؤدى إليه .

/ ٥٧٠ / و لما كان هذا من فعل الإنسان من أعجب العجب ، كان كأنه قيل : لم يفعل ذلك ؟ فقيل : لما[3] يزين له من[3] الأمور التى يقع[4] بها الاستدراج[5] لإسرافه ، و هذا دأبنا أبدا ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا التزيين العظيم الرتبة ؛ و لما كان الضار مطلق التزيين ، بنى للفعول قوله : ﴿ زين للمسرفين ﴾

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : ما (٤) من ظ ، و فى الأصل : تقع (٥) فى ظ : الاستدراع .

أى كلهم العريقين[1] فى هذا الوصف ﴿ما كانوا﴾ أى بجبلاتهم ﴿يعملون ۝﴾ أى يقبلون عليه على سبيل التجديد و الاستمرار من المعصية بالكفر و غيره مع ظهور فساده و وضوح ضرره ؛ و الإسراف : الإكثار من الخروج عن العدل .

و لما كان محط نظرهم الدنيا ، و كان هذا صريحا فى الإمهال للظالمين و الإحسان إلى المجرمين ، اتبعه بقوله تعالى مهددا لهم رادعا عما هم فيه من اتباع الزينة مؤكدا لأنهم ينكرون أن[2] هلاكهم لأجل ظلمهم : ﴿و لقد اهلكنا﴾ [أى -[3]] بما لنا من العظمة ﴿القرون﴾ أى على ما لهم من الشدة و القوة ؛ و لما كان المهلكون هلاك العذاب المستأصل بعض من تقدم ، أثبت الجار فقال : ﴿من قبلكم لما ظلموا لا﴾ أى تكامل ظلمهم إهلاكا عم آخرهم و أولهم كنفس واحدة دفعا[4] لتوهم أنه سبحانه لا يعم بالهلاك ، و قال تعالى عطفا على " اهلكنا " : ﴿و جاءتهم رسلهم﴾ أى إلى كل أمة رسولها ﴿بالبينت﴾ أى [5]التى بينت[5] بمثلها الرسالة ﴿و ما﴾ أى و الحال أنهم ما ﴿كانوا﴾ أى بجبلاتهم ، و أكد النفى ممن ينكر أن يتأخر إيمانهم عن البيان فقال : ﴿ليؤمنوا ط﴾ و لو جاءتهم كل آية ، تنبيها لمن قد يطلب أنه سبحانه يريهم بوادر العذاب أو ما اقترحوه من الآيات ليؤمنوا ، فبين سبحانه أن ذلك لا يكون سببا لإيمان من قضى بكفره ، بل يستوى فى التكذيب حاله قبل مجىء الآيات و بعدها ليكون سببا لهلاكه . فكأنه قيل : هل يختص ذلك بالأمم

---

(١) فى ظ : العريقون (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : رفعا (٥-٥) فى ظ : الذى تثبت .

الماضية؟ فقيل: بل ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك الجزاء العظيم ﴿ نجزى القوم ﴾ أى الذين لهم قوة على محاولة ما يريدونه ﴿ المجرمين ۝ ﴾ لأن السبب هو العراقة فى الإجرام وهو قطع ما ينبغى وصله، فحيث ما وجد وجد جزاؤه؛ والإهلاك: الإيقاع فيما لا يتخلص منه[1] من العذاب؛ والقرن: أهل العصر لمقارنة[2] بعضهم لبعض.

ولما صرح بأن ذلك عام لكل مجرم، أتبعه قوله: ﴿ ثم جعلنكم ﴾ أى أيها المرسل إليهم[3] أشرف رسلنا ﴿ خلّئف فى الارض ﴾ أى لا فى خصوص ما كانوا فيه؛ ولما كان زماننا لم يستغرق ما بعد زمان المهلكين أدخل الجار فقال: ﴿ من بعدهم ﴾ أى القرون المهلكة إهلاك الاستئصال ﴿ لننظر ﴾ ونحن - بما لنا من العظمة - أعلم بكم من أنفسكم، وإنما ذلك لنراه فى عالم الشهادة لإقامة الحجة ﴿ كيف تعملون ۝ ﴾ فيتعلق نظرنا بأعمالكم موجودة تخويفا للخاطبين من أن يجرموا فيصيبهم ما أصاب من قبلهم.

ولما تقدم أن من قضى بشقاوته لا يتأتى إيمانه بآية من الآيات حتى تنزل[4] [به -[5]] سطوته وتذيقه بأسه ونقمته، وكان القرآن أعظم آية أنزلت[6] إلى الناس لما لا يخفى، أتبع ذلك عطفا على قوله "قال الكفرون ان هذا لسحر مبين" بقوله بيانا لذلك: ﴿ واذا تتلى ﴾ بناه للمفعول إيذانا بتكذيبهم عند تلاوة[7] أىّ تال كان، وأبداه مضارعا

(١) من ظ، وفى الأصل: منهم (٢) فى ظ: لمقاربة (٣) فى ظ: الينا (٤) فى ظ: ينزل (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: نزلت (٧) فى ظ: تلاوته.

إشارة

إشارة إلى أنهم يقولون ذلك و لو تكررت التلاوة ﴿ عليهم ﴾ أى على هؤلاء الناس ﴿ آياتنا ﴾ أى على ما لها من العظمة [1]باسنادها إلينا[1] ﴿ بينت ﴾ فانه مع ما اشتمل عليه مما لزمهم به الإقرار بحقيقته قالوا فيه ما لا معنى له إلا التلاعب و العناد، و يجوز عطفه على "ثم جعلنكم خلئف" - الآية. و الالتفات إلى مقام الغيبة للايذان بأنهم أهل للاعراض لإساءتهم الخلافة، والموصول بصلته فى قوله: ﴿قال الذين لا يرجون لقآءنا﴾ فى موضع الضمير تنبيها على أن هذا الوصف علة قولهم، و لعله عبر بالرجاء ترغيبا لهم لأن الرجاء محط أمرهم فى طلب / تعجيله للخير و دفعه / ٥٧١
للضير. فكان من حقهم أن يرجوا لقاءه تعالى رغبة فى مثل ما أعده[2] لمن أجابه، و لوح إلى الخوف بنون العظمة ليكون ذلك أدعى لهم إلى الإقبال ﴿ ائت ﴾ أى من عندك ﴿ بقرءان ﴾ أى كلام مجموع جامع لما تريد ﴿غير هذآ ﴾ فى نظمه و معناه ﴿ او بدله ﴾ أى بألفاظ أخرى و المعانى باقية و قد كانوا عالمين بانه صلى الله عليه و سلم مثلهم فى العجز عن ذلك و لكنهم قصدوا أنه يأخذ فى التغيير حرصا على إجابة مطلوبهم فيبطل مدعاه أو يهلك.

[و لما -[3]] كان كأنه قيل: فما ذا أقول لهم؟ قال[4]: ﴿قل ما يكون﴾ أى يصح و يتصور بوجه من الوجوه ﴿ لى ﴾ و لما كان التبديل يعم القسمين الماضيين قال: ﴿ ان ابدله ﴾ و قال: ﴿ من تلقآئ ﴾ أى[5] عند و قِبَل

(١-١) من ظ، و فى الأصل: باستنادنا اليها (٢) فى ظ: اعدوه (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: فقال (٥) سقط من ظ.

﴿نفسى ج﴾ إشارة إلى الرد عليهم فى إنكار تبديل الذى أنزله بالنسخ بحسب المصالح كما أنزل أصله لمصلحة العباد مع نسخ الشرائع الماضية به[1]، فأنتج ذلك قطعا قوله: ﴿ان اتبع﴾ أى بغاية جهدى ﴿الا ما﴾ و لما كان قد علم أن الموحى إليه الله قال ﴿يوحىٓ الى ج﴾ [أى -[2]] سواء كان بدلا أو أصلا؛ ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لإنكارهم مضمونه: ﴿انىٓ اخاف﴾ أى على سبيل التجدد و الاستمرار ﴿ان عصيت ربى﴾ أى المحسن إلى و الموجد لى و المربى و المدبر بفعل غير ما شرع لى ﴿عذاب يوم عظيم ۝﴾ فانى مؤمن به غير مكذب [3]و لا شاك كغيرى ممن[3] يتكلم من الهذيان بما لايخاف عاقبته فى ذلك اليوم، و إذا خفته - مع استحضار صفة الإحسان - هذا الخوف فكيف يكون خوفى مع استحضار صفة الجلال. و لما تم[4] ما دفع به مكرهم فى طعنهم، اتبعه بعذره[5] صلى الله عليه و سلم فى الإبلاغ على وجه يدل قطعا على أنه كلام الله و ما تلاه إلا باذنه فيجتث طعنهم من أصله و يزيله بحذافيره فقال: ﴿قل﴾ أى لهم معلما أنه سبحانه إما أن يشاء الفعل و إما أن يشاء عدمه و ليست ثَمّ حالة سكوت أصلا ﴿لوشآء الله﴾ أى الذى له العظمة كلها أن لا أتلوه عليكم ﴿ما تلوته﴾ أى تابعت قراءته[6] انا ﴿عليكم و لآ ادرىكم﴾ أى أعلمكم على وجه المعالجة هو سبحانه ﴿به صلے﴾ على لسانى؛ و لما[7] ذكر ذلك أتبعه السبب المعرف به فقال: ﴿فقد لبثت فيكم عمرا﴾

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٣) فى ظ: لوشا لغيرى مما (٤) زيد بعده فى ظ: مع (٥) فى ظ: تعذره (٦) فى ظ: قراءة (٧) فى ظ: ما.

و لما كان عمره لم يستغرق زمان القبل قال: ﴿ من قبله ط ﴾ مقدار أربعين سنة بغير واحد من الأمرين لكون الله لم يشأ واحدا منهما إذ ذاك، ثم أتيتكم[1] بهذا الكتاب الأحكم المشتمل على حقائق علم الأصول و دقائق علم الفروع و لطائف علم الأخلاق و أسرار قصص الأولين فى عبارة قد عجزتم - و أنتم أفصح الناس و أبلغهم - عن معارضة آية منها، فوقع بذلك العلم القطعى الظاهر جدا أنه من عند الله فلذلك سبب عنه إنكار العقل فقال: ﴿ افلا تعقلون ﴾ إشارة إلى أنه يكفى - فى معرفة أن القرآن من عند الله و أن غيره عاجز عنه - كون الناظر فى أمره و أمرى من أهل العقل، أى أفلا[2] يكون لكم عقل فتعرفوا به حقيقة القرآن بما أرشدكم إليه فى هذه الآية من هذا البرهان الظاهر و السلطان القاهر القائم على أنه ما يصح لى بوجه أن أبدله من قبل نفسى لأنى مثلكم [و - [3]] قد عرفتم أنكم عاجزون عن ذلك مع التظاهر، فأنا وحدى - مع كونى أميا - أعجز، و[3] من أنه تعالى لو شاء ما بلغكم، و من أنى مكثت فيكم قبل إتيانى به زمنا[4] طويلا لا أتلو عليكم شيئا و لا أدعى فيكم علما و لا أتردد إلى عالم؛ و تعرفوا أن قائل ما قلتم مكذب بآيات الله، و فاعل ما طلبتم كاذب على الله، و كل من ذلك أظلم الظلم ﴿ فمن ﴾ أى فهو سبب لأن يقال: من ﴿ اظلم ممن افترى ﴾ أى تعمد ﴿ على الله ﴾ أى الذى حاز جميع العظمة ﴿ كذبا ﴾ أى أىّ كذب كان، و كان الأصل: منى، على تقدير أن لا يكون هذا القرآن

---

(١) من ظ، و فى الأصل: انبئكم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: زمانا.

من عند الله [١] كما زعمتم [١]، و لكنه وضع هذا الظاهر مكانه تعميما و تعليقا للحكم بالوصف ﴿ او كذب بآيٰته ﴾ كما فعلتم أنتم ، و ذلك من أعظم الكذب . و لما كان التقدير : لا أحد أظلم منه فهو لا يفلح لأنه مجرم ، علله بقوله مؤكدا لأجل إنكارهم : ﴿ انه لا يفلح ﴾ أى بوجه من الوجوه

٥٧٢ / ﴿ المجرمون ﴾ فقد وضح / أن [٢] المقصود نفى الكذب عن نفسه صلى الله عليه و سلم و إلحاق الوعيد حيث كذبوا بالآيات بعد ثبوت أنها من عندالله و الإعلام بأنه لا أحد أظلم منهم لأنهم كذبوا على الله فى كل ماينسبونه [٣] إليه مما نهى عنه و كذبوا بآياته ، و الإتيان بالغير قد يكون مع وجود الأول و التبديل لا يكون إلا برفع الأول و وضع غيره مكانه ؛ و التلقاء [٤]: جهة مقابلة الشيء ، اتبعه بمجيئه بعده ؛ و المشيئة خاصة تكون سببا مؤديا إلى وقوع الشيء و مرتبا له على وجه قد يمكن أن يقع على خلافه . و الإرادة نظيرها ؛ و العقل : العلم الغريزى [٥] الذى يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب ، و يجوز أن يكون ﴿ و يعبدون ﴾ حالا من " الذين لا يرجون لقاءنا " أى قالوا [٦] ذلك عابدين ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له جميع [٧] صفات الكمال الذى ثبت عندهم أن هذا القرآن كلامه لعجزهم عن معارضة شيء منه و هو ينهاهم عن عبادة غيره و هم يعلمون قدرته على الضر و النفع .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : يلبسونه.
(٤) من ظ ، و فى الأصل : التقاء (٥) من ظ ، و فى الأصل : الغزيز - كذا .
(٦) فى ظ : قال .

ى لما

و لما كان السياق للتهديد و التخويف ، قدم الضر لذلك و تنبيها لهم على أنهم مغمورون فى نعمه التى لا قدرة لغيره على منع شىء منها ، فعليهم أن يقيدوها بالشكر فقال : ﴿ ما لا يضرهم ﴾ أى أصلا من الأصنام و غيرها ﴿ و لا ينفعهم ﴾ فى معارضة القرآن بتبديل أو غيره و لا فى شىء من الأشياء ، و من حق المعبود أن يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية و إلا كانت عبادته عبثا . معرضين عما جاءهم من الآيات البينات من عند[1] [من -[2]] يعلمون أنه يضرهم و ينفعهم و لا يملك شيئا من ذلك أحد سواه ، و قد أقام الأدلة على ذلك غير مرة . و فى هذا غاية التبكيت لهم[3] بمنابذة العقل مع ادعائهم رسوخ الأقدام فيه و تمكن المجال منه ؛ و العبادة : خضوع بالقلب فى أعلى مراتب الخضوع ؛ ثم عجب منهم تعجيبا آخر فقال : ﴿ و يقولون ﴾ أى لم يكفهم قول ذلك مرة من الدهر حتى يجددوا قوله مستمرين عليه : ﴿ هٰؤلآء ﴾ أى الأصنام أو غيرهم ﴿ شفعآؤنا ﴾ أى ثابتة شفاعتهم لنا ﴿ عند الله[4] ﴾ أى الملك الأعظم[4] الذى لا يمكن الدنو [5]من شىء[5] من حضراته إلا باذنه ، و قد مضى إبطال ما تضمنته هذه المقالة فى قوله تعالى " ما من شفيع الا من بعد اذنه " و فيه تخجيلهم فى العجز عن تبديل القرآن أو الإتيان بشىء من مثله حيث لم تنفعهم فى[6] ذلك فصاحتهم و لا أغنت عنهم شيئا بلاغتهم ، و أعوزهم فى شأنه فصحاءهم ، و ضل عنهم شفعاءهم . فدل ذلك قطعا على أنه ما من شفيع إلا[7] باذنه

(١) من ظ ، و فى الأصل : عنده (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : عليهم (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ : لشىء (٦) فى ظ : من (٧) زيد بعده فى ظ : من .

[1]من بعد[1]، فكأنه قال: بما ذا أجيبهم[2]؟ فقال: ﴿ قل ﴾ منكرا عليهم هذا العلم ﴿ اتنبئون ﴾ أى تخبرون إخبارا عظيما ﴿ الله ﴾ و هو العالم بكل شيء المحيط بكل كمال ﴿ بما لا يعلم ﴾ أى لا يوجد له به علم فى وقت من الأوقات ﴿ فى السموٰت ﴾ و لما كان الحال مقتضيا لغاية الإيضاح، كرر النافى تصريحا فقال: ﴿ و لا فى الارض ﴾ و فى ذلك من الاستخفاف بعقولهم بما[3] لا يقدرون على الطعن فيه بوجه ما يخجل الجماد، فان ما [4]لا يكون معلوما لله[4] لا يكون له وجود أصلا، فلا نفى أبلغ من هذا كما أنك إذا بالغت فى نفى شيء عن نفسك تقول: هذا شيء ما علمه الله منى.

و لما بين تعالى هنا ما هم عليه من سخافة العقول و ركاكة الآراء[5]، ختم ذلك بتنزيه[6] نفسه بقوله: ﴿ سبحٰنه ﴾ أى تنزه عن كل شائبة نقص تنزها لا يحاط به ﴿ و تعٰلى ﴾ أى و فعل بما له من الإحاطة بأوصاف الكمال فعل المبالغ فى التنزه[7] ﴿ عما يشركون ﴾ أى يوجدون الإشراك به.

و لما بين شرارتهم بعبادة غير الله و ختم بتنزيهه و كماله، بين أن هذا الدين الباطل حادث، و بين نزاهته و كماله ببيان أن الناس كانوا أولا مجتمعين على طاعته ثم خالفوا أمره فلم يقطع إحسانه إليهم بل استمر

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: اجبتم (٣) فى ظ: ما (٤-٤) تكرر بعده فى الأصل: لا يكون معلوما لله، و لم يكن التكرار فى ظ فحذفناه (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ فحذفناها (٦) فى ظ: بتبرية (٧) من ظ، و فى الأصل: النفرة.

فى إمهالهم مع تماديهم فى سوء أعمالهم على ما سبق فى علمه و مضى به قضاءه فقال تعالى : / ﴿ و ما كان الناس ﴾ أى كلهم مع ما لهم من ٥٧٣/ الاضطراب ﴿ إلا أمة ﴾ و لما أفهم ذلك وحدتهم فى القصد حققه و أكده فقال : ﴿ واحدة ﴾ [أى -[1]] حنفاء متفقين على طاعة الله ﴿ فاختلفوا[5] ﴾ فى ذلك على عهد نوح عليه السلام - كما[2] روى عن ابن عباس رضى الله عنهما - عقب وحدتهم بسبب ما لهم من النوس فاستحق كافرهم تنجيز العقاب ﴿ و لو لا كلمة ﴾ أى عظيمة ﴿ سبقت ﴾ أى فى الأزل ﴿ من ربك ﴾ أى[3] المحسن إليك برحمة أمتك بامهالهم ، و بين التأكيد[4] بما دل على القسم[4] لأجل إنكارهم أن يكون تأخيرهم لأجل ذلك فقال : ﴿ لقضى بينهم ﴾ أى عاجلا بأيسر أمر ﴿ فيما ﴾ [و لما لم يبن الكلام على الاتخاذ الذى محط أمره معالجة بالباطن ، لم يذكر الضمير بخلاف الزمر فقال -[1]] : ﴿ فيه ﴾ أى لا فى غيره بأن يعجل جزاءهم عليه : ﴿ يختلفون ۝ ﴾ و أشار ذلك إلى أن هذا الأمر الذى دعوا إليه ليس أمرا طارئا حادثا فيكون بحيث يتوقف فيه للنظر[5] فى عواقبه و التأمل فى مصادره و موارده ، بل هو - مع ظهور دلائله و استقامة مناهجه و صحة مذاهبه و إلقاء الفطر أزمة الانقياد إليه - أصل ما كان العباد عليه ، و ما هم فيه الآن هو الطارئ الحادث مع ظهور فساده و وضوح سقمه ، و هو ناظر إلى قوله تعالى "اكان للناس عجبا" لأن قوله "قال

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لما (٣) تأخر فى الأصل عن « برحمة أمتك » و الترتيب من ظ (٤-٤) فى ظ : باللام (٥) سقط من ظ .

الكفرون ان هذا لسحر مبين" دال على أنهم قسمان: كافر و مؤمن؛ و الأمة: الجماعة على معنى واحد فى خلق واحد كأنها تؤم - أى تقصد - شيئا واحدا[1]؛ ثم قال تعالى عطفا [على -[2]] قوله "و يعبدون": ﴿و يقولون﴾ أى أنهم لما أتتهم البينات قالوا: ائت بقرآن غير هذا، كافرين بتنزلها عابدين من دونه ما لا يرضى عاقل بتسويته [بنفسه -[2]] فكيف بعبادته [قائلين بفرط عنادهم و تماديهم فى التمرد -[2]]: ﴿لو لآ﴾ أى هلا و لم لا [3]﴿انزل[3]﴾ [أى بأىّ وجه كان -[2]] ﴿عليه اية﴾ أى واحدة كائنة و[4] آتية ﴿من ربه ج﴾ أى المحسن إليه غير ما جاء به و ذلك إما لطلبهم آية ملجئة لهم إلى الإيمان أو لكونهم لم يعدوا ما أنزل عليه عدد الآيات فضلا عن كونها بينات، و كفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة فى الآيات دقيقة المسالك بين المعجزات مع عجزهم عن معارضته بتبديل أو غيره، فأىّ عناد أعظم من هذا.

و لما كان فى ذلك شوب من الاستفهام، قال [مسببا عن قولهم -[2]]: ﴿فقل﴾ قاصرا قصرا حقيقيا ﴿انما الغيب﴾ أى[5] الذى عناه عيسى عليه السلام بقوله "و لا اعلم ما فى نفسك[6]" و هو ما لم يطلع عليه مخلوق أصلا ﴿لله﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة وحده، لا علم لى بعلة عدم إنزال ما تريدون، و هل تجابون إليه أو[7] لا.

---

(١) فى ظ: واحد (٢) زيد من ظ (٣-٣) من ظ والقرآن الكريم، و فى الأصل: انزلت (٤) فى ظ: او (٥) سقط من ظ (٦) سورة ٥ آية ١١٦ (٧) فى ظ: ام.

و لما

و لما خصه سبحانه بالعلم، وكان إنزال الآيات من الممكنات[1]، سبب عنه قوله: ﴿فانتظروا﴾ ثم أجاب من كأنه يقول له[2]: فما تعمل أنت؟ بقوله: ﴿اني معكم﴾ أى فى هذا الأمر غير مخالف لكم فى التشوف إلى آية تحصل بها هدايتكم، ثم حقق المعنى و أكده فقال[3]: ﴿من المنتظرين﴾ أى لما يرد على من آية و غيرها.

و لما كان طلبهم لذلك محركا لنفوس الخيّرين إلى ترجى إجابة سؤالهم، أتبعه سبحانه بما يبين أن ذلك غير نافع لهم لأنه محض تعنت، فقال تعالى عاطفا على قوله "قال الكفرون [ان -[4]] هذا لسحر مبين" أو على قوله "و اذا مس الانسان الضر" مبينا أن رحمته[5] محققة الوجود كثيرة الورود إليهم [مبينا أن لهم آية عظمى من أنفسهم لا يحتاجون معها إلى التعنت بطلب آية و هى دالة على نتيجة مقصود السورة الذى هو الوحدانية و أن إشراكهم إنما هو بما لهم من نقص الغرائز الموجب لكفران الإحسان، و ذلك أنهم عامة إذا أكرموا بنعمة قابلوها بكفر جعلوا ظرفه على مقدار ظرف تلك النعمة بما أشار إليه التعبير بـ' اذا ' ثم إذا مسهم الضر ألجأهم إلى الحق فأخلصوا، لم يختلف حالهم فى هذا قط، فهذا الإجماع من الجانبين دليل واضح على كلا الأمرين: الكفر ظلما بما جر إليه من البطر، و التوحيد حقا بما دعا إليه من الفطرة القويمة الكائنة فى أحسن تقويم بما زال عنها حاق الضر من الحظوظ و الشهوات و الفتور، و هذا كما وقع فى سورة الروم الموافقة لهذه فى الدلالة على

(١) فى ظ: المكنات (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: بقوله (٤) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ١٠ آية ٢ (٥) فى ظ: رحمة الله.

الوحدانية فلذا عبر فى كل منهما بالناس ليكون إجماعهم دليلا كافيا عليها و سلطانا جليلا مضطرا إليها - و الله الهادى - [١] : ﴿ و اذآ اذقنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ الناس ﴾ أى الذين لهم وصف الاضطراب ﴿ رحمة ﴾ أى نعمة رحمناهم بها من غير استحقاق .

و لما كان وجود النعمة لا يستغرق الزمان الذى يتعقب النقمة[٢] ، أدخل الجار فقال : ﴿ من بعد ضرآء ﴾ أى قحط و غيره ﴿ مستهم ﴾ فاجأوا المكر و هو معنى ﴿ اذا لهم مكر ﴾ أى عظيم بالمعاصى التى يفعلون فى الاستخفاء بأغلبها[٣] فعل الماكر ﴿ فى آياتنا ﴾ إشارة إلى أنهم لا ينفكون عن آياته العظام ، فلو كانوا منتفعين بالآيات اهتدوا بها . فاذا أتتهم رحمة من بعد نقمة لم يعدوها آية دالة على من أرسلها لهم لخرقها لما كانوا فيه من عادة النقمة مع أنهم يعترفون بأنه لا يقدر على إرسالها و صرف الشدة إلا هو سبحانه ، بل يعملون فيها عمل الماكرين بأن يصرفوها عن ذلك بأنواع الصوارف كأن ينسبوها إلى الأسباب / كنسبة المطر ٥٧٤ / للأنواء و نحو ذلك غير خائفين من إعادة مثل تلك الضراء أو ما هو أشد منها .

و لما كانت هذه الجملة دالة على إسراعهم بالمكر من ثلاثة أوجه : التعبير بالذوق الذى هو أول المخالطة و لفظ[٤] 'من' التى هى للابتداء و 'إذا' الفجائية ، كان كأنه قيل : أسرعوا جهدهم فى المكر ، فقيل : ﴿ قل الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة[٥] بكل شيء ﴿ اسرع مكرا ﴾

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : النعمة (٣) فى ظ : بافعلها (٤) فى ظ : بلفظ .
(٥) سقط من ظ .

و معنى الوصف بالأسرعية[1] أنه قضى بعقابهم قبل تدبيرهم[2] مكايدهم - [نبه عليه أبو حيان[3] ./ و لما كان المكر إخفاء الكيد، بين لهم سبحانه -[4]] [5]أنهم غير قادرين على مطلق المكر فى جهته عز شأنه[5] و تعالى كبرياءه و سلطانه، لأنه عالم بالسر و أخفى، بل لا يمكرون مكرا إلا و رسله سبحانه مطلعون عليه فكيف به سبحانه! فقال تعالى مؤكدا لأجل إنكارهم: ﴿ ان رسلنا ﴾ أى على ما لهم من العظمة باضافتهم إلينا ﴿ يكتبون ﴾ أى كتابة متجددة على سبيل الاستمرار باستمرار المكتوب ﴿ ما تمكرون ﴾ لأنهم قد وكلوا بكم قبل كونكم نطفا و لم يوكلوا بكم إلا بعد علم موكلهم بكل ما يفعلونه[6] و لا يكتبون مكركم إلا بعد اطلاعهم عليه، و أما هو سبحانه فاذا قضى قضاء لا يمكن أن يطلع عليه رسله إلا باطلاعه فكيف بغيرهم! و إذا تبين أنه عالم بأمورهم و هم جاهلون بأموره، علم أنه لا يدعهم يدبرون كيدا إلا و قد سبب له ما يجعله[7] فى نحورهم؛ و المكر: فتل الشيء إلى غير وجهه على طريق الحيلة فيه؛ و السرعة: الشيء فى وقته الذى هو أحق به، و قد تضمنت[8] الآية البيان عما يوجب حال الجاهل من[9] تضييع حق النعمة و المكر فيها و إن جلت منزلتها و أتت على فاقة إليها و شدة حاجة إلى نزولها مع الوعيد[10] بعائد

---

(١) من ظ، و فى الأصل: الاسراعية (٢) من ظ، و فى الأصل: تبديرهم - كذا (٣) راجع البحر المحيط ٥/١٣٦ (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « فكيف به سبحانه » و الترتيب من ظ (٦) فى ظ: تفعلونه (٧) من ظ، و فى الأصل: يحمله (٨) فى ظ: ضمنت (٩) سقط من ظ. (١٠) فى ظ: وعيد.

الوبال على الماكر فيها، ثم أخذ سبحانه يبين ما يتضح[١] به أسرعية مكره في مثال دال على ما في الآية قبلها من نقله سبحانه لعباده[٢] من الضر إلى النعمة و من سرعة تقلبهم فقال: ﴿هو﴾ أي لا غيره ﴿الذى يسيركم﴾ [أي -[٣]] في كل وقت تسيرون فيه سيرا عظيما لا تقدرون على الانفكاك عنه ﴿فى البر و البحر[٤]﴾ أي يسبب لكم أسبابا توجب سيركم فيهما و يقدركم على ذلك و يهديكم من بين سائر الحيوانات إلى ما فيه من أصناف المنافع مع قدرته على إصابتكم في البر بالخسف و ما دونه و في البحر بالغرق و ما أشبهه.

و لما كان العطب بأحوال البحر أظهر مع أن السير فيه من أكبر الآيات و أوضح البينات، بينه معرضا عن ذكر البر فقال: ﴿حتىٓ اذا كنتم﴾ أي كونا لا براح لكم منه ﴿فى الفلك ج﴾ أي السفن، يكون واحدا و جمعا؛ و أعرض عنهم بعد الإقبال لما سيأتي فقال: ﴿و جرين﴾ أي الفلك ﴿بهم﴾ و لما ذكر جريها و هم فيها، ذكر سببه فقال: ﴿بريح طيبة﴾ ثم أوضح[٥] لهم عدم علمهم بالعواقب بقوله: ﴿و فرحوا بها﴾ أي بتلك الريح و بالفلك الجارية بها ﴿جآءتها ريح عاصف﴾ فأزعجت سفنهم و ساءتهم ﴿و جآءهم الموج﴾ أي المعروف لكل أحد بالرؤية أو الوصف ﴿من كل مكان﴾ أي يعتاد الإتيان منه فأرجف قلوبهم ﴿و ظنوآ انهم﴾ و لما كان المخوف الهلاك، لا كونه من معين، بنى للمفعول ما هو كناية عنه لأن العدو إذا أحاط بعدوه أيقن بالهلاك فقال: ﴿احيط بهم لا﴾.

(١) في ظ: تتضح (٢) في ظ: العبادة (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و في الأصل: السفن (٥) في ظ: اوضحوا.

و لما

و لما كان ما تقدم من حالهم الغريبة[1] التي تجب لها القلوب و تضعف عندها[2] القوى - مقتضيا لأن يسأل عما يكون منهم عند ذلك، أتى المقال على مقتضى هذا السؤال مخبرا عن تركهم العناد و إخلاصهم الدال على جزعهم عند سطواته و انحلال عزائمهم فى مشاهدة ضرباته، و عبارة الرمانى: اتصال دعوى اتصال الأجوبة، كأنه قيل: لما ظنوا أنهم أحيط بهم ﴿ دعوا الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال بالرغبة إليه فى الخلاص و العبادة له بالإخلاص ﴿ مخلصين ﴾ أى عن كل شرك[3] ﴿ له الدينۚ ﴾ أى [4] التوحيد و التصديق [4] بالظاهر و الباطن، و قد تضمنت الآية البيان عما يوجبه[5] بديهة العقل من الفزع عند الشدة إلى واهب السلامة و مسبغ[6] النعمة / فى كشف تلك البلية؛ ثم أتبع سبحانه ذلك حكاية حالهم[7] [٥٦٩ /
فى وعدهم الشكر على النجاة ثم كذبهم فى ذلك مع ادعائهم أنهم أطهر الناس ذيولا عن الكذب و أشدهم استقباحا له و أبعد الناس من كفران الإحسان، فقال تعالى حاكيا قولهم الذى دلوا بتأكيدهم له أنهم قالوه بغاية الرغبة نافين ما يظن بهم[8] من الرجوع إلى ما كانوا فيه قبل تلك الحال من الكفر: ﴿ لئن انجيتنا ﴾ أى أيها الملك الذى لا سلطان لغيره ﴿ من هذه ﴾ أى الفادحة ﴿ لنكونن ﴾ أى كونا لا ننفك عنه ﴿ من الشكرين ۝ ﴾ أى المديمين لشكرك العريقين فى الاتصاف به.

(١) فى ظ: القريبة (٢) فى ظ: عنها (٣) فى ظ: شك (٤-٤) فى ظ: التوجه و القصد (٥) فى ظ: توجبه (٦) فى ظ: منبع (٧) من ظ، وفى الأصل: لهم.
(٨) فى ظ: به.

و لما أعلم سبحانه أنهم أكدوا هذا الوعد هذا التأكيد ، أتبعه بيان أنهم أسرعوا فى نقضه غاية الإسراع فقال : ﴿ فلمآ انجٰهم[1] ﴾ و لما أبانت الفاء عن الإسراع فى النقض ، أكد مناجاتهم لذلك بقوله : ﴿ اذا هم يبغون ﴾ [أي - [2]] يتجاوزون الحدود ﴿ فى الارض ﴾ أى جنسها ﴿ بغير الحق[1] ﴾ أى الكامل ، فلا يزال الباغى مذموما حتى يكون على الحق الكامل الذى لا باطل فيه بوجه ، و جاء الخطاب أولا فى " يسيركم " ليعم المؤمنين لأن التسيير[3] يصلح الامتنان ، ثم التفت إلى الغيبة عند صدور ما لا يليق بهم - نبه على ذلك أبو حيان[4] ، و أحسن منه أن يقال : إنه سبحانه أقبل عليهم تنبيها على أنه جعلهم - بما هيأ فيهم من القوى - أهلا لخطابه ثم أعرض عنهم إشارة إلى أنهم استحقوا الإعراض لإعراضهم اغترارا بما أتاحهم من الريح الطيبة فى محل يجب فيه الإقبال عليه و الغنى عن كل ما سواه لعظم الخطر و شدة الأمر ، وكأنه يذكر لغيرهم من حالهم ما يعجبه منه لينكر عليهم و يقبح حالهم ؛ و التسيير : التحريك فى جهة تمتد كالسير ؛ و البر : الأرض الواسعة التى تقطع من بلد ، و منه البر لاتساع الخير به ؛ و البحر : مستقر الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه حافتاه ؛ و الفلك : السفن التى تدور فى الماء ، و أصله الدور ، فمنه فلكة المغزل ، و الفلك [5]الذى يدور[5] فيه النجوم ؛ و النجاة : التخليص[6] من الهلاك ؛ و البغى : قصد الاستعلاء بالظلم ، و أصله الطلب ؛ و الحق : وضع الشىء فى موضعه على ما يدعو إليه العقل ؛

---

(١) فى ظ : نجاهم (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : السير (٤) راجع البحر المحيط ٥ / ١٣٨ و ١٣٩ (٥-٥) فى ظ : التى تدور (٦) فى ظ : التخلص .

ثم بين أن ما هم فيه من الإمهال إنما هو متاع الدنيا و أنها دار زوال فقال تعالى: ﴿ يٰأيها الناس ﴾ أى الذى غلب عليهم وصف الاضطراب ﴿ انما بغيكم ﴾ أى كل بغى يكون منكم ﴿ علىٰ انفسكم لا ﴾ لعود الوبال عليها خاصة و هو على تقدير انتفاعكم به عرض زائل ﴿ متاع الحيوٰة الدنيا ز ﴾ ثم يبقى عاره و خزيه بعد الموت ﴿ ثم الينا ﴾ أى خاصة ﴿ مرجعكم ﴾ بعد البعث ﴿ فننبئكم ﴾ على ما لنا من العظمة إنباء عظيما ﴿ بما كنتم ﴾ أى كونا هو كالجبلة ﴿ تعملون ﴾ و نجازيكم[1] عليه .

و لما كان السياق لإثبات البعث و تخويفهم به و كانوا ينكرونه و يعتقدون بقاء الدنيا و أنها إنما هى أرحام تدفع و أرض تبلع دائما بلا انقضاء [فهى دار يرضى بها فيطمأن إليها -[2]]، و للتنفير من البغى و التعزز بغير الحق، و كانت الأمثال أجلى لمحال الأشكال، قال تعالى ممثلا لمتاعها قاصرا أمرها على الفناء ردا عليهم فى اعتقاد دوامها من غير بعث : ﴿ انما ﴾ [فهو قصر قلب -[2]] ﴿ مثل الحيوٰة الدنيا ﴾ التى تتنافسون[3] فيها فى سرعة انقضائها و انقراض نعيمها بعد عظيم إقباله ﴿ كمآء انزلنٰه ﴾ [أى -[2]] بما لنا من العظمة ، [و حقق أمره و بينه بقوله -[2]] : ﴿ من السمآء ﴾ فشبهه بأمر النبات و أنه عما قليل يبلغ منتهاه فتصبح الأرض منه بلاقع بعد ذلك الاخضرار و الينوع، و فى ذلك إشارة إلى البعث و إلى أنه تعالى قادر على ضربه قبل[4] نهايته أو بعدها

(١) فى ظ : يجازيكم (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : يتنافسون (٤) فى ظ : بعد .

يبعض الآفات كما يوجد فى بعض السنين، فيقفرون منه و يفتقرون إليه، و فى ذلك تحذير عظيم ﴿فاختلط﴾ أى بسبب إنزالنا له ﴿به﴾ أى بسبب تليينه و لطافته ﴿نبات الارض﴾ عموما فى بطنها ﴿مما يأكل الناس﴾ أى كافة ﴿و الانعام﴾ من الحبوب و الثمار و البقول فظهر على وجهها ﴿حتى﴾ و لم يزل كذلك ينمو و يزيد فى الحسن و الجرم؛ و لما كان الخصب هو الأصل، عبر عنه بأداة التحقيق[1] فقال: / ٥٧٦ ﴿اذا﴾ و لما كانت بهجة النبات تابعة للخصب[2]، فكان الماء كأنه يعطيها إياها فتأخذه، قال: ﴿اخذت الارض﴾ [أى -[3]] التى لها أهلية النبات ﴿زخرفها و ازينت﴾ بأنواع ذلك النبات زينة منها الجلى و منها الخفى - بما يفهمه الإدغام ﴿و ظن اهلها﴾ أى ظنا مؤكدا جدا بما أفاده العدول عن [4] قدرتهم [4] إلى ﴿انهم قدرون﴾ أى ثابتة قدرتهم ﴿عليها﴾ باجتناء الثمرة من ذلك النبات و غاب عنهم لجهلهم علم العاقبة، فلما كان ذلك ﴿اتها امرنا﴾ [أى -[3]] الذى لا يرد [4] من البرد [4] أو الحر المفرطين ﴿ليلا او نهارا فجعلنها﴾ أى زرعها و زينتها بعظمتنا بسبب ذلك الأمر و تعقيبه[5] بالإهلاك ﴿حصيدا﴾ و عبر بما[6] أفهمه فعيل من المبالغة و الثبات بقوله: ﴿كأن﴾ أى كأنها ﴿لم تغن﴾ أى لم[7] تكن غانية أى ساكنة[8] حسنة غنية ذات وفر مطلوبة مرغوبا فيها أى زرعها و زينتها ﴿بالامس﴾ فكان

(١) فى ظ: التحقق (٢) فى ظ: للخشب (٣) زيد من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: يعقبه (٦) من ظ، و فى الأصل: عما (٧) سقط من ظ.
(٨) فى ظ: ماكنه.

حال

حال الدنيا فى سرعة انقضائها[1] و انقراض نعميها بعد عظيم إقباله كحال نبات الأرض فى جفافه و ذهابه حطاما بعد ما التف و زين الأرض بخضرته و ألوانه و بهجته .

و لما كان هذا المثل فى غاية المطابقة للساعة ، هز السامع له فازداد عجبه من حسن تفصيله بعد تأصيله فقيل جوابا له : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا التفصيل الباهر ﴿ نفصل ﴾ أى تفصيلا عظيما ﴿ الأيٰت لقوم ﴾ أى ناس أقوياء فيهم قوة المحاولة لما يريدون ﴿ يتفكرون ﴾ أى يجددون الفكر على وجه الاستمرار و المبالغة ؛ و المثل : قول سائر يشبه فيه[2] حال الثانى بالأول ؛ و الاختلاط : تداخل الأشياء بعضها فى بعض ؛ و الزخرف : حسن الألوان .

و لما قرر سبحانه هذه الآيات التى حذر فيها من أنواع الآفات ، و بين أن الدار التى [رضوا بها و اطمأنوا إليها دار المصائب و معدن الهلكات و المعاطب و أنها ظل زائل تحذيرا منها و تنفيرا عنها ، بين تعالى أن الدار التى -[3]] دعا إليها سالمة من كل نصب وهم و وصب ، ثابتة بلا زوال . فقال تعالى عاطفا على قوله "ان ربكم الله الذى خلق السمٰوٰت و الارض" ترغيبا فى الآخرة و حثا عليها : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ﴿ يدعوآ ﴾ أى يعلق دعاءه على سبيل التجدد و الاستمرار بالمدعوين ﴿ الى دار السلٰم ﴾ عن قتادة أنه سبحانه أضافها إلى اسمه تعظيما لها و ترغيبا فيها ، يعنى بأنها لا عطب فيها أصلا ، و السلامة فيها دائمة ،

---

(١) فى ظ : انقلابها (٢) سقط من ظ (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

و السلام فيها فاش من بعضهم على بعض و من الملائكة و غيرهم ؛ و الدعاء: طلب الفعل بما يقع لأجله ، و الدواعي إلى الفعل خلاف الصوارف عنه .
و لما أعلم - بالدعوة بالهداية بالبيان و أفهم ختمُ الآية بقوله:
﴿ و يهدى من يشآء ﴾ أى بما يخلق فى قلبه من الهداية
٥ ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ أن[1] من الناس من يهديه و منهم من يضله.
و أن الكل فاعلون لما يشاء - كان موضع أن يقال : هل هم واحد فى جزائه كما هم واحد فى الانقياد لمراده ؟ فقيل : لا ، بل هم فريقان :
﴿ للذين احسنوا ﴾ أى الأعمال فى الدنيا منهم و هم من هداه ﴿ الحسنىٰ ﴾
أى الخصلة التى هى فى غاية الحسن من الجزاء ﴿ و زيادة ﴾ [أى عظيمة -[2]]
١٠ من فضل الله فالناس : مريد خرجت هدايته من الجهاد " و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا[3] " ، و مراد خرجت هدايته من المشيئة ، فالدعوة إلى الجنة بالبيان عامة ، و الهداية إلى الصراط خاصة لأنها الطريق إلى المنعم .
و لما كان النعيم لا يتم إلا بالدوام بالأمن[4] من المضار قال :
١٥ ﴿ و لا يرهق ﴾ أى يغشى و يلحق ﴿ وجوههم قتر ﴾ أى غبرة كغبرة الموت وكربة[5] ، و هو تغير[6] فى الوجه معه[7] سواد و عبوسة تركبهما غلبة
﴿ و لا ذلة ﴾ أى كآبة و كسوف يظهر منه الانكسار و الهوان .
و لما كان هذا واضحا فى أنهم أهل السعادة ، وصل به قوله :

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : اى (٢) زيد من ظ (٣) سورة ٢٩ آية ٦٩ (٤) فى ظ : و الامن (٥) فى ظ : كبره (٦) من ظ ، و فى الأصل : تغيير (٧) فى ظ : مع .

﴿ اولٓـئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ اصحٰب الجنة ج ﴾ و لما كانت الصحبة جديرة بالملازمة ، صرح بها فى قوله : ﴿ هم ﴾ أى لا غيرهم ﴿ فيها ﴾ أى خاصة ﴿ خلدون ۝ ﴾ أى مقيمون لا يبرحون[1]، لأنهم لا يريدون ذلك لطيبها[2] و لا يراد بهم .

و لما بين حال الفضل فيمن أحسن ، بين حال العدل فيمن أساء[3] فقال : ﴿ و الذين كسبوا ﴾ أى منهم ﴿ السيئات ﴾ أى المحيطة بهم ﴿ جزآء سيئة م ﴾ أى منهم ﴿ بمثلها لا ﴾ بعدل الله من غير زيادة ﴿ و ترهقهم ذلة ط ﴾ [4]أى من[4] جملة جزائهم ، فكأنه[5] قيل : أ ما لهم انفكاك عن ذلك ؟ فقيل جوابا : ﴿ ما لهم من الله ﴾ أى الملك الأعظم ؛ و أغرق فى النفى فقال : ﴿ من عاصم ج ﴾ أى يمنعهم من شىء يريده بهم . /٥٧٧

و لما كان من المعلوم أن [6]ذلك مغير[6] لأحوالهم ، وصل به قوله : ﴿ كانمآ ﴾ و لما كان المكروه مطلق كونها بالمنظر السيئ ، بنى للمفعول قوله : ﴿ اغشيت وجوههم ﴾ أى أغشاها مغش لشدة سوادها لما هى فيه من السوء ﴿ قطعا ﴾ و لما كان القطع بوزن عنب مشتركا بين ظلمة آخر الليل و جمع القطعة من الشىء[7] ، بين و أكد فقال : ﴿ من اليل ﴾ أى هذا الجنس حال كونه ﴿ مظلما ط ﴾ و لما كان ذلك ظاهرا[8] فى أنهم أهل الشقاوة ، وصل به قوله : ﴿ اولٓـئك ﴾ أى البعداء

(١) زيد بعده فى ظ : اى (٢) من ظ ، و فى الأصل : لظميها - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : شاء (٤-٤) فى ظ : هى (٥) سقط من ظ (٦-٦) فى ظ : ذاله متغير (٧) من ظ . و فى الأصل : التى (٨) فى ظ : ظاهر .

البغضاء ﴿ اصحٰب النار ج ﴾ و لما كانت الصحبة الملازمة ، بينها بقوله : ﴿ هم فيها ﴾ [أى خاصة - ١] ﴿ خلدون ه ﴾ أى لا يمكنون من مفارقتها ؛ و الرهق : لحاق الأمر ، و منه : راهق الغلام - إذا لحق حال الرجال ؛ و القتر : الغبار ، و منه الإقتار فى الإنفاق لقلته ؛ و الذلة : صغر النفس بالإهانة ؛ و الكسب : الفعل لاجتلاب النفع إلى النفس أو٢ استدفاع الضر .

و لما بين سبحانه مآل الفريقين ، نبه على بعض مقدمات ذلك المانعة أن يشفع أحد من غير إذنه بقوله : ﴿ و يوم ﴾ أى و٣ فرقنا بينهم لأنه لا أنساب هناك و لا أسباب فلا تناصر يوم ﴿ نحشرهم ﴾ أى الفريقين : الناجين و الهالكين العابدين منهم و المعبودين حال كونهم ﴿ جميعا ﴾ ثم يقطع٤ ما بين المشركين و شركائهم فلا يشفع فيهم٣ شىء مما يعتقدون شفاعته و لا ينفعهم بنافعة ، بل يظهرون الخصومة و يبارزون٥ بالعداوة و هو ناظر إلى قوله تعالى " انه يبدؤ الخلق ثم يعيده " و إلى قوله " و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم و لا ينفعهم " و الحشر : الجمع بكره٦ من كل جانب إلى موقف واحد ؛ و أشار سبحانه إلى طول وقوفهم بقوله : ﴿ ثم نقول للذين اشركوا ﴾ أى بنا٧ من لم يشارك فى خلقهم ؛ و قوله : ﴿ مكانكم ﴾ نقل أبو حيان٨ عن النحويين أنهم جعلوه اسما لاثبتوا ، و رد

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ « و » (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : تقطع (٥) فى ظ : يبادرون (٦) من ظ ، و فى الأصل : بكثرة (٧) من ظ ، و فى الأصل : بما (٨) راجع البحر المحيط ٥ / ١٥١ و ١٥٢ .

على

على الزمخشرى تقديره بالزموا لأنه متعد[1] و يجب أن يساوى بين الاسم و المسمى فى التعدى و اللزوم، أى نقول لهم: قفوا وقوف الذل ﴿ انتم و شركآؤكم ج ﴾ حتى ينفذ فيكم أمرنا إظهارا لضعف معبوداتهم التى كانوا يترجونها و تحسيرا لهم، فلا يمكنهم[2] مخالفة ذلك.

و لما كان التقدير: فوقفوا موافقة للأمر على حسب الإرادة، عطف عليه مسببا عنه قوله: ﴿ فزيلنا ﴾ أى أزلنا إزالة كثيرة[3] مفرقة ما كان ﴿ بينهم ﴾ فى الدنيا من الوصلة و الألفة حتى صارت عداوة و نفرة فقال الكفار: ربنا هؤلاء الذين أضلونا، وكنا ندعو من دونك ﴿ و قال شركآؤهم ﴾ لهم متبرئين منهم بما خلق لهم سبحانه من النطق ﴿ ما كنتم ﴾ أى أيها المشركون، و أضاف الشركاء إليهم لأنهم هم الذين نصبوهم بغير أمر و لا دليل و لأنهم جعلوا لهم نصيبا من أموالهم ﴿ ايانا تعبدون ه ﴾ أى تخصوننا بالعبادة لأنا لا نستحق ذلك إشارة إلى أنه لا يعبد [4]إلا من يستحق الإخلاص فى ذلك بأن يعبد[4] وحده من غير شريك، و من لا يستحق ذلك لا يستحق مطلق العبادة و لا يصلح لها، و كل عبادة فيها شرك لا تعد أصلا و لا يرضى بها جماد لو نطق، فمتى[5] نفى المقيد بالخلوص نفى المطلق لأنه لا اعتداد به أصلا، و من المعلوم أن ما كان بهذه الصفة لا يقدم عليه أحد، فنحن نظن أنه لم يعبدنا عابد فضلا عن أن يخصنا بذلك، و الشخص يجوز له أن ينفى ما

(١) من ظ، و فى الأصل: يتعدد (٢) فى ظ: فلا تمكنهم (٣) فى ظ: كبيرة.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: حتى.

١يظن نفيه١ و نحن لم نعلم شيئا من ذلك .

و لما نفوا ذلك عطفوا عليه مسببين عنه قولهم : ﴿ فكفى بالله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿شهيدا ﴾ أى هو يكفينا كفاية عظيمة جدا من جهة الشهادة التى / لا غيبة فيها٢ بوجه و لا ميل أصلا ﴿بيننا و بينكم﴾ ٥٧٨/ فى ذلك يشهد لنا و علينا ؛ ثم استأنفوا خبرا يصحح نفيهم فقالوا مؤكدين لأنهم كانوا يعتقدون علمهم٣ : ﴿ ان ﴾ أى إنا ﴿ كنا ﴾ أى كونا هو جبلة لنا ﴿ عن عبادتكم ﴾ لنا أو لغيرنا مخلصة أو مشوبة ؛ و لما كانت ' إن ' هى المخففة من الثقيلة تلقيت باللام الفارقة بينها و بين النافية فقيل٤ : ﴿ لغفلين ﴾ ﴾ لأنه لا أرواح فينا ، فلم نكن بحيث نأمر بالعبادة و لا نرضاها فاللوم عليكم دوننا ، و ذلك افتداء من موقف الذل أو أنهم لما تخيلوا فى الشركاء صفات عبدوها لأجلها و كانت خالية عنها صح النفى لأنهم عبدوا ذوات موصوفة بصفات٥ لا وجود لها فى الأعيان ، و أيضا فانهم ما عبدوا إلا الشياطين التى كانت تزين لهم ذلك و تغويهم ، و يكون التقدير على ما دل عليه السياق : " فزيلنا بينهم " أى منعناهم مما كانوا فيه من التواصل و التواد المقتضى للتناصر بعبادة الأوثان ، فقال المشركون لشركائهم لما أبطأ عنهم٦ نصرهم : إنا كنا نعبدكم من دون الله فأغنوا عنا كما كنا نذب عنكم و ننصر دينكم " و قال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون "

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : نطق بفيه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : عليهم (٤) فى ظ : فقال (٥) من ظ ، و فى الأصل : و صفات (٦) فى ظ : عليهم .

أى كُشِف لنا اليوم بتفهيم الله أنه ليس الأمر كما زعمتم و أنكم لم تخصونا بالعبادة حتى[1] يلزمنا منعكم على أنكم لو[2] خصصتمونا ما قدرنا على ذلك كما قال الشيطان " ما انا بمصرخكم [و ما انتم بمصرخى" - [3]] " فكفى[4] "، أى فتسبب عن نفينا لذلك[5] على ما كشف لنا من العلم أن نقول : كفى "بالله شهيدا بيننا و بينكم " فى ذلك ، يشهد[6] أنكم لم تخصوا أحدا منه و منا بعبادة بل كنتم مذبذبين ، و هذا كله إشارة إلى أن العبادة المشوبة لا اعتداد بها و لا يرضاها جماد لو نطق ، و أن من استحق العبادة استحق الإخلاص فيها و أن لا يشرك به أحد[7] و أنه لا يستحق ذلك إلا القادر على كشف الكرب[8] و المنع من أن يقطع بينه و بين متوليه و عابده قاطع ؛ و لما كانت فائدة الشاهد ضبط ما قد ينساه المتشاهدان ، عللوا[9] اكتفاءهم بشهادة الله بقولهم : " ان كنا عن عبادتكم " فى تلك الأزمان " لغفلين " فأقروا لهم بما هو الحق مما كان يعلمه كل من له تأمل صحيح أنهم لم يشعروا بعبادتهم ساعة من الدهر قبل ساعتهم هذه ، فهم أجدر الخلق بالاكتفاء بشهادة الشهيد لأنهم أسوأ حالا ممن يعلم المشهود به و يخشى النسيان ، أو يقال : فقال[10] المشركون لشركائهم : إنا كنا نعبدكم فهل أنتم ناصرونا أو شافعون لنا فتجونا مما وقعنا فيه " و قال شركاؤهم

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : كما - كذا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ١٤ آية ٢٢ (٤) زيد بعده فى ظ : بالله (٥) فى ظ : ذلك (٦) فى ظ : تشهد (٧) فى ظ : احدا (٨) فى ظ : الكذب (٩) فى ظ : علل .
(١٠) من ظ ، و فى الأصل : فيقال .

ما كنتم ايانا » وحدنا " تعبدون " أى ما كنتم تخلصون لنا العبادة حتى يلزمنا أن نخلصكم كما أعلمنا بذلك الله ربنا و ربكم المحيط بكل شيء علما " فكفى " أى فتسبب عن ذلك أنه كفى " بالله شهيدا بيننا و بينكم " فى ذلك ، فكأن المشركين قالوا : قد تضمن كلامكم أنا عبدناكم على غير منهج الإخلاص ، أفليس قد عبدناكم ؟ أفلا تغنون عنا شيئا ؟ فأجاب الشركاء[1] بقولهم : " ان[2] كنا عن عبادتكم " خالصة كانت أو مشوبة " لغفلين " فلا نقر لكم بعبادة أصلا و إن تيقنا الإخلاص لسلب العلم عنا بما كنا فيه من الجمادية فضلا عن أن نأمركم أو نرضى بعبادتكم على أنه لا غناء عندنا على تقدير من التقادير ؛ أو يقال - و هو أحسن مما مضى - : " و قال شركاؤهم " لما تحققوا العذاب طلبا لأن يخفف عنهم منه بتوزيعه عليهم و على كل من عبدوه من غيرهم " ما كنتم " أيها العابدون لنا " ايانا " أى خاصة " تعبدون " بل [3]كنتم تعبدون[3] أيضا غيرنا ، و هذا يعم[4] و الله كل من يرائيه غيره بعمل و هو يعلم أنه يرائيه فيقره[5] و لا ينكره عليه ؛ و لما أفهموا بنفى العبادة بقيد الخصوص أنهم كانوا يعبدون معهم غيرهم ، و كان المخلوق قاصر العلم [3]غير محيطه بوجه بأحوال نفسه فكيف / بأحوال[3] غيره ، سببوا عن ذلك قولهم : ٥٧٩/ " فكفى بالله شهيدا بيننا و بينكم ان " أى فى أنا " كنا عن عبادتكم " أى فى الجملة " لغفلين " و الحاصل أن هذا ترجمة كلام الكفار و هو ناشئ منهم عن محض غلبة و دهش و فرط غم و ندم و قلق ،

---

(١) فى ظ : شركاه (٢) فى ظ : انا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : نعم (٥) فى ظ : فيقروه .

فلا

فلا يشترط أن يكون معناه على[1] الوجه الأسدّ و الطريق الأبلغ ، فالإعجاز في نظمه ، و مرادهم به أن يخفف عنهم من العذاب و لو بمشاركة من كانوا يعبدونهم معهم ، فهو من وادى قوله تعالى " فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء[2] "، " فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار[3] "، " فاٰتهم عذابا ضعفا من النار[4] " ونحوه " فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب[5] " - و الله أعلم .

و لما أخبر عن حال المشركين ، تشوفت النفس إلى الاطلاع على حال غيرهم فقال مستأنفا مخبرا عن كلا الفريقين : ﴿ هنالك ﴾ أى فى ذلك الموقف من المكان و الزمان العظيم الأهوال المتوالى الزلزال[6] ﴿ تبلوا ﴾ أى تخبر و تخالط مخالطة مميلة محيلة ﴿ كل نفس ﴾ طائعة و عاصية ﴿ مآ اسلفت ﴾ أى قدمت من العمل فيعرف[7] هل كان خيرا أو شرا و هل [كان -[8]] يؤدى إلى سعادة أو شقاوة .

و لما كان مطلق الرد - و هو صرف الشيء إلى الموضع الذى ابتدأ منه - كافيا فى الرهبة لمن له لب ، بنى للمفعول قوله : ﴿ و ردوآ ﴾ أى بالبعث بالإحياء كما كانوا أولا ﴿ الى الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ مولٰهم الحق ﴾ فلم يكن لهم قدرة على قصد غيره و لا الالتفات إلى سواه من تلك الأباطيل ، بل انقطع رجاءهم من كل ما كانوا يدعونه

(١) تكرر فى ظ (٢) سورة ١٤ آية ٢١ (٣) سورة ٤٠ آية ٤٧ (٤) سورة ٧ آية ٣٨ (٥) سورة ٧ آية ٣٩ (٦) فى ظ : الزلازل (٧) فى ظ : فتعرف (٨) زيد من ظ .

فى الدنيا، و هو المراد بقوله: ﴿ و ضل عنهـــم ﴾ أى بطل و ذهب و ضاع[1] ﴿ ما كانوا ﴾ أى كونا هو جبلة لهم ﴿ يفترون ﴾ أى يتعمدون كذبه من أن معبوداتهم شركاء، و تيقنوا فى ذلك المقام أن توليهم لغير الله كان باطلا غير حق ؛ و التزييل[2]: تفريق يزول به كل واحد عن مكانه، و هو من تفريق الجثث، و ليس من الواوى، بل من اليائى، يقال: زلته عن الشيء أزيله - إذا فرقت بينه و بينه ؛ و الكفاية: بلوغ مقدار الحاجة فى دفع الأذية أو حصول المنفعة ؛ و الإسلاف: تقديم أمر لما بعده ؛ و الرد: الذهاب إلى الشيء بعد الذهاب عنه كالرجع ؛ و المولى: من يملك تولى أمر مولاه .

و لما قدم سبحانه أن شركاءهم مربوبون مقهورون، لا قدرة لهم إلا على ما يقدرهم الله عليه، و أنه وحده المولى الحق، و بانت بذلك فضائحهم، أتبعه ذكر الدلائل على فساد مذهبهم، فوبخهم بأن وجه السؤال إليهم عما هم معترفون بأنه مختص به و يدل قطعا على تفرده بجميع الأمر الموجب من غير وقفة لاعتقاد تفرده بالإلهية فقال: ﴿ قل ﴾ [أى يا أكرم خلقنا و أرفقهم بالعباد - [3]] ﴿ من يرزقكم ﴾ [أى يجلب لكم الخيرات - [3]] أيها المنكرون للبعث المدعون للشركة ﴿ من السمآء ﴾ [أى - [3]] بالمطر و غيره من المنافع ﴿ و الارض ﴾ بالنبات و غيره لتعيشوا ﴿ امّن يملك السمع ﴾ [أى - [3]] الذى تسمعون به الآيات، و وحده للتساوى[4] فيه فى[5] الغالب

---

(١) من ظ، و فى الأصل: ضل (٢) فى ظ: الترتيل (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: لما تساوى (٥) من ظ، و فى الأصل: من .

﴿ و الابصار ﴾ التى تبصرون بها ما أنعم عليكم به فى خلقها[1] ثم حفظها فى المدد الطوال على كثرة الآفات فيفيضها عليكم لتكمل حياتكم الحسية ببقاء الروح ، و المعنوية بوجود العلم ؛ روى عن على رضى الله عنه أنه[2] قال : سبحان من بصر بشحم ، و أسمع بعظم ، و أنطق بلحم .

فلما سألهم عن أوضح ما هم فيه و أقربه ، نبههم على ما قبله من بدء الخلق فقال : ﴿ و من يخرج الحى ﴾ من الحيوان و النبات ﴿ من الميت ﴾ أى من النطفة و نحوها ﴿ و يخرج الميت ﴾ أى [من -[3]] النطفة و نحوها مما لا ينمو ﴿ من الحى ﴾ [أى فينقل من النقص إلى الكمال - [3]] ؛ ثم عم فقال : ﴿ و من يدبر الامر[4] ﴾ أى كله[4] التدبيرَ العام[5] .

و لما كانوا مقرين بالرزق و ما معه من الخلق و التدبير ، أخبر عن جوابهم إذا سئلوا عنه بقوله : ﴿ فسيقولون الله ج ﴾ أى مسمى هذا الاسم الذى له الكمال كله بالحياة و القيومية بخلاف ما سيأتى من الإعادة و الهداية ﴿ فقل ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنا نقول / لك : قل لهم مسببا عن جوابهم هذا الإنكار عليهم فى عدم التقوى : ﴿ ا فلا تتقون[6] ۝ ﴾ أى تجعلون وقاية بينكم و بين عقابه على اعترافكم بتوحده فى ربوبيته و إشراككم غيره فى إلهيته ؛ ثم علل إنكار عدم تقواهم بقوله : ﴿ فذلكم ﴾ أى العظيم الشأن ﴿ الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ، فكانت هذه قدرته و أفعاله ﴿ ربكم ﴾ أى الموجد[7] لكم المدبر لأموركم الذى لا إحسان

/ ٥٨٠

(١) فى ظ : حقها (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) زيد بعده فى ظ : الكلمة.
(٥) فى ظ : العالم (٦) فى ظ : فلا يتقون (٧) من ظ ، وفى الأصل : الواحد.

عندكم لغيره ﴿ الحق ج ﴾ أى الثابتة ربوبيته ثباتا لا ريب فيه [لاجتماع الصفات الماضية له لا لغيره لأنه لا تكون الربوبية حقيقة لمن لم تجتمع له تلك الصفات - ١] ﴿ فما ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن يقال لكم : ما ﴿ذا بعد الحق﴾ أى الذى له أكمل الثبات ﴿الا الضلٰل ج صلے﴾ فانه لا واسطة بينهما - بما أنبا عنه إسقاط الجار ، ولا يعدل عاقل عن الحق إلى الضلال فانى تصرفون أنتم عن الحق إلى الضلال ؛ و لذلك سبب عنه قوله : ﴿ فانى ﴾ أى فكيف و من أىّ جهة ﴿تصرفون ه ﴾ [أى - ١] أنتم من صارف ما كائنا ما كان ، عن الحق إلى٢ الضلال .

و لما كانوا جديرين عند تقريرهم بهذه الآية و إقرارهم بمضمونها بأن يقولوا : سلمنا فأسلمنا و لا نصرف عن الحق أبدا ، فلم يقولوا ، كانوا حقيقين بأن يقال [لهم - ١] : حقت عليكم كلمة الله لفسقكم و زوغانكم عن الحق ، فقيل : هل خصوا بذلك ؟ فقيل: بل ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك الحقوق العظيم ﴿ حقت كلمت ربك ﴾ أى المحسن إليك باهلاك أعدائك : الكلمة الواحدة النافذة التى لا تردد فيها ، و معنى الجمع فى قراءة نافع و ابن عامر أنه لا شىء من كلماته يناقض الكلمة التى أوجبت عذابهم ، بل كلها توافقها فالمراد واحد ، أو يكون ذلك كناية عن أن عذابهم دائم فان كلماته لا تنفد ﴿ على ﴾ كل ﴿ الذين ﴾ فعلوا فعلهم لأنهم ﴿ فسقوآ ﴾ أى أوقعوا٣ [الترك لأمر الله و أوجدوا عصيانه و فعلوا الخروج عن طريق الحق و - ١] الخروج عن دائرة الصلاح ، [و هو كونهم أمة واحدة إلى دين أبيهم آدم صلى الله عليه السلام - ١] ؛

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الا (٣) من ظ ، و فى الأصل : ايقعوا - كذا .

ثم

ثم علل ذلك الحقوق بقوله : ﴿ انهم لا يؤمنون ۝ ﴾ أى لا يتجدد[1] منهم إيمان أصلا ، [و عبر بالفسق المراد به الكفر لأن السياق للخروج عن دائرة الدين الحق فى قوله " و ما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا " و هذا المعنى أحق بالتعبير للفسق الذى أصله الخروج عن محيط فى قولهم : فسقت الرطبة عن قشرها - أى خرجت -[2]] ، أو[3] يكون المعنى : حقت الربوبية له سبحانه بهذا الدليل ، و هو فعل هذه الأمور المختصة بالتدبير المقتضى للوحدانية [له سبحانه -[2]] قطعا لأنه لو كان قادر يساويه فى مقدوره لأمكن أن يمانعه ، و بطل أن يكون قادرا ، و[4] حق أن[5] من زاغ عن الحق كان فى الضلال كما حق هذا " كذلك حقت " [أى ثبتت ثباتا عظيما -[2]] " كلمت ربك على " كل " الذين " قضى بفسقهم منهم ، [و -[2]] " انهم لا يؤمنون " تفسير الكلمة التى حقت ؛ و الرزق : جعل العطاء الجارى .

و لما علم أنهم معترفون بأمر الهداية و ما يتبعها من الرزق و التدبير[6] أعاد سبحانه السؤال عنها مقرونة بالإعادة تنبيها لهم على ما يتعارفونه من أن الإعادة أهون ، فانكارها مع ذلك إما جمود أو عناد[7] ، و إنكار المسلمات كلها هكذا . و سوقه على طريق الاستفهام [أبلغ و أوقع فى القلب -[2]] ، فقال : ﴿ قل ﴾ [أى -[2]] على سبيل الإنكار عليهم

(1) فى ظ : لا يجدد (2) زيد من ظ (3) من ظ ، و فى الأصل «و» (4) من ظ ، و فى الأصل : او (5) سقط من ظ (6) زيدت الواو بعده فى ظ (7) من ظ ، و فى الأصل : عادة .

و التوبيخ لهم ﴿هل من شركآئكم﴾ [أى - [1]] الذين زعمتموهم [2]شركاء لى[2] و أشركتموهم فى أموالكم من أنعامكم و زروعكم[3] ﴿من يبدؤا الخلق﴾ كما بدأته ليصح لهم ما ادعيتم من الشركة[4] ﴿ثم يعيده﴾ .

و لما كان الجواب قطعا من غير توقف : ليس فيهم من يفعل شيئا من ذلك ، وكان لجاجهم فى إنكار الإعادة و عنادهم لا يدعهم أن يجيبوا بالحق ، أمره بجوابهم بقوله : ﴿ قل الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ يبدؤا الخلق ﴾ أى مهما أراد ﴿ثم يعيده﴾ و أتى هنا بجزئى الاستفهام وكذا ما يأتى فى السؤال عن الهداية تأكيدا للأمر بخلاف ما اعترفوا به ، فانه اكتفى فيه بأحد الجزءين فى قوله " فسيقولون الله " و لم يقل : يرزقنا - إلى آخره ؛ ثم زاد فى تبكيتهم على عدم الإذعان لذلك بالتعجيب منهم فى قوله : ﴿ فانى تؤفكون ﴾ أى كيف و من أىّ جهة تصرفون بأقبح الكذب عن وجه الصواب من صارف ما ، و قد استنارت جميع الجهات ، و رتب هذه الجمل أحسن ترتيب ، و ذلك أنه[5] سألهم أولا عن سبب دوام حياتهم و كمالها بالرزق و السمع و البصر و عن بدء[6] الخلق فى إخراج الحى من الميت و ما بعده ، وكل ذلك تنبيها على النظر فى أحوال أنفسهم مرتبا على الأوضح[7] [فالأوضح ، فلما اعترفوا به كله أعاد السؤال عن بدء الخلق ليقرن به الإعادة - [1]] تنبيها على أنهما بالنسبة إلى قدرته على حد سواء ، فلما فرغ [8]مما يتعلق بأحوال[8]

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ : شركائى (٣) من ظ ، و فى الأصل : ازراعكم .
(٤) فى ظ : الشرك (٥) فى ظ : لانه (٦) من ظ ، و فى الأصل : مبدا (٧) من ظ ، و فى الأصل : الاصح (٨-٨) فى ظ : من احوال .

الجسد أمره أن يسألهم عن غـاية ذلك ، و المقصود منه من أحوال الروح فى الهداية التى فى سبب السعادة إمعانا فى الاستـدلال بالمصنوع على الصانع على وجه مشير إلى التفضيل فقال : ﴿ قل ﴾ [أى -[1]] ياأفهم العباد و أعرفهم بالمعبود ﴿ هل من شركـآئكم ﴾ أى الذين زعمتم أنهم شركاء لله ، فلم تـكن شركتهم إلا لـكم لأنـكم جعلتم لهم حظا من أموالـكم و أولادكم ﴿ من يهدىٓ ﴾ أى بالبيان أو[2] التوفيق و لو بعد حين ﴿ الى الحقّ ﴾ [فضلا عن أن يهدى للحق على أقرب ما يكون من الوجود إعلاما -[1]] .

و لما كانوا جاهلين بالجواب الحق فى ذلك أو معاندين ، أمره أن يجيبهم معرضا عن انتظار جوابهم آتيا بجزئى[3] الاستفهام أيضا فقال : ﴿ قل الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ يهدى ﴾ و لما كان قادرا على غاية الإسراع ، عبر باللام فقال: ﴿ للحقّ ﴾ [إن أراد ، و يهدى إلى الحق من يشاء -[1]] ، لا أحد ممن زعموهم شركاء . فالاشتغال بشىء منها بعبادة أو غيرها جهل محض و اختلال[4] فى المزاج كبير ، [فالآية من الاحتباك : ذكر " الى الحق " أولا دليلا على حذفه ثانيا ، و « للحق » ثانيا دليلا على حذفه أولا -[1]] ، فتسبب عن ذلك إنكار اتباعهم لهم فقال : ﴿ افمن يهدىٓ ﴾ أى منتهيا فى هداه و لو على بعد ﴿ الى الحق ﴾ أى الكامل الذى لا زيغ فيه بوجه [و لو عـلى أبعد الوجوه -[1]]

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ « و » (٣) من ظ ، و فى الأصل : بجزى (٤) من ظ ، و فى الأصل : اختلاف .

﴿ احق ان يتبع ﴾ أى بغاية الجهد ﴿ ام من لا يهدىٓ ﴾ أى يهتدى فضلا عن أن يهدى غيره إلى[١] شيء من الأشياء أصلا و رأسا ؛ و إدغام تاء الافتعال للايماء إلى انتفاء جميع أسباب الهداية حتى أدانيها ، فان التاء عند أرباب القلوب معناها انتهاء التسبب إلى أدناه ﴿ الآ ان يهدى ج ﴾ أى يهديه هاد غيره كائنا من كان ، و هذا يعم كل ما عبد من دون الله ممن يعقل و ممن لا يعقل ؛ فلما أتم ذلك على هذا النهج[٢] القويم ، كان كأنه قيل : أتجيبون أم تسكتون؟ و إذا أجبتم أ تؤثرون الحق فترجعوا عن الضلال أم تعاندون ، تسبب[٣] عن ذلك سؤالهم على وجه التوبيخ بقوله : ﴿ فما ﴾ أى أىّ شيء ثبت ﴿ لكم قف ﴾ فى فعل غير الحق من كلام أو سكوت ؛ ثم استأنف تبكيتا آخر فقال : ﴿ كيف تحكمون ه ﴾ فيما سألناكم عنه مما لا ينبغى أن يخفى على عاقل ، أ[٤] بالباطل أم بالحق ؟ فقد تبين الرشد من الغى ؛ و البدء : الفعل الأول ؛ و الإعادة : إيجاد الشيء ثانيا ؛ و الهداية : التعريف بطريق الرشد من الغى .

و لما أخبر باقرارهم عن بعض ما يسألون عنه ثم عقبه[٥] بما لوح إلى إنكارهم أو سكوتهم عن بعضه مما يتعلق بشركائهم ، عطف على ما صرح به من قولهم "فسيقولون" و ما لوح إليه من 'فسينكرون' أو 'فسيسكتون' قوله[٦] : ﴿ و ما يتبع ﴾ أى بغاية الجهد ﴿ اكثرهم ﴾ أى فى[٧] نطقه أو سكوته فى عبادته للأصنام و قوله : إنها شفعاء ، و غير ذلك

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا (٢) فى ظ : المنهج (٣) فى ظ : فسبب (٤) فى ظ : اما (٥) فى ظ : عقب (٦) من ظ ، و فى الأصل : بقوله (٧) فى ظ : من .

﴿ الا ظنا ﴾ تنبيها على أنهم إنما هم مقلدون و تابعون للأهواء .

و لما كان الظن لا ينكر استعماله فى الشرائع ، نبه على أن محله إنما هو حيث لا يوجد نص على المقصود ، فيقاس حينئذ على النصوص بطريقه ، و أما إذا وجد القاطع فى حكم فانه لا يجوز العدول عنه[1] بوجه من الوجوه فقال تعالى فى جواب من يقول: أو ليس الظن مستعملا فى كثير من الأحكام؟ : ﴿ان الظن لا يغنى﴾ أى أصلا ﴿من الحق﴾ أى الكامل ﴿شيئا ﴾ أى بدله ، و لا يكون بدل الحق إلا إذا كان تابعه مخالفا فيه لقاطع يعلمه .

و لما صار ظهور الفرق ضروريا . أوقع تهديد المتمادى فى غيه فى جواب من كأنه قال : إن ذلك غير خفى عنهم و لكنهم يستكبرون فلا يرجعون ، فقال : ﴿ان الله﴾ أى المحيط بكل شىء ﴿عليم﴾ أى بالغ العلم ﴿بما يفعلون ﴾ فاصبر فلسوف يعلمون .

و لما قدم فى هذه السورة قولهم " لولا انزل عليه اية من ربه " و أتى فيها ردا عليهم و وعظا لهم من الآيات البالغة فى الحكمة جدا يتجاوز قوى البشر و يضمحل[2] دونه من الخلق القدر . و كان آخر ذلك التنبيه على أن[3] شركاءهم لا يهتدون إلا أن[4] هداهم الهادى فضلا عن أن يهدوا ، و إقامة الدليل على أن مذاهبهم ليست مستندة إلى علم بل هى[3] تابعة للهوى ، أتبع ذلك دليلا قطعيا فى أمر القرآن من أنه لا يصح / أصلا أن يؤتى به من دون[5] أمره سبحانه ردا لقولهم : إنه مفترى ، لأنه / ٥٨٢

(١) فى ظ : به (٢) فى ظ : تضمحل (٣) سقط من ظ (٤) فى الأصل و ظ : عن .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : دونه .

من وادي ما ختم به هذه الآيات من اتباعهم للظنون لأنه لا سند لهم في ذلك بل ولا شبهة أصلا، وإنما هو مجرد هوى بل وأكثرهم عالم بالحق في أمره، فنفى ذلك بما يزيح الظنون ويدمغ الخصوم ولا يدع شبهة لمفتون، وأثبت أنه هو [الآية الكبرى و - [1]] الحقيق بالاتباع لأنه هدى، فقال تعالى: ﴿وما كان﴾ عاطفا له على قوله "ما يكون لي إن ابدله" - إلى آخره، فهو حينئذ مقول القول، أي قل لهم ذلك الكلام وقل لهم "ما كان" أي قط بوجه من الوجوه، وعينه تعيينا لا يمكن معه لبس، فقال: ﴿هذا القرآن﴾ أي الجامع لكل خير مع[2] التأدية بأساليب الحكمة المعجزة لجميع الخلق ﴿ان يفترى﴾ [أي - [1]] أن[3] يقع[4] في وقت[5] من الأوقات [تعمد نسبته كذبا إلى الله - [1]] من أحد من الخلق كائنا من كان؛ وعرف بتضاؤل رتبتهم دون شامخ رتبته سبحانه بقوله: ﴿من دون الله﴾ أي الذي تقرر أنه يدبر الأمر كله، فما من شفيع إلا من بعد إذنه وما يعزب عنه شيء فسبحان المتفضل على عباده بإيضاح الحجج وإزالة الشكوك والدعاء إلى سبيل الرشاد مع غناه عنهم وقدرته عليهم؛ والافتراء: الإخبار على القطع بالكذب، لأنه من فرى الأديم وهو قطعه بعد تقديره.

ولما كان إتيان الأمي - الذي لم[6] يجالس عالما - بالأخبار والقصص الماضية على التحرير دليلا قطعيا على صدق الآتي في ادعائه أنه لا معلم

(١) زيد من ظ (٢) في ظ: من (٣) سقط من ظ (٤) زيد بعده في الأصل: تعمد كذبه، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٥) من ظ، وفي الأصل: وقتين (٦) في ظ: لا.

له إلا الله ، عبر بأداة[1] العناد فقال : ﴿ و لـكن ﴾ أى كان[2] كونا لا يجوز غيره ﴿ تصديق الذى ﴾ أى[2] تقدم ﴿ بين يديه ﴾ أى قبله من الكتب ، و الدليل على تصادقه شاهد الوجود مع أن القوم كانوا فى غاية العداوة له صلى الله عليه و سلم و كان أهل الكتابين عندهم فى جزيرة العرب على غاية القرب منهم مع أنهم كانوا يتجرون إلى بلاد الشام [و هم - [3]] متمكنون من السؤال عن كل ما يأتى به ، فلو وجدوا مغمزا ما لقدحوا به ، فدل عدم قدحهم على التصادق قطعا .

و لما كان ذلك سلطانا قاهرا على صدقه صلى الله عليه و سلم ، زاده ظهورا بما اشتمل الكتاب الآتى به عليه من التفصيل الذى هو نهاية العلم فقال : ﴿ و تفصيل الكتب ﴾ أى الجامع المجموع فيه الحكم و الأحكام و جوامع الكلام من جميع الكتب السماوية فى بيان مجملاتها و إيضاح مشكلاتها ، فهو ناظر إلى قوله " افمن يهدى الى الحق " - الآية ، فهو برهان على أنه هو الهادى وحده ، فهو الحقيق بالاتباع و التفصيل بتبيين الفصل بين المعانى الملتبسة حتى تظهر كل معنى على حقه ، و نظيره التقسيم ، و نقيضه التخليط و التلبيس ، و بيان تفصيله أنه أتى من العلوم العلمية الاعتقادية من معرفة الذات و الصفات بأقسامها ، و العملية التكليفية المتعلقة بالظاهر و هى علم الفقه و علم الباطن و رياضة النفوس بما لا مزيد عليه و لا يدانيه فيه كتاب[2] ، و علم الأخلاق كثير فى القرآن مثل

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : بارادة (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ .

" خذ العفو[1] " - الآية " ان الله يامر بالعدل [2] " - الآية و أمثالها[3] .

و لما كان - مع الشهادة لنفسه بالصدق بتصديق ما ثبت[4] حقيقة - معجزا بالجمع و التفصيل لجميع[5] العلوم [الشريفة - [6]] : عقليها و نقليها إعجازا لم يثبت لغيره ، ثبت أنه مناقض للافتراء حال كونه ﴿لا ريب فيه﴾ وأنه ﴿من رب العٰلمين قف﴾ أى موجدهم ومدبر أمرهم و المحسن إليهم لأنه - مع[7] الجمع لجميع ذلك - لا اختلاف فيه بوجه ، و ذلك خارج عن طوق البشر .

و لما كان هذا موضع أن يذعنوا لأن هذا القرآن ليس إلا من عند الله و بأمره قطعا ، كان كأنه قيل : أرجعوا عن غيهم فآمنوا و استقاموا ﴿ ام ﴾ استمروا على ضلالهم ﴿ يقولون ﴾ على سبيل التجديد والاستمرار عنادا ﴿ افترٰىه ط ﴾ [أى تعمد نسبته كذبا إلى الله - [6]] ، فكأنه قيل ، تمادوا على عتوهم فقالوا ذلك فكانوا كالباحث عن حتفه بظلفه ، لأنهم أصلوا أصلا فاسدا لزم عليه / قطعا إمكان أن يأتوا بمثله /٥٨٣ لأنهم عرب مثله ، بل منهم من قرأ و كتب[8] و خالط العلماء و اشتد اعتناءه بأنواع البلاغة من النظم و النثر و الخطب و تمرنه فيها بخلافه صلى الله عليه و سلم فى جميع ذلك ، فلهذا أمره فى جوابهم بقوله : ﴿ قل ﴾ أى لهم يا أبلغ خلقنا و أعرفهم بمواقع[9] الكلام لجميع أنواعه ، أتى بالفاء

(١) سورة ٧ آية ١٩٩ (٢) سورة ١٦ آية ٩٠ (٣) فى ظ : امثالها (٤) من ظ ، و فى الأصل : ثبتت (٥) من ظ ، و فى الأصل : لجموع (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : من (٨) من ظ ، و فى الأصل : يكتب (٩) من ظ ، و فى الأصل: بموقع .

السببية فى قوله : ﴿ فاتوا ﴾ أى أتم تصديقا لقولكم هذا الذى تبين و أنكم فيه[1] معاندون ؛ و لما كانوا قد جزموا فى هذه السورة بأنه افتراه ، وكان مفصلا إلى سور كل واحدة[2] منها لها مقصد معين يستدل فيها عليه ، و تكون خاتمتها مرتبطة بفاتحتها متحدة بها ، اكتفى فى تحديهم بالإتيان بقطعة واحدة غير مفصلة إلى مثل سورة لكن تكون مثل جميع القرآن فى الطول و البيان و انتظام العبارة و التئام المعانى فلذلك قال[3] : ﴿ بسورة ﴾ قال الرمانى: و السورة منزلة محيطة بآيات من أجل الفاتحة والخاتمة كاحاطة سور البناء ، و هذا نظرا إلى أن المتحدى به سورة اصطلاحية[4] و الصواب أنها لغوية ، و هى - كما قال الحرالى - تمام جملة من المسموع تحيط بمعنى تام بمنزلة إحاطة السور بالمدينة ؛ و وصفها بقوله -: ﴿ مثله ﴾ أى فى البلاغة و حسن النظم و صحة المعانى و مصادقة الكتب و تفصيل العلوم لأنكم مثلى فى العربية و تزيدون بالكتابة و مخالطة العلماء - من غير إتيان بـ" من " لما [5]تقدم من أن المراد كونها[5] مثل القرآن كله ، و لذلك وسع لهم فى الاستعانة بجميع من قدروا عليه و وصلت طاقتهم إليه ولم يقصرهم على من بحضرتهم فقال : ﴿ و ادعوا ﴾ أى لمعاونتكم ﴿ من استطعتم ﴾ أى قدرتم على طاعته و لو ببذل الجهد من الجن و الإنس و غيرهم للمعاونة[1] ، و حقق أن هذا القرآن من عنده سبحانه

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : سورة (٣) زيد بعده فى الأصل : فاتوا انتم تصديقا لقولكم ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ : اصلاحية (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين فى ظ .

باستثنائه فى قوله : ﴿من دون الله﴾ أى الذى له الكمال كله ، و نبه على أنهم متعمدون لما نسبوه إليه - و حاشاه من تعمد الكذب - و أنهم معاندون بقوله : ﴿ ان كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ صٰدقين ۝ ﴾ أى فى [١]أنه أتى[١] به من عنده ، لأن العاقل لا يجزم بشيء إلا إذا كان عنده منه مخرج ، و ذلك لا يكون إلا عن دليل ظاهر و سلطان قاهر باهر ، و قد مضى فى البقرة و يأتى فى هود إن شاء الله تعالى ما يوضح هذا المعنى ؛ و الاستطاعة : حالة تتطاوع بها الجوارح و القوى للفعل لأنه مأخوذ من الطوع ؛ ثم كان كأنه قيل : فقال لهم ذلك فلم يأتوا لقولهم بشبهة توجب شكا فضلا عن مصدق ، لأنه معجز لكونه كلاما فى أعلى طبقات البلاغة بحسن النظام و الجزالة منزلا من عند الله المحيط علما و قدرة ، فهو مشتمل من كل معنى على ما علا كل العلو عن مدانٍ ﴿بل﴾ . و أحسن من ذلك أنه لما أقام الدليل على أن القرآن كلامه ، وكان الدليل إنما من شأنه أن يقام على من عرض له غلط أو شبهة ، وكان قولهم " افترىٰه " لا عن شبهة و إنما هو مجرد عناد ، نبه سبحانه على ذلك و على أنه إنما أقام الدليل لإظهار عنادهم لا لأن عندهم شبهة فى كونه حقا بالإضراب عن قولهم فقال : " بل " أى لم يقولوا " افترىٰه " عن اعتقاد منهم لذلك بل ﴿ كذبوا ﴾ أى أوقعوا التكذيب الذى لا تكذيب أشنع منه مسرعين[٢] فى ذلك من غير أن يتفهموه مستهينين ﴿ بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ أى فى نظمه أو معناه من غير شبهة أصلا بل

(١-١) فى ظ :انى اتيت (٢) من ظ ، و فى الأصل : مسترعين .

عنادا و طغيانا و نفورا مما يخالف دينهم و شرادا ، فهو من باب « من جهل شيئا عاداه » و الإحاطة : إرادة[1] ما هو كالحائط حول الشيء ، فاحاطة العلم بالشيء العلم به من جميع وجوهه .

و لما كان لا بد من وقوع تأويله ، و هو إتيان ما فيه من الإخبار بالمغيبات على ما هي عليه ، قال : ﴿ و لما ياتهم ﴾ أى إلى زمن تكذيبهم ﴿ تاويله ﴾ أى ترجيعنا لأخباره إلى مراجعها و غاياتها حتى يعلموا أصدق هى أم كذب ، فانه معجز من جهة نظمه و من جهة / صدقه فى / ٥٨٤ أخباره ؛ و التأويل : المعنى الذى يؤل إليه التفسير ، و هو منتهى التصريح من التضمين .

و لما كان كأنه قيل : إن فعلهم هذا لعجب ، فما حملهم على التمادى فيه ؟ فقيل : تبعوا فى ذلك من قبلهم لموافقتهم فى سوء الطبع ، قال مهددا لهم و مسليا له صلى الله عليه و سلم : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل تكذيبهم هذا التكذيب العظيم فى الشناعة قبل تدبير المعجز ﴿ كذب الذين ﴾ و لما كان المكذبون بعض السالفين ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلهم ﴾ أى من كفار الأمم الخالية فظلموا فأهلكناهم بظلمهم ؛ و لما كان التكذيب خطرا لما يثير من السرور ، سبب عنه - تحذيرا منه - النظر فى عاقبة أمره[2] فقال : ﴿ فانظر ﴾ أى بعينك ديارهم و بقلبك أخبارهم .

و لما كان من نظر هذا النظر وجد فيه أجل معتبر و أعلى مزدجر ، وجه السؤال إليه بقوله : ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ الظلمين ۝ ﴾

---

(١) فى ظ : ادارة (٢) سقط من ظ .

أي الذين رسخت أقدامهم في وضع الأشياء في غير مواضعها حتى كذبوا من لا يجوز عليه الكذب بوجه ، و من المقطوع به أن هذا المسؤل يقول من غير تلعثم و لا تردد : عاقبة وخيمة قاصمة ذميمة ؛ و العاقبة سبب تؤدي إليه البادئة ، فالذي أدى إلى هلاكهم بعذاب الاستئصال ما تقدم من ظلمهم لأنفسهم و عتوهم في كفرهم .

و لما ذكر سبحانه تكذيبهم ، كان ذلك ربما أياس من إذعانهم و تصديقهم ، و آذن باستئصالهم لتكمل المشابهة للأولين ، و كان صلى الله عليه و سلم شديد الشفقة عليهم و الحرص على إيمانهم ، فأتبعه تعالى بقوله بيانا لأن علمه بانقسامهم أوجب عدم استئصالهم [عاطفا على "كذبوا"-[١]] : ﴿ و منهم ﴾ أي قومك ﴿ من يؤمن به ﴾ أي في المستقبل ﴿ و منهم من لا يؤمن به ﴾ أي القرآن أصلا و لو رأى كل آية ﴿ و ربك ﴾ أي المحسن إليك بالرفق بأمتك ﴿ اعلم بالمفسدين ع ﴾ أي الذين هم عريقون في الإفساد ، فيعاملهم بما يشفي صدرك .

و لما قسمتهم هذه الآية قسمين ، و تليت بذكر القسم الثاني بالواو[٢] ، عرف أنه معطوف على مطوى القسم الأول ، فكان كأنه قيل : فان صدقوك فقل : الله ولي هدايتكم و لي [مثل - [١]] أجوركم بنسبتي فيها فضلا من ربي : ﴿ [٣]و ان[٣] كذبوك فقل ﴾ [أي - [١]] قول منصف معتمد على قادر عالم ﴿ لي عملي ﴾ بالإيمان و الطاعة ﴿ و لكم عملكم ع ﴾

---

(١) زيد من ظ (٢) زيدت الواو بعده في ظ (٣-٣) من ظ و القرآن الكريم، و في الأصل : فان .

ما

ما لأحد منا و لا عليه من جزاء الآخر شيء ؛ ثم صرح بالمقصود من ذلك بقوله محذرا لهم[1] : ﴿ انتم بريٓـٔون مما اعمل ﴾ أى فان كان خيرا لم يكن لكم[2] منه شيء و إن كان غيره لم يكن عليكم منه شيء ﴿ و انا برىٓء مما تعلمون ﴾ لا جناح عليّ في شيء منه لأنى لا أقدر على ردكم عنه ؛ و البراءة : قطع العلقة الذى يوجب رفع المطالبة ، و لا حاجة إلى ادعاء نسخ هذه الآية بآية السيف ، فانه لا منافاة بينهما ، لأن هذه فى رفع لحاق الإثم و هو لا ينافى الجهاد .

و لما قسمهم إلى هذين القسمين ، قسم القسم[3] الأخير إلى قسمين فقال : ﴿ و منهم ﴾ أى المكذبين ﴿ من ﴾ و لما كان المستمع إليه أكثر لأنهم أشهى الناس إلى تعرف حاله ، و كان طريق ذلك السمع و البصر ، وكان تحديق [العين - [4]] إليه لا يخفى ، فكان أكثرهم يتركه إظهارا لبغضه و خوفا من إنكار من يراه عليه ، و كان إلقاء السمع بغاية الجهد يمكن إخفاءه بخلاف الإبصار ، عبر هنا بالافتعال ، و جمع دالا على كثرتهم نظرا إلى معنى ' من ' و أفرد فى النظر اعتبارا للفظها و دالا على قلة الناظر بما ذكر فقال : ﴿ يستمعون ﴾ و ضمن الاستماع الإصغاء ليؤدى مؤدى الفعلين ، و دل على الإصغاء بصلته معلقة بحال انتزعت منه [5] فكأنه : قال [5] مصغين[6] ﴿ اليك ﴾ أى عند قراءة القرآن و بيانه[7] بالسنة ، و لكنهم و إن كانوا قسمين بالنسبة إلى الاستماع و النظر فهم

---

(١) فى ظ : لكم (٢) من ظ ، و فى الأصل : له (٣) سقط من ظ (٧) زيد من ظ .
(٥-٥) فى ظ : فكان كان (٦) من ظ ، وفى الأصل : مصغرين (٧) من ظ ، وفى الأصل : بيان .

قسم واحد بالنسبة إلى الضلال . فكان تعقيب ذلك بحشرهم بعد قصر الهداية عليه سبحانه كذكر حشرهم فيما مضى بعد تقسيمهم[١] إلى قسمين بعد قوله " و يهدى من يشاء الى صراط مستقيم " .

و لما كان صلى الله عليه وسلم يريد - باسماعه لهم ما أنزل الله[٢] - هدايتهم ٥٨٥ / به ، سبب عن استماعهم إنكار إسماعهم الإسماع المترتب عليه الهدى فقال : ﴿ افانت ﴾ أي وحدك ﴿ تسمع الصم ﴾ أي فى آذان قلوبهم لأنهم يستمعون إليك و قد ختم على أسماعهم فهم لا ينتفعون باستماعهم لأنهم يطلبون السمع للرد لا للفهم ؛ و السمع إدراك الشيء بما يكون به[٢] مسموعا ، فكانوا بعدم انتفاعهم كأنهم [هم - ٣] مجانين ، لأن الأصم العاقل ربما فهم بالتفرس فى تحريك الشفاه و غيرها فلذا قال : ﴿ و لو كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ لا يعقلون ۝ ﴾ أى لا يتجدد لهم عقل أصلا فصاروا بحيث لا يمكن إسماعهم لأنه لا يمكن إلا بسماع الصوت الدال على المعنى [و بفهم المعنى - ٣] . و المانع من الأول الصمم ، و من الثانى عدم العقل ، فصاروا شرا من البهائم لأنها و إن كانت لا تعقل فهى تسمع ، و الأصم : المنسد السمع بما يمنع من إدراك الصوت ﴿ و منهم من ينظر ﴾ محدقا او راميا يبصره من بعيد ﴿ اليك ﴾ فهو من التضمين[٤] كما سبق فى " يستمعون " ؛ نقل عن التفتازانى أنه قال[٥] فى حاشية الكشاف : و[٢] حقيقة التضمين أن يقصد[٦] بالفعل معناه الحقيقى مع فعل آخر يناسبه

---

(١) فى ظ : تقسيمين (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : التضمن .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : قاله (٦) من ظ ، و فى الأصل : تقصد .

و هو كثير فى كلام العرب ، و ذلك مع حذف حال مأخوذ من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية . و يتعين جعل الفعل المذكور أصلا و المذكور حاله تبعا ، لأن حذفه و الدلالة عليه بصلته[1] يدل على اعتباره فى الجملة لا على زيادة القصد إليه ، و من أمثلته : أحمد إليك الله ، أى منهيا إليك حمده ، و يقلب كفيه على كذا ، أى نادما عليه . " و لا تعد عينك عنهم[2] " أى مجاوزتين[3] عنهم إلى غيرهم ، " و لا تاكلوا اموالهم - ضاميها[4] - الى اموالكم ". " الرفث - مفضين - الى نسائكم[5] "، " و لا تعزموا[6] " أى على النكاح و أنتم تنوون عقدته " و لا يسمعون - مصغين - الى الملا الاعلى[7] "، سمع الله - أى مستجيبا - لمن حمده . " و الله يعلم المفسد[8] - مميزا له - من المصلح[9] " . " و الذين يؤلون - ممتنعين " من - وطئ - نسائهم[10] " .

و لما كان المعنى أنك يا أكرم الخلق تريد بنظر هذا الناظر إليك أن ينظر إلى ما تأتى[11] به من باهر الآيات فيهتدى[12] و هو غير منتفع بنظره لما جعل عليه من الغشاوة[13] فكان كالأعمى الذى زاد على عدم بصره عدم العقل فلا بصر و لا بصيرة[14] ، قال منكرا لذلك : ﴿ أفأنت تهدى العمى ﴾

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : فصليه - كذا (٢) سورة ١٨ آية ٢٨ (٣) من ظ ، و فى الأصل : مجاوزين (٤) سورة ٤ آية ٢ (٥) سورة ٢ آية ١٨٧ (٦) راجع سورة ٢ آية ٢٣٥ (٧) سورة ٣٧ آية ٨ (٨) من ظ و القرآن الكريم سورة ٢ آية ٢٢٠ ، و فى الأصل : المصلح (٩) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : المفسد (١٠) سورة ٢ آية ٢٢٦ (١١) من ظ ، و فى الأصل : ياتى (١٢) من ظ ، و فى الأصل : ان يهتدى (١٣) من ظ ، و فى الأصل : قساوة (١٤) زيد =

أى عيونا و قلوبا ﴿ و لو كانوا ﴾ أى بما جبلوا[١] عليه ﴿ لا يبصرون ۝ ﴾ أى لا يتجدد لهم بصر و لا بصيرة ، فلا تمكن[٢] هدايتهم ، لأن هداية الطريق الحسى لا تمكن[٢] إلا بالبصر ، و هداية الطريق المعنوى لا تمكن[٢] إلا بالبصيرة ؛ و النظر : طلب الرؤية بتقليب البصر ، و نظر القلب طلب العلم بالفكر ؛ و العمى : آفة تمنع الرؤية عن العين و القلب ؛ و الإبصار : إدراك الشيء بما به يكون مبصرا ، فكأنه قيل : ما له فعل بهم هذا و الأمر بيده ؟ فقيل : لأنه تام المُلك و المِلك و هو متفضل فى جميع نعمه لا يجب عليه لأحد شيء فهو لا يسأل عما يفعل ، و بنى عليه قوله : " ان الله " و أحسن منه أن يقال : و لما كان التقدير : إذا علمت[٣] ذلك خفف عنك بعض ما أنت فيه ، فانك لا تقدر على إسماعهم و لا هدايتهم لأن الله تعالى أراد ما هم عليه منهم لاستحقاقهم ذلك لظلمهم أنفسهم ، علله بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بجميع الكمال ﴿ لا يظلم الناس شيئا ﴾ و إن كان هو الذى جبلهم على الشر ﴿ و لكن الناس ﴾ أى لما عندهم من شدة الاضطراب و التقلب ﴿ انفسهم ﴾ أى خاصة ﴿ يظلمون ۝ ﴾ بحملهم لها على الشر و صرف قواهم فيه باختيارهم مع زجرهم عن ذلك و حجبهم عما جبلوا عليه و إن كان الكل بيده سبحانه و لا يكون إلا بخلقه.

= بعده فى الأصل : فلذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

(١) من ظ ، و فى الأصل : خلقوا (٢) من ظ ، و فى الأصل : يمكن (٣) من ظ ، و فى الأصل : سلمت .

و لما

و لما كان فى هذه الآيات ما ذكر من أفانين جدالهم فى أباطيلهم وضلالهم ، و كان فعل ذلك - ممن لا يرى حشرا و لا جزاء و لا نعيما وراء نعيم هذه الدار - فعل فارغ السر مستطيل للزمان آمن من نوازل الحدثان، حسن تعقيبه بأنهم يرون يوم الحشر / من الأهوال ما يستقصرون / ٥٨٦ معه مدة لبثهم فى الدنيا ، فقد خسروا إذنّ دنياهم بالنزاع ، و آخرتهم بالعذاب الذى لا يستطاع ، و ليس له انقطاع ، فقال تعالى مهددا لهؤلاء الكفار الذين يعاندون فلا يسمعون و لا يبصرون عاطفا على " و يوم نحشرهم " الأولى : ﴿ و يوم نحشرهم[1] ﴾ أى و استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا يوم الحشر لما يستقبلهم من الأهوال و الزلازل الطوال ، فكأنه قيل : إلى أىّ غاية ؟ فقيل : ﴿ كان ﴾ أى كأنهم ﴿ لم يلبثوا[2] ﴾ فى دنياهم ، و[3] الجملة [فى - [3]] موضع الحال من ضمير " نحشرهم " البارز أى مشبهين بمن لم يلبثوا ﴿ الا ساعة ﴾ أى حقيرة ﴿ من النهار[4] ﴾ و قوله : ﴿ يتعارفون بينهم[5] ﴾ حال ثانية[5] ، أى لم يقدهم[6] تلك الساعة أكثر من أن عرف فيها بعضهم بعضا ليزدادوا بذلك حسرة فى ذلك اليوم بعدم القدرة على التناصر و التعاون و التظافر كما كانوا يفعلون فى الدنيا .

و لما كانت حالهم هذه هى الخسارة التى ليس معها تجارة ، فكان السامع متوقعا للخبر عنها . قال متعجبا[7] منهم موضع : ما أخسرهم :

(١) و فى مصاحفنا : يحشرهم (٢) فى ظ : او (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : نهار .
(٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : لم تفدهم (٧) فى ظ : معجبا .

﴿ قد خسر[1] ﴾ أى حقا ﴿ الذين كذبوا ﴾ أظهر[2] موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف [مستهينين - [3]] ﴿ بلقآء الله ﴾ أى الملك الأعلى بما أخذوا من[4] الدنيا من الخسيس الفانى و تركوا بما كشف لهم عنه البعث من النعيم الشريف الباقى ؛ و لما كان الذى وقع منه تكذيب مرة فى الدهر قد يفيق بعد ذلك فيهتدى ، قال عاطفا على الصلة : ﴿ و ما كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ مهتدين ه ﴾ مشيرا إلى تسفيههم فيما يدعون البصر فيه من أمر المتجر و المعرفة بأنواع الهداية .

و لما كان إخبار الصادق بهلاك الأعداء مقرا للعين ، و كانت مشاهدة هلاكهم أقر لها ، عطف على قوله " قد خسر " : ﴿ و اما نرينك ﴾ أى إراءة عظيمة قبل وفاتك ﴿ بعض الذى نعدهم ﴾ أى فى الدنيا بما لنا من العظمة فهو أقر لعينك ﴿ او نتوفينك ﴾ قبل ذلك ﴿ فالينا مرجعهم ﴾ فنريك فيما هنالك ما هو أقر لعينك و أسر لقلبك ، فالآية من الاحتباك : ذكر أولا الإراءة دليلا على حذفها ثانيا ، و الوفاة ثانيا دليلا على حذفها أولا ؛ و " ثم " - فى قوله : ﴿ ثم الله ﴾ أى المحيط بكل شىء ﴿ شهيد ﴾ أى بالغ الشهادة ﴿ على ما يفعلون ه ﴾ فى الدارين - يمكن أن يكون على بابها ، فتكون مشيرة إلى التراخى بين ابتداء رجوعهم بالموت و آخره بالقيامة ، و ليس المراد بقوله " شهيد " ظاهره[5] ، بل العذاب الناشىء عن الشهادة فى الآخرة إلى أن الله يعاقبهم بعد مرجعهم ، فيريك ما بعدهم لأنه عالم بما يفعلون .

(١) فى ظ: خسروا (٢) فى ظ : اكثر (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : فى (٥) فى ظ : ظاهرة .

و لما كان فى هذه الآية التهديد بالعذاب إما فى الدنيا أو فى الآخرة غير معين له صلى الله عليه و سلم واحدةً منهما، أتبعها بما هو صالح للأمرين بالنسبة إلى كل رسول إشارة إلى أن أحوال الأمم على غير نظام فلذلك لم يجزم بتعيين واحدة من الدارين للجزاء، و جعل الأمر منوطا بالقسط، ففى أىّ دار كان أحكم جعله فيها، فقال تعالى [دالا على أنه نشر ذكر الإسلام و هو الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر من عهد آدم عليه السلام إلى آخر الدهر على وجه لم يحصل له اندراس فى دهر من الدهور، فمن تركه استحق العذاب سواء كان ممن بين عيسى و محمد عليهما السلام أم لا، فلا تغتر بما يقال من غير هذا - ١]: ﴿ و لكل امة ﴾ أى من الأمم التى خلت قبلك ﴿ رسول ج ﴾ يدعوهم إلى الله؛ ثم سبب عن إتيان رسولهم بيان القضاء فيهم فقال: ﴿ فاذا جآء ﴾ [أى - ١] إليهم ﴿ رسولهم ﴾ فى الدنيا بالبينات و الهدى؛ و فى الآخرة فى الموقف بالإخبار بما صنعوا به فى الدنيا من تكذيب أو تصديق ﴿ قضى بينهم ﴾ [أى فى جميع الأمور بما أفاده نزع الخافض على أسهل وجه من غير شك بما أفاده البناء للفعول؛ و لما كان السياق بالترهيب أجدر، قال - ١] : ﴿ بالقسط ﴾ ٢ أى أظهر ٢ ما كان [خفيا - ١] من استحقاقهم فى القضاء بالعدل [و القسمة المنصفة بينهم كلهم بالسوية، فأعطى كل أحد منهم مقدار ما يخصه - ١] من تعجيل العذاب و تأخيره كما فعل معك؛ و لما كان ذلك لا يستلزم الدوام، قال: ﴿ و هم لا يظلمون ﴾

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) فى ظ : فاظهر .

أى لا يتجدد لهم [١]ظلم منه[١] سبحانه و لا من غيره .

و لما تقدم فى هذه الآيات تهديدهم ابالعذاب فى الدنيا أو فى الآخرة، حكى سبحانه جوابهم عن ذلك عطفا على قوله " و يقولون لو لا انزل عليه اٰية من ربه " فقال: ﴿ و يقولون ﴾ أى هؤلاء المشركون مجددين لهذا القول مستمرين على ذلك استهزاء: ﴿ متى هذا الوعد ﴾ أى بالعذاب فى الدنيا أو فى الآخرة، و ألهبوا و هيجوا بقولهم: ﴿ ان كنتم ﴾ أى أنت و من قال بقولك ﴿ صٰدقين ه ﴾ و القول كلام[٢] مضمن فى ذكره بالحكاية

/ ٥٨٧ و قد يكون كلام لا يعبر عنه فلا يكون له ذكر / مضمن بالحكاية، فلا يكون قولا [لأنه إنما يكون قولا - [٣]] من أجل تضمن ذكره بالحكاية - قاله الرمانى، و التضمين جعل الشيء فى[٤] وعاء؛ و الوعد: خبر بما يعطى من الخير، و الوعيد: خبر بما يعطى من الشر، و قد يراد الإجمال كما هنا فيطلق الوعد على المعنيين: وعد المحسن بالثواب و المسيء بالعقاب؛ و الصدق[٥]: الخبر [٦]عن الشيء[٦] على ما هو به؛ و الكذب: الخبر عنه على خلاف ما هو به .

و لما تضمن قولهم هذا استعجاله صلى الله عليه و سلم بما يتوعدهم به، أمره بأن يتبرأ من القدرة على شيء لم يقدره الله عليه بقوله: ﴿ قل ﴾ أى لقومك المستهزئين ﴿ لآ املك لنفسى ﴾ فضلا عن غيرى؛ و لما كان السياق للنقمة، قدم الضر منها على أن نعمه[٧] أكثر من نقمه؛

(١-١) فى ظ: منه ظلم (٢) فى ظ: الكلام (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ .
(٥) فى ظ: الصداق (٦-٦) فى ظ: بالشيء (٧) فى ظ: نقمه .

و أنهم فى نعمه ، عليهم ان يقيدوها بالشكر خوفا من زوالها فضلا عن أن يتمنوه فقال : ﴿ ضرا و لا نفعا ﴾ .

و لما كان من المشاهد أن كل حيوان يتصرف فى نفسه و غيره ببعض ذلك قال : ﴿ الا ما شآء الله ط ﴾ أى المحيط علما و قدرة أن أملكه من ذلك ، فكأنه قيل : فمالك لا تدعوه بأن يشاء ذلك و[1] يقدرك عليه ؟ فقيل : ﴿ لكل امة اجل ط ﴾ فكأنه قيل : و[2] ما ذا يكون فيه ؟ فقيل : ﴿ اذا جآء اجلهم ﴾ هلكوا ؛ و لما[3] كان قطع رجائهم من الفسحة فى الأجل من أشد عذابهم ، قدم قوله : ﴿ فلا يستاخرون ﴾ أى عنه ﴿ ساعة ﴾ ثم عطف على الجملة الشرطية بكمالها ﴿ و لا يستقدمون ﴾ فلا تستعجلوه[4] فان الوفاء بالوعد لا بد منه ، و السين فيهما بمعنى الوجدان ، أى لا يوجد لهم المعنى الذى صيغ [منه -[5]] الفعل مثل : استشكل الشيء و استثقله ، [و يجوز كون المعنى : لا يوجدون التأخر و لا التقدم و إن اجتهدوا فى الطلب ، فيكون فى السين معنى الطلب -[5]] ؛ و الملك قوة يتمكن بها من تصريف الشيء أتم تصريف ، و النفع : إيجاب اللذة بفعلها و التسبب المؤدى إليها ؛ و الضر : إيجاب الألم بفعله أو التسبب إليه ؛ و الأجل : الوقت المضروب لوقوع أمر .

و لما كان جل[6] قصدهم بذلك الاستهزاء ، و كان وقوعه أمرا ممكنا ، و كان من شأن العاقل ان يبعد عن كل خطر ممكن ، أمره

(١) فى ظ : او (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لو (٤) من ظ ، و فى الأصل : فلا يستعجلوا (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : جعل .

صلى الله عليه و سلم بجواب آخر حذف منه واو العطف لئلا يظن أنه لا يكفى فى كونه جوابا إلا بضمه إلى ما عطف عليه فقال: ﴿ قل ﴾ أى لمن استبطأ وعيدنا بالعذاب فى الدنيا أو فى الآخرى، و هو لا يكون إلا بعد الأخذ فى الدنيا إعلاما بأن الذى يطلبونه ضرر لهم محض لا نفع[١] فيه بوجه. فهو مما لا يتوجه إليه قصد عاقل ﴿ ارءيتم ﴾ و هى من رؤية[٢] القلب لأنها دخلت على الجملة من الاستفهام ﴿ ان اتكم عذابه ﴾ فى الدنيا.

و لما كان أخذ الليل أنكى و أسرع، قدمه فقال: ﴿بياتا﴾ [أى -[٣]] فى الليل بغتة و أنتم نائمون كما يفعل العدو؛ و لما كان الظفر ليلا لا يستلزم الظفر نهارا مجاهرة قال: ﴿ او نهارا ﴾ أى مكاشفة و أنتم مستيقظون، أ تستمرون على عنادكم فلا تؤمنوا؟ فكأنهم قالوا: لا، فليعجل به ليرى، فقيل: إنكم لا تدرون ما تطلبون! إنه لا طاقة لمخلوق بنوع منه، و لا يجترئ على مثل هذا الكلام إلا مجرم ﴿ما ذا ﴾ أى ما الذى؟ و يجوز أن يكون هذا جواب الشرط ﴿ يستعجل ﴾ أى يطلب العجلة ﴿ منه ﴾ أى من عذابه، و عذابه كله مكروه لا يحتمل شيء منه ﴿ المجرمون ﴾ إذ سنة الله قد استمرت بأن المكذب لا يثبت إلا عند مخايله، و أما إذا برك بكلكله و أناخ بثقله[٤] فانه يؤمن حيث لا ينفعه الإيمان "و لن تجد لسنة الله تحويلا" و هذا معنى التراخى فى قوله: ﴿ اثم اذا ما وقع ﴾

---

(١) من ظ، و فى الأصل: ينفع (٢) فى ظ: رواية (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: بنقله.

أى عذابه و انتفى كل ما يضاده ﴿ءامنتم به﴾ و ذلك أنه كانت عادتهم
كمن قبلهم الاستعجال بالعذاب عند التوعد به، وكانت سنة الله قد جرت
بأن المكذبين إذا أتاهم العذاب يتراخى إيمانهم بعد مجيء مقدماته و قبل
اجتثاثهم بعظائم صدماته لشدة معاندتهم[1] فيه و توطنهم عليه كما وقع
للأولين / من الأمم بغيا و عتوا كقوم صالح لما تغيرت وجوههم بألوان ٥٨٨/
مختلفة فى اليوم الأول ثم الثانى ثم الثالث و أيقنوا بالهلكة و ودع بعضهم
بعضا و لم يؤمنوا، و جرت بأنهم إذا ذاقوا مس العذاب و أخذتهم
فواجئه الصعاب شغلتهم دواهيه عن العناد[2] و اضطرتهم أهواله إلى
سهل الانقياد، فكان فى غاية الحسن وضع تقريعهم على الاستعجال
عقب الوعيد، ثم وضع التراخى عن الإيمان بالعناد بعد الإشراف على
الهلاك و معاينة التلف، فكان كأنه قيل: أخبرونى على تقدير أن يأتيكم
عذابه الذى لا عذاب أعظم منه - كما دل على ذلك إضافته إليه - فبيتكم
أو كاشفكم، ما ذا تفعلون؟ ألا تؤمنون؟ فقالوا: لا، فليعجل به ليرى،
فناسب لما كان استعجالهم بعد هذا الإنذار تسفيهُهم على ذلك فقيل
"ما ذا" أى أىّ نوع منه يطلب عجلته "المجرمون"، و لا نوع منه إلا و هو
فوق الطاقة[3] و وراء الوسع، إن هذا لمنكر من الآراء، أفبعد تراخى
إيمانكم[4] عن مخايل صدمته و مشاهدة مبادئ عظمته و شدته أوجدتم الإيمان
به [5]عند وقوعه؟ يقال لكم حين اضطرتكم فواجئه إلى الإيمان[5] و حملتكم

---

(١) فى الأصل: معاندهم، و فى ظ: عنادهم (٢) موضعه بياض فى ظ (٣) فى ظ: الطاعة (٤) فى ظ: ايمانه (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.

قوارعه على صيورة[1] الإذعان: ﴿ آلئٰن ﴾ تؤمنون به - أى بسببه - بعد أن أزال بطشنا قواكم و حل عزائم[2] هممكم و أوهاكم[3] ﴿ و قد كنتم ﴾ أى كونا كأنكم مجبولون عليه ﴿ به تستعجلون ﴾ أى تطلبون تعجيله طلبا عظيما حتى كأنكم لا تطلبون عجلة[4] شيء غيره تكذيبا و عزما على الثبات على العناد، لو وقع فلم نقبل[5] إيمانكم هذا منكم و لا كف عذا بنا عنكم، بل صيركم كأمس الدابر.

و لما كان ما ذكر هو العذاب الدنيوى، أتبعه ما بعده إعلاما بانه لا يقتصر عليه فى جزائهم فقال: ﴿ ثم قيل ﴾ أى من أىّ قائل كان استهانة ﴿ للذين ظلموا ﴾ أى و بعد أزّكم فى الدنيا و البرزخ[6] بالعذاب و هزّكم بشديد[7] العقاب قيل لكم يوم الدين بظلمكم[8] بالآيات و بما أمرتم به فيها بوضعكم كلًّا من ذلك فى غير موضعه: ﴿ذوقوا عذاب الخلد ج﴾ فالإتيان بـ " ثم " إشارة إلى تراخى ذلك عن الإهلاك فى الدنيا بالمكث فى البرزخ أو إلى أن عذابه أدنى من عذاب يوم الدين ﴿ هل تجزون ﴾ بناه للفعول لأن المخيف مطلق الجزاء، و لما كان الاستفهام الإنكارى بمعنى النفى، وكان المعنى: بشيء، استثنى منه فقال: ﴿ الا بما كنتم ﴾ أى بجبلاتكم ﴿ تكسبون ﴾ أى فى الدنيا من العزم على الاستمرار على الكفر

(١) بمعنى منتهى الأمر و عاقبته، و فى ظ: صهورة (٢) فى ظ: عزائمكم.
(٣) فى ظ: اوهامكم (٤) من ظ، و فى الأصل: عجلته (٥) فى ظ: فلم يقبل.
(٦) من ظ، و فى الأصل: التراخى (٧) من ظ، و فى الأصل: شديد (٨) فى ظ: اظلمكم.

و لو

و لو طال المدى[1] لا تنفكون عنه بشيء من الأشياء و إن عظم ، فكان جزاءكم الخلود فى العذاب طبق النعل بالنعل ؛ و العذاب: الألم[2] المستمر ، و أصله الاستمرار ، و منه العذوبة لاستمرارها فى الحلق ؛ و البيات: إتيان الشيء ليلا ؛ و الذوق : طلب الطعم بالفم فى ابتداء الأخذ .

و لما انقضى ما اشتملت عليه الآية من التهديد و صادع الوعيد ، أخبر تعالى أنهم صاروا إلى ما هو جدير بسامع ذلك من النزول عن ذلك العناد إلى مبادئ الانقياد بقوله تعالى: ﴿ و يستنبئونك ﴾[3] عطفا على قوله " و يقولون متى هذا الوعد " أى و يطلبون منك الإنباء و هو الإخبار العظيم عن حقيقة هذا الوعيد الجسيم ، و يمكن أن يكون ذلك منهم على طريق[4] الاستهزاء كالأول ، فيكون التعجيب و التوبيخ فيه بعد ما مضى من الأدلة أشد ﴿ احق هو ﴾ أى أ ثابت هذا الذى تتوعدنا[5] به أم هو كالسحر لا حقيقة له كما تقدم أنهم قالوه ﴿ قل ﴾ أى فى جوابهم ﴿ اى و ربى ﴾ أى المحسن إلىّ المدبر لى و المصدق لجميع ما آتى به ؛ و لما كانوا منكرين ، أكد قوله : ﴿ انه لحق ﴾ أى كائن ثابت لا بد من نزوله بكم .

و لما كان الشيء قد يكون حقا ، و يكون الإنسان قادرا على دفعه فلا يهوله ، قال نفيا لذلك: ﴿ و مآ انتم ﴾ أى لمن توعدكم ﴿ بمعجزين ﴾ فيما يراد بكم .

و لما أخبرهم بحقيقته ، أخبرهم بما يكون [منهم -[6]] من الظلم أيضا عند معاينته بالسماح/ ببذل جميع ما فى الأرض حيث لا ينفع البذل بعد ترك المأمور به ٥٨٩ /

(١) من ظ ، و فى الأصل : الدين - كذا (٢) فى ظ : الاليم (٣) زيد بعده فى ظ : اى (٤) فى ظ : طريقة (٥) من ظ ، و فى الأصل : يتوعدنا (٦) زيد من ظ .

و هو من أيسر الأشياء و أحسنها فقال: ﴿ و لو ان لكل نفس ظلمت ﴾ أى عند المعاينة ﴿ ما فى الارض ﴾ أى كلها من خزائنها و نفائسها ﴿ لافتدت به ط ﴾ أى جعلت فدية لها من العذاب لـكنه ليس لهم ذلك، و لو كان ما قبل منهم، فاذا وقع ما يوعدون استسلموا ﴿ و اسروا الندامة ﴾ أى اشتد ندمهم و لم يقدروا على الـكلام ﴿ لما راوا العذاب ج ﴾ لأنهم بهتوا لعظم ما دهمهم فـكان فعلهم فعل المسر، لأنهم لم يطيقوا بـكاء و لا شـكاية و لا شيئا مما يفعله الجازع؛ و الاستنباء: طلب النبأ كما أن الاستفهام طلب الفهم؛ و النبأ: خبر عن يقين فى أمر كبير؛ و الحق: عقد على المعنى على ما هو به تدعو الحـكمة إليه، و كل ما بنى على هذا العقد[1] فهو حق لأجله، و الحق فى الدين ما شهد به الدليل على الثقة فيما طريقه العلم، و القوة فيما طريقه غـالب الأمر، و ذلك فيما يحتمل أمرين أحدهما أشبه بالأصل الذي جاء به النص؛ و الافتداء: إيقاع الشيء بدل غيره لرفع المـكروه، فـداه فدية و أفـداه[2] و افتداه افتداء و فاداه [3]مفاداة و فدّاه[3] تفدية و تفادى منه تفاديا[4]؛ و الإسرار: إخفاء الشيء فى النفس؛ و الندامة: الحسرة على ما كان يتمنى أنه لم يـكن أوقعها[5]. و هى حال معقولة يتأسف صاحبها على ما وقع منها و يود أنه لم يكن أوقعها.

و لما اشتملت الآيات الماضيات على تحتم إنجاز الوعد والعدل فى الحكم، و ختمت بقوله: ﴿ و قضى ﴾ أى و أوقع القضاء على أيسر وجه و أسهله،

(١) من ظ، و فى الأصل: انضد ـ كذا (٢) فى الأصل و ظ: فداه.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ: تفادا (٥) سقط من ظ.

و لما استغرق القضاء جميع وقائعهم ، دل عليه بنزع الجار فقال : ﴿ بينهم ﴾ أى الظالمين و المظلومين و الظالمين[1] و الأظلمين ﴿ بالقسط ﴾ أى العدل؛ و لما كان وقوع ذلك لا ينفى وقوع[1] الظلم فى وقت آخر قال: ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم ﴿ لا يظلمون ۝ ﴾ أى لا يقع فيهم ظلم من أحد أصلا كائنا من كان فى وقت ما .

و لما كان السبب الحامل لملوك الدنيا على الكذب و الجور و الظلم العجز أو طلب التزيد فى الملك ، أشار إلى تنزهه عن ذلك بقوله مؤكدا سوقا لهم مساق المنكر لأن فعلهم فى عبادة الأصنام فعل من ينكر مضمون الكلام : ﴿ الآ ان لله ﴾ أى الملك الأعظم وحده ﴿ ما فى السموٰت ﴾ بدأ بها لعلوها معنى و[2] حسا و عظمتها ؛ و لما كان المقام للغنى عن الظلم ، لم يحوج الحال إلى تأكيد باعادة النافى فقال : ﴿ و الارض ط ﴾ أى من جوهر و عرض صامت و ناطق ، فلا شىء خارج عن ملك يحوجه إلى ظلم أو إخلاف وعد لحيازته ، و الحاصل أنه لا يظلم إلا ناقص الملك و أما من له الملك كله فهو الحكم العدل ، لأن جميع الأشياء بالنسبة إليه على حد سواء ، و لا يخلف الوعد إلا ناقص القدرة و أما من له كل شىء و لا يخرج عن قبضته شىء فهو المحق فى الوعد العدل فى الحكم ، و فى الآية زيادة تحسير و تنديم للنفس الظالمة حيث أخبرت بأن ما تود أن تفتدى[3] به ليس لها منه شىء و لا تقدر[4] على التوصل إليه ، و لو قدرت ما قبل

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : او (٣) من ظ ، و فى الأصل : يفتدى (٤) من ظ ، و فى الأصل : لا يقدر .

منها ، و إنما هو لمن رضى منها بالقليل منه فضلا منه عليها على ما أمر به على لسان رسله ، و على هذا فيجوز أن يكون التقدير : لو أن لها ذلك لافتدت به ، لكنه ليس لها بل لله ؛ فلما ثبت بذلك حكمه بالعدل و تنزهه[1] عن إخلاف الوعد ، صرح بمضمون ذلك بقوله مؤكدا لإنكارهم : ﴿ الآ ان وعد الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ حق ﴾ لأنه تام القدرة و الغنى ، فلا حامل [له - [2]] على الإخلاف ﴿ و لكن اكثرهم ﴾ أى الذين[3] تدعوهم و[4] هم يدعون دقة[5] الأفهام و سعة العقول ﴿ لا يعلمون ٥ ﴾ أى لا علم لهم فهم لا يتدبرون ما نصبنا من الأدلة فلا ينقادون لما أمرنا به من الشريعة ، فهم باقون على الجهل معدودون مع البهائم ؛ و " الا " مركبة[6] من همزة الاستفهام و ' لا ' و كانت تقريرا و تذكيرا فصارت تنبيها ، و كسرت ' إن ' بعدها لأنها استئنافية ينبه بها على معنى يبتدأ به و لذا يقع بعدها الأمر و الدعاء بخلاف ' لو ' و ' إلا ' الاستقبال فلم يجز بعدها إلا كسر ' إن ' / و ' أما ' قد تكون[7] بمعنى ' حقا ' فى قولهم : أما إنه منطلق ، /٥٩٠
و هى للحال فجاز فى ' ان ' بعدها الوجهان ـ ذكره الرمانى ؛ و السماوات طبقات مرفوعة أولها سقف مزين بالكواكب ، و هى من سما بمعنى علا .

و لما تقرر أنه لا شىء خارج عن ملكه ، و أنه تام القدرة لأنه لا منجى من عذابه ، شامل العلم لقضائه بالعدل ، صادق الوعد لأنه

(١) من ظ ، و فى الأصل : تنزه (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الذى (٤) من ظ ، و فى الأصل : أو (٥) من ظ ، و فى الأصل : رقة (٦) من ظ ، و فى الأصل : مركله ـ كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : يكون .

لا

لا حامل[1] له على غيره ، و ثبت تفرده بأنه يحيي و يميت ؛ ثبت أنه قادر على الإعادة كما قدر على الابتداء ، فثبت أنه لا يكون الرد إلا إليه فنبه على ذلك بقوله : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ يحيي ﴾ أى كما أنتم به مقرون ﴿ و يميت ﴾ كما أنتم له مشاهدون ﴿ و اليه ﴾ أى لا إلى غيره ﴿ ترجعون ﴾ لأنه وعد بذلك فى قوله " اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا[2] " و فى قوله " فالينا مرجعهم[3] " و فى قوله " اى [و - [4]] ربى انه لحق " و غير ذلك و لا مانع له[5] منه ؛ و الحياة معنى يوجب[6] صحة العلم و القدرة و [يضاد - [7]] الموت ، و هو يحل سائر أجزاء الحيوان فيكون بجميعه حيا واحدا . و الحى هو الذى يصح أن يكون قادرا ، و القادر هو الذى يصح أن يذم و يحمد بما فعل ، و الموت معنى يضاد الحياة على البنية الحيوانية . و ليس كذلك الجمادية .

و لما ثبت أن ذلك كله حق مباين للسحر الذى مبناه على التخييل ، أقبل على الذين تقدم الإخبار عنهم فى أول السورة فى قوله : أ كان للناس عجبا أنهم قالوا إنه سحر ، فقال : ﴿ يـآيها الناس ﴾ أى الذين قالوا : إن وعدنا و الإخبار به سحر ؛ و لما كان بين[8] الأرواح و الأبدان حب غريزى بالتعلق ، و التذ الروح لذلك بمشتهيات هذه الحياة الدنيا بما انطبع فيه بمظاهر الحس فلم يأته نور العقل حتى تعود[9] النقائص بقوة التعلق[9]

(١) فى ظ : عامل (٢) سورة ١٠ آية ٤ (٣) سورة ١٠ آية ٤٦ (٤) من ظ والقرآن الكريم سورة ١٠ آية ٥٣ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل: توجب (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : من (٩-٩) تكرر ما بين الرقمين فى ظ .

فحدثت له أخلاق ذميمة هي أمراض روحانية ، فأرسل ربه الذي أوجده و دبره و أحسن إليه طبيبا حاذقا هو الرسول صلى الله عليه و سلم لعلاج هذه الأمراض . و أنزل كتابه العزيز لوصف الأدويـــة ، فكان أحكم الطب منع المريض عن أسباب المرض ، قال تعالى: ﴿ قد جآءتكم موعظة ﴾ أي زاجر عظيم عن التخلي عن كل ما يشغل القلب عن الله من المحظورات و غيرها من كل ما لا ينبغي ، و ذلك هو الشريعة .

و لما كان تناول المؤذي شديد الخطر ، و هو لذيذ إلى النفس لما بينهما من ملاءمة النقص ، و كان الانكفاف[1] عنه أشق شيء عليها ، رغبها في القبول بقوله : ﴿ من ربكم ﴾ أي المحسن إليكم المدبر لمصالحكم بهذا القرآن ؛ و لما كان أليق ما يعمل بعد الحمية تعاطي الدواء المزيل للأخلاط الفاسدة من الباطن ، قال : ﴿ و شفآء ﴾ أي عظـــيم [جدا – [2]] ﴿ لما في الصدور لا ﴾ من أدواء الجهل ، و ذلك الشفاء يحصل بتطهير الباطن بعد التخلي عن الأخلاق الذميمة بالتحلي بالصفات الحميدة ليصير الباطن سالما عن العقائد الفاسدة و الأخلاق الناقصة كما سلم البدن من الأفعال الدنية ، و هذا هو الطريق[3] .

و لما كانت الروح إذا انصقلت مرآتها فصارت قابلة لتجلي الأنوار عليها [بفيض – [2]] البروق الإلهية و النفحات القدسية و المواهب الملكوتية لأنها دائمة اللمعان كما قال صلى الله عليه و سلم فيما رواه الطبراني عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه : إن لربكم أيام دهركم نفحات ، ألا فتعرضوا لها – الحديث .

(١) في ظ : الانكشاف (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : الطريقة .

و ليس المانع من نزولها فى كل[1] قلب إلا عدم القابلية من بعضها لتراكم الظلمات فيها من صداء المخالفة و رين الإعراض و الغفلة ، فيكون بذلك كالمرايا الصدئة لاتقبل انطباع الصور بها ، قال تعالى : ﴿ و هدى ﴾ إلى الحق لأنه نور عظيم يقود صاحبه - و لا بد - إلى الطريق الأقوم ، و هذا للصديقين و هو الحقيقة .

و لما كان هذا النور إذا زاد عظمة و انتشر إشراقه يفيض - بعد الوصول إلى هذه الدرجات الروحانية و المعارج الربانية - على أرواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على أجرام العالم فينير كل قابل له مقبل عليه ، قال تعالى : ﴿ و رحمة ﴾ أى إكرام عظيم بالإمامية بالغ فى الكمال و الإشراق إلى حد لا مزيد عليه ، و هذا للأنبيا عليهم السلام ؛ و لما كان لاينتفع بأنوارهم[2] إلا من توجه إليهم ، ثم إن الانتفاع بهم / يتفاوت بتفاوت درجات التوجه إليهم و الإقبال عليهم، قال: ﴿للمؤمنين ﴾ ٥٩١ / الذين اتبعوه وهم راسخون فى التوجه إلى المرشدين و الاستسلام [لهم - [3]] فكان ذلك سببا لنجاتهم - أشار إلى هذا الإمام و قال : فهذه درجات عقلية[4] و مراتب برهانية مدلول عليها بهذه الكلمات الأربع القرآنية على وجه لا يمكن تأخير شيء منها عن موضعه و لا تقديمه ، و هذا بخلاف ما نسبوه إليه [صلى الله عليه و سلم - [3]] من السحر فانه داء كله و ضلال يجر إلى الشقاء . و الموعظة : إبانة تدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة و الرهبة ،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : من انوارهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : عقيلة .

و الوعظ ما دعا إلى الخشوع و النسك و صرف عن الفسوق و الإثم ؛ و الشفاء : إزالة الداء ، و داء الجهل أضر من داء البدن و علاجه أعسر و أطباؤه أقل ، و الشفاء منه أجل ؛ و الصدر : موضع القلب ، و هو أجل موضع فى الحى لشرف القلب ؛ و الهدى : بيان عن[1] معنى يؤدى إلى الحق ، و هو دلالة تؤدى إلى المعرفة ؛ و الرحمة : نعمة على المحتاج .

و لما ثبت ذلك ، حثهم عليه لبعده عن السحر بثباته و عدم القدرة على زلزلته فضلا عن إزالته و بأنه شفاء و موعظة و هدى و رحمة فهو جامع لمراتب القرب الإلهى كلها ، و زهدهم فيما هم عليه مقبلون من الحطام لمشاركته للسحر فى سرعة التحول و التبدل بالفناء و الاضمحلال فهو [أهل -[2]] للزهد فيه و الإعراض عنه فقال تعالى: ﴿ قل بفضل الله ﴾ الآية ، و حسن كل الحسن تعقيب ذلك لقوله " هو يحي و يميت " لما ذكر من سرعة الرحيل عنه ، و لأن القرآن محى لميت الجهل ، من أقبل عليه أفاده العلم و الحكمة ، فكان للقلب كالحياة للجسد ، و من أعرض عنه صار فى ضلال و خبط فوصل إلى الهلاك الدائم ، فكان إعراضه عنه مميتا له ، و جعل أبو حيان متعلق الباء فى " بفضل " محذوفا تقديره : " قل " ليفرحوا " بفضل الله " أى الملك الأعلى ﴿ و برحمته ﴾ ثم عطف[3] قصر الفرح[3] على ذلك ﴿ فبذلك ﴾ أى الأمر العظيم جدا وحده إن فرحوا[4] يوما ما بشيء ﴿ فليفرحوا[4] ﴾ فهما جملتان و قال : إن ذلك أظهر ، و فائدة الثانية قصر الفرح على ذلك دون ما يسرون به من الحطام

(١) فى ظ : على (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : فرح .

فان السعادات الروحانية أفضل من السعادات الجسمانيـة[1] . ثم صرح بسبب الفرح فقال : ﴿ هو ﴾ أى المحدث عنه من الفضل و الرحمة ﴿ خير مما يجمعون ﴾ أى من حطام الدنيا و إن كان أشرف ما فيها من المتاع دائبين[2] فيه على تعاقب الأوقات ، و العاقل يختار لتعبه الأفضل ؛ و الفضل : الزيادة فى النعمة ؛ و الفرح : لذة فى القلب بنيل المشتهى .

و لما وصف القرآن العظيم بالشفاء و ما معـه المقتضى لاستقامة المناهج و سداد الشرائع و وضوح المذاهب ، و أشار إلى أن العاقل ينبغى له أن يخصه بالفرح لبقاء آثاره و ما يدعو إليه و زهده[3] فيما يجمعون لفنائه و لأنه يدعو إلى رذائل الأخلاق فيحط[4] من أوج المعالى ، أشار إلى أنهم كما[5] خبطوا فى الفرح فخصوه[6] بما يفنى معرضين عما يبقى فكذلك[7] خبطوا فى طريق الجمع فوعدوها على أنفسهم بأن حرموا بعض ما أحله ، فمنعوا أنفسهم ما هم به فرحون دون أمر من الله تعالى فنقصوا بذلك حظهم فى الدنيا بهذا المنع و فى الآخرة بكذبهم على ربهم فى تحريمه حيث جعلوه شرعا مرضيا و هو فى غاية الفساد و البعد عن الصواب و القصور عن مراقى السداد فقال تعـالى : ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء الذين[8] يستهزؤن بك استهزاء قاضيا عليهم بأنهم لا عقول لهم مستهزئا بهم و موبخا لهم توبيخا هو فى أحكم مواضعه ، و ساقه على طريق السؤال بحيث أنهم

(١) راجع البحر المحيط ٥/١٧١ (٢) فى ظ : دابين (٣) فى ظ : زهد (٤) فى ظ : فيحيط (٥) فى ظ : لما (٦) من ظ ، و فى الأصل : محضوا ـ كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : فلذلك (٨) سقط من ظ .

لا يقدرون على الجواب أصلا بغير الإقرار[1] بالافتراء فقال: ﴿ ارءيتم ﴾ أي أخبروني، و عبر عن الخلق بالإنزال تنبيها على أنه شيء لا يمكن ادعاءه لأصنامهم لنزول أسبابه من موضع لاتعلق لهم به بوجه فقال: ﴿ مآ انزل الله ﴾ أي الذي له صفات / الكمال التي منها الغني المطلق ٥٩٢ / ﴿ لكم ﴾ أي خاصا بكم ﴿ من رزق ﴾ أي أيّ رزق كان ﴿ فجعلتم منه ﴾ أي ذلك الرزق الذي خصكم[2] به ﴿ [3]حراما و حللا [3][4] ﴾ على النحو الذي تقدم في الانعام و غيرها قصته و بيان فساده على أنه جلي الفساد ظاهر العوج؛ ثم ابتدأ أمرا آخر تأكيدا للانكار عليهم فقال: ﴿ قل ﴾ أي من أذن لكم في ذلك؟ ﴿ ءآلله ﴾ أي الملك الأعلى ﴿ اذن لكم ﴾ فتوضحوا المستند به ﴿ ام ﴾ لم يأذن لكم فيه مع[4] نسبتكم إياه إليه لأنكم فصلتموه إلى حرام و حلال و لا محلل و محرم إلا الله، فأنتم ﴿ على الله ﴾ أي المحيط بكل شيء عظمة و علما ﴿ تفترون ۝ ﴾ مع نسبتكم الافتراء إليّ في هذا القرآن الذي أعجز الأفكار و الشرع الذي بهر العقول و ادعائكم أنكم أبعد الناس عن مطلق الكذب و أطهرهم ذيولا منه، و تقديم الجار للاشارة إلى زيادة التشنيع عليهم من حيث أنهم أشد الناس تبرؤا من الكذب و قد خصوا الله - على تقدير التسليم لهم - بأن تعمدوا الكذب عليه.

و لما كان قد مضى من أدلة المعاد ما صيره كالشمس، وكان افتراءهم قد ثبت بعدم قدرتهم على مستند[5] باذن الله لهم في ذلك، قال مشيرا

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: خصصتم (٣-٣) في ظ: حلالا و حراما (٤) في ظ: =

إلى أن القيامة مما هو معلوم لا يسوغ إنكاره: ﴿ وما ظن الذين يفترون ﴾ أى يتعمدون [1]﴿ على الله ﴾ أى الملك الأعظم[1] ﴿ الكذب ﴾ أى[2] أنه نازل بهم ﴿ يوم القيٰمة ط ﴾ أى هب أنكم لم تستحيوا منه ولم تخافوا عواقبه فى الدنيا فما تظنون أنه يكون ذلك اليوم؟ أتظنون أنه لا يحاسبكم فيكون حينئذ قد فعل ما لا يفعله رب مع مربوبه.

ولما كان تعالى يعاملهم بالحلم وهم يتمادون فى هذا العقوق، قال: ﴿ إن الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ لذو فضل ﴾ أى عظيم ﴿ على الناس ﴾ أى بنعم منها إنزال الكتب مفصلا فيها ما يرضاه وما يسخطه وإرسال الرسل عليهم[3] السلام لبيانها بما يحتمله[4] عقول الخلق منها، ومنها طول إمهالهم على سوء أعمالهم فكان شكره واجبا عليهم ﴿ ولكن اكثرهم ﴾ أى الناس لاضطراب ضمائرهم ﴿ لا يشكرون ع ﴾ أى لا يتجدد منهم شكر فهم لا يتبعون رسله ولا كتبه، فهم يخبطون خبط عشواء فيفعلون ما يغضبه سبحانه؛ والتحريم: عقد معنى النهى عن الفعل؛ والتحليل: حل معنى النهى بالإذن؛ والشكر: حق يجب بالنعمة من الاعتراف بها والقيام فيما تدعو إليه على قدرها؛ وافتراء الكذب: تزويره وتنميقه فهو أفحش من مطلق الكذب.

ولما وصف القرآن بما وصفه[5] به من الشفاء وما معه بعد إقامة الدليل

= من (٥) فى ظ: مستنده.

(١-١) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « نازل بهم » والترتيب من ظ.
(٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: عليه (٤) فى ظ: تحتمله (٥) فى ظ: وصف.

على إعجازه ، و أشار إلى أن ما تدينوا به فى غاية الخبط و أنه مع كونه كذبا يقدر كل واحد على تغييره بأحسن منه لكونه غير مبنى على الحكمة ، و ختم ذلك بتهديدهم على افتراء الكذب فى شرع ما لم يأذن به مع ادعائهم أن القرآن مفترى ، و هم عاجزون عن معارضته ، و بأنهم لم يشكروه على نعمه التى أجلّها تخصيصهم بهذا الذكر الحكيم و الشرع القويم ، و كان قد أكثر فى ذلك كله من الأمر له صلى الله عليه و سلم بمحاجتهم[1] " قل لا املك لنفسى " ، " قل ارءيتم ان اتكم عذابه " ، " قل اى و ربى انه لحق " . " قل بفضل الله " - الآية ، " قل ارءيتم ما انزل الله لكم " ، " قل آلله اذن لكم " ، قال تعالى ناظرا إلى قوله " و ما كان هذا القرآن ان يفترى " الآية ، تسلية له صلى الله عليه و سلم و تقوية لهمته و زيادة فى تهديدهم عطفا على ما تقديره : فقد أنزلت إليهم[2] على لسانك ما هو شرف[3] لهم و نعمة عليهم و هو فى غاية البعد عن مطلق الكذب فان كل شيء منه فى أحكم مواضعه و أحسنها لا يتطرق إليه الباطل بوجه و هم يقابلون نعمته بالكفر : ﴿ و ما تكون ﴾ [أنت - [4]] ﴿ فى شان ﴾ أى أىّ شأن كان ﴿ و ما تتلوا منه ﴾ أى من القرآن المحدث عنه فى جميع هذه السورة ، الذى تقدم أنهم كذبوا به من غير شبهة لهم ﴿ من قرآن ﴾ أى قليل أو كثير ﴿ و لا تعملون ﴾ أى كلكم طائعكم و عاصيكم ، و أغرق فى النفى فقال : ﴿ من عمل ﴾

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : محاجتهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : عليهم (٣) فى ظ : اشرف (٤) زيد من ظ .

صغير أو كبير ﴿ الا كنا ﴾ [أى - [1]] بما لنا من العظمة ﴿عليكم شهودا ﴾ أى[2] عاملين باحاطة علمنا ووكالة جنودنا عمل الشاهد ﴿ اذ تفيضون فيه[1]﴾ الآية إيذانا بأنك بعينى فى جميع هـذه المراجعات و غيرها من شؤونك و أنا العالم[3] بتدبيرك و القادر على نصرتك[4]، و هى كلها من كتابى الذى تتضاءل القوى دونه و تقف الأفكار عن مجاراته لأنه حكيم لكونه من عندى لجل عن مطلق المعارضة لفظا أو معنى فضلا عن التغيير فضلا عن الإتيان[5] بما هو مثله فكيف بما هو أحسن منه، لاستقامة أمره و تناسب أحكامه كونها شفاء و هدى [و رحمة - [1]] ، و ما كان كذلك فهو من عندى قطعا و باذنى جزما لأنى[6] عالم بالإفاضة فيه و الانفصال عنه و جميع الأمور الواقعة منك و منهم و من غيرهم .

و لما كان ربما ظن ظان من إفهام " كنا " و " شهودا " للجنود أنه سبحانه محتاج إليهم، نفى ذلك بقوله: ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنه ما ﴿ يعزب ﴾ أى يغيب [و يخفى - [1]] ﴿ عن ربك ﴾ [أى - [1]] المربى لكل مخلوق بعام أفضاله و لك بخاص نعمه و أشرف نواله، و أغرق فى النفى فقال: ﴿ من مثقال ذرة ﴾ أى وزن نملة صغيرة جدا و موضع وزنها و زمانه؛ و لما كان ' فى ' بموزن[7] أهل الأرض كان تقديمها أولى فقال: ﴿ فى الارض﴾ و لما لم يدع السياق إلى الجمع - كما سيأتى فى سبا[8] - قال اكتفاء بالمفرد الدال على الجنس: ﴿و لا فى السمآء ﴾

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل: عليكم، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) من ظ، و فى الأصل: عالم (٤) فى ظ: نصرك (٥) فى ظ: الآيات - كذا (٦) فى ظ: لأنه (٧) فى ظ: تسرون (٨) راجع آية ٣ .

أى ما علا عن الأرض كائنا ما كان .

و لما كان ربما أدى الجمود بعض الأغبياء إلى أن يحمل المثقال على حقيقته و يجهل أن المراد به المبالغة ، قال عاطفا على الجملة من أولها و هو على الابتداء سواء رفعنا الراءين على قراءة حمزة و يعقوب أو نصبناهما عند الباقين : ﴿ و لآ اصغر من ذلك ﴾ أى من مثقال الذرة ﴿ و لآ اكبر ﴾ و لما أتى بهذا الابتداء الشامل الحاصر[1] ، أخبر عنه بقوله : ﴿ الا ﴾ أى لا شيء من ذلك إلا موجود[2] ﴿ فى كتب ﴾ أى جامع ﴿ مبين ه ﴾ أى ظاهر فى نفسه مظهر لكل ما فيه ، [و سيأتى فى سبا ما يتم به هذا المكان -[3]] ، و فى ذلك تهديد لهم و تثبيت له صلى الله عليه و سلم ، و لاح بهذا أن ما بعد " الا " حال من الفاعل ، أى ما يفعل شيئا إلا و أنت باعيننا فثبت أن القرآن بعلمه ، فلو افتراه أحد عليه لأمكن منه ؛ و الإفاضة : الدخول فى العمل[4] على جهة الانصباب إليه و هو الانبساط فى العمل[4] أخذا من فيض الإناء إذا انصب ما فيه من جوانبه ، و أفضتم[5] : تفرقتم كتفرق الماء الذى يتصبب من الإناء ؛ و العزوب : ذهاب المعنى عن العلم ، و ضده الحضور ؛ و الذر : صغار النمل و هو خفيف الوزن جدا ، [6]و مثقاله : وزنه[6] .

و لما تقدم أنه سبحانه شامل العلم ، و علم - من وضع الأحوال

(١) فى ظ : الحاضر (٢) فى ظ : موجودا (٣) زيد من ظ (٤-٤) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل ، و لم يكن التكرار فى ظ فحذفناه (٥) فى ظ : افرضتم . (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

ما لا تسع و من لا تسع مجرد أسمائهم الأرض في كتاب مبين أي مهما كشف منه وجد من غير خفاء و لا احتياج إلى تفتيش - أنه كامل القدرة بعد أن تقدم أنهم فريقان : صادق فى أمره ، و مفتر[1] عليه ، و أنه متفضل على الناس بعدم المعاجلة و التأخير إلى القيامة ، و خوّف المفترى عواقب أمره عاجلا و آجلا ، و رجّى المطيع ، كان موضع أن يقال : ليت شعرى ما ذا يكون تفصيل حال الفريقين فى الدارين على الجزم؟ فأجيب بأن الأولياء فائزون و الأعداء هالكون ليشمر كل مطيع عن ساعد[2] جده و يبذل غاية جهده فى لحاق المخلصين و تحامى جانب المفترين بقوله تعالى مؤكدا لاعتقادهم أنهم يهلكون حزب الله و إنكارهم غاية الإنكار أن يفوتوهم : ﴿ الآ ان اولیآء الله ﴾ أى الذين يتولون بالطاعة من لا شىء أعز منه و لا أعظم [و يتولاهم - [3]] ﴿ لا خوف ﴾ أى ثابت عال ﴿ عليهم ﴾ أى من شىء يستقبلهم ﴿ و لا هم ﴾ أى بضمائرهم ﴿ يحزنون ﴾ أى يتجدد لهم حزن على فائت لأن قلوبهم معلقة بالله سبحانه فلا يؤثر فيهم[4] لذلك[5] خوف و لا حزن أثرا يقطع قلوبهم كما يعرض لغيرهم ، و فسرهم بقوله : ﴿ الذين امنوا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف المصحح للأعمال و به كمال القوة العلمية ﴿ و كانوا ﴾ أى كونا صار لهم جبلة و خلقا ﴿ يتقون ﴾ أى يوجدون / التقوى ، و هى كمال القوة العملية[6] / ٥٩٤
فى الإيمان و الأعمال و يجددونها[7] فانه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق

(١) فى ظ : مفترى (٢) فى ظ : ساق (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : لهم (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : العلمية (٧) من ظ ، و فى الأصل : يجددونه .

قدره ، و انتهى الجواب بقوله "إن الذين يفترون على الله الكذب" - الآية . و هذا الذى فسر الله به الأولياء لا مزيد على حسنه ، و عن على رضى الله عنه : هم قوم صفر الوجوه من السهر ، عمش العيون من العبر ، خمص البطون من الخوى ، و قيل : الولى من لا يرائى و لا ينافق ، و ما أقل صديق من كان[1] هذا خلقه ، و صح عن الإمامين : أبى حنيفة و الشافعى ، كما نقل ذلك عنهما الشيخ محيي الدين النووى فى مقدمة شرح المهذب و التبيان أن كلامنهما قال : إن لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله ولى . و هذا فى العالم العامل بعلمه[2] كما بينته عند قوله فى سورة الزمر "قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا[3] يعلمون[3]" .

و لما نفى عنهم الخوف و الحزن ، زادهم فقال [مبينا لتوليه لهم بعد أن شرح توليهم له - [4]] : ﴿ لهم ﴾ أى خاصة ﴿ البشرى ﴾ أى الكاملة ﴿ فى الحيوٰة الدنيا ﴾ أى بأن[5] دينهم يظهر[6] و حالهم يشتهر[7] و عدوهم يخذل و عمله[8] لا يقبل [و بالرؤية الصالحة - [4]] ﴿ و فى الأخرة[1] ﴾ بأنهم هم السعداء ، و أعداؤهم الأشقياء ، و تتلقاهم الملائكة "هذا يومكم الذى كنتم توعدون" . و لما كان الغالب على[9] أحوال أهل الله فى الدنيا الضيق و لا سيما فى أول الإسلام ، كان السامع لذلك بمعرض أن يقول : يا ليت شعرى هل يتم هذا السرور ! فقيل : نعم ، و أكد بنفى الجنس لأن الجبابرة ينكرون ذلك [لهم - [4]] لما يرون من[1] أن عزهم من

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فى علمه (٣) آية ٩ (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : باق (٦) فى ظ : ليظهر (٧) فى ظ : يشهر (٨) فى ظ : علمه (٩) فى ظ : عن .

وراء

وراء ذلك ليس فيه سوء[1] ما لباطل المتكبرين من السورة و الإرجاف و الصولة: ﴿ لا تبديل ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ لكلمٰت الله ط ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الإحاطة بكل شيء علما و قدرة؛ و قوله - : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى الرتبة ﴿ هو ﴾ أى خاصة ﴿ الفوز العظيم ﷺ ﴾ - فى موضع البيان و الكشف لمضمون هذه البشرى؛ و الخوف : انزعاج القلب بما يتوقع من المكروه . و نظيره الجزع و الفزع ، و نقيضه الأمن؛ و الحزن : انزعاجه و غلظ همه بما وقع من المكروه ، من الحزن للأرض الغليظة ، و نقيضه السرور ، و هما يتعاقبان على حال الحى الذاكر للمحبوب؛ و البشرى: الخبر الأول بما يظهر سروره فى بشرة الوجه .

و لما تقدمت البشرى بنفى الخوف و الحزن معا[2] عن الأولياء ، علم أن المعنى : هذه[3] البشرى للأولياء و أنت رأسهم فلا تخف ، فعطف عليه قوله : ﴿ و لا يحزنك قولهم ﴾ [أى - [4]] فى نحو قولهم : إنهم يغلبون[5] و فى تكذيبك و الاستهزاء بك و تهديدك ، فان ذلك قول يراد به تبديل كلمات الله الغنى القدير ، و هيهات ذلك من الضعيف الفقير فكيف بالعلى الكبير ! و إلى هذا يرشد التعليل لهذا[6] النهى بقوله: ﴿ ان العزة ﴾ أى الغلبة و القهر و تمام العظمة ﴿ لله ﴾ أى الملك الأعلى حال كونها ﴿ جميعا ط ﴾ أى فيذلهم و يعز دينه ، و المراد بذلك التسلية عن قولهم الذى يؤذونه به .

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : معنا (٣) فى ظ : هذا (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : يقلبون (٦) فى ظ : بهذا .

و لما بدئت الآية بقولهم ، ختمها بالسمع له و العلم به و قصرهما عليه لأن صفات كل موصوف متلاشية بالنسبة إلى صفاته فقال : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ السميع ﴾ أى البليغ السمع لأقوالهم ﴿ العليم ه ﴾ أى المحيط العلم بضمائرهم و جميع أحوالهم فهو البالغ القدرة على كل شيء فيجازيهم بما تقتضيه ، و هو تعليل لتفرده[1] بالعزة لأنه تفرد بهذين الوصفين فانتفيا عن غيره ، و من انتفيا عنه كان دون الحيوانات العجم فأنى يكون[2] له عزة ! و العزة : قدرة على كل جبار بما لا يرام و لا يضام ، و المعنى أنه يعزك على من ناواك ، و النهى فى " و لا يحزنك " فى اللفظ للقول و فى المعنى للسبب المؤدى إلى التأذى بالقول ، وكسرت ' إن ' ههنا للاستئناف بالتذكير[3] بما ينفى الحزن ، لا لأنها بعد القول لأنها ليست حكاية عنهم ، و قرئ بفتحها على معنى ' لأن ' .

و لما ختمت بعموم سمعه و علمه بعد قصر العزة عليه ، كان كأنه قيل : إن العزة لا تتم إلا بالقدرة فأثبت اختصاصه بالملك الذى لا / يكون / ٥٩٥
إلا بها ، فقال مؤكدا لما يستلزمه إشراكهم من الإنكار لمضمون هذا الكلام : ﴿ الآ ان لله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ؛ و لما كان بعض الناس قد أشركوا ببعض النجوم ، جمع فقال معبرا بأداة العقلاء تصريحا بما أفهمه التعبير سابقا بأداة غيرهم : ﴿ من فى السمٰوٰت ﴾ أى كلها ، و ابتدأ بها لأن ملكها يدل على ملك الأرض بطريق الأولى ، ثم صرح بها فى قوله [4]مؤكدا لما تقدم[4] : ﴿ و من فى الارض ط ﴾ أى كلهم

---

(١) فى ظ : لتفرد (٢) فى ظ : تكون (٣) من ظ ، و فى الأصل : التذكر .
(٤-٤) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن " كلهم عبيده " و الترتيب من ظ .

عبيده [١]ملوكهم و من دونهم[١] ، نافذ فيهم تصريفه ، منقادون لما يريده ، و هو أيضا تعليل ثان لقوله " و لا يحزنك قولهم " أو للتفرد بالعزة ، و عبر بـ " من " التى للعقلاء و المراد كل ما فى الكون لأن السياق لنفى[٢] العزة عن غيره[٣] ، [٤]و العقلاء بها أجدر ، فنفيها عنهم نفى عن غيرهم بطريق الأولى ، ثم غلبوا لشرفهم على غيرهم[٤] ، و لذا تطلق 'ما' التى هى لغيرهم فى سياق هو بها أحق ثم يراد بها العموم تغليبا للأكثر الذى لا يعقل على الأقل ؛ ثم نفى أن يكون له فى ذلك شريك بقوله عاطفا على ما تقديره : فما له شريك مما ادعاه المشركون منهما أو من إحداهما[٥] : ﴿ و ما يتبع ﴾ أى بغاية الجهد ﴿ الذين يدعون ﴾ أى على سبيل العبادة ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها ﴿ شركآء ﴾ على الحقيقة ؛ و يجوز أن تكون 'ما' موصولة تحقيرا للشركاء بالتعبير بأداة ما لا يعقل و معطوفة على 'من' ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ يتبعون ﴾ فى ذلك الذى هو أصل أصول الدين يجب فيه القطع و هو دعاءهم له شركاء ﴿ الا الظن ﴾ أى المخطئ على أنه لو كان صوابا كانوا مخطئين فيه حيث قنعوا فى الأصل بالظن ، ثم نبه على الخطأ بقوله : ﴿ و ان ﴾ أى و ما ﴿ هم الا يخرصون ﴾ أى يحزرون ذلك و يقولون ما لا حقيقة له أصلا ؛ و الاتباع : طلب اللحاق بالأول على تصرف الحال ، فهؤلاء اتبعوا الداعى إلى عبادة الوثن و تصرفوا معه

(١-١) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « و من فى الارض » و الترتيب من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : نفى (٣) فى ظ : غيرهم (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : احدهما .

فيما دعا إليه ، [و - ١] ظنهم فى عبادتها إنما هو بشبيهة٢ ضعيفة كقصد زيادة التعظيم لله و تعظيم تقليد الأسلاف٣ . و يجوز أن يكون " شركاء " مفعولا تنازعه "يتبع" و "يدعون" ، ثم أثبت سبحانه اختصاصه بشيء جامع للعلم و القدرة تأكيدا لاختصاصه بالعزة و تفرده بالوحدانية ، و أن من أشرك به خارص لا علم له بوجه لكثرة الدلائل على وحدانيته و وضوحها فقال : ﴿ هو ﴾ أي وحده ﴿ الذى جعل ﴾ أي بسبب دوران الأفلاك الذى أتقنه ﴿ لكم ﴾ أى نعمة منه ﴿ اليل ﴾ أى مظلما ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ راحة لكم و دلالة على قدرته سبحانه على الإيجاد و الإعدام و أنسا للحبين لربهم ﴿ و النهار ﴾ و أعار السبب وصف المسبب فقال : ﴿ مبصرا ط ﴾ أى لتنتشروا فيه ، حذف وصف الليل و ذكرت علته عكس ما فعل بالنهار ليدل ما ثبت على ما٤ حذف ، فالآية من الاحتباك .

و لما كانت هذه الآيات من الظهور بحيث لا يحتاج إلى أكثر من سماعها ، قال : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم ﴿ لأيٰت لقوم ﴾ أى لهم قوة المحاولة على ما يريدونه ﴿ يسمعون ه ﴾ أى لهم سمع صحيح . و فى ذلك أدلة واضحات٥ على أنه مختص بالعزة فلا شريك له . لأن الشريك لا بد و أن يقاسم شريكه شيئا من الأفعال أو الأحوال أو الملك ، و أما عند انتفاء جميع ذلك فانتفاء الشركة أوضح من أن يحتاج فيه إلى دليل ، و يجوز أن يكون المعنى : لآيات لقوم يبصرون إبصار اعتبار

---

(١) زيدت الواو من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تشبيه (٣) فى ظ : الايتلاف (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : واضحة .

و يسمعون سماع تأمل و ادكار ، و لكنه حذف " يبصرون " لدلالة " مبصرا " عليه ، و يزيد ذلك [وضوحا و - [1]] حسنا كون السياق لنفى الشركاء ، فهو إشارة إلى أنها[2] لا تسمع و لا تبصر أصلا فكيف بالاعتبار و الافتكار ؟ فالذين عبدوهم أكمل حالا منهم .

و لما لم يكن شبهة على ادعاء الولد لله سبحانه و لا لهم اطلاع عليه ب بوجه ، ساق قوله[3] :- ﴿ قالوا اتخذ ﴾ أى تكلف الأخذ بالتسبب على ما / نعهد ﴿ الله ﴾ أى المسمى بهذا الاسم الذى يقتضى تسميته[4] به أن /٥٩٦ يكون له الكمال كله ، فلا يكون محتاجا إلى شىء بوجه ﴿ ولدا ﴾ مساق البيان لقوله " ان يتبعون الا الظن " و هذا صالح لأن يكون تعجيبا ممن ادعى فى الملائكة أو عزير[5] أو المسيح و غيرهم .

و لما عجب منهم فى ذلك لمنافاته بما يدل عليه من النقص لما ثبت لله تعالى من الكمال كما مر ، نزه نفسه الشريفة عنه فقال : ﴿ سبحٰنه ﴾ أى تنزه عن كل شائبة نقص التنزه كله ؛ ثم علل تنزهه عنه[6] و بينه بقوله : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الغنى ﴾ أى عن الولد و غيره لأنه فرد منزه عن الأبعاض و الأجزاء و المجانسة ؛ ثم بين غناه بقوله : ﴿ له ما فى السمٰوٰت ﴾ و لما كان سياق الاستدلال يقتضى التأكيد ، أعاد " ما " فقال : ﴿ و ما فى الارض ﴾ من صامت و ناطق ، فهو غنى بملك ذلك عن أن يكون شىء منه ولدا له لأن الولد لا يملك ، و عدم ملكه نقص مناف للغنى ،

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : انه (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) فى ظ : تسميه .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : عزيرا (٦) سقط من ظ .

و لعله عبر بـ "ما" لأن الغنى محط نظره الصامت مع شمولها للناطق .

و لما بين بالبرهان القاطع و الدليل الباهر الساطع امتناع أن يكون له ولد ، بكتهم بنفي أن يكون لهم بذلك نوع حجة فقال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ عندكم ﴾ و أغرق فى النفي فقال : ﴿ من سلطٰن ﴾ أى حجة ﴿ بهذا ط ﴾ اى الاتخاذ[1] ، و سميت الحجة سلطانا لاعتلاء يد المتمسك بها ؛ ثم زادهم بها[2] تبكيتا بالإنكار عليهم[3] بقوله : ﴿ اتقولون ﴾ أى على سبيل التكرير ﴿ على الله ﴾ أى الملك الأعظم [على سبيل الاستعلاء -[4]] ﴿ ما لا تعلمون ه ﴾ لأن[5] ما لا برهان عليه [فى الأصول -[4]] فهو جهل ، فكيف بما قام الدليل على خلافه ؛ و السلطان : البرهان القاهر لأنه يتسلط به على صحة الأمر و يقهر به الخصم ، و أصله القاهر للرعية بعقد الولاية .

و لما قدم أن قولهم كذب ، و بكتهم عليه مواجهة ، اتبعه بما يشير إلى أنهم أهل للاعراض فى سياق مهدد على الكذب ، فقال معرضا عن خطابهم مؤكدا لأن اجتراءهم على ذلك دال على التكذيب بالمؤاخذة عليه : ﴿ قل ﴾ أى للذين[6] ادعوا الولد لله و حرموا ما رزقهم من السائبة و نحوها[7] ﴿ ان الذين يفترون ﴾ أى يتعمدون ﴿ على الله ﴾ أى[8] الملك الأعلى ﴿ الكذب لا يفلحون ط ﴾ ثم بين عدم الفلاح بقوله : ﴿ متاع ﴾

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الايجاد (٢) سقط من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : اى (٦) فى ظ : للذى (٧) زيد بعده فى الأصل : قل ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .
(٨) فى ظ : على .

[أى لهم -[1]] ، و نكره إشارة إلى قلته كما قال فى الآية الأخرى "متاع قليل[2]" و أكد ذلك بقوله : ﴿ فى الدنيا ﴾ لأنها دار ارتحال ، و ما كان إلى زوال و تلاش و اضمحلال كان قليلا و إن تباعد مدّه و تطاولت مُدَده و جل مَدَده ، و زاد على الحصر عدده ؛ و بين حالهم بعد النقلة بقوله[3] : ﴿ ثم ﴾ أى بعد ذلك الإملاء لهم و إن طال ﴿ الينا ﴾ أى على ما لنا من العظمة لا إلى غيرنا ﴿ مرجعهم ﴾ بالموت فنذيقهم عذابا شديدا لكنه دون عذاب الآخرة ﴿ ثم نذيقهم ﴾ يوم القيامة ﴿ العذاب الشديد بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كانوا ﴾ أى كونا هو جبلة لهم ﴿ يكفرون ﴾ و وجب كسر ' ان ' بعد القول لأنه[4] حكاية عما يستأنف الإخبار به كما فعل فى لام الابتداء لذلك .

و لما تقدم سؤالهم الإتيان بما يقترحون من الآيات ، و مضت الإشارة إلى أن تسييرهم[5] فى الفلك من أعظم الآيات و إن كانوا[6] لإلفهم [له قد -[7]] نسوا ذلك ، و تناسجت الآى[8] كما سلف إلى[9] أن بين[10] هذا أن متاع المفترين[11] الكذبَ قليل تخويفا من شديد السطوة و عظيم الأخذ ، عقب ذلك بقصة قوم نوح لأنهم كانوا أطول الأمم الظالمة مدة و أكثرهم عدة ، ثم أخذوا أشد أخذ فزالت آثارهم و انطمست أعلامهم [12]و منارهم[12] فصاروا كأنهم لم يكونوا أصلا و لا أظهروا قولا

---

(١) زيد من ظ (٢) سورة ٣ آية ١٩١ و سورة ١٦ آية ١١٧ (٣) فى ظ : فقال .
(٤) فى ظ : لان (٥) فى ظ : تيسيرهم (٦) فى ظ : كان (٧) زيد من ظ .
(٨) من ظ ، و فى الأصل : الآية (٩) فى ظ : الا (١٠) فى ظ : يبين (١١) فى ظ : المغتبرين (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و لا فعلا ، فقال تعالى عاطفا على قوله " قل ان الذين " مسليا لنبيه صلى الله عليه و سلم و أصحابه رضى الله عنهم لأن المصيبة إذا عمت خفت ، و تخويفا للكفار ليرجعوا أو يخفوا من أذاهم : ﴿و اتل﴾ أى[1] اقرأ قراءة متابعة مستعلية ﴿عليهم نبا نوح[2]﴾ أى خبره العظيم مذكرا[3] بأول كون الفلك و أنه كان إذ ذاك آية غريبة خارقة للعادة عجيبة ، و أن قوم نوح لم ينفعهم ذلك و لا أغنى عنهم اقتراءهم و عنادهم / مع تطاول الآمد و تباعد / ٥٩٧ المدد ، بل صار أمرهم إلى زوال ، و أخذ عنيف و نكال «كان لم يلبثوا الاساعة من النهار يتعارفون بينهم[3]» ، مع نجاة رسولهم و خيبة مأمولهم ، قد لبث فيهم ما لم يلبثه نبى فى قومه و لا رسول فى أمته ألف سنة إلا خمسين عاما ، و ما آمن معه إلا قليل[4] ﴿اذ قال لقومه﴾ أى بعد أن دعاهم إلى الله فأطال دعاءهم و متعوا فى الدنيا كثيرا و أملى[5] لهم طويلا فما زادهم ذلك إلا نفورا ﴿يٰقوم﴾ أى يا من يعز علىّ خلافهم و يشق علىّ ما يسوءهم لتهاونهم بحق ربهم مع قوتهم على الطاعة ﴿ان كان كبر﴾ أى شق و عظم مشقة صارت جبلة[6] ﴿عليكم﴾ و لما كانت عادة الوعاظ و الخطباء أن يكونوا حال الخطبة واقفين ، قال : ﴿مقامى﴾ أى قيامى ، و لعله خص هذا المصدر لصلاحيته لموضع القيام[7] و زمانه[7] فيكون

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : مذكر (٣) راجع سورة ١٠ آية ٤٥ (٤) زيد بعده فى الأصل : و قوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) فى ظ : املوا . (٦) فى ظ : بجبلة (٧ - ٧) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « من القيام » و الترتيب من ظ .

الإخبار بكراهته لأجل ما وقع فيه من القيام أدل على كراهة القيام ﴿و تذكيرى﴾ أى بكم ﴿بآيٰت الله﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام، فان ذلك لا يصدنى عن مجاهدتى بما يكبر عليكم من ذلك خوفا منكم لأن الله أمرنى به و أنا أخاف عذابه إن تركت، و لا أبالى بكراهيتكم لذلك خوف عاقبة قصدكم لى بالأذى ﴿فعلى﴾ أى فانى على ﴿الله﴾ أى الذى له العزة كلها وحده ﴿توكلت﴾ فاقامة ذلك مقام الجزاء من إطلاق السبب - الذى هو التوكل - على المسبب - الذى هو انتفاء الخوف - مجازا مرسلا، إعلاما لهم بعظمة الله و حقارتهم بسبب أنهم أعرضوا عن الآيات و هم يعرفونها، بما دل عليه التعبير بالتذكير، فدل ذلك على عنادهم بالباطل، و المبطل لا يخشى أمره[1] لأن الباطل لا ثبات له، و دل على ذلك بقوله: ﴿فاجمعوآ امركم﴾ أى فى أذاى بالإهلاك و غيره، اعزموا عليه و انووه و اجزموا به، و الواو بمعنى 'مع' فى قوله: ﴿و شركآءكم﴾ ليدل على أنه لا يخافهم و إن كانوا شركاءهم أحياء كائنين من كانوا و كانت كلمتهم واحدة لا فرقة فيها بوجه.

و لما كان الذى يتستر بالأمور[2] بما يفوته بعض المقاصد لاشتراط التستر، أخبرهم أنه لا يمانعهم سواء أبدوا أو أخفوا فقال: ﴿ثم لا يكن﴾ أى بعد التأبى و طول زمان المجاوزة فى المشاورة ﴿امركم﴾ أى الذى تقصدونه بى ﴿عليكم غمة﴾ أى خفيا يستتر عليكم شيء منه بسبب ستر ذلك عنى[3] لئلا أسعى فى معارضتكم، فلا تفعلوا ذلك بل جاهرونى به

(١) من ظ، وفى الأصل: اجره (٢) فى ظ: بالاثم (٣) من ظ، وفى الأصل: منى.

[مجاهرة - [١]] فانه لا معارضة لى بغـــير الله الذى يستوى عنده السر و العلانية[٢] ؛ و التعبير بـ "ثم" إشارة إلى التأنى و إتقان الأمر للأمان من معارضته بشيء من حول منه أو قوة ﴿ ثم اقضوآ ﴾ [ما تريدون[٣] ، أى بتوه بتة المقضى إليه واصلا - [١]] ﴿ الىّ ﴾ .

و لما كان ذلك ظاهرا فى الإيجاز و ليس صريحا ، [صرح - [١]] به فى قوله : ﴿ و لا تنظرون ﴾ أى ساعة ما ، وكل ذلك لإظهـار قلة المبالاة بهم للاعتماد[٤] على الله لأنه لا يعجزه شيء و معبوداتهـم لا تغنى شيئا ؛ ثم سبب عن ذلك قوله: ﴿ فان توليتم ﴾ أى كلفتم أنفسكم الإعراض عن الحق بعد عجزكم عن إهلاكى و لم ينفعكم علمكم بأن الذى منعنى - و أنا وحدى - منكم و أنتم ملء الأرض له العزة جميعا و أن[٥] من أوليائه الذين تقدم وعده الصادق بأنهم لا خوف عليهـم و لا هم يحزنون ﴿ فما ﴾ أى فلم يكن توليكم عن تفريط منى لأنى سقت الأمر على ما يجب ، ما ﴿ سالتكم ﴾ أى ساعة من الدهر ، و أغرق فى النفى فقال : ﴿ من اجر ﴾ أى على دعائى لكم يفوتنى بتوليكم و لا تتهمونى[٦] [٧] به فى دعائكم[٧] .

و لما كان من المحال أن يفعل عاقل شيئا لا لغرض ، بين غرضه بقوله مستأنفا : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ اجرى الا على الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ؛ ثم عطف عليه غرضا آخر و هو اتباع الأمر خوفا من حصول

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : العلن (٣) فى ظ : يريدون (٤) فى ظ : لاعتماد . (٥) فى ظ : انى (٦) فى الأصل : لا يتهمونى ، و فى ظ : لا تتهمونى (٧-٧) فى ظ : بدعائكم .

النضر فقال : ﴿ و امرت ﴾ أى من الملك الأعلى الذى لا أمر لغيره ، و بناه للفعول للعلم بأنه هو الآمر [و ليزيد فى الترغيب فى المأمور به و تغطية بجعله عمدة الكلام باقامته مقام الفاعل فقال -[١]] : ﴿ ان اكون ﴾ أى كونا أتخلق به فلا أنفك عنه ؛ [و لما كان فى مقام الاعتذار عن مفاجأته لهم بالإنذار ، عبر بالإسلام الذى هو الأفعال الظاهرة فقال -[١]] : ﴿ من المسلمين ﴾ أى الراسخين فى صفة الانقياد بغاية الإخلاص ، لى ما لهم و علىّ ما عليهم ، أنا و هم فى الإسلام سواء ، لا مرية لى فيه أتهم بها ، و أن أستسلم لكل ما يصيبنى فى الله ، لا يردنى ذلك عن إنفاذ[٢] أمره ، و الحاصل أنه لم يكن بدعائه إياهم فى موضع تهمة ، لا سألهم غرضا دنيويا يزيده إن أقبلوا و لا ينقصه / إن أدبروا . و لا أتى بشيء من عند نفسه ليظن أنه أخطأ فيه و لا سلك به مسلكا يظن به استعباده إياهم فى اتباعه ، بل أعلمهم بأنه أول مؤتمر بما أمرهم به مستسلم لما دعاهم[٣] إليه و لكل ما يصيبه فى الله ، و لما لم يردهم كلامه هذا عن غيهم[٤] ، سبب عنه قوله مخبرا بتماديهم : ﴿ فكذبوه ﴾ أى و لم يزدهم شيء من هذه البراهين الساطعة و الدلائل القاطعة إلا إدبارا ، وكانوا فى آخر المدة على مثل ما كانوا عليه من التكذيب ﴿ فنجينه ﴾ أى تنجية عظيمة بما لنا من العظمة الباهرة بسبب امتثاله لأوامرنا و صدق اعتماده علينا ﴿ و من معه ﴾ أى من العقلاء و غيرهم[٥] ﴿ فى الفلك ﴾ كما وعدنا أولياءنا ، و جعلنا

٥٩٨ /

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : انقياد (٣) فى ظ : ادعاهم (٤) فى ظ : غيرهم (٥) فى ظ : غيره .

ذلك آية للعالمين ﴿ و جعلنهم ﴾ أى على ضعفهم بما لنا من العظمة ﴿ خلّئف ﴾ أى فى الأرض بعد من أغرقناهم ، فمن فعل فى الطاعة فعلهم كان جديرا بأن نجازيه بما جازيناهم ﴿ و اغرقنا ﴾ أى بما لنا من كمال العزة ﴿ الذين كذبوا ﴾ أى مستخفين مستهينين ﴿ بايتنا ج ﴾ كما توعدنا[1] الذين يفترون على الله الكذب .

و لما كان هذا أمرا باهرا يتعظ به من له بصيرة ، سبب عنه أمر أعلى الخلق فهما بنظره إشارة إلى أنه لا يعتبر به حق الاعتبار غيره ، فقال : ﴿ فانظر ﴾ و أشار إلى أنه أهل لأن يبحث عن شأنه بأداة الاستفهام ، و زاد الأمر عظمة بذكر الكون فقال : ﴿ كيف كان ﴾ [أى كونا كان كأنه جبلة - ٢] ﴿ عاقبة ﴾ [أى آخر أمر - ٢] ﴿ المنذرين ﴾ [أى الغريقين فى هذا الوصف و هم الذين أنذرتهم الرسل ، فلم يكونوا أهلا للبشارة لأنهم لم يؤمنوا - ٢] [3]لنعلم أن من نذرهم[3] كذلك ، لا ينفع من أردنا شقاوته منهم إنزال آية و لا إيضاح حجة ؛ و التوكل : تعمد جعل الأمر إلى من يدبره[4] للتقدير فى تدبيره ؛ و الغمة : ضيق الأمر الذى يوجب الحزن ؛ و التولى : الذهاب عن الشيء ؛ و الأجر : النفع المستحق بالعمل ؛ و الإسلام : الاستسلام لأمر الله بطاعته بأنها خير ما يكتسبه العباد .

و لما لم يكن فى قصص من بينه و بين موسى عليهم السلام مما يناسب

---

(١) فى ظ : وعدنا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣-٣) فى ظ : النعلم الى من تنذرهم كذا (٤) فى ظ : يدبر .

مقصود هذه السورة إلا ما شاركوا فيه قوم نوح من أنهم لم تنفع الآيات من أريدت[1] شقاوته منهم، ذكره سبحانه طاويا لما عداه فقال تعالى: ﴿ثم﴾ أى بعد مدة طويلة ﴿بعثنا﴾ أى على عظمتنا؛ ولما كان البعث لم[2] يستغرق زمان البعد، أدخل الجار فقال: ﴿من بعده﴾ أى [قوم -[3]] نوح ﴿رسلا﴾ [4]كهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام[4].

ولما كان ربما ظن أن قوم الإنسان لا يكذبونه، وإن كذبوه لم يتمادوا على التكذيب لا سيما إن أتاهم بما يقترحونه من الخوارق قال: ﴿إلى قومهم﴾ أى ففاجأهم[5] قومهم بالتكذيب ﴿فجآءوهم﴾ أى فتسبب عن استنادهم إلى عظمتنا أن جاؤهم ﴿بالبينٰت﴾ ليزول تكذيبهم فيؤمنوا ﴿فما﴾ أى فتسبب عن ذلك ضد ما أمروا به وقامت دلائله وهو أنهم ما ﴿كانوا﴾ أى بوجه من وجوه الكون ﴿ليؤمنوا﴾ أى مقرين ﴿بما كذبوا﴾ أى مستهينين ﴿به﴾ أول ما جاؤهم. ولما كان تكذيبهم فى بعض الزمن الماضى، أدخل الجار فقال: ﴿من قبل﴾ أى قبل مجىء البينات لأنا طبعنا على قلوبهم؛ قال أبو حيان[6]: وجاء النفى مصحوبا بلام الجحود ليدل على أن إيمانهم فى حيز الاستحالة والامتناع - انتهى. ويجوز أن يكون التقدير: من قبل مجىء الرسل إليهم، ويكون التكذيب أسند إليهم لأن أباهم كذبوا لما بدلوا ما كان عندهم من الدين الصحيح

(١) من ظ، وفى الأصل: ابدت (٢) فى ظ: لا (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: ففاجأوهم (٦) راجع البحر المحيط ٥/١٨٠.

الذى أتتهم به الرسل و رضوا[1] هم بما أحدث آباؤهم استحسانا[2] له . أو لأنه كان بين أظهرهم بقايا على بقايا مما شرعته الرسل فكانوا يعظونهم فيما يبتدعون فلا يعون و لا يسمعون كما كان قس بن ساعدة و زيد بن عمرو بن نفيل و ورقة [بن نوفل -[3]] و غيرهم قبل بعث النبى صلى الله عليه و سلم ، لكن المعنى الأول أولى - [4]و الله أعلم[4] .

و لما قرر عدم انتفاعهم بالآيات ، بنى ما يليه على سؤال من لعله يقول : هل استمر هذا الخلق فيمن بعدهم ؟ فكأنه قيل : نعم! ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ما طبعنا على قلوبهم هذا الطبع / العظيم ﴿ نطبع ﴾ أى نوجد ٥٩٩ / الطبع و نجدده متى شئنا بما لنا من العظمة ﴿ على قلوب المعتدين ﴾ فى كل زمن لكل من تعمد العدو فيما لا يحل له . و هذا كما أتى موسى عليه السلام إلى فرعون فدعاه إلى الله فكذبه فأخبره أن معه آية تصدقه فقال له : إن كنت جئت بآية فائت بها إن كنت من الصادقين ، فلما أتاه بها استمر على تكذيبه و كان كلما رأى[5] آية ازداد تكذيبا ، وكان فرعون قد قوى ملكه وعظم سلطانه و علا فى كبريائه و طال تجبره على الضعفاء ، فطمست أمواله و آثاره ، و بقيت أحاديثه و أخباره ، و لهذا أفصح سبحانه بقصته فقال [د الا على الطبع -[3]] : ﴿ ثم بعثنا ﴾ أى و بعد زمن طويل من إهلاكنا إياهم بعثنا ، و لعدم استغراق زمن البعد أدخل الجار فقال : ﴿ من بعدهم ﴾ أى من[2] بعد أولئك الرسل

(١) من ظ ، و فى الأصل : رضا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : رآه .

﴿ موسى و ﴾ كذا بعثنا ﴿ هرون ﴾ تأييدا له لأن اتفاق اثنين أقوى لما يقررانه وأوكد لما يذكرانه ؛ ولما استقر فى الأذهان بما مضى ان ديدن الأمم تكذيب من هو منهم حسدا له ونفاسة عليه . كان ربما ظن أن الرسول لو أتى غير قومه كان الأمر[1] على غير ذلك . فبين أن الحال واحد فى القريب والغريب[2] ، فقال مقدما لقوله : ﴿ الى فرعون وملائه ﴾ أى الأشراف من قومه ، فان الأطراف تبع لهم ﴿ بآيٰتنا ﴾ [أى -[3]] التى لا تكتنه عظمتها[4] لنسبتها إلينا . فطبعنا على قلوبهم ﴿ فاستكبروا ﴾ أى طلبوا التكبر على قبول الآيات واوجدوا ما يدل عليه من الرد بسبب انبعاثه إليهم عقب ذلك ﴿ وكانوا ﴾ أى جبلة وطبعا ﴿ قوما مجرمين ﴾ أى طبعهم قطع ما ينبغى وصله ووصل ما ينبغى قطعه ، فلذلك اجترأوا على الاستكبار مع ما فيها أيضا من شديد المناسبة لما تقدم من قول الكافرين " هذا سحر مبين " فى نسبة موسى عليه السلام إليه وبيان حقيقة السحر فى زواله وخيبته متعاطية لإفساده إلى غير ذلك من الأسرار التى تدق عن الأفكار ، هذا إلى ما ينظم إليه من مناسبة ما بين إهلاك القبط وقوم نوح بآية الغرق ، وأنه لم ينفع أحدا من الفريقين معاينة الآيات ومشاهدة الدلالات البينات ، بل ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه بعد تلك المعجزات الباهرة والبراهين الظاهرة ، ثم اتبعهم فرعون بعد أن كانت انحلت عن حبسهم عراه ، وتلاشت من تجبره قواه ، وشاهد من الضربات ما يهد الجبال .

(١) فى ظ : الرسول (٢) فى ظ : البعيد (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : عظمتنا .

و دخل فى طلبهم البحر بحزات[1] لا يقرب[2] ساحتها الأبطال ، لما قدره عليه ذو الجلال ، و لم يؤمن حتى أتاه البأس حيث يفوت الإيمان بالغيب الذى هو شرط[3] الإيمان . فلم ينفعه إيمانه مع اجتهاده فيه و تكريره لفوات شرطه إجابة لدعوة موسى عليه السلام . [4]ثم إن بنى إسرائيل كانوا قبل مجيء موسى عليه السلام على منهاج واحد . فما اختلفوا إلا بعد مجيء العلم إليهم و بيان الطريق واضحة لديهم ، و لهذا المراد ذكر هنا هارون عليه السلام[4] لأن من أعظم مقاصد السورة المنع من طلب الآيات لمن يعد الإيمان عند الإتيان بها ، إشارة إلى أن القول من الاثنين أوكد ، و مع ذلك فلم يصدق من حكم القدير بشقاوته[5] ، كل ذلك حثا على الرضا و التسليم ، و وكل الأمر إلى الرب الحكيم ، فمهما أمر به قبل ، و ما أعرض عنه ترك السؤال فيه رجاء تدبيره بأحسن التدبير و تقديره ألطف المقادير ؛ و لما أخبر سبحانه باستكبارهم ، بين[6] أنه تسبب عنه طعنهم فى معجزاته من غير تأمل ، بل[7] بغاية المبادرة و الإسراع بما أشعرت[8] به الفاء و السياق ، فقال تعالى : ﴿ فلما جآءهم ﴾ أى فرعون و ملأه ﴿ الحق ﴾ أى البالغ فى الحقية . ثم زاد فى عظمته بقوله : ﴿ من عندنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة التى عرفوا بها أنه منا ، لا[7] من الرسولين ﴿ قالوآ ﴾ أى غير متأملين له و لا ناظرين فى أمره بل

(١) من ظ ، و فى الأصل : بحراه ـ كذا (٢) فى ظ : لا تقرب (٣) من ظ . و فى الأصل : شرف (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : بشقاوة . (٦) من ظ ، و فى الأصل : منبه ـ كذا (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : اشعر .

عنادا

عنادا و دلالة على استكبارهم مؤكدين لما علموا من تصديق الناس به / ﴿ ان هذا لسحر مبين ه ﴾ كما قال الناس الذين أخبر عنهم سبحانه فى ٦٠٠ أول السورة فى هذا القرآن و ما إبانه من البعث . فلما قالوا ذلك كان كأنه قيل : فماذا أجابهم ؟ فأخبر أنه أنكر عليهم، بقوله : ﴿ قال موسىٰ ﴾ و لما كان تكريرهم لذلك القول أجدر بالإنكار ، عبر بالمضارع الدال على أنهم كرروه لينسخوا ما ثبت فى قلوب الناس من عظمته ﴿ ا تقولون للحق ﴾ و نبه على أنهم بادروا إلى التكذيب من غير نظر و لا توقف بقوله : ﴿ لما جاءكم[1] ﴾ أى هذا القول الذى قلتموه و هو أنه سحر . فان القول يطلق على المكروه، تقول[2]: فلان قال فى فلان، أى[3] ذمه . و فلان يخاف القالة[4] ، و بين الناس تقاول ؛ ثم كرر الإنكار بقوله : ﴿ ا سحر هذا[5] ﴾ أى الذى هو فى غاية الثبات و المخالفة للسحر فى جميع الصفات حتى تقولون فيه ذلك ، فالآية من الاحتباك : ذكر القول فى الأول دال على حذف مثله فى الثانى ، و ذكر السحر فى الثانى دال على حذف مثله فى الأول .

و لما كان التقدير : أ تقولون هذا و الحال أنكم قد رأيتم فلاحه ، بنى عليه قوله : ﴿ و لا يفلح ﴾ أى يظفر بما يريد فى وقت من الأوقات ﴿ السّحرون ه ﴾ [أى العريقون فيه -[5]] لأن حاصل أمرهم تخييل و تمويه فى الأباطيل ، فالظفر بعيد عنهم ، و يجوز أن تجعل هذه الجملة معطوفة

(١) زيد بعده فى ظ : اولا حذف (٢) فى ظ : يقول (٣) فى ظ : ذمه (٤) فى ظ : المقالة (٥) زيد من ظ .

على قوله "أسحر هذا" لأنـــه إنكارى بمعنى النفى ، فلما أنكر عليهم عليه السلام ما ظهر به الفرق الجلى بين ما أتى به فى كونه أثبت الأشياء و بين السحر ، لأنه لا ثبات له أصلا ، عدلوا عن جوابه إلى الإخبار بما يتضمن أنهم لا يقرون بحقيته[١] لأنه يلزم على ذلك ترك ما هم عليه من العلو و هم لا يتركونه ، و أوهموا الضعفاء أن مراده عليه السلام الاستكبار معللين لاستكبارهم عن اتباعه بما دل على أنهم لا مانع أنهم منه إلا الكبر، فقال تعالى حكاية عنهم : ﴿ قالوآ ﴾ أى منكرين عليه معللين بأمرين : التقليد ، و الحرص على الرئاسة .

و لما كان هو الأصل فى الرسالة[٢] . وكان أخوه [له -[٣]] تبعا ، وحدوا الضمير فقالوا : ﴿ اجئتنا ﴾ أى أنت يا موسى ﴿ لتلفتنا ﴾ أى لتفتلنا و تصرفنا ﴿ عما وجدنا عليه ﴾ و قالوا مستندين إلى التقليد غير مستحيين من ترك الدليل ﴿ ابـآءنا ﴾ من عبادة الأصنام و القول بالطبيعة لنقر[٤] نحن بذلك ﴿ و يكون[٥] لكما ﴾ أى لك أنت و لأخيك [دوننا -[٣]] ﴿ الكبريآء ﴾ أى بالملك ﴿ فى الارض ﴾ أى أرض مصر التى هى - لما فيها من المنافع - كأنها الأرض كلها ﴿ و ما ﴾ أى و قالوا أيضا : ما ﴿ نحن لكما ﴾ و بالغوا فى النفى و غلب عليهم الدهش فعبروا بما دل على أنهم غلبهم الأمر فعرفوا أنه صدق و لم يذعنوا وقالوا : ﴿ بمؤمنين * ﴾

(١) من ظ . و فى الأصل : بحقيقة (٢) فى ظ : الرياسة (٣) زيد من ظ (٤) من ظ . و فى الأصل : لنحقر (٥) هى قراءة حماد بن يحيى عن أبى بكر و زيد عن يعقوب ، و فى ظ : تكون ، و هى قراءة الجمهور .

أى عريقين فى الإيمان، فهو عطف على " اجئتنا " أى قالوا ذاك و قالوا هذا، أو[1] يكون عطفا على نحو[2]: فما نحن بموصليك إلى هذا الغرض، [3]أفردوه أولا[3] بالإنكار عليه فى المجيء ليضعف و يكف[4] أخوه عن مساعدته، و أشركوه معه ثانيا تأكيدا لذلك الغرض و قطعا لطمعه؛ و البعث[5]: الإطلاق فى أمر يمضى فيه، و هو خلاف الإطلاق من عقال؛ و الملأ: الجماعة الذين هم وجوه القبيلة، لأن هيبتهم تملأ الصدور عند منظرهم؛ و الاستكبار: طلب الكبر من غير استحقاق؛ و المجرم من اكتسب[6] سيئة كبيرة، من جرم التمر - إذا قطعه، فالجرم يوجب قطع الخير عن صاحبه؛ و السحر: إيهام المعجزة على طريق الحيلة، و يشبه به البيان فى خفاء السبب؛ و الحق: ما يجب الحمد عليه و يشتد دعاء الحكمة إليه و يعظم النفع به و الضرر بتركه؛ و الكبرياء: استحقاق صفة الكبر فى أعلى المراتب، و هى صفة مدح لله و ذم للعباد لأنها منافية لصفة العبودية.

و لما لبسوا بوصفه بما هم به متصفون، أرادوا الزيادة فى التلبيس بما يوهم أن ما أتى به سحر تمكن معارضته إيقافا[7] للناس عن اتباعه، فقال تعالى حكاية عطفا على قوله " قالوا اجئتنا ": ﴿ و قال فرعون ﴾ إرادة المناظرة لما أتى به موسى عليه السلام ﴿ ائتونى بكل سحر عليم ﴾

(1) فى ظ « و » (2) سقط من ظ (3-3) من ظ، و فى الأصل: اقراوه ولا - كذا (4) من ظ، و فى الأصل: يكون (5) فى ظ: البحث (6) فى ظ: ارتكب (7) فى ظ: إيقافه.

/٦٠١ أى بالغ فى علم السحر لئلا يفوت شيء/ من السحر بتأخر البعض، [و قراءة حمزة و الكسائى بصيغة فعال دالة على زيادة لزعمه أقل من سياق الشعراء كما مضى فى الأعراف - ١].

و لما كان التقدير: فامتثلوا أمره و جمعوهم ، دل على قرب اجتماعهم بالفاء فى قوله : ﴿ فلما جآء السحرة ﴾ أى كل٢ من فى أرض مصر منهم ﴿ قال لهم موسىٓ ﴾ من يلا لهذا الإيهام ﴿ القوا ﴾ جميع ﴿ مآ انتم ملقون ۝ ﴾ أى راسخون فى صنعة إلقائه ، إشارة إلى أن ما جاؤا به ليس أهلا لأن يلقى إليه بال ﴿ فلمآ القوا ﴾ أى وقع٣ منهم الإلقاء بحبالهم و عصيهم [على إثر مقالاته - ١] و خيلوا بسحرهم لعيون الناس ما زلزل عقولهم ﴿قال موسى﴾ منكرا٤ عليهم ﴿ما جئتم به لا﴾ ثم بين٢ أنه ما٥ استفهم عنه جهلا بل احتقارا و إنكارا ، و زاد فى بيان كل من الأمرين بقوله : ﴿ السحر ط ﴾ لأنه استفهام أيضا سواء قطعت الهمزة و مدت كما فى قراءة أبى عمرو و أبى جعفر أو٦ جعلت همزة وصل كما فى قراءة الباقين ، فان همزة الاستفهام مقدرة ، و التعريف إما للعهد و إما للحقيقة و هو أقرب ، و يجوز فى قراءة الجماعة أن يكون خبرا٧ لما يقصد به الحصر ، أى هو السحر لا ما نسبتموه إلىّ ؛ ثم استأنف بيان ما حقره به فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له ٨إحاطة العلم و القدرة٨ ﴿ سيبطله ط ﴾ ٨أى عن قريب بوعد لاخلف فيه ؛ ثم علل ذلك بما بين٨

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : اوقع (٤) فى ظ : منكر (٥) فى ظ : لما (٦) فى ظ «و» (٧) فى ظ : خبر (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أنه

[1]أنه فساد فقال[1] : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ لا يصلح ﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿ عمل المفسدين ۝ ﴾ أى العريقين فى الفساد بأن لا ينفع بعملهم و لا يديمه ؛ ثم عطف عليه بيان إصلاحه عمل المصلحين فقال : ﴿ و يحق ﴾ أى يثبت إثباتا عظيما ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ الحق ﴾ أى الشىء الذى له الثبات صفة لازمة ؛ و لما كان فى مقام تحقيرهم ، دل على ذلك بتكرير الاسم الجامع الأعظم ، و إشار إلى ما له من الصفات العلى بقوله : ﴿ بكلمته ﴾ أى الأزلية التى لها الثبات الأعظم ، و زاد فى العظمة بقوله : ﴿ و لو كره المجرمون ۝ ﴾ أى العريقون فى قطع ما أمر الله به أن يوصل ، فكان كما قال عليه السلام : بطل سحرهم ، و اضمحل مكرهم ، و حق الحق - كما بين فى سورة الأعراف .

و لما حكى سبحانه أن موسى عليه السلام أبان ما أبان من بطلان السحر وكونه إفسادا ، فثبت ما أتى به لمخالفته له ، أخبر تعالى - تسلية للنبى صلى الله عليه و سلم و فطما عن طلب الإجابة للمقترحات - أنه ما تسبب عن ذلك فى أول الأمر عقب إبطال سحرهم من غير مهلة إلا إيمان ناس ضعفاء غير كثير ، فقال تعالى : ﴿ فمآ اٰمن ﴾ أى متبعا[2] ﴿ لموسىٓ ﴾ أى بسبب ما فعل ، ليعلم أن الآيات ليست سببا للهداية إلا لمن أردنا[3] ذلك منه ؛ و بين أن الصغار أسرع إلى القبول بقوله[4] : ﴿ الا ذرية ﴾ أى شبانهم [هم - [5]] أهل لأن تذر فيهم البركة ﴿ من قومه ﴾ أى قوم موسى الذين لهم قدرة

(١-١) سقط مابين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : مصدقا (٣) فى ظ : امدنا (٤) من ظ ، و فى الأصل : لقبوله (٥) زيد من ظ .

على القيام فى المحاولة لما يريدونه، و الظاهر أنهم كانوا أيتاما و أكثرهم - كما قاله مجاهد ﴿ على خوف[1] ﴾ أى عظيم ﴿ من فرعون و ملائهم[2] ﴾ أى أشراف قوم الذرية ؛ و لما كان إنكار الملإ إنما هو بسبب فرعون أن يسلبهم رئاستهم، انحصر الخوف فيه فأشار إلى ذلك بوحدة الضمير فقال : ﴿ ان يفتنهم[ط] ﴾ و أتبعه ما يوضح عذرهم بقوله مؤكدا تنزيلا لقريش منزلة من يكذب بعلو فرعون لتكذيبهم لأن ينصر عليهم الضعفاء من أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم لعلوهم : ﴿ و ان فرعون لعال ﴾ أى غالب قاهر متمكن بما فتناه به[3] من طاعة الناس له ﴿ فى الارض[ج] ﴾ أى أرض مصر التى هى بكثرة[4] ما فيها من المرافق كأنها جميع الأرض ﴿ و انه لمن المسرفين ه ﴾ أى العريقين فى مجاوزة الحدود بظاهره و باطنه، و إذا ضممت هذه الآية إلى قوله تعالى " و ان المسرفين هم اصحٰب النار[5] " كان قياسا[6] بديهيا منتجا إنتاجا صريحا قطعيا [7]أن فرعون[7] من أصحاب النار، تكذيبا لأهل الوحدة فى قولهم : إنه آمن. ليهونوا المعاصى عند الناس فيحلوا بذلك عقائد أهل الدين .

و لما ذكر خوفهم و عذرهم، أتبعه ما يوجب طمأنينتهم، و هو التوكل على الله الذى من راقبه تلاشى عنده كل عظيم، فقال : ﴿ و قال موسى ﴾ أى[3] لمن آمن به موطنا لهم على أن الجنة لا تنال إلا بمشقة عظيمة « يبتلى /٦٠٢

(١) فى ظ : قوم - كذا (٢) من ظ و القرآن الكريم ؛ وفى الأصل : ملايه - كذا (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : بكثر (٥) سورة . ٤ آية ٤٣ (٦) من ظ و فى الأصل : قياسيا (٧ - ٧) فى ظ : انه .

الناس على قدر إيمانهم، ﴿ يٰقوم ﴾ فاستعطفهم بالتذكير بالقرب وهزهم إلى المعالى بما فيهم من القوة ثم هيجهم وألهبهم[1] على الثبات بقوله[2]: ﴿ ان كنتم ﴾ أى كونا هو فى ثباته كالخلق الذى لا يزول ﴿ ءامنتم بالله ﴾ وثبتهم بذكر الاسم الأعظم وما دل عليه من الصفات، وأجاب[3] الشرط بقوله: ﴿ فعليه ﴾ أى وحده لما علم من عظمته التى لا يدانيها شيء سواه ﴿ توكلوآ ﴾ وليظهر عليكم أثر التوكل من الطمأنينة والثبات والسكينة ﴿ ان كنتم ﴾ أى كونا ثابتا ﴿ مسلمين ه ﴾ جامعين إلى تصديق القلب إذعان الجوارح؛ وجواب هذا الشرط ما دل عليه[4] الماضى من قوله "فعليه توكلوا" ﴿ فقالوا ﴾ أى على الفور كما يقتضيه الفاء ﴿ على الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها وحده ﴿ توكلنا ﴾ أى فوضنا أمورنا كلها إليه ﴿ ربنا ﴾ أى أيها الموجد لنا المحسن إلينا ﴿ لا تجعلنا فتنة ﴾ أى موضع مخالطة بما يميل ويحيل ﴿ للقوم الظّٰلمين ﴾ أى لا تصبنا أنت بما يظنون به [5]تهاونك بنا فيزدادوا نفرة عن دينك لظنهم[5] أنا على الباطل ولا تسلطهم[6] علينا بما يفتننا عن ديننا فيظنوا أنهم على الحق ﴿ ونجنا برحمتك ﴾ أى إكرامك لنا ﴿ من القوم ﴾ أى الأقوياء ﴿ الكٰفرين ه ﴾ أى العريقين فى تغطية الأدلة. وفى دعائهم هذا إشارة [إلى أن -[7]] أمر الدين أهم من أمر النفس.

(١) من ظ، وفى الأصل: الهمهم (٢) فى ظ: بقولهم (٣) فى ظ: احاط (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ: لا يستطلهم (٧) زيد من ظ.

و لما أجابوه إلى إظهار الاعتماد عليه سبحانه و فوضوا الأمور إليه، أتبعه ما يزيدهم طمأنينة من التوطن فى أرض العدو إشارة إلى عدم المبالاة[١] به، لأنه روى أنه كانت[٢] لهم متعبدات يجتمعون فيها، فلما بعث موسى عليه السلام أخربها فرعون، فأمر الله تعالى أن تجعل فى بيوتهم لئلا يطلع عليهم الكفرة فقال تعالى عاطفا على قوله "و قال موسى": ﴿و اوحينآ﴾ أى بما لنا من العظمة البالغة ﴿الى موسى و اخيه﴾ أى الذى طلب مؤازرته و معارضته ﴿ان تبوّا﴾ أى اتخذا ﴿لقومكما بمصر﴾ و هى ما بين البحر إلى أقصى أسوان و الإسكندرية منها ﴿ بيوتا ﴾ تكون لهم مرجعا يرجعون إليه و يأوون إليه ﴿ و اجعلوا ﴾ [أى - [٣]] أنتما و من معكما من قومكما ﴿ بيوتكم قبلة ﴾ أى مصلى لتتعبدوا[٤] فيها مستترين عن الأعداء تخفيفا[٥] من أسباب الخلاف ﴿واقيموا الصلوٰة ط﴾ أى بجميع حدودها و أركانها مستخفين ممن يؤذيكم جمعا بين آلتى النصر: الصبر و الصلاة، و تمرنا على الدين و تثبيتا له فى القلب.

و لما كان الاجتماع فيما تقدم أضخم و أعز و أعظم، و كان واجبا على الأمة كوجوبه[٦] على الإمام جمع فيه، و كان إسناده البشارة عن الملك إلى صاحب الشريعة أثبت لأمره[٧] و أظهر لعظمته و أثبت فى قلوب أصحابه و أقر لأعينهم، أفرد فى قوله: ﴿ و بشر المؤمنين ه ﴾

---

(١) من ظ، و فى الأصل: المعالاة (٢) فى ظ: كان (٣) زيد من ظ (٤) فى الأصل: ليتعبدوا، و فى ظ: لتعبدوا (٥) من ظ، و فى الأصل: تحقيقا (٦) فى ظ: لوجوبه (٧) فى ظ: لامر.

أى الراسخين فى الإيمان من أخيك[1] و غيره .

و لما ختم ببشارة من دل على إيمانهم إسلامهم بفعل ما يدل على هوان أمر العدو ، و كان هلاك المشانئ من أعظم البشائر ، و كان ضلال فرعون و قومه بالزينة و المال إضلالا لغيرهم[2]، سأل موسى عليه السلام إزالة ذلك كله للراحة من شره ، فقال تعالى حاكيا عنه : ﴿ و قال موسى ﴾ أى بعد طول دعائه لفرعون و إظهار المعجزات لديه و طول تكبره على أمر الله و تجبره على المستضعفين من عباده . و لما كان من أعظم أهل الاصطفاء ، أسقط الأداة تسننا بهم ، و أشار بصفة[3] الإحسان إلى أن هلاك أعدائهم أعظم إحسان إليهم فقال : ﴿ ربنآ ﴾ [أى - [4]] أيها المحسن إلينا ﴿ انك ﴾ أكد[5] لما للجهال من إنكار أن يكون عطاء الملك الأعظم سببا للاهانة ﴿ اٰتيت فرعون و ملاه ﴾ أى أشراف قومه على ما هم فيه من الكفر و الكبر ﴿ زينة ﴾ أى عظيمة يتزينون بها من الحلية و اللباس و غيرهما ﴿ و اموالا ﴾ أى كثيرة من الذهب و الفضة و غيرهما ﴿ فى الحيوٰة الدنيا لا ﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب و فضة و زبرجد و ياقوت ؛ ثم بين غايتها لهم[6] فقال / مفتتحا بالنداء باسم الرب ليعيذه و أتباعه من مثل حالهم : ﴿ ربنا ﴾ أى / ٦٠٣ [أيها - [4]] الموجد لنا المحسن إلينا و المدبر لأمورنا ﴿ ليضلوا ﴾ فى

---

(١) فى ظ : لاخيه (٢) من ظ ، و فى الأصل : لغيره (٣) فى ظ : بصيغة (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : لكم .

أنفسهم و يضلوا غيرهم ﴿عن سبيلك ج﴾ أى الطرق الواسعة التى نهجتها للوصول إلى رحمتك .

و لما بين أن مآلهم الضلال ، دعا عليهم فقال مفتتحا أيضا بالنداء باسم الرب ثالثا لأن ذلك من أمارات الإجابة كما أشير إليه فى آخر آل عمران و إشارة إلى أنهم[1] لاصلاح لهم بدون هلاكهم و هلاكها: ﴿ربنا اطمس﴾ أى أوقع الطمس و هو التسوية بين المطموس و بين غيره مما ليس له تمه ﴿علىٰ اموالهم﴾ .

و لما كان قد رأى منهم من التكبر على الله و التكذيب لآياته و التعذيب لأوليائه ما لا يشفى غيظه منه إلا إدامة[2] شقائهم دنيا و أخرى، وكان عالما بأن قدرة الله[3] على إبقائهم[4] على الكفر [مع – [5]] تحسيرهم بسلب[6] المال كقدرته على ذلك باستدراجهم إليه بالمال ، قال: ﴿و اشدد﴾ أى شدا ظاهرا لكل أحد – بما أشار إليه الفك مستعليا ﴿على قلوبهم﴾ قال ابن عباس: اطبع عليها و امنعها من الإيمان. و أجاب الدعاء بقوله: ﴿فلا يؤمنوا﴾ أى ليتسبب عن ذلك الشد عدم إيمانهم إذا رأوا مبادئ العذاب بالطمس ﴿حتى يروا﴾ أى بأعينهم ﴿العذاب الاليم ه﴾ حيث لا ينفعهم الإيمان فيكونوا جامعين ذل النفوس المطلوب منهم اليوم ليقدهم العز الدائم إلى شدة الغضب بوضع الشيء فى غير موضعه المنتج[7] لدوام ذلهم بالعقاب ؛ و هذه الآية منبهة على أن الرضى بكفر خاص

---

(١) فى ظ : انه (٢) فى ظ : امامة (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: بقائهم (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : بسبب (٧) من ظ ، و فى الأصل : المبيح .

لا يستلزم استحسان الكفر من حيث هو كفر ؛ قال الإمام الحليمي[1] فى كتاب شعب الإيمان المسمى بالمنهاج : و إذا تمنى مسلم كفر مسلم فهذا على وجهين : أحدهما أن يتمناه له كما يتمنى الصديق لصديقه الشيء يستحسنه فيحب أن يكون له فيه نصيب ، فهذا كفر لأن استحسان الكفر كفر، و الآخر أن يتمناه له كما يتمنى العدو لعدوه الشيء يستفظعه -[2] فيحب أن يقع فيه ، فهذا ليس بكفر ، تمنى[3] موسى صلوات الله عليه و سلامه بعد أن أجهده فرعون ألا يؤمن فرعون و ملأه ليحق عليهم العذاب ، و زاد على ذلك أن دعا الله تبارك و تعالى فلم ينكر تعالى ذلك عليه لعلمه أن شدته على فرعون و غلظته عليه لما رآه من عتوه و تجبره هى التى حملته على ذلك ، فمن كان فى معناه فله حكمه ؛ و قد نقل ذلك عنه الزركشي[4] فى حرف التاء[5] من قواعده مرتضيا له . و نقل عنه أيضا أنه قال : و لو كان فى قلب مسلم على كافر فأسلم فحزن المسلم لذلك و تمنى لو عاد إلى الكفر لا يكفر ، لأن استقباحه الكفر[6] هو الذى حمله على تمنيه و استحسانه الإسلام[7] هو الحامل له على كراهته ؛ و نقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنه لو[6] قتل عدو للانسان ظلما ففرح هل يأثم ! إن فرح بكونه[8] عصى الله فيه فنعم ، و إن فرح بكونه خاص

---

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن الحسن الشافعى (٢) من ظ ، و فى الأصل : يستعطفه (٣) فى ظ : تتمنى (٤) هو بدر الدين محمد بن عبد الله (٥) فى ظ : التاء .
(٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : الاستسلام (٨) فى ظ : بكون .

من شره فلا بأس لاختلاف سببي الفرح - انتهى . و يؤيده ما روى البيهقى فى دلائل النبوة بسنده عن مقسم مرسلا أن النبي صلى الله عليه و سلم دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته و دمى وجهه فقال : اللهم لاتحل عليه الحول حتى يموت كافرا ! فما حال عليه الحول حتى مات كافرا إلى النار . و مسألة أن الرضى بالكفر كفر نقلها الشيخان عن المتولى و سكتا عليها ، و[1] لكن قال الشيخ محيي الدين فى شرح المهذب : إن ذلك إفراط ، فما تقدم من التفصيل عن الحليمى و ابن عبد السلام هو المعتمد ، و المسألة فى أصل الروضة . فانه قال[1] : لو قال لمسلم : سلبه الله الإيمان ، أو لكافر : رزقه الله الإيمان ، فليس بكفر لأنه ليس رضى بالكفر [لكنه -[2]] دعاء عليه بتشديد الأمر و العقوبة ؛ قلت : ذكر القاضى حسين فى الفتاوى وجها ضعيفا أنه لو قال لمسلم : سلبه الله الإيمان ، كفر - و الله أعلم ، و حكى الوجهين عن القاضى فى الأذكار و قال : إن الدعاء بذلك معصية .

و لما أخبر[3] سبحانه عن دعائه عليه السلام أخبر / باجابته بقوله /٦٠٤
مستأنفا : ﴿ قال ﴾ و لما كان [الموضع -[2]] محل التوقع للاجابة ، افتتحه بحرفه فقال : ﴿ قد اجيبت دعوتكما ﴾ و البناء للفعول أدل على القدرة و أوقع فى النفس من جهة الدلالة على الفاعل بالاستدلال ، و ثنى للإعلام بأن هارون عليه السلام مع موسى عليه السلام فى هذا الدعاء ، لأنه معه كالشيء الواحد لا خلاف منه له أصلا و إن كان غائبا ، و ذلك

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : اخبرنا .

كما

كما بايع النبي صلى الله عليه و سلم عن عثمان رضى الله عنه فى عمرة الحديبية فضرب باحدى يديه على الأخرى و هو غائب فى حاجة النبي صلى الله عليه و سلم ، و كذا ضرب له فى غزوة بدر بسهمه و أجره و كان غائبا .

و لما كانت الطاعة و انتظار الفرج و إن طال زمنه أعظم أسباب الإجابة . سبب عن ذلك قوله : ﴿فاستقيما﴾ أى فاثبتا على [1]التعبد و التذلل[1] و الخضوع لربكما كما أن نوحا عليه السلام ثبت على ذلك و طال زمنه جدا و اشتد أذاه[2] و لم يضجر ؛ و لما كان الصبر شديدا . أكد قوله : ﴿و لا تتّبعٰن﴾ بالاستعجال أو الفترة عن الشكر ﴿سبيل الذين لا يعلمون ۝﴾ و لما أمر بالتأنى الذى هو نتيجة العلم . عطف على ذلك الإخبار بالاستجابة قوله : ﴿ وجوزنا ﴾ أى فعلنا بعظمتنا فى إجازتهم فعل المناظر للآخر المبارى له ، و دل بإلصاق الباء بهم على مصاحبته سبحانه لهم دلالة على رضاه بفعلهم فقال : ﴿ ببنىٓ اسرآءيل﴾ أى عبدنا المخلص لنا ﴿ البحر ﴾ إعلاما بأنه أمرهم[3] بالخروج من مصر و أنجز لهم ما وعد فأهلك فرعون و ملاه باتباعهم سبيل من لا يعلم بطيشهم و عدم صبرهم ، و نجى بنى إسرائيل بصبرهم و خضوعهم ؛ و الالتفات من الغيبة إلى التكلم لما فى هذه المجاوزة و مقدماتها و لواحقها من مظاهر العظمة و نفوذ الأوامر و مضاء الأحكام ؛ و بين سبحانه كيفية إظهار استجابة الدعوة بقوله مسببا عن المجاوزة :

(١ - ١) فى ظ : التذلل و التعبد (٢) من ظ ، وفى الأصل : داوه - كذا (٣) فى ظ : امر .

﴿ فاتبعهم ﴾ أى بنى إسرائيل ﴿ فرعون و جنوده ﴾ أى أوقعوا تبعهم أى حملوا نفوسهم على تبعهم، و هو السير فى أثرهم، و اتبعه - إذا سبقه فلحقه. و يقال: تبعه فى الخير و اتبعه فى الشر. و لما أفهم ذلك، صرح به فقال: ﴿ بغيا ﴾ أى تعديا للحق و استهانة بهم ﴿ و عدوا ﴾ أى ظلما و تجاوزا للحد.

و لما كان فاعل ذلك جديرا بأن يرجع عما سلكه من الوعورة، عجب منه فى تماديه فقال - عاطفا على ما تقديره: [و استمر - ١] يتمادى فى ذلك -: ﴿ حتى ﴾ و لما كانت رؤية انفراج البحر عن مواضع سيرهم مظنة تحقق رجوع الماء إلى مواضعه فيغرق، عبر بأداة التحقق فقال: ﴿ اذآ ادركه ﴾ أى قهره و أحاط به ﴿ الغرق لا ﴾ أى الموت بالماء كما سأل موسى [فى - ١] أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الأليم ﴿ قال ءامنت ﴾ أى أوقعت إيمان الداعى[٢] لى من التكذيب؛ ثم علل إيمانه بقوله مبدلا من "ءامنت" فى قراءة حمزة و الكسائى بالكسر مؤكدا من شدة الجزع: ﴿ انه ﴾ [و - ١] على تقدير الباء تعليلا فى قراءة الجماعة أى[٣] معترفا بأنه ﴿ لآ اله الا الذى ﴾ و يجوز أن يكون أوقع "ءامنت" على "انه" و ما بعدها - أى "ءامنت" - نفى الإلهية عن كل شىء غير من استثنيته من أن أعبره أو أرجع عنه.

و لما كان قد تحقق الهلاك و علم أنه لا نجاة إلا بالصدق، أراد الإعلام

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: الدعا (٣) فى ظ: انه.

بغاية صدقه فقال: ﴿ امنت ﴾ أى أوقعت التصديق معترفة ﴿ به بنوآ اسرآءيل ﴾ فعينه تعيينا أزال الاحتمال؛ ثم قال: ﴿ و انا من المسلمين ﴾ [1]فكرر قبول[1] ما كان دعى إليه فأباه استكبارا، و عبر بما دل على ادعاء الرسوخ فيه بيانا لأنه ذل ذلا لم يبق معه شيء من ذلك الكبر[2] و لم ينفعه ذلك لفوات شرطه، فاتصل ذله ذلك بذل الخزى فى البرزخ و ما بعده، و قد كانت المرة الواحدة كافية له عند وجود الشرط. و زاده تعالى ذلا بالإيئاس من الفلاح بقوله على لسان الحال أو جبريل عليه السلام [3]أو ملك الموت أو غيره من الجنود عليهم السلام[3]: ﴿ آلـٰٔن ﴾ أى أتجيب إلى ما دعيت إليه فى هذا الحين الذى لا ينفع[4] فيه الإجابة لفوات الإيمان بالغيب الذى لا يصح أن يقع اسم الإيمان إلا عليه / ﴿ و قد ﴾ أى و الحال / ٦٠٥
أنك قد ﴿ عصيت ﴾ أى بالكفر ﴿ قبل ﴾ أى فى[5] جميع زمان الدعوة الذى قبل هذا الوقت، و معصية[6] الملك توجب الأخذ و الغضب كيف كانت، فكيف و هى بالكفر! ﴿ وكنت ﴾ أى كونا جبليا ﴿ من المفسدين ﴾ أى العريقين فى الفساد و الإفساد؛ ثم أكده - بدل شماتة الأعداء [به -[7]] الذين كانوا عنده أقل شيء و أحقره - بقوله مسببا عما تضمنه ذلك الإنكار من الإذلال بالإهلاك إشارة إلى أن الماء أحاط به و صار يرتفع قليلا [قليلا -[7]] حتى امتد زمان التوبيخ: ﴿ فاليوم ننجيك ﴾ أى تنجية عظيمة.

(١ - ١) فى الأصل: فكرره قبول، و فى ظ: كرر قول (٢) فى ظ: الامر.
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ: لا تنفع (٥) فى ظ: قبل.
(٦) من ظ. و فى الأصل: مودية (٧) زيد من ظ.

و لما كان ذلك سارا و كانت المساءة بما يفهم السرور إنكاء، قال دالا على أن ذلك بعد نزع روحه: ﴿ ببدنك ﴾ أى من غير روح و هو كامل لم ينقص منه شيء حتى لايدخل فى معرفتك لبس ﴿ لتكون ﴾ أى كونا هو فى غاية الثبات ﴿ لمن خلفك ﴾ أى يتأخر عنك فى الحياة من بنى إسرائيل و[1] غيرهم ﴿ اٰية[2] ﴾ فى[3] أنك [عبد-[4]] ضعيف حقير، لست برب فضلا عن أن تكون أعلى و يعرفوا[5] أن من عصى[6] الملك أخذ و إن كان أقوى[7] الناس و أكثرهم جنودا، و قد ادعى بعض الملحدين إيمانه بهذه الآية إرادة لما يعيذ الله منه من حل[7] العقد الواجب من أن فرعون من أكفر الكفرة باجماع أهل الملل ليهون للناس الاجتراء على المعاصى، و ادعى أنه لا نص فى القرآن على أنه من أهل النار و ضل عن الصرائح التى فى القرآن فى ذلك فى غير موضع و عن أن قوله تعالى "و ان فرعون لعال فى الارض و انه لمن المسرفين[8]" مع قوله تعالى "و ان المسرفين هم اصحب النار[9]" قياس قطعى الدلالة بديهى النص على أنه من أهل النار، و الآية - كما ترى - دليل على قوله "قل ارءيتم[10] ان اتكم عذابه بياتا او نهارا" - الآية. لو كان فرعون مثل قريش، فكيف و لا نسبة لهم منه فى شدة الاستكبار التابعة لكثرة[11] الجموع و نفوذ

---

(١) فى ظ : او (٢) فى ظ : اى (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل : تعرفوا على (٥) فى ظ : اخذ (٦) من ظ. و فى الأصل : اقرب (٧) فى ظ : جعل. (٨) سورة ١٠ آية ٨٣ (٩) سورة ٤٠ آية ٤٣ (١٠) من ظ و القرآن الكريم آية ٥٠. و فى الأصل : ارايتكم (١١) من ظ. و فى الأصل : الكثرة.

الكلمة بضخامة الملك و عز السلطان و القوة بالأموال و الأعوان، و قد روى أن جبريل عليه السلام كان أتاه[1] بفتيا في عبد نشأ في نعمة[2] سيده فكفر نعمته و جحد حقه و ادعى السيادة دونه. فكتب فرعون جزاء العبد الخارج عن[3] [طاعة -[4]] سيده الكافر نعماءه أن يغرق في البحر. فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه.

و لما لم يعمل فرعون و آله بمقتضى ما رأوا من الآيات، كان حكمهم حكم الغافلين عنها، فكان التقدير: [و -[4]] لقد غفلوا عما جاءهم من الآيات ﴿و ان كثيرا﴾ أكده لأن مثله ينبغي - لبعده عن الصواب - أن لا يصدق أن أحدا يقع فيه ﴿من الناس﴾ أي وهم من لم يصل إلى حد[5] أول أسنان أهل الإيمان لما عندهم من النوس - و هو الاضطراب - و الأنس بأنفسهم ﴿عن اٰيٰتنا﴾ أي على ما لها من العظمة ﴿لغٰفلون ع﴾ و الإصلاح: تقويم العمل على ما ينفع بدلا مما يضر؛ و إحقاق الحق: إظهاره و تمكينه بالدلائل الواضحة حتى يرجع الطاعن عنه حسيرا و المناصب له مفلولا[6]؛ و الإسراف:[7] الإبعاد في مجاوزة الحق؛ و الفتنة: البلية، و هي معاملة تظهر الأمور الباطنة؛ و النجاة: الخلاص مما فيه المخافة، و نظيرها[8] السلامة، و علقوا النجاة بالرحمة لأنها إنعام على المحتاج بما تطلع إليه نفوس العباد. فهو على أوكد ما يكون

(١) في ظ: اتا (٢) في ظ: عبادة (٣) من ظ، و في الأصل: على (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و في الأصل: احد (٦) في ظ: مغلولا (٧) زيدت الواو بعده في ظ (٨) من ظ، و في الأصل: تطهيرها.

من الدعاء إلى الصلاح ؛ و الوحى : إلقاء المعنى إلى النفس فى خفاء. و الإيحاء و الإيماء و الإشارة نظائر ، ولا يجوز أن تطلق الصفة بالوحى إلا لنبيء ؛ و تبوأ[1] : اتخذ ، و أصله الرجوع ، فالمتبوأ : المنزل ، لأنه يرجع إليه للمقام فيه : و الطمس : محو الأثر فهو تغير إلى الدثور و الدروس ؛ و الإجابة : موافقة الدعوة فيما طلب بها لوقوعها على تلك الصفة ؛ و الدعوة : طلب الفعل بصيغة الأمر ، و قد تكون بالماضى ؛ و المجاوزة : الخروج عن الحد من إحدى[2] الجهات ؛ و البحر : مستقر الماء الواسع بحيث لا يدرك طرفيه من كان فى وسطه ، و هو مأخوذ من الاتساع ؛ و الاتباع : اللحاق بالأول ؛ و البغى : طلب الاستعلاء بغير حق ؛ و الآن : فصل[3] الزمانين الماضى و المستقبل ، مع أنه إشارة إلى الحاضر ، و لهذا بنى كما بنى "ذا" ؛ / و البدن : مسكن روح الحيوان على صورته . ٦٠٦ /

و لما ذكر تعالى عاقبة أمر فرعون و قومه و أنهم لم[4] ينتفعوا بما جاءهم من البينات[5] مع ما كان فيها من جلى البيان و فى بعضها من الشدائد و الامتحان حتى كان آخرها أنه لما رأى مبدأ الهلاك من انفراق البحر لم يزعه عن لجاجه غفلة منه عن عاقبته ، و ختمها بالإخبار بكثرة الغفلة إشارة إلى أن هذا الخلق فى غير القبط أيضا ، أتبع ذلك ذكر خاتمة أمر بنى إسرائيل فيما[6] خولهم فيه بعد الإنجاء من النعم المقتضى للعلم القطعى بأنه لا إله غيره ، و أن من خالفه كان على خطر الهلاك ،

(١) من ظ ، و فى الأصل : تبوا وا (٢) فى الأصل و ظ : احد (٣) فى ظ : فضل (٤) من ظ ، و فى الأصل : لا (٥) فى ظ : الآيات (٦) فى ظ : فلما .

و أنهم - مع مشاهدتهم الآيات الآتية بسببهم إلى فرعون - آتاهم من الآيات الخاصة بهم المنجزة لصدق وعده سبحانه لآبائهم ما فيه غاية الإحسان إليهم و الإكرام لهم، و أنهم كانوا تحت يد فرعون على طريق واحد، ليس بينهم خلاف، و ما اختلفوا فصاروا فرقا[1] فى الاعتقادات و أحزابا فى الديانات حتى جاءهم العلم الموضح[2] من الله، فكان المقتضى لاجتماعهم على الله مفرقا لهم على سبيل الشيطان لخبث سرائرهم و سوء ضمائرهم وقوفا مع الشاهد الزائل و جمودا مع المحسوس الفانى و نسيانا للغائب الثابت و المعلوم المتيقن، كل ذلك لأنا قضينا به فالأمر تابع لما نريد، لا لما يأمر[3] به و ينهى[4] عنه. فكان أعظم زاجر[5] عن طلب الآيات و ظن أنها توجب [له - [6]] الرد عن[7] الغوايات، فقال تعالى: ﴿و لقد بوانا﴾ أى أسكنا بما لنا من العظمة التى تنقطع الأعناق دون عليائها و تتضاءل ثواقب الأفكار عن إحصائها ﴿بنى اسرآءيل﴾ مسكنا هو أهل لأن يرجع إليه من خرج عنه، و هو المراد بقوله: ﴿ مبوا صدق ﴾ أى فى الأرض المقدسة لأن[8] وعدنا كان قد تقدم لهم بها و عادة العرب أنها إذا مدحت الشيء أضافته إلى الصدق لأنه مع ثباته حبيب إلى كل نفس و يصدق ما يظن به من الخير.

و لما كان المنزل لا يطيب إلا بالرزق، و كان التعبير عنه بالمبوإ دالا على الرزق بدلالة الالتزام[9]، صرح به فقال: ﴿ و رزقنهم ﴾ أى

(١) من ظ، و فى الأصل: فعدوا - كذا (٢) فى ظ: الواضح (٣) فى ظ: نامر. (٤) فى ظ: ننهى (٥) فى ظ: زاجرا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: على (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ: الاكرام.

بما لنا من العظمة ﴿من الطيبت﴾ أي الحسية حلاء و اشتهاء من الفواكه و الحبوب و الألبان و الأعسال و غيرها، و المعنوية[1] من الشريعة و الكتاب و المعارف كما تقدم وعدنا لآبائهم بذلك. و لما كانوا كغيرهم[2] إذا كانوا على[3] أمور يتواضعون عليها تقاربوا فيها و توافقوا، و إذا كانوا على حدة حدة لهم المحسن إليهم وحده لم يلبثوا أن يختلفوا، عابهم الله بذلك فقال: ﴿فما﴾ أي فتسبب عن صدقنا لهم في الوعد أنهم ما ﴿اختلفوا﴾ أي أوقعوا الخلف المفضي إلى جعل كل منهم صاحبه خلفه[4] و وراء ظهره، و استهان به ﴿حتى جاءهم العلم﴾ الموجب لاجتماعهم[5] على كلمة واحدة لما له من الضبط حتى يكون أتباعه على قلب واحد، فكأنه قيل: فماذا يفعل بهم؟ لا هم بعقولهم ينتفعون و لا بما جاءهم من الحق يرجعون؟ فقيل مؤكدا لإنكار العرب البعث: ﴿ان ربك﴾ أي المحسن إليك بإيصاء الأنبياء بك و وصفك في كتبهم و جعلك صاحب لواء الحمد في القيامة ﴿يقضي بينهم﴾.

و لما كان هذا تهديدا عظيما، زاده هولا و عظمة بقوله: ﴿يوم القيمة﴾ أي الذي هو أعظم الأيام ﴿فيما كانوا﴾ أي بأفعالهم الجبلية[6] ﴿فيه يختلفون ه﴾ فيميز الحق من الباطل، و الصديق من الزنديق، و يسكن كلا داره.

ذكر بعض ما في التوراة من المن عليهم بالأرض المقدسة:

---

(١) في ظ: المعونة (٢) في ظ: لغيرهم (٣) في ظ: في (٤) من ظ، و في الأصل: خلفة (٥) من ظ، و في الأصل: للاجتماع (٦) في ظ: الجلية.

قال فى أثناء السفر الخامس[1]: قد رأت أعينكم جميع أعمال الله العظيمة التى عمل ، فاحفظوا جميع الوصايا التى آمركم الله بها اليوم لتدخلوا الأرض التى تجوزون إليها لترثوها و تطول أعماركم فى الأرض التى أقسم الله لآبائكم أن يعطيهم[2] و يرثها نسلهم الأرض التى تغل السمن و العسل ، لأن الأرض التى تدخلونها لترثوها ليست مثل أرض مصر التى خرجتم د / ٦٠٧
منها التى كنتم تحتاجون فيها أن تستقوا[3] بأرجلكم و تسقوها مثل بساتين السقى ، و لكن الأرض التى تجوزون[4] إليها لترثوها هى أرض الجبال و الصحارى ، و إنما تشرب من مطر السماء . يتعاهدها الله ربكم فى كل حين ، و عينا الله ربنا فيها منذ أول السنة إلى آخر السنة . فان أنتم سمعتم الأحكام التى آمركم بها اليوم و تتقون الله ربكم و تعبدونه من كل قلوبكم و أنفسكم يديم نظره إليكم . و يمطر لكم فى[5] الخريف و الربيع جميعا ، و تستغلون طعاما و شرابا و[6] زيتا ، و ينبت[6] فى حرثكم عشبا لمواشيكم ، و تأكلون و تشبعون ، احفظوا أن لا تخدع[7] قلوبكم و تروغوا إلى الآلهة الأخرى و تسجدوا لها و تعبدوها فيشتد غضب الرب عليكم ، و يمنع السماء من المطر و الأرض من غلاتها ، و تهلكوا[8] سريعا من الأرض التى يعطيكم الله ربكم ، بل اجعلوا هذه الآيات فى قلوبكم ، و صيروها ميسما بين أعينكم ، و علموها بنيكم أن يتكلموا بها فى حضوركم و فى سفركم ، و إذا

(١) راجع الأصحاح الحادى عشر (٢) فى ظ : تعطيهم (٣) فى ظ : تسقوا (٤) من ظ ، و فى الأصل : يجوزون (٥) فى ظ : من (٦ - ٦) من ظ ، و فى الأصل : اثنا و تنبت - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : لا يخدع (٨) فى ظ : يهلكون .

رقدتم و إذا قمتم ، و اكتبوها على معاقم بيوتكم و أبوابكم لتطول أعماركم و أعمار أولادكم فى الأرض التى أقسم الله لآبائكم أن يعطيهم . و إن أنتم حفظتم هذه الوصايا كلها و عملتم بها و أحببتم الله ربكم و سرتم فى طرقه و لحقتم بعبادته يهلك الرب الملوك كلها من بين أيديكم و ترثون[1] شعوبا أعظم و أعز منكم ، و كل بلاد تطأها أقدامكم تكون لكم بين البرية و لبنان و من النهر إلى الفرات : النهر الأكبر ، و تكون تخومكم عند البحر الآخر ، و لا يقدر أحد أن يقاومكم ، و يلقى الله ربكم خوفكم و فزعكم على كل الأرض التى تطأونها كما قال لكم الرب : انظروا ! إنى أتلو عليكم دعاء و لعنا ، أما الدعاء فتصيرون إليه إن أنتم حفظتم وصايا الله ربكم ، و أما اللعن فيدركم إن [أنتم -[2]] لم تسمعوا وصايا الله ربكم و زغتم عن الطريق الذى أمركم به اليوم و تبعتم آلهة أخرى لم تعرفوها ، و إذا أدخلكم الله ربكم إلى الأرض التى تدخلونها لترثوها أتلو الدعاء على [جبل -[2]] حوريب و اللعن على جبل من حيالها فى مجاز الأردن خلف الطريق عند مغارب الشمس فى أرض الكنعانيين الذين يسكنون المغرب بازاء الجبال و جبال بلوط - و فى نسخة : مرج[3] مرى ، لأنكم تجوزون الأردن لتدخلوا و ترثوا الأرض [التى -[2]] يعطيكم الله ربكم و تسكنونها و تحفظون و تعملون بجميع الوصايا التى آمركم بها اليوم - انتهى .

و فى سفر يوشع [4]بن نون[4] عليه السلام[5] : و لما كان بعد موسى

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : يرثون (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : مره (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) راجع الأصحاح الأول .

عبد الله قال الله ليوشع بن نون خادم موسى عليهما السلام: موسى عبدى مات، و الآن فقم فاعبر هذا الأردن أنت. و كل هذا[1] الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لبنى إسرائيل، كل موضع تطأه أرجلكم لكم أعطيته، كما قلت لموسى عبدى: من البر و هذه اللبنان و إلى النهر الكبير نهر الفرات كل أرض الذاعرين، لا يقف أحد قدامك طول أيام حياتك. كما كنت مع موسى أكون معك، لا أدعك و لا أتركك، اشتد و تأيد، فانك أنت تنحل هذا الشعب الأرض التى قسمت لآبائهم لإعطاء ذلك لهم، لا يزول درس كتاب هذه الشريعة من فيك، و تلهج به نهارا و ليلا لكى تحفظ للعمل بجميع المكتوب. فحينئذ تنجح طرقك. و حينئذ ترشد، أليس قد أوصيتك؟ اشتد و تأيد. و لا ترهب و لا تنذعر، لأن معك الله ربك فى جميع ما تسير[2] فيه، و وصى يوشع عرفاء القوم قائلا: جوزوا فى وسط العسكر و وصّوا القوم قائلين لهم[1]: أعدوا لكم زادا فانكم بعد ثلاثة أيام عابرون هذا الأردن [3]للدخول لإرث[3] الأرض التى الله ربكم معطيها لكم، اذكروا ذكر القول الذى أمركم به موسى عبد الله قائلا: الله ربكم مريحكم بما أعطاكم هذه الأرض، نساءكم و أطفالكم و مواشيكم تجلسون /٦٠٨ب فى مدنكم التى أعطاكم موسى عبد[1] الله فى مجاز الأردن [و أنتم تجوزون محزومى الخواطر إلى أن يريح الله إخوتكم كما أراحكم فترثوا أيضا الأرض التى ربكم معطيكم، حينئذ ترجعون إلى أرض حوزكم التى أعطاكم موسى عبد الله فى مجاز الأردن -[4]] مشرق الشمس، فأجابوا يوشع قائلين: جميع

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: تشير - كذا (٣-٣) من ظ، و فى الأصل: دخول الارث (٤) زيد مابين الحاجزين من ظ.

ما أوصيتنا به نعمل، وكل موضع ترسلنا نمضى، كجميع ما قبلنا من موسى كذلك نقبل منك. إذا كان الله معك كما كان مع موسى، كل إنسان يخالف أمرك ولا يقبل كلامك لجميع ما تأمره به يقتل. فاشتد وتأيد. فبعث يوشع بن نون من الكفرين[1] رجلين جاسوسين فى خفية قائلا: امضيا! انظرا الأرض كلها مع أريحا، فمضيا ودخلا إلى بيت امرأة سواقة اسمها راحاب واضطجعا ثمّ، فقيل لملك أريحا: هو ذا أناس من بنى إسرائيل قد جاؤا إلى هنا الليلة لجس[2] البلد، فأرسل ملك أريحا إلى راحاب قائلا: أخرجى القوم الجائين إليك الذين دخلوا دارك. فانهم لجس جميع البلد جاؤا. فأخذت المرأة الرجلين فأخفت[3] أمرهما وقالت: كذلك كان القوم جاؤا إلىّ ولم أعلم من أين هم؟ وكان عند إغلاق الباب فى الظلام. ثم خرج القوم ولم أعلم أين مضوا؟ اطلبوهم بسرعة فانكم تلحقونهم؛ ثم أصعدتهما إلى السطح وظهّرتهما فى فش[4] الكتان. والقوم طلبوهما فى طريق الأردن إلى المعابر[5] - وفى نسخة: إلى المخاضات - والباب أغلقوا بعد ما خرج الطالبون خلفهما، وهما قبل أن يناما صعدت[6] إليهما راحاب إلى السطح فقالت لهما: قد علمت أن الله سلم إليكم البلد، وأنه قد وقعت هيبتكم علينا، وقد ماج جميع سكان البلد من قبلكم. وإنا [قد -[7]] سمعنا أن الله أيبس لكم

(١) فى سفر يوشع: شطيم (٢) من ظ. وفى الأصل: لجسس (٣) فى ظ: اخفت (٤) فى ظ: قس (٥) من ظ، وفى الأصل: المقابر (٦) من ظ. وفى الأصل: صعد (٧) زيد من ظ.

بحر

بحر القلزم عقب خروجكم من مصر و ما عملتم[1] بملكى الأمورانيين الذين فى مجاز الأردن: سيحون و عوج اللذين اصطلمتموهما، فعند ما سمعنا ذابت قلوبنا و لم يثبت أيضا روح فى واحد منا من جهتكم، فان الله ربكم هو إله من فى السماوات من فوق و من على الأرض من تحت، و الآن فاحلفوا باسم الله إذ قد عملت معكما فضلا. [2]فتعملا أيضا[2] أنتما مع أهل أبى فضلا، و تعطيانى علامة هى حق، لتستبقوا أبى و أمى و إخوتى و جميع من اتصل بهم، و تخلصوا أنفسنا من القتل. فقالا لها: نبذل أنفسنا دونكم للموت إن لم تخبروا بخبرنا هذا، فيكون عند تسليم الله لنا البلد نعمل معك فضلا و أمانة، فأحدرتهما بالحبل[3] من داخل الطاقة إذ منزلها فى حائط السور، و فى السور هى ساكنة. و قالت لهما: سيرا إلى الجبل كيلا يلقاكما الطالبون، و بعد ذلك سيرا[4] لطريقكما[5]، فقالا لها: أبرياء نحن من قسمك هذا الذى استقسمتنا[6] إن لم تفعلى ما نقول لك، هو ذا نحن داخلون إلى البلد فاعقدى خصلة خيط من القرمز فى الطاقة التى أحدرتنا منها، و أبوك و أمك و إخوتك و كل بيت أبيك تضمين إليك إلى المنزل، فيكون كل من يخرج من أبواب منزلك إلى خارج دمه فى عنقه و نحن أبرياء. وكل من يكون معك فى المنزل دمه[7] فى أعناقنا إن بطشت به يد. و إن أخبرت بخبرنا

(١) فى ظ: علمتم (٢-٢) فى ظ: فتعملان (٣) فى ظ: بالجبل (٤) من ظ، و فى الأصل: سيروا (٥) فى ظ: لطريكما - كذا (٦) فى الأصل: استقسمتينا، و فى ظ: قسمتنا (٧) فى ظ: دمعه.

هذا فنحن أبرياء من قسمك الذى استقسمتنا[١]، فقالت: كما قلتما. فأطلقتهما و مضيا، و عقدت خصلة القرمز فى الطاقة، فضيا إلى الجبل و جلسا ثَمّ ثلاثة أيام إلى أن رجع الطالبون و لم يجدوهما. و رجع الرسولان و انحدرا من الجبل و جازا الأردن و جاءا إلى يوشع بن نون و قصا له كل ما وافاهما و قالا[٢] ليوشع: إن الله دفع بأيدينا كل الأرض، و قد ماج جميع سكانها منا؛ و أدلج يوشع بالغداة و رحلوا[٣] من الكفرين، و جاؤا إلى الأردن هو و جميع بنى إسرائيل و باتوا ثَمّ قبل أن يجوزوا. فلما كان[٤] بعد ثلاثة أيام جاز النقباء فى وسط العسكر و أمروا القوم قائلين لهم: عند نظركم صندوق عهد الله ربكم و الأئمة اللاويين[٥] حاملين له أنتم ترحلون من موضعكم و تمشون خلفه، لكن[٦] بينكم و بينه بُعد مقدار ألفى ذراع بالمساحة، لا تقربوا منه لأجل أن تعرفوا الطريق التى تمشون فيها [٧]إذ لم تمشوا فيها[٧] أمس و أول أمس. و قال يوشع للقوم: استعدوا فان غدا يعمل الله فى وسطكم /عجائب، و قال يوشع للأئمة: احملوا صندوق العهد ٦٠٩: و جوزوا قدام القوم. فحملوا صندوق العهد و ساروا قدام القوم، و قال الله ليوشع: هذا اليوم أبتدئ بتعظيم اسمك بحضرة جميع[٨] إسرائيل لكى يعلموا أنى كما كنت مع موسى أكون معك؛ و قال يوشع لبنى إسرائيل: تقدموا

(١) فى الأصل: استقستمنينا، و فى ظ: اقسمتنا (٢) فى ظ: قال (٣) فى ظ: ادلجوا (٤) زيد فى ظ: من (٥) من سفر يوشع - الأصحاح الثالث، و فى الأصل: الأولين، و فى ظ: الأوابين (٦) فى ظ: ليكن (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٨) زيد فى ظ: بنى.

هٰهنا و اسمعوا الله ربكم ؛ قال يوشع : بهذه الخلة تعرفون[1] أن قادرا حيا لذاته فى وسطكم ، و أن قارضا يقرض من قدامكم قبائل[2] الأمم : الكنعانيين و الذاعرين - و فى نسخة : الحائبين المنسوبين إلى حاث جدهم - و الحويين[3] أى الفصحاء البلغاء - و فى نسخة : المجتمعين إلى الحى - [4]و الربضيين و الفلاحين[4] و الأمورانيين - أى الرؤساء - و اليبوسيين - أى الجبارين القاهرين ، ها هو ذا صندوق العهد ، سيد كل الأرض جائز[5] قدامكم فى الأردن [و الآن -[6]] خذوا لكم اثنى[7] عشر رجلا من أسباط إسرائيل : رجلا واحدا من كل سبط ، و يكون عند قرار أقدام أرجل الأئمة حاملى صندوق العهد سيد كل الأرض فى مياه الأردن من الأمر العظيم أنه تنقطع[8] مياه الأردن المنحدرة من فوق و تقف[9] طودا واحدا كأنها فى زق محصورة .

و لما ارتحل الشعب و قطعوا خيمهم ليجوزوا الأردن سار الكهنة الذين حملوا التابوت أمام الشعب ، فلما انتهوا إلى الأردن [وكان ممتلئا يفيض كل أيام الحصاد انشق الأردن - [6]] و قام الماء الذى كان ينحدر من فوق كأنه فى زق ناحيته[10] ، و تباعد عن قرية إدام[11] التى عند صريم[12]

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : يعرفون (٢) من ظ ، و فى الأصل : قيل بل - كذا . (٣) من سفر يوشع ، و فى الأصل : الحرس ، و فى ظ : الحبريين - كذا (٤-٤) فى سفر يوشع : الفرزيين و الجرجشيين (٥) فى الأصل : حايزا ، و فى ظ : جايزا . (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : اثنا (٨) من ظ ، و فى الأصل : ينقطع (٩) فى ظ : تقطف (١٠) من ظ ، و فى الأصل : ناحية (١١) من سفر يوشع ، و فى الأصل و ظ : ارام (١٢) من ظ ، و فى الأصل : مريم .

جدا ، و الذى كان يجرى إلى البحر العربى الذى يدعى بحر الملح انشق وحار و انقطع ، و جاز الشعب حيال أريحا ، و قام[1] الكهنة الذين حملوا تابوت العهد فى الأردن يابسا حتى عبر جميع الشعب بحر الأردن ؛ فلما جاز الشعب جميعا قال الرب ليوشع[2]: اعمد إلى اثنى عشر رجلا من الشعب : من كل سبط رجل واحد ، و قل[3] لهم : خذوا من ههنا من جوف الأردن من تحت أقدام الكهنة اثنى عشر حجرا و عبروها معكم و انصبوها فى موضع المبيت الذى تبيتون فيه الليلة ، فأمرهم يوشع[4] [بذلك -[5]] و أن يحمل كل رجل حجره على عاتقه ، فأخذوها[6] إلى موضع مبيتهم و نصبوها هناك ، فمكثت الحجارة - التى أخذوها[7] من الأردن من تحت أقدام الكهنة الذين[8] حملوا التابوت - موضوعة هناك إلى اليوم ؛ و الكهنة الذين حملوا التابوت كانوا قياما حتى تمت جميع الأقوال التى أمر الرب يشوع[9] أن يقص على الشعب كما أوصى موسى يشوع[10]، و عجل الشعب على[10] المجاز و جازوا[11] ، فلما جاز جميع الشعب و جاز الكهنة الذين كانوا حاملين التابوت أمام الشعب و جاز بنو روبال و بنو جاد و نصف سبط منسا ، و هم متسلحون أمام إخوتهم - كما أمر موسى - أربعون ألفا ذوو قوة ، جازوا أمام الرب إلى قاع أريحا للمحاربة . فى ذلك

---

(١) فى ظ : قال (٢) من ظ ، و فى الأصل : لشيوع (٣) من ظ ، و فى الأصل: قال (٤) من ظ ، و فى الاصل: شيوع (٥) زيد من ظ (٦) فى الأصل: فأخذوا ، و فى ظ : اخذوها - كذا (٧) من ظ . و فى الأصل : اخذها (٨) فى ظ : التى . (٩) فى ظ : يوشع ، و يوشع و يشوع كلاهما يجوز (١٠) سقط من ظ . (١١) من ظ ، و فى الأصل : جاوزوا .

اليوم

اليوم عظم يشوع[1] عند جميع بنى إسرائيل و فرقوة كفرقهم من موسى طول أيام حياته، و قال الرب ليشوع[2] : مر الكهنة الذين حملوا تابوت الشهادة يصعدوا من الأردن . فأمرهم، فلما صعدوا رجع ماء الأردن إلى مواضعه أول ما استقرت أقدام الكهنة فى الشط و جرى فى سواحل الأردن كما كان أولا ، فصعدوا من الأردن فى عشر خلت من الشهر الأول - قلت : و هو نيسان على ما قال بعض فضلاء اليهود - و نزلوا الجلجال أقصى مشارق أريحا ، فأما الاثنا[3] عشرحجرا[4] التى أخذوها من الأردن فنصبها يشوع[1] فى الجلجال . و قال يشوع[1] لبنى إسرائيل : إذا سألكم بنوكم غدا و قالوا لكم[5] : ما هذه الحجارة ؟ قولوا لهم : إن بنى إسرائيل فلق لهم هذا الأردن فجازوه يابسا . لأن الله ربكم يبس ماء الأردن أمامهم حتى جازوه كما فعل الله ربكم ببحر سوف الذى يبسه[6] أمامنا حتى[7] جزناه ليعلم جميع شعوب الأرض أن يد الرب قوية ، و تتقوا الله ربكم كل الأيام .

فلما سمع جميع ملوك الأمورانيين [الذين فى جانب الأردن الغربى /٦١٠ و جميع ملوك الكنعانيين الذين - [8]] على شاطئ البحر أن الرب يبس ماء الأردن أمام بنى إسرائيل حتى جازوا ، فزعت قلوبهم و لم يبق فيهم رمق فزعا من بنى إسرائيل : فى ذلك الزمان قال الرب ليشوع[2] : اتخذ سيفا من طوران و اختن بنى إسرائيل ثانية ، فختن بنى إسرائيل ثانية فى أكمة

(١) فى ظ : يوشع (٢) فى ظ : ليوشع (٣) فى الأصل و ظ : الاثنى (٤) من ظ ، و فى الأصل : حجر (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : يبس (٧) فى ظ : حين .
(٨) زيد من ظ .

الغلف[1]، و الذى ختن يشوع[2] جميع الذكورة [الذين - [3]] كانوا ولدوا فى البرية حين خرجوا من أرض مصر، لأن جميع الرجال الأبطال المقاتلة هلكوا فى البرية [لأنهم - [3]] لم يطيعوا الله ربهم و كانوا كلهم مختتنين[4]، فأقسم الرب عليهم أن لا يريهم الأرض التى وعد آباءهم أن يعطيهموها الأرض التى تغل السمن و العسل، فبنوهم الذين كانوا من[5] بعدهم [هم - [3]] الذين ختن يشوع[2] لأنهم كانوا غلفا. فلما ختن جميع الشعب مكثوا مواضعهم فى المعسكر حتى برئوا، و قال الرب ليشوع[6]: اليوم صرفت عنكم عار أهل مصر، و دعا اسم ذلك الموضع جلجالا، و نزل بنو إسرائيل الجلجال و عملوا فصحا فى أربعة عشر يوما من الشهر الأول عند المساء فى قاع أريحا و أكلوا من بر الأرض بعد الفصح و أكلوا فى ذلك اليوم فطيرا و سنبلا مقلوا. و ارتفع المن عن بنى إسرائيل منذ ذلك اليوم حيث أكلوا من بر الأرض [7]و لم ينزل المن لبنى إسرائيل بعد ذلك اليوم و أكلوا من بر الأرض[7] و غلات أرض كنعان فى تلك السنة. و بينا [كان - [8]] يشوع فى قاع أريحا قائما إذ نظر رجلا قائما إزاءه مخترطا سيفه ممسكه بيده. فأقبل يشوع[2] إليه و قال له: أنت منا أم من أعدائنا؟ قال: أنا سيد أجناد الرب، الآن أتيتك، فخر يشوع[2] ساجدا على وجهه[9] على الأرض و قال: ما الذى يقول السيد

(١) من ظ، وفى الأصل: الغايف، وفى سفر يوشع - الأصحاح الخامس: القلف.
(٢) فى ظ: يوشع (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: مختنين (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: ليوشع (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) زيد لاستقامة العبارة (٩) فى ظ: وجه.

لعبده؟ قال: اخلع خفيك عن قدميك، فان الموضع الذى أنت قائم[1] فيه طاهر، ففعل يشوع[2] ذلك؛ وكان بنو إسرائيل قد حاصروا أريحا، ولم يكن يقدر أحد[1] من أهلها يدخل ولا يخرج، قال الرب ليوشع: انظر! إنى قد دفعت فى يدك أريحا وملكها وكل أجنادها، فليحط بالمدينة جميع الرجال المقاتلة، ودوروا حول المدينة مرة فى اليوم، وافعلوا ذلك ستة أيام، ويحمل سبعة من الكهنة سبعة أبواق ويهتفون أمام التابوت، حتى إذا كان اليوم السابع دوروا حول المدينة سبع مرات ويهتف[3] الكهنة بالقرون، فاذا هتفت الأبواق وسمعتم[4] أصواتها يهتف جميع الشعب بأعلى أصواتهم صوتا شديدا، فيقع سور المدينة مكانه، ويصعد[5] الشعب كل إنسان حياله، فدعا يشوع[2] الكهنة وقال لهم: احملوا تابوت عهد الرب ويحمل سبعة من الكهنة سبعة قرون وينفخون فيها أمام تابوت الرب، ثم قال للشعب: دوروا حول المدينة، والمتسلحون يجوزون أمام تابوت الرب. فحمل سبعة من الكهنة سبعة قرون وهتفوا أمام تابوت الرب فلم يزالوا ينفخون فى القرون، والذين كانوا يحملون التابوت يتبعون أصحاب الأبواق والمتسلحون يسيرون أمام الكهنة الذين يهتفون بالقرون ويسيرون [أمام -[6]] التابوت. وقال يشوع[2] للشعب: لا تهتفوا، ولا تسمعوا أصواتكم، ولا تخرج كلمة من أفواهكم إلى [اليوم -[7]] الذى آمركم أن تهتفوا. فدارت الجماعة بالتابوت كل يوم مرة

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: يوشع (٣) من ظ، وفى الأصل: تهتب - كذا. (٤) فى ظ: سمعت (٥) من سفر يوشع - الأصحاح السادس، وفى الأصل وظ: يعصد (٦) زيد لاستقامة العبارة (٧) زيد من ظ.

كما أمرهم يشوع[١]، فلما كان اليوم السابع أدلجوا سحرا و أحاطوا بالمدينة كسنتهم و لكن فى ذلك اليوم السابع داروا حولها سبع مرات ، و فى المرة السابعة هتف الكهنة بالقرون و قال يشوع[١] للشعب: اهتفوا لأن[٢] الرب قد دفع المدينة فى أيديكم ، و لكن صيروا هذه المدينة و كل ما فيها حريمة للرب ، لا يمسه إنسان منكم ، و أبقوا على راحاب الزانية - يعنى الفندقانية[٣] كما أخبرنى بعض فضلائهم ، و يؤيده التعبير عنها فيما مضى بالسواقة و الله أعلم - و على كل[٤] من معها فى بيتها لأنها غيبت الدسيسين اللذين أرسلنا ، فأما أنتم[٥] فاحتفظوا من الحرام ، و لا تنجسوا أنفسكم بأكل[٦] الحرام ، فتصيروا عسكر بنى إسرائيل / حراما ، فنفخوا فى القرون فلما سمع الشعب /٦١١ صوت الأبواق ضجوا كلهم ضجة واحدة[٧] شديدة[٨] جدا ، فوقع سور المدينة فصعد الشعب إلى المدينة كل إنسان حياله ، فافتحوها و قتلوا كل[٧] من فيها رجالها ونساءها و المشيخة و الصبيان و الثيران و الحمير و الغنم ، قتلوها بالسيف ، و أما الرجلان اللذان اجتسا الأرض فقال لهما يشوع[١]: ادخلا إلى بيت المرأة الزانية-يعنى الفندقانية[٣] كما مضى - فأخرجاها و أخرجا كل من معها فى البيت كما حلفتما لها ، ففعلوا و أنزلوهم خارج عسكر بنى إسرائيل و أحرقوا المدينة وكل من[٧] فيها بالنار ، و أحيى يشوع الزانية و والديها[٩] وكل من معها[١٠]، و أقسم يشوع[١] فى ذلك الزمان و لعن و قال: ملعونا يكون

---

(١) فى ظ : يوشع (٢) من ظ ، و فى الأصل : الآن (٣) فى ظ : القيدقانية .
(٤) زيد بعده فى ظ : حال (٥) من ظ ، و فى الأصل : انتما (٦) فى ظ : باخذ.
(٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : عظيمة (٩) فى ظ : والدها (١٠) من ظ ، و فى الأصل : لها .

أمام الرب [الرجل الذى يقوم يبنى مدينة أريحا هذه، و كان الرب -[١]] بعونه مع يشوع[٢] و نصره، و شاع خبره فى الأرض كلها . و أثم بنو إسرائيل و تناولوا من الحرام، [٣]و ذلك لأن عاجار[٤] بن كرمى بن زبدى بن زرح من قبيلة يهودا نحر و أخذ من الحرام و غيب فى خيمته، فاشتد غضب الرب على بنى إسرائيل، ثم أرسل يشوع[٢] رجالا إلى عاى التى عند بيت آون من مشارق بيت إل ليجتسوها، فقالوا له : إنه يجزئى فى أخذها[٥] ألفان أو ثلاثة لأن أهلها قليل، فصعدوا لحاربوهم عند باب المدينة فانهزم بنو إسرائيل و جرح منهم جرحى كثير - فذكر القصة فى سجود يشوع[٢] و انزعاجه و إخبار الله تعالى إياه[٦] أن قومه غلّوا، ثم أمره بالقرعة حتى خرج الذى عنده الغلول و هو عاجار، و كان غلوله طنفسة بابلية و مائتى مثقال فضة و سبيكة من ذهب فيها خمسون مثقالا، فأخرجه يشوع[٢] مع كل شىء هو له، و قد مضى ذلك فى البقرة عند " اولئك الذين اشتروا الحيوٰة الدنيا بالأخرة[٧]" و تقدم فى المائدة فتح بعض بلاد [بيت - [١]] المقدس بأعجوبة أخرى و استمروا هكذا يفتحونها بلدا بعد بلد، و يقتلون من جبابرتها عددا بعد عدد، و يرون فى ذلك من عجائب الأمور و بدائع المقدور ما يبقى على[٨] كر الآباد و مر الدهور، و هم فى أثناء ذلك كل قليل يكفرون

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : يوشع (٣) العبارة من هنا إلى «من الحرام» ساقطة من ظ (٤) فى سفر يوشع - الأصحاح السابع : عخان (٥) من ظ، و فى الأصل : اخذه (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ فحذفناها (٧) آية ٨٦. (٨) فى ظ : فى .

و ينقضون العهود و لا يشكرون كما هو مبين فى سفر يوشع بن نون، وقد مضى شيء منه فى المائدة عند قوله تعالى " فعموا و صموا [١] " - الآية، كل ذلك بعد أن جاءهم من العلم ما لا تدخله مرية و لا يخالطه شك و لا يدنو منه لبس، فتبارك من له الأمر كله، لا مضل لمن هدى و لا هادى لمن يضله.

و لما كان ما مضى - من آيات هذه السورة المبينة أن من أريدت شقاوته لا ينفعه [٢] مشاهدة الآيات - سببا [٣] لنفى الشك عنها و إثبات اليقين بمضامينها بما سلف من الأدلة على تلك المضامين إلى أن ختم ذلك بذم من عمل عمل الشاك بعد أن جاء ما يوجب اليقين من العلم، و كان صلى الله عليه و سلم كما مضى فى آخر التى قبلها أشفق الخلق لا سيما على العرب [٤] لا سيما على قومه منهم، و كانت الوصية قد برزت من الجناب الإلهى له بما يوافق طبعه من بذل الجهد فى ملاطفتهم، كان ذلك جديرا بأن يحرك طبع البشر لتمنى الإجابة لما [٥] يقترحون، و كان طلب ذلك بعد الفطام عنه من أفعال الشك فى الجملة فأريد صرف النفس عنه [٣] بالكلية و لو بالخطور فى البال فقيل مسببا عما قبله: ﴿ فان كنت ﴾ أى يا أرحم الخلق ﴿ فى شك ﴾ و لم يرد بهذا الكلام حقيقته - و الله أعلم - بل تقوية اليقين و تأكيده و رسوخه و تأييده بأن هذا أمر قد عزم عليه و فرغ منه فلا يحتمل مراجعة، و ذلك لأن المعنى أن ثباتهم على

(١) آية ٧١ (٢) فى ظ : لا تنفعه (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : الرب (٥) فى ظ : بما .

الشقاوة أمر لا يعلم إلا من قبلنا . و ذلك بأحد أمرين : أما بواسطة الأمين جبرئيل بما يأتى به [من - [1]] الوحى عنا غضا طريا محفوظا من الغير فلا [2] تحريف فيه [2] و لا تبديل ، و أما بواسطة أهل الكتاب عن أنبيائهم [3] - و فى ذلك نزول درجتين مع تجويز التخويف و التبديل ، و هذا ما لا / يرضاه ذو همة علية و نفس أبية - فالمعنى : أنا قد أخبرتك بأن الآيات / ٦١٢ لا تزيد المقضى بشقائه إلا ضلالا و أنا خبير بذلك " و لا ينبئك مثل خبير " فلا تطلب إجابتى إياهم إلى ما يقترحون عليك [4] رجاء إيمانهم فانهم لا يؤمنون بذلك " فان كنت " أى فى [5] وقت [6] من الأوقات " فى شك " أى و لو قل ﴿ ممآ انزلنآ ﴾ أى بعظمتنا واصلا على لسان الواسطة ﴿ اليك ﴾ فى ذلك ﴿ فسئل ﴾ أى بسبب ذلك الشك ﴿ الذين يقرءون ﴾ أى متابعين [7] لذلك ﴿ الكتب ﴾ أى السماوى من اليهود و النصارى ، فانهم من الإحاطة بصحة ما أنزلنا [8] إليك على حد عظيم . و من آمن منهم أو كان منصفا جدير [9] بأن يزداد من فاوضه فى ذلك إيمانا ؛ و لما كانوا بعض من أوتى الكتاب فى الزمن السالف ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلك ج ﴾ و هم عن [10] ذلك الخبر بمراحل ، فلا تجنح [11] إلى سؤال غيرى ، و هذا مضمون قوله تعالى مؤكدا آتيا بحرف التوقع

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ . و فى الأصل : نحو توجيه - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : انبايهم (٤) فى ظ : اليك (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : وقتا . (٧) فى ظ : موالين (٨) فى ظ : انزل (٩) من ظ ، و فى الأصل : جديرا (١٠) فى ظ : على (١١) من ظ ، و فى الأصل : فلا يحتج .

لأن كلا من الأمرين فى أحق مواضعه: ﴿ لقد جآءك الحق ﴾ أى الثابت الكامل ثباته [و هو إمضاء العدل فيهم - ١] ؛ و زاده تشريفا و ترغيبا فيه بقوله: ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك باصطفائك لذلك ، فلذا سيق مساق البيان له من غير واو ، فاذا ثبت أنه الحق أى الثابت أعلى الثبات تسبب عنه البعد من تزلزل من جاءه ، فناسب اتباعه بقوله: ﴿ فلا تكونن ﴾ أكده لأنه حقيق بأن لا ينثنى عنه أحد بوجه من الوجوه ﴿ من الممترين ﴾ [أى - ١] الغافلين عن آيات الله [فتطلب الفضل لأهل العدل - ٢] ؛ قال ابن عباس رضى الله عنهما: لا و الله! ما شك طرفة عين و لا سأل أحدا منهم .

و لما نهى عن ذلك لم يبق مما اقتضته القسمة العقلية إلا العناد ممن يمكن منه كما فعل بنو إسرائيل بعد مجيء العلم فأتبعه النهى عن مثل حالهم بقوله: ﴿ و لا تكونن ﴾ أى بوجه من الوجوه ، و المراد بهذا أتباعه ﴿ من الذين كذبوا ﴾ أى فعلوا فعل المكذب مستهينين ﴿ بايٰت الله ﴾ أى التى لا أعظم منها باضافتها إلى من لا أعظم منه ﴿ فتكون ﴾ أى كونا راسخا ﴿ من الخسرين ﴾ بل اثبت على ما أنت عليه من اليقين و الطمأنينة و الثقة بالله و السكينة ، و هذا و نحوه مما غلظت فيه العبارة دلالة على مزيد قرب المخاطب [و إن كان المراد غيره - ١] و عظيم منزلته و لطيف خصوصيته كما مضى بيانه عن الإمام أبى الحسن الحرالى رحمه الله فى سورة براءة عند قوله تعالى " عفا الله عنك[٣] " - الآية ، و تغليظ

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) آية ٤٣ .

العبارة

العبارة فيه تأديب عظيم لتابعيه؛ و الشك: الوقوف بين النقيضين، و هو من شك العود فيما ينفذ فيه، لأنه يقف بذلك الشك بين جهتيه؛ و الإنزال: نقل الشيء من علو إلى سفل[1]؛ و الامتراء: طلب التشكك مع ظهور الدليل، من مرى الضرع و هو مسحه ليدر.

و لما كان ما مضى من هذه الآيات و ما كان من طرازها قاضيا بأنه لا تغنى[2] الآيات عنهم، صرح به قوله تعالى: ﴿ان الذين حقت﴾ أي وجبت و ثبتت ﴿عليهم﴾ [3]أي بأنهم أشقياء[3]، و عبر بالاسم المفهم للاحسان إعلاما بأنه ما أوجب عليهم العذاب إلا إحسانا إليه بما يقاسى من معالجتهم[4] و غير ذلك من الحكمة فقال[5]: ﴿كلمت ربك﴾ أي المحسن إليك فى جميع أمرك ﴿لا يؤمنون[6] ۙ﴾ أى لا قبول لهم لتجدد الإيمان ﴿و لو جآءتهم كل اٰية﴾ و نسبتها إلى قوله "لقد جاءك الحق" نسبة "لقد جاءك الحق" إلى "فان كنت فى شك" الآية فى البيان المستفاد من حذف العاطف، و إذا كان الكلام فى معنى واحد كان بمنزلة الكلمة الواحدة فسمى بها[7] ﴿حتى يروا العذاب الاليم ۝﴾ أى حين لا ينفعهم الإيمان لفوات شرطه كما لم ينفع فرعون لذلك "سنة الله فى الذين خلوا من قبل و لن تجد لسنة الله تحويلا[8]".

---

(١) فى ظ: اسفل (٢) من ظ، وفى الأصل: لا يغنى (٣-٣) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «جميع أمرك» و الترتيب من ظ (٤) فى ظ: معاجتهم (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و القرآن الكريم، وفى الأصل: لا يومنوا (٧) زيد بعده فى الأصل: و قوله، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٨) سورة ٣٣ آية ٦٢.

و لما كان هذا موضع أن يقال : إنما تطلب الآيات لما يرجي من تسبب الإيمان عنها ، تسبب عنه أن يجاب بقوله تعالى : ﴿ فلولا ﴾ أي فهلا ﴿ كانت قرية ﴾ أي واحدة من قرى الأمم الماضية التي أهلكناها ﴿ امنت ﴾ أي آمن قومها عند إتيان الآيات أو عند رؤية أسباب العذاب ﴿ فنفعهآ ﴾ [أي فتسبب عن إيمانها ذلك أنه نفعها - [١]] / ﴿ ايمانهآ ﴾ و لما كان معنى 'لولا' النفي ، كان التقدير : لكن[٢] لم تؤمن[٣] قرية منهم إلا عند صدم العذاب كما فعل فرعون ، لو آمن عند رؤية البحر على حال الفلق أو عند توسطه و قبل انسيابه عليه قبل ، و لكنه ما آمن إلا بعد انهياره[٤] و مسه . و ذلك حين لا ينفع لفوات شرطه من الإيمان بالغيب ﴿ الا قوم يونس[٥] ﴾ فانهم آمنوا عند المخايل وقت بقاء التكليف فنفعهم ذلك فانهم ﴿ لمآ امنوا ﴾ و دل على أنه [٥]قد كان[٥] أظلهم بقوله : ﴿ كشفنا ﴾ أي بعظمتنا ﴿ عنهم ﴾ أي حين إيمانهم ، روى أنه لم يبق بينهم و بين العذاب إلا قدر ميل ﴿ عذاب الخزى ﴾ أي الذي كان يوجب لهم لو برك عليهم هوان الدارين ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ أي فلم يأخذهم وقت رؤيتهم له ﴿ و متعنهم ﴾ [أي - [١]] تمتيعا عظيما ﴿ الى حين ﴾ و[٢] هو انقضاء آجالهم مفرقة كل واحد منهم في وقته المضروب له ، و ما ذكرته في معنى الآية نقله القاضي أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البستي في تفسيره[٦] المسند عن ابن[٢] أبي عمر قال : قال[٢] سفيان الثوري :

٦١٣ /

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل : لم يومن (٤) من ظ ، و في الأصل : انهيار (٥-٥) في ظ : كان قد (٦) في ظ : تفسير .

" فلولا كانت قرية أمنت " قال : فلم تكن قرية آمنت ، و هذا تفسير معنى الكلام ، و أما ' لولا ' فهو بمعنى هلا ، و هى على وجوه تحضيض و تأنيث ، أى توبيخ ، و هى [هنا - [1]] للتوبيخ ، و يجوز أن تكون استفهامية بمعنى ' لم لا ' ، و يلزم كلا من المعنيين النفى ؛ و النفع : إيجاب اللذة بفعلها أو ما يؤدى إليها كالدواء الكريه المؤدى إلى اللذة ؛ و الخزى[2] هو أن يفضح صاحبه ، و هو وضع من القدر للغم[3] الذى يلحق به ، و أصله التعب .

و لما كان ما مضى ربما أوجب[4] اعتقاد أن إيمان مثل أولئك محال جاءت هذه الآية فى مقام الاحتراس منه مع البيان لأن حرص الرسول صلى الله عليه و سلم على إيمانهم لا ينفع و مبالغته فى إزالة الشبهات و تقرير الدلائل لا تفيد[5] إلا بمشيئة[6] الله تعالى لتوفيقهم و هدايتهم ، و لو كان ذلك وحده كافيا لآمنوا بهذه السورة فانها أزالت شبهاتهم و بينت ضلالاتهم و حققت بقصتى نوح و موسى عليهما السلام ضعفهم و وهن مدافعاتهم فقال تعالى : ﴿ و لو شآء ﴾ أى إيمان الناس ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك باقبال من أقبل لعلمه[7] الخير فيه و إدبار من أدبر لعدم قابليته للخير ﴿ لأمن من فى الارض ﴾ من الكفار .

و لما كان هذا ظاهرا فى الكل ، صرح به مؤكدا لأن المقام يقتضيه فقال :

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الجزى (٣) فى ظ : للفهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : اردت (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يفيد (٦) من ظ ، و فى الأصل : خشية . (٧) فى ظ : بعلمه .

﴿ كلهم جميعا[٤] ﴾ أى مجتمعين فى آن واحد لا يختلفون فى شيء منه ، و لكن لم يشأ ذلك و أنت لحرصك على امتثال أوامرى[١] و وصيتى لك باللطف خلق الموافق لما جبلتك عليه من الخير تريد ذلك ﴿ افانت تكره الناس ﴾ أى الذين لم يرد الله إيمانهم [مع ما طبعهم عليه من الاضطراب - [٢]] ﴿ حتى يكونوا ﴾ أى كونا جبليا ﴿ مؤمنين ﴾ أى راسخين فى الإيمان ، و إيلاء الاستفهام الاسم مقدما على الفعل للاعلام بأن الفعل - و هو هنا الإكراه - ممكن من غير ذلك الاسم و هو هنا الله وحده [القادر على تحويل الطباع - [٢]] فان قدرته قاهرة لكل شيء و مشيئته نافذة فى كل شيء مع الدلالة على أن[١] وقوع خلاف المشيئة مستحيل لا يمكن لغيره تعالى باكراه و لا غيره . و المشيئة معنى يكون به الفعل[٣] مرادا[٤] أخذت من الشيء ، و المراد بالآية تخفيف ما يلحق النبى صلى الله عليه وسلم من التحسر للحرص على إيمانهم ﴿ و ما كان ﴾ أى [و - [٢]] ما ينبغى و لا يتأتى ﴿ لنفس ﴾ أى واحدة فما فوقها ﴿ ان تؤمن ﴾ أى يقع منها إيمان فى وقت ما ﴿ الا باذن الله[٤] ﴾ أى بارادة الملك الأعلى الذى له الخلق و الأمر و تمكينه ، فيجعل الثبات و الطمأنينة - اللازمين للايمان الذى هو أبعد شيء عن السحر - على الذين ينتفعون بعقولهم فيلزمون معالى الأخلاق التى هى ثمرات للايمان[٥] ﴿ و يجعل الرجس ﴾ أى الاضطراب و التزلزل الذى يلزمه التكذيب الذى هو أشبه شيء بالسحر لأنه تخييل [ما - [٢]]

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : العقل (٤) زيد بعده فى الأصل : اذا ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) فى ظ : الايمان .

لا حقيقة له و القذر و القباحة و الغضب و العقاب الناشىء عنه .

و لما كان ما فى هذه السورة من الدلائل قد وصل فى البيان إلى حد[1] لا يحتاج فيه إلى غير مجرد العقل قال: ﴿ على الذين لا يعقلون ه ﴾ / أى / ٦١٤ لا يوجد لهم عقل ، فهم لذلك لا ينتفعون بالآيات و هم يدعون أنهم أعقل الناس فيتساقطون فى مساوئ[2] الأخلاق و هم يدعون أنهم أبعد الناس عنها ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ؛ و النفس : خاصة الشيء التى[3] لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشيء ، و نفسه و ذاته واحد .

و لما تقرر ما مضى من النهى عن الإصغاء إليهم فى طلب الآيات ، و ختم بتعليق الأمر بمجرد المشيئة ، كان كأنه قيل: فما ذا يقال لهم إذا طلبوا ؟ فقال : ﴿ قل ﴾ أى يا أشرف الخلق لهم غير مهتم بأمرهم و منبها لهم[1] على إبطال مذهب الجبر المتعلق أصحابه بنحو هذه الآية ، لأن المشيئة مغيبة و العبد مأمور ببذل الجهد فى الطاعة بما له من القدرة و الاختيار .

و لما أمر بهذا الفكر فكان[4] ربما ظن لأجله أن للانسان قدرة مستقلة ، نبه على مذهب أهل السنة القائل بالكسب الذى هو - كما قال الإمام على رضى الله عنه - أمر بين أمرين لا جبر و لا تفويض ، فقال معلما أن من حكم بشقائه[5] لا ينفعه شيء : ﴿ انظروا ﴾ [أى -[6]] بأبصاركم و بصائركم لتخرجوا[7] بالانتفاع بالعقل عن عداد البهائم ؛ قال الإمام : و لو أن الإنسان تفكر فى كيفية حكمة الله تعالى فى خلق جناح بعوضة لانقطع

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تساوى (٣) فى ظ : الذى (٤) فى ظ : و كان (٥) فى ظ : بشقاوته (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : ليخرجوا .

فكره قبل أن يصل إلى أول مرتبة من مراتب تلك الحكم و الفوائد، فلذلك أبهم فى قوله: ﴿ ما ذا ﴾ أى الذى ﴿ فى السموٰت و الارض ﴾ أى من الآيات و واضح[1] الدلالات التى أخرجتموها - بالفكم[2] لها - عن عداد الآيات، و هى عند التأمل من أعظم خوارق العادات، و[3] قال الإمام: فكأنه سبحانه نبه على القاعدة الكلية حتى ينتبه لأقسامها، و قال أبو حيان[4] أخذا من الإمام: السبيل إلى معرفته تعالى هو بالتفكر فى مصنوعاته، ففى العالم العلوى فى حركات الأفلاك و مقاديرها و أوضاعها و الكواكب و ما يختص بذلك من المنافع و الفوائد، و فى العالم السفلى فى أحوال العناصر و المعادن و النبات و الحيوان و خصوصا حال الإنسان - انتهى.

[و لما كان ما فيها من الآيات فى غاية الدلالة، نبه سبحانه على أن التوقف عن الإيمان بعد التنبيه على كيفية الاستدلال معاندة فقال - [5]]: ﴿ و ما ﴾ و هى نافية أو[6] استفهامية ﴿ تغنى الأيٰت ﴾ أى و إن كانت فى غاية الوضوح ﴿ و النذر ﴾ أى و الإنذارات أو[7] الرسل المنذرون[8] ﴿ عن قوم ﴾ أى و إن كانت فيهم قوة ﴿ لا يؤمنون ﴾ أى للحكم بشقائهم[9]. فكان ذلك سببا لتهديدهم بقوله: ﴿ فهل ينتظرون ﴾ أى بجميع قواهم فى تكذيبهم للرسول و تخلفهم عن الإيمان ﴿ الا ﴾

(١) فى ظ: اوضح (٢) فى ظ: بالفكر (٣) سقط من ظ (٤) راجع البحر المحيط ٥/١٩٤ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: «و». (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ فحذفناها (٨) فى ظ: المنذرين. (٩) فى ظ: بشقاوتهم.

أى أياما أى وقائع ﴿ مثل ايام ﴾ أى وقائع ﴿ الذين خلوا ﴾ و لما كان أهل الأيام الهائلة بعض من كان قبل ، أتى بالجار فقال: ﴿ من قبلهم ﴾ أى من مكذبى الأمم و هم القبط و قوم نوح و من طوى بينهما من الأمم ، [أى -[1]] من حقوق الكلمة عليهم فنحل[2] بهم بأسنا ثم ننجيكم[3] لإيمانكم كما كنا نحل بأولئك إذا كذبوا رسلنا ، ثم ننجى الرسل و من آمن بهم حقا علينا ذلك للعدل بين العباد .

و لما تقدمت الإشارة إلى أن الكلمة حقت على الكافرين بعدم الإيمان و الرجس الذى هو العقاب ، زاد فى تهديدهم بالاعتراض بما سببه عن فعلهم فعل من ينتظر العذاب بقوله: ﴿ قل فانتظروا ﴾ أى بجميع جهدكم ما ترونه واقعا بكم بسبب ما تقرر عندكم مما كان يقع بالماضين فى أيام الله، و زاد التحذير استئنافه[4] قوله مؤكدا لما لهم من التكذيب: ﴿ انى ﴾ و أعلمهم بالنصفة بقوله: ﴿ معكم من المنتظرين * ﴾ .

و لما كان التقدير : فانا كنا فى أيام الذين خلوا نوقع الرجس بالمكذبين[5]، عطف عليه بيانا لما كان يفعل بالرسل و أتباعهم إذا أهلك الظالمين قوله: ﴿ ثم ننجى ﴾ أي تنجية عظيمة [و ننجيهم إنجاء عظيما -[1]] و جاء به مضارعا حكاية للأحوال الماضية و تصويرا لها تحذيرا لهم من[6] مثلها و إعلاما بأنه كذلك يفعل بهذا[7] الرسول صلى الله عليه و سلم و أتباعه رضى الله عنهم ، و أشار بأداة التراخي إلى طول زمان الابتلاء و عظيم رتبة التنجية ، و حذف مقابل / الإنجاء لأن المقام بعد آية / ٢١٥

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : فيحل (٣) من ظ ، و فى الأصل : ينجيكم (٤) فى ظ : باستئنافه (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ فحذفناها (٦) فى ظ : عن (٧) فى ظ : هذا .

" الا ان اولياء الله " ناظر إلى البشارة أكثر من النظر إلى النذارة ﴿ رسلنا ﴾ [أي - [١]] الذين عظمتهم من عظمتنا ﴿ و الذين 'امنوا ﴾ أي بالرسل[٢] و هم معهم في زمانهم و لو كانوا في أدنى درجات الإيمان تشريفا للرسل فانهم بصدد الرسوخ بملازمتهم ؛ ثم وصل بذلك تشريفا للراسخين و[٣] ترغيبا في مثل حالهم قوله : ﴿ كذلك ج ﴾ أي كما حق علينا إهلاك الكافرين هذا الإهلاك العظيم ﴿ حقا علينا ﴾ أي بما أوجبناه على جنابنا[٤] الأعظم ﴿ ننج المؤمنين ع ﴾ أي العريقين في الإيمان [و لو كانوا - [١]] بعد موت الرسل [تنجية عظيمة و ننجيهم إنجاء عظيما ، فالآية من الاحتباك لما أشارت إليه القراءتان بالتخفيف و التثقيل - [١]] ، أو يكون ذلك بنى على سؤال من لعله يقول : هل حقوق النجاة مختص بالرسل و من معهم ؟ فقيل : لا ، بل " كذلك " [أي - [١]] الحقوق " حقا علينا " [على ما لنا من العظمة - [١]] " ننج المؤمنين " في كل زمن و إن لم يكن بين ظهرانيهم رسول ، لأن العلة الاتصاف بالإيمان الثابت . فيكون الكاف مبتدأ و 'ننج' خبره ؛ و النظر : طلب المعنى بالقلب من جهة الذكر كما يطلب إدراك المحسوس بالعين ؛ و الغنى : حصول ما ينافي الضر[٥] و صفة النقص ، و نقيضه الحاجة ؛ و النذر : جمع[٦] نذير ، من النذارة و هي الإعلام بموضع المخافة ليقع[٧] به السلامة ؛ و الانتظار : الثبات لتوقع[٧] ما يكون من الحال ؛ و المثل إن كان من الجنس فهو ما سد مسد غيره

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : الرسل (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : جانبنا (٥) في ظ : الضرر (٦) في ظ : جميع (٧) في ظ : لتقع .

في

فى الحس ، و إن كان من غيره فالمراد ما كان فيه معنى يقرب به من غيره كقربه من جنسه كتشبيه أعمال الكافر بالسراب ؛ و النجاة من النجوة و هى الارتفاع من الهلاك .

و لما تقدم الفطام عن الميل لمن يطلب الآيات ، وكان طلبهم لها إنما هو على وجه الشك ، و إن لم يكن على ذلك الوجه فانه فعل الشاك غالبا و تقدمت أجوبة لهم . و ختم ذلك بتهديدهم و بشارة المؤمنين الموجبة لثباتهم ، ناسبه[1] كل المناسبة أن اتبعت[2] الأمر بجواب آخر دال على ثباته صلى الله عليه و سلم و أنه مظهر دينه رضى من رضى و سخط من سخط ، لأن البيان قد وصل إلى غايته[3] فى قوله تعالى : ﴿ قل يآيها الناس ﴾ أى الذين هم فى حيز الاضطراب ، لم ترقهم هممهم إلى رتبة الثبات ﴿ إن كنتم ﴾ أى كونا هو كالجبلة منغمسين ﴿ فى شك ﴾ كائن ﴿ من ﴾ جهة ﴿ دينى ﴾ تطلبون لنزوله[4] - بعد تكفل العقل بالدلالة عليه - إنزال الآيات ، فأنا لست على شك من صحة دينى و بطلان دينكم فاعرضوه على عقولكم و انظروا ما فيه من الحكم مستحضرين ما لدينكم[5] من الوهى الذى تقدم بيانه فى قوله تعالى " قل ا رءيتم[6] ما انزل الله لكم من رزق[7] " و نحوه ﴿ فلآ اعبد ﴾ أى الآن و لا فى مستقبل الزمان ﴿ الذين تعبدون ﴾ أى الآن أو بعد الآن ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعظم لعدم قدرتهم على شيء من ضرى ، فلا تطمعوا فى أنه يحصل لى شك بسبب حصول الشك

(١) من ظ ، و فى الأصل : ناسب (٢) من ظ ، و فى الأصل : تبعث (٣) فى ظ : غاية (٤) فى ظ : لزواله (٥) فى ظ : لديكم (٦) سقط من ظ (٧) سورة ١٠ آية ٥٩ .

لكم. فاذاً[1] لا أعبد غير الله أصلا.

و لما كان سلب عبادته عن غيره ليس صريحا فى إثباتها له قال: ﴿و لكن اعبد الله﴾ أى الجامع لأوصاف الكمال عبادة مستمرة؛ ثم وصفه بما يوجب الحذر [منه -[2]] و يدل على كمال قدرته ﴿الذى يتوفكم ج﴾ بانتزاع أرواحكم التى لاشىء عندكم بعدها. فلا تطمعون - عند إرادته لنزعها - فى المحاولة لتوجيه دفاع عن ذلك. و فى هذا الوصف - مع ما فيه من الترهيب - إشارة إلى الدلالة على الابداء[3] و الإعادة، فكأنه قيل: الذى أوجدكم من عدم كما أنتم به مقرون يعدمكم بعد هذا الإيجاد و أنتم صاغرون، فثبت قطعا أنه قادر على إعادتكم بعد هذا الإعدام بطريق الأولى فاحذروه لتعبدوه كما أعبده فانه قد أمرنى بذلك و أنتم تعرفون غائلة الملك إذا خولف، و قال "ان كنتم فى شك" مع أنهم يصرحون[4] ببطلان دينه، لأنهم فى حكم الشاك[5] لاضطرابهم عند ورود الآيات، أو لأن فيهم الشاك فغلب لأنه أقرب إلى الخير؛ و الشك: وقوف بين المعنى و نقيضه، / و ضده الاعتقاد فانه قطع بصحة المعنى /٦١٦ دون نقيضه، و عبر بـ "من" إشارة إلى أن[6] فعلهم ذلك ابتدأ من الدين، و لو عبر بـ 'فى' لأفهم[7] أنهم دخلوا فيه لأنهم فى الشك و الشك فى الدين، و الظرف لظرف الشىء ظرف لذلك الشىء. و ترك العطف إشارة إلى أن كل جواب منها كاف على حياله.

---

(١) فى ظ: فانا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: الابد (٤) فى ظ: مصرحون (٥) فى ظ: السك - كذا (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: لا انهم.

و لما قرر ما هو الحقيق بطريق العقل ، اتبعه بما ورد من النقل بتأييده و إيجابه بقوله : ﴿ و امرت ﴾ أى بأمر جازم ماض ممن لا أمر لأحد معه ، [و عظم المأمور به بجعله عمدة الكلام باقامته مقام الفاعل فقال -[1]] : ﴿ ان اكون ﴾ أى دائما كونا جبليا . [و لما كان السياق لما يحتمل الشك من الأمر الباطن ، عبر بالإيمان الذى هو للقلب فقال -[1]] : ﴿ من المؤمنين ﴾ أى الراسخين فى هذا الوصف ﴿ و ان اقم ﴾ [أى -[1]] أيها الرسول ﴿ وجهك ﴾ أى كليتك على سبيل الإخلاص الذى لا شوب فيه ﴿ للدين ﴾ فوصل أولا كلمة "أن" بمعنى الأمر [أى « أن اكون » دون "أكن" -[1]] و ثانيا بلفظه [و هو " اقم " -[1]] جمعا[2] بين الأسلوبين ، و كلاهما بمعنى المصدر ، و خص الثانى بذلك لطوله لأنه[3] كالتفصيل للأول فالخطاب فيه أوكد و ألذ ، و قوله : ﴿ حنيفا ج ﴾ حال من فاعل "اقم" و معناه : مسلما ميالا مع الدليل - كما أوضحته فى البقرة ، أى اجمع بين الإيمان بالقلب و الإسلام[4] بالجوارح ﴿ و لا تكونن ﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿ من المشركين ﴾ الذين هم على ضد صفة الإسلام من الجفاء و الغلظة و الجمود و القسوة .

و لما نهاه عن الشرك ، [أكده -[1]] بما هو كالتعليل له بما يلزمه من العبث بالخضوع لما لا[5] ضر فيه و لا نفع بقوله تعالى : ﴿ و لا تدع ﴾ [أى -[1]] فى رتبة من الرتب[6] الكائنة ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : جميعا (٣) من ظ ، و فى الأصل : كأنه (٤) فى ظ : الاستسلام (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : الرتبة .

يسده كل شيء ﴿ما لا ينفعك﴾ أي إن[1] فعلت شيئا من ذلك فأتاك[2] بأسا ﴿ولا يضرك ج﴾ أي إن[1] أقمت على طاعتنا مع نصرة ﴿فان فعلت﴾ أي شيئا مما نهيناك عنه ﴿فانك اذا﴾ إذا[3] دعوت ذلك الغير [بسبب ذلك -[4]] ﴿من الظلمين ه﴾ أي العريقين في وضع[5] الدعوة في غير محلها لأن ما هو[6] كذلك في غاية البعد عن منصب الإلهية؛ [ثم -[7]] قال تعالى عاطفا على قوله "فان فعلت": ﴿وان يمسسك الله﴾ أي الذي لا راد لأمره ﴿بضر﴾ أي أيّ ضر كان على أيّ وجه كان وإن كان ظاهرا جدا بما أنبأ عنه الإظهار ﴿فلا كاشف له﴾ أي أصلا بوجه من الوجوه ﴿الا هو ج﴾ لأنه أراده وما أراده لا يكون غيره فلا ترج سواه في أن يبدله بخير، وعبر بالمس لأنه أخوف ﴿وان يردك﴾ [أي مطلق إرادة -[4]] ﴿بخير فلا﴾ أي أصابك لا محالة فانه لا ﴿رآد﴾ ونبه على أنه لا يجب عليه سبحانه شيء بأن وضع مكان الضمير قوله: ﴿لفضله ط﴾ [أي -[4]] عمن يريده به كما يفعل بعض العاتين من أتباع ملوك الدنيا في رد بعض ما يريدون، بل هو بحيث لا ينطق أحد إلا باذنه فلا تخش[8] غيره. فالآية من الاحتباك: ذكر المس أولا دليلا على إرادته ثانيا، والإرادة ثانيا دليلا على حذفها أولا. ولم يستثن في الإرادة كما استثنى في الكشف لأن دفع المراد محال، وعبر بالإرادة في الخير

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: فاتاه (٣) في ظ: اني (٤) زيد من ظ (٥) في ظ: وصف (٦) من ظ، وفي الأصل: ليس (٧) زيد لاستقامة العبارة. (٨) من ظ، وفي الأصل: فلا يخش.

وبالمس

و بالمس فى الضير تنبيها على أنه صلى الله عليه و سلم مراد بالخير بالذات و بالضر بالعرض تطييبا لقلبه لما تكرر فى هذه السورة من الإخبار باحقاق العذاب على الفاسقين و الإيئاس من الظالمين ، فلما تقرر ذلك حسن موقع قوله مبينا[1] لحال ذلك الفضل : ﴿ يصيب به ﴾ أى بذلك التفضل [2]أو بالذى[2] تقدم من الخير و الضير ﴿ من يشآء ﴾ أى كائنا من كان من أدنى و أعلى ، و بين العلة فى كونهم مقهورين بقوله : ﴿ من عباده ﴾ و هذا كله إشارة إلى أن ما أوجب الإعراض عن معبوداتهم بانسلابه عنها أوجب الإقبال عليه بثبوتـــه له ، اختصاصه به ، و ختم الآية بقوله : ﴿ و هو الغفور ﴾ أى البليغ الستر الذنوب ﴿ الرحيم ﴾ أى البالغ فى الإكرام إشارة إلى [أن - [3]] إصابته بالخير لا يمكن أن يكون إلا فضلا منه بعد الستر للذنوب و الرحمة للضعف . فهو الحقيق بأن يعبد ؛ و المس : اجتماع التباين من غير نقص[4] ، و نظيره المطابقة ، و المجامعة نقيضها المباينة ؛ و الكشف / : رفع الساتر . جعل الضر كأنه مانع من إدراك الإنسان ٦١٧ / و ساتر له .

و لما كثرت فى هذه السورة الأوامر و النواهى و الأجوبة بسبب ما يقترحونه على وجه التعنت ، و ختم بأن من دعا غيره كان راسخا فى الظلم لا مجير له منه ، ختم ذلك بجوب معلم بأن فائدة الطاعة ليست راجعة إلا إليهم ، و ضرر النفور ليس عائدا إلا عليهـــم فقال تعالى : ﴿ قل يـٰأيها الناس ﴾ أى غاية[5] كل من له قابلية التحرك و الاضطراب

(١) من ظ ، و فى الأصل : مسببا (٢ - ٢) فى ظ : أى ما (٣) زيد من ظ .
(٤) فى ظ : نقصان (٥) فى ظ : عامة .

﴿ قد جآءكم الحق ﴾ أي الكامل بهذا[1] الرسول صلى الله عليه و سلم و هذا الكتاب، و ذلكم خير عظيم أصابكم الله به، و زاد الرغبة فيه بقوله: ﴿ من ربكم ج ﴾ أي المحسن إليكم ﴿ فمن ﴾ أي فتسبب عن ذلك أنه من ﴿ اهتدى ﴾ أي آمن بمحمد صلى الله عليه و سلم و عمل بما في الكتاب ﴿ فانما يهتدى لنفسه ج ﴾ [أي -[2]] لأنه تبع الحق الثابت و ترك الباطل الزائل فأنقذ نفسه من النار و أوجب لها الجنة ﴿ و من ضل ﴾ أي كفر بهما أو بشيء منهما ﴿ فانما يضل عليها ج ﴾ لأنه ترك الباقي و تمسك بما ليس في يده منه شيء لأنه فان فقد غر نفسه ﴿ و مآ انا ﴾ و لما كان السياق لنفي تصرفه[3] فيهم و أن ذلك إنما هو إلى الله تعالى، كان تقديم ضميرهم أهم فقال: ﴿ عليكم بوكيل ط ﴾ فيطلب[4] مني حفظكم مما[5] يؤدي إلى الهلاك و منعه عنكم كما يطلب من الوكيل.

و لما كان أكثر ذلك وعظا لهم و تذكيرا، ختمه بامره صلى الله عليه و سلم بما يفعله في خاصة نفسه أجابوا أو لم يجيبوا. فقال عطفا على قوله "قل يايها الناس": ﴿ و اتبع ﴾ أي بجميع جهدك ﴿ ما يوحى اليك ﴾ و بناه للمفعول لأن ذلك كان بعد أن تقررت عصمته صلى الله عليه و سلم [6]و علم[6] أن كل ما يأتيه من عند الله، فكان ذلك أمكن في أمره باتباع كل ما يأتيه منه سبحانه و في الإيذان بأنه لا ينطق عن الهوى ﴿ و اصبر ﴾ في تبليغ الرسالة على ما أصابك [6]في ذلك[6] من عظيم الضرر و بليغ الخطر

(١) من ظ، و في الأصل: نهذا (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: تصرفهم (٤) في ظ: فبطل (٥) في ظ: بما (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ.

من ضلال من لم يهتد و إعراضه و جفوته و أذاه ﴿ حتى يحكم الله ﴾ أى الملك الأعظم بين من ضل من أمتك و من اهتدى ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿خير الحٰكمين ٤﴾ لأنه يوقع الحكم فى أولى مواقعه و أحقها و أحسنها[1] و أعدلها ، و هو المطلع على السرائر فاعمل أنت بما[2] تؤمر به و بشر و أنذر و أخبر و ادع إلى الله بجميع ما أمرك به و اترك المدعوين حتى يأمرك فيهم بأمره؛ قال الزمخشرى : و[3] روى أنها لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله صلى الله عليه و سلم الأنصار فقال : إنكم ستجدون بعدى إثرة فاصبروا حتى تلقونى - و تبعه على ذلك أبو حيان و غيره ، فان صح فالسر فيه - و الله أعلم - أنه لما أعلمت هذه الآية أن من اتبع الوحى ابتلى بما ينبغى الصبر عليه و أفهمت أن من كان له أشد اتباعا كان أشد بلاء ، و كان الأنصار رضى الله عنهم أجمعين أحق بهذا الوصف من غيرهم من حيث [أنهم - [4]] كانوا أول قبيلة جمعها الإيمان و من حيث كانوا له أسهل قيادا و ألين عريكة مع كونهم لم يتقدم لهم عشرة بالنبى صلى الله عليه و سلم و لا خبرة بأحواله توجب لهم من اتباعه ما يوجب لمن كان من بنى عمه قريش يخالطه و يأنس به و يرى منه معالى الأخلاق و كريم الشمائل ما يوفر داعيته على اتباعه ، فلما كان ذلك كذلك ، خص النبى صلى الله عليه و سلم الأنصار رضى الله عنهم لهذا الأمر ، فتفضيلهم فى ذلك من الجهتين المذكورتين فلا يتوهم[5]

(١) من ظ ، و فى الأصل : احبها (٢) من ظ ، و فى الأصل : ما (٣) سقطت الواو من ظ (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : تتوهم .

تفضيلهم على المهاجرين، بل المهاجرون أفضل لأنهم جمعوا إلى النصرة[١] الهجرة مع أن أكثرهم له من قرب النسب من رسول الله صلى الله عليه وسلم والسبق في الإسلام حظ وافر. هذا ما ظهر لي من[٢] مناسبته على تقدير الصحة. والذي في الصحيح[٣] عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يقطع الأنصار من البحرين فقالت الأنصار: حتى تقطع[٤] لإخواننا من المهاجرين مثل الذي تقطع[٤] لنا. وقال: ستروت بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني. فهذا فيه أن السبب حرصهم /٦١٨/ على الإنصاف وهو[٥] يدل على أن المنصف يقل إنصاف الناس له وهو أمر[٦] مستقرى: والوحي: إلقاء المعنى إلى النفس في خفاء. وهو هنا ما يجيء به الملك إلى النبي عليهما السلام عن الله تعالى فيلقيه إليه على اختصاصه به من غير أن يرى ذلك سواه من الناس؛ والصبر: تجرع مرارة الامتناع من المشتهى إلى الوقت الذي ينبغي فيه تعاطيه ويعين عليه العلم بعاقبته وكثرة الفكر في الخير الذي ينال به. واعتياد الصبر في خصلة يسهل الصبر في [خصلة [٧]] أخرى لأن الخير يدعو إلى الخير فتمكن[٨] الإنسان في خصلة يصير له ملكة تدعوه إلى ما شاكلها، وقد ختم سبحانه السورة بما ابتدأها به من أمر الكتاب والإشارة إلى الإرشاد لما[٩] ينفع من ثمرة إنزاله[١٠] وهو العمل بما دل

(١) زيدت الواو بعده في ظ (٢) في ظ: في (٣) في ظ: الصحيحين (٤) من ظ وصحيح البخاري - كتاب المساقاة، وفي الأصل: يقطع (٥) في ظ: هذا (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، وفي الأصل: فيمكن (٩) في ظ: كما (١٠) في ظ: انزاله .

عليه

عليه أو أشار إليه إلى أن يتجلى الحكيم الذى أنزله[1] للحكم فى الدنيا أو فى الآخرة بما لا مرد له مما برزت به مواعيده الصادقة[2] فى كلماته التامة . و هذا بعينه هو أول التى بعدها . فكان ختم هذه السورة وسطا بين أولها و أول التى تليها ، ففيه رد المقطع على المطلع[3] و تبع لما استتبع - و الله الموفق .

* * * * *

(١) من ظ . و فى الأصل : انزاله (٢) فى ظ : الصادق (٣) فى ظ : المطلق .

سورة هود عليه السلام[١]

مقصودها وصف[٢] الكتاب بالإحكام و التفصيل فى حالتى البشارة و النذارة المقتضى ذلك لمنزله سبحانه وضع كل شيء فى أتم محاله و إنفاذه مهما أريد الموجب للقدرة على كل شيء ، و أنسب ما فيها لهذا المقصد ما ذكر فى سياق قصة هود عليه السلام من أحكام البشارة و النذارة بالعاجل و الآجل و التصريح بالجزم بالمعالجة[٣] بالمبادرة[٤] الناظر إلى أعظم مدارات السورة " فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك " و العناية بكل دابة و القدرة على كل شيء من البعث و غيره المقتضى للعلم بكل معلوم اللازم منه التفرد بالملك . [و سيأتى فى الاحقاف وجه اختصاص كل منهما باسمها - [٥]]

﴿ بسم الله ﴾ أى[٦] الذى له تمام العلم و كمال الحكمة و جميع القدرة ﴿ الرحمن ﴾ لجميع خلقه بعموم البشارة و النذارة ﴿ الرحيم ﴾ لأهل ولايته بالحفظ فى سلوك سبيله ﴿ الرٓ ﴾ .

لما ختمت السورة التى قبلها - كما ترى - بالحث على اتباع الكتاب و لزومه و الصبر على ما يتعقب ذلك من مرائر الضير المؤدية إلى مفاوز الخير اعتمادا على المتصف بالجلال و الكبرياء و الكمال ، ابتدئت هذه بوصفه بما يرغب فيه ، فقال بعد الإشارة إلى إعادة القرع بالتحدى على ماسلف

(١) مكية وعدد آيها مائة و إحدى و عشرون فى المدنى الأخير و اثنتان فى المدنى الأول و ثلاث فى الكوفى كما قال الدانى - راجع روح المعانى ٣ / ٥٠٤ (٢) فى ظ : وصفه (٣) من ظ ، و فى الأصل : بالمعاجلة (٤) فى ظ : بالمنابذة (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ .

فى البقرة : ﴿ كتب ﴾ أى عظيم[1] جامع لكل خير ، ثم وصفه بقوله : ﴿ احكمت ﴾ بناه للمعول بيانا لأن إحكامه أمر قد فرغ منه [على أيسر وجه عنه سبحانه -[2]] [3]و أتقن إتقانا لا مزيد عليه[3] ﴿ ايته ﴾ أى أتقنت إتقانا لا نقص[4] معه فلا ينقصها الذى أنزلها بنسخها كلها بكتاب آخر و لا غيره ، و لا يستطيع غيره نقص شىء منها و لا الطعن فى شىء من بلاغتها أو فصاحتها بشىء يقبل . و المراد بـ "محكمت" فى آل عمرن[5] عدم التشابه .

و لما كان للتفصيل رتبة هى[1] فى غاية العظمة ، [6]أتى بأداة[6] التراخى فقال : ﴿ ثم ﴾ أى و بعد هذه الرتبة العالية التى لم يشاركه فى مجموعها كتاب جعلت له رتبة أعلى منها جدا بحيث لم يشاركه فى شىء منها كتاب و ذلك أنه ﴿ فصلت ﴾ أى جعلت لها - مع كونها مفصلة[7] إلى حلال و حرام و قصص و أمثال - فواصل و نهايات تكون بها مفارقة لما بعدها و [ما -[2]] قبلها ، يفهم[8] منها علوم جمة و معارف مهمة و إشارات إلى أحوال عالية ، و موارد عذبة صافية ، و مقامات من كل علة شافية ، كما تفصل القلائد بالفرائد ، و هذا التفصيل لم يشاركه فى شىء منه شىء من الكتب السالفة ، بل هى مدمجة إدماجا لا فواصل لها كما يعرف ذلك من طالعها ، و يكفى فى معرفة ذلك ما سقته منها فى تضاعيف / هذا الكتاب ، ٦١٩ /

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : لا نقيض (٥) راجع آية ٧ (٦-٦) من ظ ، وفى الأصل : التى بإرادة (٧) فى ظ : متفصلة (٨) فى ظ : تفهم .

و ما أنسب ختام هذه الآية للاحكام و التفصيل بقوله : ﴿ من لدن ﴾ أى نزلت آياته محكمة مفصلة حال كونها مبتدئة من حضرة هى أغرب الحضرات الكائنة من إله ﴿ حكيم خبير ﴾ منتهية إليك و أنت أعلى الناس فى كل وصف فلذلك لا يلحق إحكامها و لا تفصيلها ، أرسلناك به قائلا : ﴿ الا تعبدوا ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ الا الله ﴾ أى الإله الأعظم[1] .

و لما كان هذا معظم ما أرسل به صلى الله عليه و سلم و مداره ، استأنف الإخبار بأنه أرسله سبحانه مؤكدا له [لأجل إنكارهم -[2]]فقال : ﴿ انني ﴾ و لما كان إرساله صلى الله عليه و سلم لأجل رحمة العالمين ، قدم ضميرهم[3] فقال : ﴿ لكم منه ﴾ أى خاصة ، ثم أجمل القرآن كله فى وصفيه صلى الله عليه و سلم بقوله [مقدما ما هو أنسب لختام التى قبلها بالصبر -[2]] : ﴿ نذير و بشير ﴾ [كامل فى كل من الوصفين غاية الكمال -[2]] ، و هذا التقدير يرشد إليه قوله تعالى أول[4] التى قبلها " ا كان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس " - الآية مع إيضاحه لما عطف عليه قوله تعالى " و لقد ارسلنا نوحا الى قومه ان " عطفناه عليه ، و إظهاره لفائدة عطفه كما سيأتى إن شاء الله تعالى ، و يرجح أن " لا " ناهية جازمة لـ " تعبدوا " عطف " ان استغفروا " عليه . فقد ظهر من

---

(١) زيد بعده فى الأصل « و لما كان ارساله صلى الله عليه و سلم لاجل رحمة العالمين قدم ضميرهم فقال » و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : ضميره (٤) فى ظ : او .

تلويح هذا و تصريحه و تصرح ما [فى - [1]] بقية السورة أن مقصودها وصف الكتاب بالإحكام و التفصيل بما يعجز الخلق لأنه من عند من هو شامل العلم كامل القدرة فهو بالغ الحكمة يعيد الخلق للجزاء[2] كما بدأهم للعمل فوجب إفراده بالعبادة و أن يمتثل جميع أمره ، و لا يترك شيء منه رجاء إقبال أحد و لا خوف إدباره ، و لا يخشى غيره . و لا يركن إلى سواه . على ذلك مضى جميع النبيين و درج سائر المرسلين صلى الله عليهم و سلم أجمعين .

و لما تقدم أنه نذير و بشير . تبع ذلك بما يشمل الأمرين بقوله عطفا على " الا تعبدوا " مشيرا إلى أنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره : ﴿ و ان استغفروا ربكم ﴾ أى اطلبوا مع الإخلاص فى العبادة أن يغفرلكم المحسن إليكم ما فرطتم فيه ؛ و أشار بأداة التراخى إلى علو رتبة التوبة و أن لا سبيل إلى طلب الغفران إلا بها فقال : ﴿ ثم توبوآ اليه ﴾ أى ارجعوا بالظاهر و الباطن رجوعا لا رجعة فيه [و إن كان المراد بها الدوام لجليل رتبته غير خفى - [1]] ﴿ يمتعكم ﴾ [أى يمد فى تلذيذكم بالعيش مدا ، من متع النهار : ارتفع ، و الضحى : بلغ غايته ، و أمتعه الله بكذا : أبقاه و أنشأه إلى أن يبلغ شبابه - [1]] ؛ و [لما - [1]] ، كان التمتيع - و هو المتاع البالغ فيه حتى لا يكون فيه كدر - لا يكون إلا فى الجنة [3] فلذلك جعل المصدر[3] ﴿ متاعا ﴾ [4] و إنه وضع موضع ' تمتيعا ' هذا المصدر[4]

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : للخبر (٣-٣) فى ظ : حذف المصدر و وضع مكانه اسم المصدر (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و وصفه بقوله : ﴿ حسنا ﴾ [1]ليدل على أنه أنهى ما يليق بهذه الدار ، و لقد كان ما أوتيه الصحابة رضى الله عنهم فى زمن عمر رضى الله عنه من الظفر بالإعداء و سعة الدنيا و رغد العيش كذلك[1] ﴿ الى ﴾ أى ممتدا[2] إلى ﴿ اجل مسمى ﴾ أى فى علمه[3] إما بالموت لكل واحد أو بانقضاء ما ضربه من الآجل للنعمة التى أشار إليها ﴿ و يؤت كل ذى فضل ﴾ أى عمل فاضل ﴿ فضله ﴾ أى جزاء ما قصد بعمله على وجه التفضيل منه سبحانه فانه لا يجب لأحد عليه شىء ، و هو مع ذلك على حسب التفضيل : الحسنة بعشرة[4] أمثالها ؛ قال ابن مسعود : و هلك من غلبت آحاده عشراته .

و لما انقضى التبشير مجزوما به ، أتبعه التحذير مخوفا منه لطفا بالعباد و استعطافا لهم فقال: ﴿ و ان تولوا ﴾ أى تكلفوا أنفسكم ضد ما طبعها الله عليه من سلامة الفطرة و[5] سهولة الانقياد من[6] الإعراض و لو أدنى درجاته بما[7] أشار إليه حذف التاء ﴿ فانى اخاف عليكم ﴾ أى و العاقل من أبعد عن المخاوف ﴿ عذاب يوم كبير * ﴾ أى لكبر ما فيه من العذاب ممن[8] قدر على إثابتكم ، و خص اسم الرب تذكيرا بما له من النعم فى الإيجاد و الإنشاء[9] و التربية ؛ [10]و لما كان الاستغفار - و هو طلب الغفران - مطلوبا فى نفسه لكنه لا يعتبر إلا إذا قرن بالتوبة ، عطف عليه

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : ليكون ابلغ (٢) فى ظ : ممتد (٣) من ظ ، و فى الأصل : علم (٤) فى ظ : بعشر (٥) من ظ ، و فى الأصل : فى (٦) من ظ ، و فى الأصل : الى (٧) من ظ ، و فى الأصل : كما (٨) فى ظ : من (٩) فى ظ : الانجاء .
(١٠) العبارة من هنا إلى « غير خفى » سقطت من ظ .

بـ "ثم" إشارة إلى عظيم رتبتها و على منزلتها و إن كان المراد بها لدوام عليها لجليل رتبته غير خفى ، و فى التعبير عن العمل بالفضل إشارة إلى أنه لم يقع التكليف إلا بما فى الوسع مع أنه من معالى الأخلاق، لأن الفضل فى الأصل ما[1] فضل عن الإنسان و تعانيه من كريم ٦٢٠ / الشمائل ، و ما كان كذلك فهو فى[2] الذروة من الإحكام ، لأنه منع الفعل من الفساد ؛ و الحكيم من الحكمة و هى العلم[3] بما يجمع عليه مما يمنع الفعل من الفساد و النقض . و بها يميز الحسن من القبيح و الفاسد من الصحيح ، و قد أشارت الآية إلى أن الاستغفار و التوبة سبب السعة "لو انهم اقاموا التورىٰة و الانجيل و ما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم و من تحت ارجلهم[4]" و أن الإعراض سبب الضيق ، كما قال صلى الله عليه و سلم : إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ."و [5]يؤت كل ذى فضل فضله[5]" إشارة إلى ثواب الآخرة ، فالتوبة سبب طيب العيش فى الدنيا و الآخرة .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير[6] فى كتابه فى مناسبة هذه السورة للتى قبلها[6] : و لما كانت سورة يونس عليه السلام قد تضمنت - من آى التنبيه و التحريك للفطر[7] و من العظات و التخويف و التهديد و الترهيب

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : لما (٢) من ظ ، و فى الأصل : من (٣) فى ظ : العمل (٤) سورة ٥ آية ٦٦ (٥-٥) فى ظ : فى ذكر الفضل (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : للنظم .

و الترغيب و تقريع المشركين و الجاحدين و القطع بهم و الإعلام بالجريان على حكم السوابق و وجوب التفويض و التسليم - ما لم يشتمل[1] على مثله سورة لتكرر هذه الأغراض فيها، و سبب تكرر ذلك فيها - و الله أعلم - أنها أعقبت بها السبع الطوال. و قد مر التنبيه على أن سورة الأنعام بها وقع استيفاء بيان حال المتنكبين عن[2] الصراط المستقيم على اختلاف أحوالهم، ثم استوفت سورة الأنعام ما وقعت الإحالة عليه من أحوال الأمم السالفة كما تقدم و بسطت ما أجمل من أمرهم، ثم اتبع ذلك بخطاب المستجيبين لرسول الله صلى الله عليه و سلم و حذروا و أنذروا، و كشف عن حال من تلبس بهم من عدوهم من المنافقين، و تم المقصود من هذا في [3]سورتي الأنفال[3] و براءة، ثم عاد الخطاب إلى طريقة الدعاء إلى الله و التحذير من عذابه بعد بسط ما تقدم. فكان مظنة تأكيد[4] التخويف و الترهيب لإتيان ذلك بعد بسط حال و إيضاح أدلة، فلهذا كانت سورة يونس مضمنة من هذا ما لم يضمن غيرها، ألا ترى افتتاحها بقوله "إن ربكم الله" الآيات. و مناسبة هذا الافتتاح دعاء الخلق إلى الله في سورة البقرة بقوله تعالى "يايها الناس اعبدوا ربكم" ثم قد نبهوا هنا كما نبهوا هناك فقال تعالى "ام يقولون افترئه قل فاتوا بسورة مثله" ثم تأكدت المواعظ و الزواجر و الإشارات إلى أحوال المكذبين و المعاندين،

---

(١) في ظ : لم تشتمل (٢) في ظ : على (٣-٣) في ظ : سورة الاعراف .
(٤) في ظ : لتاكيد .

فمن التنبيه "ان ربكم الله"، "هو الذى جعل الشمس"، "ان فى اختلاف اليل و النهار"، "قل هل من شركائكم من [يبدؤا الخلق ثم يعيده"، "قل هل من شركائكم من -[1]] يهدى الى الحق"، "قل انظروا ما ذا فى السموٰت و الارض" - إلى غير هذا، و على هذا السنن تكررت العظات و الأغراض المشار إليها فى هذه السورة إلى قوله "يايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم" فحصل من سورة الاعراف و الانفال و براءة [2]و يونس[2] تفصيل ما كان أجمل فيما تقدمها كما حصل مما تقدم تفصيل أحوال السالكين و المتنكبين، فلما تقرر هذا كله اتبع المجموع بقوله "كتٰب احكمت ايٰته ثم فصلت من لدن حكيم خبير" و تأمل مناسبة الإتيان بهذين الاسمين الكريمين و هما "الحكيم الخبير" ثم تأمل تلاؤم صدر السورة بقوله "يايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم" و قد كان تقدم قوله تعالى "قد جاءتكم موعظة من ربكم" فاتبع قوله "قد جاءكم الحق من ربكم" بقوله فى صدر سورة هود "كتٰب احكمت ايٰته ثم فصلت" فكأنه فى معرض بيان الحق و الموعظة، و إذا كانت محكمة مفصلة فحق لها أن تكون شفاء لما فى الصدور و هدى و رحمة للمؤمنين، و حق توبيخهم فى قوله تعالى "بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه" و العجب فى عمههم[3] مع / إحكامه و تفصيله و لكن "الذين حقت عليهم / ٦٢١

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ١٠ آية ٣٤ و ٣٥ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: عمهم.

كلمت ربك لا يؤمنون " و تأمل قوله سبحانه آخر هذه السورة "وكلا نقص عليك من انبوئ الرسل ما نثبت بـه فؤادك " ، و " جاءك فى هذه الحق و موعظة و ذكرى للمؤمنين " فكل الكتاب حق و موعظة و ذكرى ، و إنما الإشارة - و الله أعلم - بما أراد إلى ما تقرر الإيماء إليه من كمال[1] بيان الصراط المستقيم و ملتزمات متبعيه أخذا و تركا ، و ذكر أحوال المتنكبين على شتى طرقهم ، و اختلاف أهوائهم و غاياتهم و شرهم إبليس فانه متبعهم و القائل لجميعهم فى إخبار الله تعالى " ان الله وعدكم وعد[2] الحق و وعدتكم فاخلفتكم " و قد بسط[2] من أمره و قصته فى البقرة و الاعرف مايسر على المؤمنين الحذر منه[3] وعرفهم به و ذكر اليهود و النصارى و المشركون[4] و الصابئون و المنافقون و غيرهم . و فصل مرتكب كل فريق منهم كما استوعب ذكر أهل الصراط المستقيم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين ، و فصل أحوالهم ابتداء و انتهاء و التزاما و تركا ما أوضح طريقهم ، و عين حزبهم و فريقهم " اولئك الذين هدى الله " و ذكر أحوال الأمم مع أنبيائهم و أخذ كل من الأمم بذنبه مفصلا ، و ذكر ابتداء الخلق فى قصة آدم عليه السلام و حال الملائكة فى التسليم و الإذعان و ذكر فريق[5] الجن من مؤمن وكافر و أمر الآخرة و انتهاء حال الخلائق و استقرارهم الأخروى و تكرير[6] دعاء الخلق إلى الله تعالى طمعا فيه[7] و رحمة و إعلام الخلق بما هو عليه سبحانه و ما يجب

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يسطت (٣) فى ظ : منهم (٤) فى ظ : المشركين . (٥) فى ظ : فريقا (٦) فى ظ : تكرر (٧) من ظ ، وفى الأصل : منه .

له من الصفات العلى و الأسماء الحسنى ، و نبه العباد على الاعتبار و علموا طرق الاستدلال و رغبوا و رهبوا و بشروا و أنذروا و أعلموا بافتقار المخلوقات بجملتها إليه سبحانه كما هو المتفرد بخلقهم إلى ما تخار[1] ذلك مما يعجز الخلائق عن[2] حصره و الإحاطة به " و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل " فلما تقدم هذا كله فى السبع الطوال و ما تلاها . أعقب ذلك بقوله " كتب احكمت ايته ثم فصلت من لدن حكيم خبير " ثم اتبع هذا بالإيماء إلى فصول ثلاثة[3] عليها مدار آى الكتب ، و هى فصل الإلهية ، و فصل الرسالة ، و فصل التكاليف . أما الأول فأشار إليه قوله " الا تعبدوا الا الله " و أما فصل الرسالة فأشار إليه قوله سبحنه " انى لكم منه نذير و بشير " و أما فصل التكاليف فأشار إليه قوله سبحانه " و ان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه " . و هذه الفصول الثلاثة [4]هى التى تدور[4] عليها آى القران و عليها مدار السورة الكريمة ، فلما حصل استيفاء ذلك كله فيما تقدم و لم يبق وجه شبهة[5] للمعاند و لا تعلق للجاحد و اتضح الحق و بان قال سبحانه و تعالى " و جاءك فى هذه الحق " إشارة إلى كمال المقصود و بيان المطلوب و استيفاء التعريف بوضوح الطريق و قد وضح من هذا تلاء هذه السورة الكريمة لما تقدمها ، و مما يشهد لهذا - و الله أعلم - قوله تعالى [" افمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه " و قوله تعالى -[6]] " فاستقم كما امرت و من تاب معك و لا تطغوا "

(١) من ظ ، و فى الأصل : يحال (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : ثلاث (٤-٤) فى ظ : التى هى يدور (٥) فى ظ : شبه (٦) زيد من ظ ، و راجع أيضا آية ١٧ من هذه السورة .

فقد وضح طريقك و فاز بالفلاح حزبك و فريقك "و لا تركنوا الى الذين ظلموا" فقد عرفتم سبيلهم و مصيرهم فقد بان طريق الحق، و[1]كيف ينكب من جزم[1] سلوكه من الخلق ! و نظيره[2] قوله سبحانه "و جاءك في هذه الحق" عقب ما ذكر سبحانه "لمن الملك اليوم" و قوله "يوم لا تملك نفس لنفس شيئا و الامر يومئذ لله" فتأمل [ذلك - [3]] و الله المستعان - انتهى .

و لما خوف المنذرون [4]باليوم الكبير[4] كانوا كأنهم قالوا : ما هذا اليوم؟ فكان الجواب: يوم يرجعون إليه، و لما كانوا ربما حملوا الرجوع على مجرد الموت و الصيرورة ترابا، نبههم على أنه بغير المعنى الذي يتوهمونه بل بمعنى[5] إعادتهم كما كانوا فقال : ﴿ الى الله ﴾ أى الملك المحيط بكل شيء قدرة و علما وحده ﴿مرجعكم ج﴾ أى [رجوعكم و وقته و مكانه لأجل الحساب - [3]] لا إلى التراب و لا غيره، [و هو بكل شيء عليم، و منه بدءكم لأخذ الزاد للمعاد - [3]]، و جعل فاصلة الآية / حكما على المراد فقال : ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿على كل شيء﴾ أى ممكن ﴿ قدير ه ﴾ أى بالع القدرة لأنهم يقرون بقدرته على أشياء هى أعظم من الإعادة، [فهو قادر على الإعادة كما قدر على البداءة، فالآية من الاحتباك : ذكر المرجع أولا دليلا على المبدإ ثانيا، و تمام القدرة ثانيا دليلا على تمام العلم أولا لأنهما متلازمان - [3]] . / ٦٢٢

و لما تقدم من التخويف و الإطماع ما هو مظنة لإقبالهم و رهبهم

(١-١) فى ظ : قد تنكب من حرم (٢) من ظ ، و فى الأصل : نظير (٣) زيد من ظ (٤-٤) فى ظ : اليوم (٥) من ظ ، و فى الأصل : معنى .

على

على التولى بخصوصه ، فكان[1] موضع أن يقال : هل أقبلوا ؟ فقيل : لا [قال - [2]] مبينا أن التولى باطنا كالتولى ظاهرا لأن الباطن هو العمدة ، مؤكدا لأنه أمر لا يكاد أن[3] يصدق ، و التأكيد أقعد فى تبكيتهم : ﴿ الآ انهم ﴾ أى الكفار المعاندين[4] ﴿ يثنون صدورهم ﴾ أى يطوونها و ينحرفون عن الحق على غل من غير إقبال لأن من أقبل على الشيء أقبل عليه بصدره ﴿ ليستخفوا منه ط ﴾ أى يريدون[5] أن يوجدوا إخفاء سرهم على غاية ما يكون من أمره . فان كان مرادهم بالثنى الاستتار من الله تعالى فالأمر فى عود الضمير إليه سبحانه واضح ، و إن كان من النبى صلى الله عليه و سلم فالاستخفاء منه استخفاء ممن أرسله ، ثم أعلم أن ذلك غير مغن عنهم لأنه يعلم سرهم و علنهم فى أخفى أحوالهم عندهم ، و هو حين استغشائهم ثيابهم ، فيغطون الوجوه التى تستقر عن بعض ما فى القلوب للتوسمين فقال : ﴿ الا حين يستغشون ثيابهم لا ﴾ أى يوجدون غشيانها أى تغطيتها لرؤسهم ، لاستخفاء كراهية[6] لسماع كلام الله و أخبار رسوله[7] صلى الله عليه و سلم ﴿ يعلم ما يسرون ﴾ أى يوقعون إسراره فى أىّ وقت كان و من أىّ نوع كان من غير بطأ لتدبر أو تأمل ، [و لما لم يكن بين علم السر و العلن ملازمة لاختصاص العلن بما يكون لغيبة أو اختلاط بأصوات و لفظ أو اختلاف لغة و نحو ذلك قال تصريحا - [2]] : ﴿ و ما يعلنون ج ﴾ أى يوقعون إعلانه لاتفاوت[8] فى

---

(١) من ظ ، وفى الأصل : كان (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : المعاندون (٥) فى ظ : ان يريدوا (٦) فى ظ : كراهة (٧) من ظ ، وفى الأصل : رسول الله (٨) من ظ ، وفى الأصل : لا يفاوت .

علمه بين إسرار و إعلان . فلا وجه لاستخفائهم نفاقا ، فان سوق نفاقهم[1] غير نافق عنده[2] سبحانه . ثم علله بما هو أدق من ذلك كله مع شموله للنوعين فقال : ﴿ انه عليم ﴾ أى بالغ العلم جدا ﴿ بذات الصدور ﴾ أى بضمائر قلوبهم التى فى دواخل[3] صدورهم التى يثنونها من قبل أن يقع لهم[4] إضمارها ، بل من قبل أن يخلقهم ؛ و أصل الثنى العطف . و منه الاثنان - لعطف أحدهما على الآخر ، و الثناء - لعطف[5] المناقب فى المدح . و لهذا لما قال "عبد فى الفاتحة" الرحمن الرحيم" بعد الحمد قال الله تعالى : أثنى على عبدى - كما فى حديث « قسمت الصلاة بينى و بين عبدى نصفين » و الاستثناء - لعطف الثانى على الأول بالاستخراج منه ؛ و الاستخفاء : طلب خفاء الشىء : ثم اتبع ذلك بما يدل على شمول العلم و القدرة معا فقال :

(١) زيد فى ظ : من (٢) فى ظ : عندهم (٣) فى ظ : داخل (٤) فى ظ : من (٥) من ظ . و فى الأصل : العطف .

﴿ و ما ﴾ و أغرق في العموم بقوله : ﴿ من دآبة ﴾ و[1] دل على أن الانتفاع بالأموال مخصوص بأهل العالم السفلى بقوله : ﴿ فى الارض ﴾ أي صغرت أو كبرت ﴿ الا على الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الإحاطة وحده لا على غيره ﴿ رزقها ﴾ أي قوتها و ما تنتفع و تعيش به بمقتضى ما أوجبه على نفسه ، [تحقيقا لوصوله و حملا على التوكل فيه -[2]] ، لأن الإفضال على كل نفس بما لا تعيش إلا به و لا يلائمها إلا هو مدة حياتها أدق مما مضى فى العلم مع تضمنه لتمام القدرة ، و الآية مع ذلك ناظرة إلى ترغيب آية " و ان استغفروا ربكم " فالمراد : أخلصوا العبادة له و لا تفتروا[3] عن عبادته للاشتغال بالرزق فانه ضمنه لكم و هو عالم بكل نفس فلا تخشوا من أنه ينسى أحدا ، و قال : " فى الارض " ليعم ما يمشى على وجهها و ما فى أطباقها من الديدان و نحوها مما لا يعلمه إلا هو ، لقد شاهدت داخل حصاة من شاطئ بحر قبرس[4] شديدة الصلابة كأنها العقيق الأبيض دودة عندها ما تأكل ، و أخبرنى الفاضل عزالدين محمد بن أحمد التكرورى الكتبي أنه شاهد غير مرة فى دواخل[5] حجارة[6] تقطع من جبل مصر الدود عنده ما يأكل من الحشيش الأخضر و ما يشرب من الماء ؛ و نبه بقوله : ﴿ و يعلم مستقرها ﴾ أى مكانها الذى تستقر فيه ﴿ و مستودعها ﴾ أى موضعها الذى تودع فيه قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة أو بعده / من قبر أو فلاة أو غير ذلك على ما يحيط به علمه من تفاصيل / ٦٢٣

(١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل : لا يفتروا.
(٤) من ظ، وفى الأصل: فيرس (٥) فى ظ: داخل (٦) من ظ، وفى الأصل: الحجارة.

السكنات و الحركات ما كان منها و ما يكون من كل ذلك مما يحير الفكر و يدهش الألباب ، ثم جعل فاصلة الآية ما هو في غاية العظمة عند الحق[1] و هو ﴿ كل ﴾ أي من ذلك ﴿ في كتب مبين ﴾ فانه ليس كل ما يعلمه العبد يقدر[2] على كتابته و لا كل ما يكتبه[3] يكون مبينا بحيث أنه كلما أراد الكشف منه وجد ما يريده ، و إذا وجده كان مفهما له ؛ و الدابة : الحي الذي من شأنه الدبيب ؛ و المستقر : الموضع الذي يقر فيه الشيء ، و هو قراره و مكانه الذي يأوي إليه ؛ و المستودع : المعنى المجعول في قرار كالولد الذي يكون في البطن و النطفة التي في الظهر ، و قد جعل سبحانه في كتابة ما ذكر حكما منها ما للملائكة فيه من العبرة عند المقابلة بما يكون من الأمور المكتوبة قبل وجودها .

و لما كان خلق ما منه الرزق أعظم من خلق الرزق و توزيعه[4] في شمول العلم و القدرة معا ، تلاه بقوله : ﴿ و هو ﴾ أي وحده ﴿ الذي خلق ﴾ أي أوجد و قدر ﴿ السموت و الارض ﴾ وحده[5] لم يشركه في ذلك أحد كما أنتم معترفون ﴿ في ستة ايام ﴾ و لما كان خلق العرش أعظم من ذلك كله فان جميع السماوات و الأرض بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في فلاة ، و أعظم من ذلك أن يكون محمولا على الماء الذي لا يمكن حمله في العادة إلا في وعاء ضابط محكم ، تلاه بقوله : ﴿ و كان ﴾ [أي - [6]] قبل خلقه لذلك ﴿ عرشه ﴾ متعليا[7] ﴿ على المآء ﴾ و لا يلزم من ذلك

---

(١) من ظ ، و في الأصل : الخلق (٢) في ظ : تقدر (٣) في ظ : تكتبه (٤) في ظ : توزيعه (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و في الأصل : متعلية .

الملاصقة كما أن السماء على الأرض من غير ملاصقة. وقد علم من هذا السياق أنه[1] كان قبل الأرض [خلق -[2]] فثبت أنه وما تحته محمولان بمحض القدرة من غير سبب آخر قريب أو[3] بعيد، فثبت بذلك أن قدرته في درجات من[4] العظمة لا تتناهى، وهذا زيادة تفصيل لما[5] ذكر في سورة يونس عليه السلام من أمر العرش لأن هذه سورة التفصيل، ونبه بقوله تعالى معلقا بـ"خلق": ﴿ليبلوكم﴾ أي [أنه خلق ذلك كله لكم سكنا كاملا بمهده وسقفه من أكله وشربه وكل ما تحتاجونه فيه وما يصلحكم وما يفسدكم ومكنكم من جميع ذلك و-[2]] الحكمة في خلق ذلك أنه يعاملكم معاملة المختبر، ودل على شدة الاهتمام بذلك بسوقه مساق الاستفهام[6] في قوله: ﴿أيكم﴾ أي أيها العباد ﴿احسن عملا﴾ على أنه فعل هذه الأفعال الهائلة لأجل هذه الأمور التي هم لها مستهينون وبها مستهزؤن[7]، وعلق فعل البلوى عن جملة الاستفهام لما فيه من معنى العلم لأنه طريق إليه. روى البخاري في التفسير عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل: أنفق أنفق عليك، وقال: يد[8] الله ملأى لا تغيضها[9] نفقة، سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماء والأرض فانه لم يغض[10] ما في

---

(١) زيد بعده في ظ: لو (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: ام (٤) سقط من ظ. (٥) من ظ، وفي الأصل: كما (٦) في ظ: الاهتمام (٧) من ظ، وفي الأصل: يستهزون (٨) من ظ والصحيح، وفي الأصل: يدى (٩) من الصحيح، وفي الأصل: لا يغيظها، وفي ظ: لا يغيضها (١٠) من الصحيح، وفي الأصل وظ: لم يقض.

يده، و كان عرشه على الماء، و بيده الميزان[1] يخفض و يرفع . و فى الآية حث على محاسن الأعمال و الترقي دائما فى مراتب الكمال من العلم الذى هو عمل القلب [و العمل - [2]] الظاهر الذى هو وظيفة الأركان .

و لما ثبت - بيده الخلق الذى هم [به - [2]] معترفون - القدرةُ على إعادته، و ثبت بالابتلاء أنه لا تتم الحكمة فى خلق المكلفين إلا باعادتهم ليجازى كلا من المحسن و المسيء بفعاله[3] [و أنهم ما خلقوا إلا لذلك - [2]] . عجب من إنكارهم له و أكده[4] لذلك فقال : ﴿ و لئن قلت ﴾ أى[5] لهؤلاء الذين[5] ما خلقت هذا الخلق العظيم إلا لابتلائهم ﴿ انكم مبعوثون ﴾ أى موجودون[6] ، [بعثكم - [2]] ثابت قطعا لا بد منه .

و لما كان زمن البعث بعض الزمن قال[7] : ﴿ من بعد الموت ﴾ الذى هو غاية الابتداء ﴿ ليقولن ﴾ أكده دلالة على العلم بالعواقب علما من أعلام النبوة ﴿ الذين كفروآ ان ﴾ أى ما ﴿ هذآ ﴾ أى القول بالبعث ﴿ الا سحر مبين ﴾ أى شيء مثل السحر تخييل باطل لا حقيقة له أو خداع يصرف الناس عن الانهماك فى اللذات للدخول فى طاعة الآمر .

و لما كان ما تقدم عنهم من الأفعال ومضى من الأقوال مظنة لمعاجلتهم[8]

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : بما فعل (٤) من ظ، و فى الأصل : تاكده (٥ - ٥) فى ظ : هولاء الذى (٦) من ظ ، و فى الأصل : موجود (٧) فى ظ : فقال (٨) فى ظ : لمعاجلتهم .

٦٢٤ / بالأخذ . / و كان الواقع أنه تعالى يعاملهم[1] بالإمهال فضلا منه و كرما ، حكى مقالتهم في مقابلة رحمته لهم فقال: ﴿و لئن اخرنا ﴾ أى[2] بما لنا من العظمة التى لا يفوتها شيء ﴿عنهم﴾ أى الكفار ﴿ العذاب ﴾ أى المتوعد به ﴿ الىٰ امة ﴾ أى مدة من الزمان ليس فيها كدر ﴿معدودة﴾ أى محصورة الأيام أى قصيرة معلومة عندنا حتى تعد[3] الأنفاس ﴿ ليقولن ﴾ على سبيل التكرار ﴿ ما يحبسه[4] ﴾ أى العذاب عن الوقوع استعجالا له تكذيبا و استهزاء ، و هو تهديد لهم بأنه آتيهم عن قريب فليعتدوا لذلك .

و لما كان العاقل لا ينبغى أن يسأل عن مثل ذلك إلا بعد قدرته على الدفع ، أعرض عن جوابهم و ذكر لهم أنهم عاجزون عن دفاعه عند إيقاعه إعلاما بأنهم عكسوا فى السؤال ، و تحقيقا لأن ما استهزؤا به لاحق بهم لا محالة ، فقال مؤكدا لشديد إنكارهم : ﴿الا يوم﴾ و هو منصوب بخبر ' ليس ' الدال على جواز تقدم[2] الخبر ﴿ ياتيهم[4] ليس﴾ أى العذاب ﴿ مصروفا عنهم ﴾ أى بوجه من الوجوه ؛ [و قدم الماضى موضع المستقبل تحقيقا و مبالغة فى التهديد فقال - [5]] : ﴿و حاق بهم ﴾ أى أدركهم إذ ذاك على سبيل الإحاطة ﴿ ما كانوا ﴾ أى بجبلاتهم و سيئ طبائعهم ، و قدم الظرف إشارة إلى شدة إقبالهم على الهزء به حتى كأنهم لا يهزؤن بغيره فقال : ﴿ به ﴾ و لما كان استعجالهم استهزاء ، وضع موضع 'يستعجلون[6]' قوله :

(١) زيد بعده فى ظ : معاملة (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : بعد (٤) زيد بعده فى الأصل : اى العذاب ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) زيد من ظ .
(٦) فى ظ : يستهزءون .

﴿ يستهزءون ﴾ أي يوجدون الهزء به إيجادا عظيما حتى كأنهم يطلبون ذلك.

ولما كان قولهم ذلك ناشئا عن طبع الإنسان على الوقوف مع الحالة الراهنة والعمى عن الاستضاءة بنور العقل فيما يزيلها في العاقبة، بين ذلك [ليعلم أن طبعه مناف لما تضمنه مقصود السورة من الإحكام الذي هو ثمرة العلم. وبعلم ذلك يعلم مقدار نعمته على من حفظه على ما فطره عليه من أحسن تقويم - [1]] بقوله مؤكدا لأن كل أحد ينكر أن يكون طبعه كذلك: ﴿ ولئن أذقنا ﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿ الانسان ﴾ أي هذا النوع المستأنس بنفسه؛ ولما كان من أقبح الخلال استملاك المستعار، وكانت النعم عواري من الله يمنحها من شاء من عباده، قدم الصلة دليلا على العارية فقال: ﴿ منا رحمة ﴾ أي نعمة عظيمة فضلا منا عليه لا بحوله ولا بقوته [من جهة لا يرجوها بما دلت عليه أداة الشك - [1]] ومكناه من التلذذ بها تمكين[2] الذائق من المذوق ﴿ ثم نزعنها ﴾ أي بما لنا من العظمة وإن كره ذلك ﴿ منه ج ﴾ أخذا لحقنا ﴿ انه ليئوس ﴾ أي شديد اليأس من أن يعود له مثلها ﴿ كفور ﴾ أي عظيم الستر لما سلفه له من الإكرام لأن شأنه ذلك وخلقه إلا من رحم ربك ﴿ ولئن اذقنه نعماء ﴾ من فضلنا.

ولما كان استملاكه[3] العارية طبعا له، لا ينفك عنه إلا بمعونة شديدة من الله، دل عليه بما[4] أفهم أنه لو كان طول عمره في الضر ثم نال حالة

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: ايكن (٣) في ظ: استملاك.
(٤) سقط من ظ.

رضاها عقب زمن الضر سواء، بادر إلى اعتقاد أنها هي الحالة الأصلية له وأنها لا تفارقه أصلا ولا يشوبها نوع ضرر ولا يخالط صفوها شيء من كدر، فقال دالا على اتصال زمن الضر بالقول بنزع الخافض من الظرف: ﴿بعد ضرآء﴾ أي فقر شديد مضر ببدنه، ولم يسند المس إليه سبحانه كما فعل في النعماء [1]تعليما الأدب[1] فقال: ﴿مسته﴾ أي بما كسبت يداه ﴿ليقولن﴾ مع قرب عهده بالضراء خفة وطيشا[2] ﴿ذهب السيئات﴾ أي كل ما يسوءني ﴿عني[3]﴾ وقوله ﴿إنه﴾ الضمير فيه للإنسان، فالمعنى أن الإنسان. فهي كلية مشهورة[4] بمستغرق، أي أن كل إنسان ﴿لفرح فخور﴾ أي خارج عن الحد في فرحه شديد الإفراط في فخره على غيره بكل نعمة تفضل الله عليه بها. [لا يملك ضر نفسه ومنعها من ذلك -[5]] فلذا اتصل [بها -[5]] قوله مستثنيا من الإنسان المراد به اسم الجنس: ﴿إلا الذين صبروا﴾ في وقت[6] الشدائد وزوال[6] النعم رجاء لمولاهم وحسن ظن به بسبب إيمانهم الموجب لتقيدهم[7] بالشرع ﴿وعملوا الصلحت﴾ [أي -[5]] من أقوال[8] الشكر وأفعاله عند حلول النعم، فهم دائما مشغولون بمولاهم شكرا وصبرا، [وهم الذين أتم عليهم سبحانه نعمه، خلقهم في أحسن تقويم. وهم أقل من القليل لعظيم جهادهم لنفوسهم

(١-١) من ظ، وفي الأصل: تعليما في الادب (٢) من ظ، وفي الأصل: طيشه - كذا (٣) تقدم في الأصل على «ذهب السيئات» والترتيب من ظ (٤) في ظ: مشورة (٥) زيد من ظ (٦-٦) تكرر ما بين الرقمين في ظ (٧) في ظ: لتعديهم (٨) في ظ: اقواله.

فيما جبلت عليه من الحظوظ و الشهوات و غيرها و شياطينهم -[1]] .
و لما كان كأنه قيل : [2]فما لهم لم يكونوا[2] كذلك ؟ أنتج السياق مدحهم فقال : ﴿ اولٓـئك ﴾ أى العالو المراتب ﴿ لهم مغفرة ﴾ إذا وقعت منهم هفوة ﴿ و اجر كبير ﴾ على صبرهم و شكرهم ؛ و الذوق : تناول الشيء بالفم لإدراك الطعم كما أن الشم ملابسة الشيء الأنف لإدراك الرائحة ؛ و النزع : رفع الشيء عن غيره مما كان مشابكا له كالقلع[3] / و القشط ؛ ٦٢٥ / و اليأس : القطع بأن[4] الشيء لا يكون ، و هو ضد الرجاء ، و يؤوس : كثير اليأس ، و هو ذم لأنه للجهل بسعة الرحمة الموجبة لقوة الأمل فى كل ما يجوز فى الحكمة فعله : و النعماء : إنعام يظهر أثره على صاحبه ، كما أن الضراء مضرة تظهر الحال بها ، لأنها أخرجت مخرج الأحوال الظاهرة من حمراء و عوراء مع ما فى مفهومها[5] من المبالغة ؛ و السيئة : ما يسوء من جهة نفور[6] طبع أو عقل ، و هى هنا المرض و الفقر و نحوه ؛ و الفرح : انفتاح القلب بما يلتذ به ؛ و عبارة البغوى : هو لذة فى القلب بنيل المشتهى و هو أعظم من ملاذ الحواس ؛ و الفخر : التطاول بتعديد المناقب ؛ و الصبر : حبس [النفس -[7]] عن المشتهى من[8] المحارم و نحوها ، و الصبر على مر الحق يؤدى إلى الفوز فى الآخرة مع ما فيه من الجمال فى الدنيا ؛ و الكبير واحد يقصر مقدار غيره عنه ؛ و الكثير : جمع يزيد على عدد غيره .

---

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) فى ظ : فانهم لما يكونوا (٣) فى ظ : كالقطع .
(٤) فى ظ : بلى (٥) من ظ ، و فى الأصل : مفهوما (٦) فى ظ : نور (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : عن .

و لما استثنى سبحانه من الجارين مع الطبع الطائشين [1]فى الهوى[1] مَنْ تحلى برزانة[2] الصبر الناشئ عن وقار العلم المثمر لصالح العمل ، و كان صلى الله عليه و سلم رأس الصابرين ، و كان ما مضى من أقوالهم و أفعالهم مثل قولهم "ما يحبسه" و تثنيهم صدورهم أسبابا لضيق صدره صلى الله عليه و سلم ، فربما كانت مظنة لرجائهم تركه صلى الله عليه و سلم بعض ما يوحى إليه من عيب آلهتهم و تضليل آبائهم و تسفيه أحلامهم ، و غير ذلك مما يشق عليهم طمعا فى إقبالهم أو خوفا من إدبارهم فانهم كانوا يقولون : ما نراه يذكر من خالف دينه من اليهود و النصارى بمثل الذى يذكرنا به من الشر ، قال تعالى مسببا عن ذلك ناهيا فى[3] صيغة الخبر : ﴿فلعلك تارك[4]﴾ أي إشفاقا أو طمعا ﴿بعض ما﴾ و لما كان الموحى قد صار معلوما لهم و إن نازعوا فيه . بنى للمفعول قوله : ﴿يوحىٓ اليك﴾ كالإنذار و تسفيه أحلام آبائهم ﴿و ضآئق به﴾ أي بذلك البعض ﴿صدرك﴾ مخافة ردهم له[5] إذا بلغته لهم : ثم [6]علل ذلك[6] بقوله : ﴿ان﴾ أي مخافة أو لأجل أن ﴿يقولوا﴾ تعنتا ومغالبة إذ لو كانوا مسترشدين لكفتهم آية واحدة ﴿لو لآ﴾ أي هلا و لم لا ﴿انزل عليه كنز﴾ يستغنى به و يتفرغ لما يريد ، [و بنوه للمفعول لأن المقصود مطلق حصوله -[7]] ، و كانوا يتهاونون بالقرآن لعلمهم أنه الآية العظمى فكانوا لا يعدونه آية عنادا منهم و مكابرة ﴿او جآء معه ملك[4]﴾ أي ليؤيد[8] كلامه و ليشهد[9] له ، فكان النبى صلى الله عليه و سلم يضيق صدره بمثل أقوالهم هذه و يثقل عليه أن يلقى إليهم ما لا يقبلونه و يضحكون

(١ - ١) فى ظ : بالهوى (٢) من ظ ، و فى الأصل : برازته (٣) فى ظ : عن .
(٤) فى ظ : باخع (٥) فى ظ : به (٦-٦) فى ظ : عللوا (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : ليوثر (٩) فى ظ : يشهد .

منه، فحركه الله بهذا لأداء الرسالة كائنا فيها ما كان، فكان المعنى: فاذا تقرر أن الإنسان مطبوع على نحو هذا من [1]التقلبات، فلا تكن[1] موضع رجائهم فى أن تكون[2] تاركا ما يغيظهم مما نأمرك[3] به، [بل كن - [4]] من الصابرين؛ قال أهل السير: فلما بادى رسول الله صلى الله عليه و سلم قومه بالإسلام و صدع به كما أمره الله لم يبعد [منه - [4]] قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم و عابها، فلما فعل ذلك أعظموه و ناكروه و أجمعوا خلافه إلا من عصمه[5] الله؛ و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المشركين قالوا للنبى صلى الله عليه و سلم: ائتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا.

و لما أفهم هذا[6] السياق الإنكار لما يفتر عن الإنذار، كان كأنه قيل [له - [4]]: هذا[6] الرجاء المرجو منكر[7]، و المقصود الأعظم من الرسالة النذارة لأنها هى الشاقة على النفوس، و أما البشارة[8] فكل من قام يقدر على إبلاغها فلذا قال: ﴿ انمآ انت نذير ﴾ فبلغهم ما أرسلت به فيقولون لك ما يقدره الله لهم فلا يهمنك [فليس عليك إلا البلاغ - [4]] و ما أنت عليهم بوكيل تتوصل[9] إلى ردهم إلى الطاعة بالقهر[10] و الغلبة بل الوكيل الله الفاعل لما يشاء[11] ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة.

و لما كان/ السياق لإحاطته سبحانه، قدم قوله: ﴿ على كل شىء ﴾ منهم و من غيرهم و من قبولهم و ردهم و من حفظك منهم و من غيره ﴿ وكيل ﴾ [فهو يدبر الأمور على ما يعلمه من الحكم، فان شاء جاء

(١ - ١) فى ظ: التلقبات فلا يكن (٢) من ظ، و فى الأصل: يكون (٣) من ظ، و فى الاصل: يامر ك (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: عصم (٦) سقط من ظ. (٧) فى ظ: منكم (٨) من ظ، و فى الأصل: النذارة (٩) من ظ. و فى الأصل: يتوسل (١٠) فى ظ: و القهر (١١) من ظ و القرآن الكريم، و ليس فى الأصل.

بما سألوا و إن لم يشأ لم يأت به و لا اعتراض عليه -[1]] فتوكل عليه فى كل أمر و إن صعب ، و لعله اقتصر على النذارة لأن المقام يقتضيها من أجل أنهم أهل لها و أنها[2] هى التى يطمعون فى تركها باطماعهم فى المؤالفة بالإعراض عما يوجب المخالفة ؛ و الصدر : مسكن القلب ، يشبه به رئيس القوم و العالى المجلس لشرف منزلته على غيره من الناس ؛ و الكنز : المدفون ، و قد صار فى الدين صفة[3] ذم لكل مال[4] لم يخرج منه الواجب من الزكاة و إن لم يكن مدفونا ، [و الآية من الاحتباك : نفى أولا قدرته صلى الله عليه و سلم على الإتيان بما سألوا دليلا على قدرة مرسله على ذلك و غيره ثانيا . و أثبت الوكالة ثانيا دليلا على نفيها أولا - [1]] .

و لما كان ذوو الهمم العوال ، لا يصوبون إلى الكنوز و الأموال ، وكان الملك إنما يراد لتطييب النفس بتثبيت الأمر . وكان فيما يشهد به إعجاز القرآن ببديع نظمه و باهر حكمه و حكمه [و - [1]] زاجر غرائبه و وافر علمه ما[5] يغنى عن ذلك ، و كان فى كل آية منه ما يبين للفهم سفساف قدحهم فى الرسالة ، كان موضع الإنكار له ، فكان كأنه قيل : أ[5] يقولون ذلك تعنتا[6] منهم و اقتراحا و إعراضا عن معجز القرآن فأعرض عنه فانه لايضر[7] فى وجه الدليل ﴿ام يقولون﴾ [أى مكررين -[1]] ﴿ افترىٰه ط ﴾ فكان ذلك موضع أن يقال : نعم ، إنهم ليقولون ذلك فيقدحون فى الدليل فما ذا يقال لهم ؟ فقيل : ﴿ قل ﴾ أى لهم على سبيل التنزل ﴿ فاتوا ﴾ يا معاشر العرب فانكم مثلى فى العربية و اللسان

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : انما (٣) من ظ ، وفى الأصل : صنعة (٤) فى ظ : ما .
(٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : تفننا (٧) فى ظ : لا يغير .

و المولد و الزمن[1] و فيكم من يزيد[2] عليّ بالكتابة و القراءة و مخالطة العلماء و التعلم من الحكماء و نظم الشعر و اصطناع الخطب [و - [3]] النثر و تكلف الأمثال وكل ما يكسب الشرف و الفخر[4] ﴿ بعشر سور ﴾ أى قطع ، كل قطعة منها تحيط بمعنى تام يستدل فيها عليه ﴿ مثله ﴾ أى تكون[5] العشر مثل جميع القرآن فى طوله و فى مثل احتوائه على أساليب البلاغة و أفانين العذوبة و المتانة و الفحولة و الرشاقة حال كونها ﴿ مفتريٰت ﴾ أى أنكم قد عجزتم عن الإتيان بسورة أى قطعة واحدة آية أو آيات من مثله فيما هو عليه من البلاغة و الإخبار بالمغيبات و الحكم و الأحكام و الوعد و الوعيد و الأمثال و ادعيتم مكابرة أنه مفترى فارغ عن الحكم فأتوا بعشر مثله فى مجرد البلاغة غير ملزمين بحقائق المعانى و صحة المبانى - ذكره البغوى[6] عن المبرد ، و قد مضى فى البقرة عند " فاتوا بسورة من مثله[7] " عن الجاحظ و غيره ما يؤيده ؛ قال أبو حيان[8] : و شأن من يريد تعجيز شخص أن يطالبه أولا بأن يفعل أمثالا مما يفعل هو ، ثم إذا تبين عجزه قال : افعل مثلا[9] واحدا - انتهى . فكأنهم تحدوا أولا بجميع القرآن فى مثل قوله " فلياتوا بحديث [مثله[10]] " أى فى التحتم و التطبيق على الوقائع و ما يحدث - [2]؛ و يتجدد شيئا فى إثر شيء ، ثم قطع بعد عجزهم بدوام عجزهم فى قوله تعالى " قل لو اجتمعت الانس و الجن " - الآية[11] تبكيتا لهم و إخزاء و بعثا على ذلك و إغراء ، ثم تحدوا

(١) فى ظ : الرمى (٢) من ظ ، و فى الأصل : تزيد (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٦) راجع هامش لباب التأويل ٣/١٨١ . (٧) آية ٢٣ (٨) راجع البحر المحيط ٥/٢٠٨ (٩) من البحر ، و فى الأصل وظ : مثالا (١٠) سورة ٥٢ آية ٣٤ (١١) سورة ١٧ آية ٨٨ .

فى سورة يونس عليه السلام بسورة واحدة مثل جميع القرآن غير معتنين[١] فيها بالتفصيل إلى السور تخفيفا عليهم و استهانة بأمرهم، فلما عجزوا [تحدوا بعشر مفتراة، و لما خفف عنهم فيها التقيد بصدق المعنى وحقيقة المبانى، ألزمهم بما خففه عنهم فى يونس من التفصيل و لم يخلهم من التخفيف إشارة إلى هوان أمرهم و احتقار شأنهم بأن جعلها إلى عشر فقط، فلما عجزوا -[٢]] أعيد فى المدينة الشريفة لأجل أهل الكتاب تحديهم بسورة، أى قطعة واحدة مقرونا ذلك بالإخبار بدوام عجزهم عن ذلك فى قوله[٣] تعالى فى البقرة " فان لم تفعلوا و لن[٤] تفعلوا " - الآية، فالمتحدى به فى كل سورة غير المتحدى به فى الأخرى، و قد مضى فى يونس و البقرة و يأتى فى سبحان و الطور إن شاء الله تعالى ما يتم به فهم هذا المقام، و البلاغة ثلاث طبقات فأعلاها معجز، و أوسطها و أدناها ممكن، و التحدى وقع بالعليا، و ليس هذا أمرا بالافتراء لأنه تحدّ فهو للتعجيز و قوله: ﴿و ادعوا من استطعتم﴾ أى طلبتم أن يطيعكم ففعل. و لما كانت الرتب كلها تحت رتبته تعالى و العرب مقرة بذلك، / قال: ﴿من دون الله﴾ أى الملك الأعلى. /٦٢٧

و أشار إلى عجزهم بقوله: ﴿ان كنتم صدقين ه﴾ [و فى ذلك -[٢]] زيادة بيان و تثبيت للدليل، فان كل[٥] ظهير من سواهم دونهم فى البلاغة، فعجزهم عجز لغيرهم بطريق الأولى.

و لما كان أدنى درجات الافتراء إتيان الإنسان بكلام غيره من[٦]

---

(١) من ظ، و فى الأصل: معنيين (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: قولهم (٤) فى ظ: لم -. راجع آية ٢٤ (٥) فى ظ: كان (٦) من ظ، و فى الأصل: منا.

غير عله ، و كان عجزهم عن المعارضة دليـلا قاطعا[1] على أنهم لم يصلوا إلى شيء من كلامه تعالى بغير عله[2] و لا وجدوا مكافئا له يأتيهم بمثله ، ثبت قطعا أن هذا القرآن غير مفترى ، فقال[3] تعالى مخاطبا للجميـع [بخلاف ما فى القصص - [4]] إشارة إلى وضوح الأمر [لا سيما فى الافتراء عند كل أحد - [4]] و أن المشركين قد وصلوا من ذل التبكيت بالتحدى مرة بعد مرة و زورهم لأنفسهم فى ذلك المضمار كرة فى أثر كرة إلى حد من العجز لا يقدرون معه على النطق فى ذلك ببنت شفة : ﴿ فالم يستجيبوا لكم[5] ﴾ أى يطلبوا إجابتكم و يوجدوها ﴿ فاعلموآ ﴾ أيها الناس كافة ﴿ انمآ انزل ﴾ أى [ما - [4]] وقع إنزال هذا القرآن خاصة [إلا ملتبسا - [4]] ﴿ بعلم الله ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة و علما بمقتضى أن محمدا واحد منهم تمنع العادة أن يعثر[6] دون جميع أهل الأرض على ما لم يأذن فيه ربه من كلامه فضلا عن أن يكون[7] مخترعا له ، و يجوز أن يكون ضمير "يستجيبوا" لـ'من' فى "من استطعتم" و"لكم" للشركين ، و كذا فى[8] قوله[9] "فاعلموا" و "انتم" ﴿ و ان ﴾ أى و اعلموا أن ﴿ لآ اله الا هو ج ﴾ فانه لو كان معه إله آخر[10] لكافأه فى الإتيان بمثل كلامه و فيه تهديد و إقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم .

و لما كان هذا دليـلا قطعيا على ثبوت القرآن ، سبب عنه قوله

---

(١) من ظ ، وفى الأصل: قطعا (٢) من ظ ، وفى الأصل : علم (٣) فى ظ : قال .
(٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : لك (٦) من ظ ، و فى الأصل : يفتر (٧) فى ظ : تكون (٨) من ظ ، و فى الأصل : ان (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : غيره .

مرغبا

مرغبا مرهبا: ﴿ فهل انتم مسلمون ﴾ أي منقادون أتم انقياد .

و لما كان في هذا من الحث على الثبات على الإسلام و الدخول فيه و الوعيد على التقاعس عنه ما من حق السامع أن يبادر إليه، وكان من حق المسلم الإعراض عن الدنيا لسوء عاقبتها، وكان أعظم الموانع للشركين من التصديق استيلاء أحوال الدنيا عليهم، و لذلك تعنتوا بالكنز، أشار إلى عواقب ذلك بقوله: ﴿ من كان يريد ﴾ أي بقصده و أعماله من الإحسان إلى الناس و غيره ﴿ الحيوٰة الدنيا ﴾ أي و رضى بها مع دناءتها من الآخرة على علوها و شرفها ﴿ و زينتها ﴾ فأخلد إليها[1] لحضورها و نسى ما يوجب الإعراض عنها من فنائها [و كدرها -[2]] ﴿ نوف ﴾ موصلين ﴿ اليهم اعمالهم ﴾ أي جزاءها ﴿ فيها ﴾ أي الدنيا بالجاه و المال و نحو ذلك ﴿ و هم فيها ﴾ أي[3] في الأعمال أو الدنيا ﴿ لا يبخسون ﴾ أي لا ينقص شيء من جزائهم فيها. و أما أبدانهم و أرواحهم[4] و أديانهم فكلها بخس في الدارين معا. و في الجملتين بيان سبب حبس العذاب عنهم في مدة إمهالهم مع سوء أعمالهم .

و لما بين حالهم في الدنيا، بين حالهم في الأخرى مشيرا بأداة البعد إلى أنهم أهل البعد و اللعنة و الطرد في قوله نتيجة لما قبله: ﴿ اولٰئك ﴾ أي البعداء البغضاء ﴿ الذين ليس لهم ﴾ أي[5] شيء من الأشياء ﴿ في الأخرة الا النار ﴾ أي لسوء أعمالهم و استيفائهم جزاءها في الدنيا ﴿ و حبط ﴾ [أي بطل و فسد -[2]] ﴿ ما صنعوا فيها ﴾

---

(١) في ظ: اليه (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) في ظ: ازواجهم .
(٥) زيد في ظ: في .

أي مصنوعهم أو صنعهم أي[1] لبنائه على[2] غير أساس؛ و لما كان تقييد الحبوط بالآخرة ربما أوهم أنه شيء في نفسه قال: ﴿ و بٰطل ﴾ أي ثابت البطلان في كل من الدارين ﴿ ما كانوا يعملون ۝ ﴾ أي معمولهم أو عملهم و إن دأبوا فيه دأب من هو مطبوع عليه لأنه صورة لا معنى لها لبنائه على غير أساس، و الزينة: تحسين الشيء بغيره من لبسة أو حلية أو هيئة؛ و التوفية: تأدية الحق على تمام؛ و حبوط العمل: بطلانه، من قولهم: حبط بطنه - إذا فسد بالمأكل الرديء.

و لما اتضحت الحجج و انتهضت الدلائل فأغرقتهم عوالي اللجج، كان ذلك موضع الإنكار على من يسوى بين المهتدى و المعتدى، فكيف بمن يفضل إما باعتبار النظر إلى الرئاسة الدنيوية غفلة من حقائق الأمور أو عنادا كمن[3] قال من اليهود / للشركين: أنتم أهدى منهم، فقال: ﴿ افمن كان على بينة ﴾ أي برهان و حجة ﴿من ربه﴾ بما آتاه من نور البصيرة و صفاء العقل فهو يريد الآخرة و يبني[4] أفعاله على أساس ثابت ﴿ و يتلوه ﴾ أي و يتبع هذه البينة ﴿ شاهد ﴾ هو القرآن ﴿ منه ﴾ أي من ربه، [5]أو تأيد[5] ذلك البرهان[6] برسالة رسول عربي بكلام معجز و كان ﴿ من قبله ﴾ أي هذا الشاهد مؤيدا له ﴿ كتٰب موسى ﴾ أي شاهد [أيضا -[7]] و هو التوراة حال كونه ﴿اماما﴾ يحق الاقتداء به ﴿و رحمة[1]﴾ أي[1] لكل من اتبعه . ٦٢٨ /

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: في (٣) في ظ: لمن (٤) في ظ: بني (٥-٥) في ظ: تايد (٦) زيد بعده في الأصل: به، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٧) زيد من ظ.

و لما كان الجواب ظاهرا حذفه[١]، و تقديره - و الله أعلم: كمن هو على الضلالة[٢] فهو[٣] يريد الدنيا فهو يفعل من المكارم ما ليس مبنيا على أساس صحيح، فيكون فى دار البقاء و السعادة هباء منثورا؛ و لما كان هذا الذى على البينة عظيما، و لم يكن يراد به واحدا بعينه، استأنف البيان لعلو مقامه بأداة[٤] الجمع بشارة لهذا النبى الكريم بكثرة أمته فقال: ﴿ اولٓئك ﴾ أى العالو الرتبة بكونهم على هدى من ربهم و تأيد هداهم بشاهد من قبله و شاهد من بعده مصدق له ﴿ يؤمنون به ﴾ أى بهذا القرآن الذى هو الشاهد و لا ينسبون[٥] الآتى به إلى أنه افتراه ﴿ و من يكفر به ﴾ أى بهذا الشاهد ﴿ من الاحزاب ﴾ من جميع الفرق و أهل الملل سواء، سوى بين الفريقين جهلا أو عنادا ﴿ فالنار موعده ﴾ أى وعيده و موضع وعيده يصلى سعيرها و يقاسى زمهريرها.

و لما عم بوعيد النار، اشتد تشوف النفس لما سبب عنه فقرب إزالة ما حملت من ذلك بالإيجاز، فاقتضى الأمر حذف نون ' تكن ' فقيل: ﴿ فلاتك ﴾ أى أيها المخاطب الأعظم ﴿ فى مرية ﴾ أى شك عظيم [و وهم -[٦]] ﴿ منه ﴾ أى من القرآن و لا يضيق صدرك عن إبلاغه، أو من الموعد[٧] الذى هو النار و الخيبة و إن أنعمنا على المتوعد بذلك و نعمناه[٨] فى الدنيا؛ ثم علل النهى بقوله[٩]: ﴿ انه ﴾ القرآن

---

(١) من ظ، و فى الأصل: صدقه (٢) فى ظ: الصلاة (٣) زيد بعده فى الأصل: كمن، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) من ظ، و فى الأصل: بارادة (٥) من ظ، و فى الأصل: لاينسبوا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: الوعيد (٨) فى ظ: نعماه. (٩) سقط من ظ.

[1]أو الموعد[1] ﴿ الحق ﴾ أي الكامل، و زاد في الترغيب فيه بقوله: ﴿ من ربك ﴾ أي المحسن إليك بانزاله عليك.

و لما كان كونه حقا سببا يعلق[2] الآمل بايمان كل من سمعه، قال: ﴿و لكن اكثر الناس﴾ أي الذين هم[3] في حيز الاضطراب ﴿لا يؤمنون *﴾ بأنه حق لا لكون الريب يتطرق إليه بل لما على قلوبهم من الرين و يؤولون إليه من العذاب المعد لهم ممن لا يبدل القول لديه و لا ينسب الظلم إليه، و القصد بهذا الاستفهام الحث على ماحث عليه الاستفهام في قوله "فهل انتم مسلمون" من الإقبال على الدين الحق على وجه مبين لسخافة[4] عقول الممترين و ركاكة آرائهم.

و لما كان الكافرون قد كذبوا على الله بما أحدثوه من الدين من غير دليل و[3] ما نسبوا إليه[5] النبي صلى الله عليه و سلم من الافتراء، أتبع ذلك سبحانه قوله: ﴿و من اظلم﴾ أي لا أحد أظلم ﴿ممن افترى﴾ أي تعمد أن اختلق[6] متكبرا ﴿على الله﴾ أي الملك الأعظم ﴿كذبا ط﴾ الآية، و هو موضع ضمير لو أتى به لقيل: لا يؤمنون ظلما منهم، و من أظلم منهم أي هم أظلم الظالمين. فأتى بهذا الظاهر بيانا لما كفروا به لأنه إذا علق الحكم بالوصف دل على أنه علته.

و لما بين أنهم أظلم، أتبعه جزاءهم بقوله استئنافا: ﴿ اولئك ﴾ المستحقو البعد؛ و لما كان نفس العرض مخوفا، بني للمجهول قوله:

(١ - ١) في ظ: و الوعيد (٢) من ظ، و في الأصل: تعلق (٣) سقط من ظ.
(٤) في ظ: ليخافه (٥) في ظ: الى (٦) في ظ: اختلف.

يعرضون

﴿ يعرضون ﴾ [أى -[1]] لذلك و للدلالة على أنهم على صفة الهوان و مستسلمون لكل عارض، فعرضهم فى غاية السهولة ﴿على ربهم﴾ أى الذى أحسن إليهم فلم يشكروه، العالم بالخفايا فيفتضحون بين يديه بما قابلوا به إحسانه من اللوم ﴿ و يقول ﴾ [على سبيل التكرار -[1]] ﴿ الاشهاد ﴾ و هم الذين آمنوا بالكتب الشاهد بعضها لبعض المشار إليه بقوله " و يتلوه شاهد منه " و الملائكة الذين / شهدوا أعمالهم و من[2] أعضائهم حين يختم على أفواههم / ٦٢٩ ﴿ هؤلاء ﴾ إشارة بأداة القرب[3] إلى تحقيرهم ﴿ الذين كذبوا ﴾ متكبرين ﴿ على ربهم ج ﴾ فى ادعاء الشريك و الولد و التحليل و التحريم و غير ذلك [بما عراهم من إحسانه و طول حلمه -[1]] ، و فى الإتيان بصفة الربوبية غاية التشنيع عليهم ، فتكررت بهذا القول[4] فضيحتهم عند جنسهم و بعدهم عن كل من سمع هذا الكلام لأنه [5]لا أبعد[5] عن القلوب من الكاذب فكيف بالمجترئ بالكذب على الرؤساء فكيف بملك الملوك الذى رباهم و كل من أهل الموقف مرتقب بره خائف من انتقامه ، [6]و كأنه[6] قيل: فما لهم بعد هذا لعذاب العظيم بهذه الفضيحة؟ فقيل: ﴿ الا لعنة الله ﴾ و هى طرد الملك الأعظم و إبعاده، و انظر[7] إلى تهويل الأمر باسم الذات ما أشده ﴿على الظلمين لا﴾ فكيف بأظلم الظالمين ، ثم فصل ظلمهم بقوله: ﴿الذين يصدون﴾ أى يعرضون فى أنفسهم و يمنعون غيرهم ﴿عن سبيل ﴾

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الفرد (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥ - ٥) فى ظ : لابعد (٦-٦) فى ظ : فكانه (٧) من ظ ، و فى الأصل : النظر .

أى دين ﴿ الله ﴾ أى [الملك – [1]] الذى له الكمال كله مع أنه الولى الحميد ﴿و يبغونها﴾ أى يريدون بطريق[2] الدين[3] الواسعة السهلة[3] ﴿عوجا ط﴾ بالقاء الشبهات و الطعن فى الدلائل مع كونها فى غاية الاستقامة .

و لما كان النظر شديدا إلى بيان كذبهم و تكذيبهم، بولغ فى تأكيد قوله : ﴿ و هم ﴾ أى بضمائرهم و ظواهرهم ؛ و لما كان تكذيبهم بالآخرة شديدا ، قدم قوله : ﴿ بالأخرة ﴾ و أعاد الضمير تأكيدا لتعيينهم و إثبات غاية الفساد لبواطنهم و اختصاصهم بمزيد الكفر [فقال – [1]] : ﴿ هم كٰفرون ۝ ﴾ أى عريقون فى هذا الوصف ؛ و العرض : إظهار الشىء بحيث يرى للتوقيف على حالة[4] ؛ و الصد : المنع بالإغراء الصارف عن الأمر ؛ و البغية : طلب أمر من الأمور ، و هى إرادة وجدان المعنى بما يطمع فيه ؛ و العوج : العدول عن طريق الصواب . و هو فى المعنى كالدين بالكسر ، و فى غيره كالعود بالفتح فرقا بين ما يرى و ما لا يرى ، جعلوا السهل للسهل و الصعب للصعب ؛ روى البخارى فى التفسير عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال فى النجوى : يدنى المؤمن من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه : تعرف ذنب كذا ؟ يقول : أعرف رب أعرف – مرتين ، و يقول : سترتها عليك فى الدنيا و أغفرها لك اليوم . ثم يطوى صحيفة حسناته ، و أما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤس الأشهاد " هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظّٰلمين " .

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الطريق (٣ – ٣) فى ظ : السهلة الواسعة .
(٤) فى ظ : حاله .

و لما هددهم بأمور الآخرة، أشار إلى بيان قدرته [1]على ذلك[1] فى الدارين بقوله: ﴿ اولٓـئك ﴾ أى البعداء [2]عن حضرة[2] الرحمة ﴿ لم يكونوا ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ معجزين ﴾ و أشار إلى عجزهم بأنهم لا يقدرون على بلوغ العالم العلوى بقوله: ﴿ فى الارض ﴾ أى ما كان الإعجاز - و هو الامتناع من مراد الله - لهم و لا هو فى قدرتهم، لأن قدرته على جميع الممكنات على حد سواء.

و لما نفى التعذر بأنفسهم، نفاه من جهة غيرهم فقال: ﴿ و ما كان لهم ﴾ و لما كانت الرتب التى [هى -[3]] دون عظمته سبحانه متكاثرة جدا، بين أنهم معزولون عن كل منها باثبات الجار فقال[4]: ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعظم، و أغرق فى النفى بقوله: ﴿من اوليآء﴾ أى يفعلون معهم ما يفعل القريب من تولى[5] المصالح و الحماية من المصائب، و من لم يقدر على الامتناع و هو[6] حى لم يمتنع بعد موته فكأنه قيل: ما ذا يفعل بهم؟ فقيل: ﴿ يضٰعف ﴾ أى يفعل فيه فعل من يناظر[7] آخر فى الزيادة، و بناه للفعول لأن المرجع وجود المضاعفة مطلقا[8] ﴿لهم العذاب﴾ [أى -[3]] بما كانوا يضاعفون المعاصى؛ ثم علل سبب المضاعفة بأنه خلق لهم سمعا و بصرا فضيعوهما بتصامّهم عن الحق و تعاميهم عنه، فكأنّ لا فرق بينهم و بين فاقدهما فقال: ﴿ ما[9] كانوا ﴾ أى بما لهم من فساد الجبـلات

(١-١) فى ظ: عليهم (٢ - ٢) فى ظ: من حضرات (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: توالى (٦) فى ظ: هى (٧) من ظ، و فى الأصل: ناظر.
(٨) فى ظ: مطلقه (٩) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل: بما.

﴿ يستطيعون السمع ﴾ أي يقدرون لما غلب على فطرهم الأولى السليمة بانقيادهم للهوى من التخلق / ٦٣٠ / بنقائص الشهوات على أن توجد طاعته لهم فما كانوا يسمعون ﴿ و ما كانوا ﴾ يستطيعون، الإبصار فما[1] كانوا ﴿ يبصرون ﴾ حتى يعرضوا عن الشهوات فتوجد استطاعتهم للسمع [و الإبصار -[2]] ، و هو كناية عن عدم قبولهم للحق و أن شدة إعراضهم عنه وصلت إلى حد صارت فيه توصف بعدم الاستطاعة كما يقول الإنسان لما تشتد كراهته له: هذا مما لا أستطيع أن أسمعه، و تكون المضاعفة بالكفر و الصد، و نفي الاستطاعة أعرق[3] في العيب و أدل على النقص [4]و أنكأ من نفي السمع لأنهم قد يحملونه على الإجابة، و أما نفي البصر فغير منفك عن النقص[4] سواء كان للعين أو للقلب، هذا إن لم تخرج[5] الآية على الاحتباك، و إن خرجت عليه استوى الأمران، و صار نفي الاستطاعة أولا دالا على نفيها ثانيا، و نفي الإبصار ثانيا يدل[6] على نفي السمع أولا .

و لما ثبت أنهم لا سمع و لا بصر، ثبت أنهم لا شيء فقال: ﴿ اولٓئك ﴾ أي البعداء البغضاء ﴿ الذين خسروٓا انفسهم ﴾ أي بتضييع الفطرة الأولى التي [هي -[2]] سهولة الانقياد للخير و صعوبة الانقياد للشر ؛ و لما كان العاجز ربما نفعه من كان يخدمه فيكسبه قوة بعد الضعف و نشاطا بعد العجز، [4]نفي ذلك بقوله عائدا إلى نفي النفع ممن عذرهم أولا[4]

---

(١) من ظ وفي الأصل : لما (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) ينقط ما بين الرقمين من ظ (٥) في ظ : لم يخرج (٦) في ظ : تدل .

على

على أحسن وجـــه : ﴿ وضل عنهم ما كانوا ﴾ أى كونا جبلوا عليه فصاروا لا ينفكون عنه ﴿ يفترون ﴾ أى يتعمدون كذبه مما ادعوا كونهم آلهة ، ولا شك أن من خسر نفسه ومن خسرها من أجله بادعاء أنه شريك لخالقه ونحو ذلك كان أخسر الناس ، فلذلك قال : ﴿ لا جرم ﴾ أى لاشك ﴿ انهم ﴾ أى هؤلاء الذين بالغوا فى إنكار الآخرة ﴿ فى الأخرة ﴾ ولما كان المقام جديرا[1] بالمبالغة فى وصفهم بالخسارة ، أعاد الضمير فقال : ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الاخسرون ﴾ أى الأكثرون[2] خسرانا من كل من يمكن[3] وصفه بالخسران ؛ والإعجاز : الامتناع من المراد بما لا يمكن معه إيقاعه ؛ والمضاعفة : الزيادة على المقدار بمثله أو أكثر ؛ والاستطاعة : قوة ينطاع[4] بهـا الجوارح للفعل ؛ وأما ' لا جرم ' فقد اضطرب علماء العربية فى تفسيرها ، قال الرضى فى شرح الحاجبية والبرهان السفاقسى فى إعرابه ما حاصله : والغالب بعد ' لا جرم ' الفتح ، أى فى ' أن ' ، فـ ' لا ' إما رد الـــكلام السابق - على ما هو مذهب الخليل - أو زائدة كما فى " لا اقسم " لأن فى جرم معنى القسم ، وهى فعل ماض عند سيبويه والخليل مركبة مع ' لا ' ، وجعلها سيبويه فعلا بمعنى حق ، فـ ' أن ' ' فاعله ' ، وقيل : ' جرم ' بمعنى حق ، وهو اسم لا و ' انهم ' خبره ؛ وقال الكسائى معناها : لا صد ولا منع ؛ وعن الزجاج أنها غير مركبة ، ولا نفى لما قيل من أن لهم أصناما تنفعهم ، وجرم - فعل ماض بمعنى كسب وفاعله

(١) فى ظـ: جدير (٢) من ظ ، وفى الأصل : الاعظم (٣) من ظ ، وفى الأصل : بماسن - كذا (٤) فى ظـ : تناطع .

مضمر معبر به عن فعلهم ، و 'أنهم' مفعوله ؛ و قال الفراهى : كلمة كانت فى الأصل بمعنى لا بد و لا محالة ، لأنه يروى عن العرب 'لا جرم' - يعنى بضم ثم سكون ، و الفعل - يعنى هكذا ، و الفعل - يعنى محركا ، يشتركان فى المصادر كالرشد و الرعد[1] و البخل ؛ و الجرم : القطع ، أى لا قطع من هذا كما أنه لا بد بمعنى لا قطع ، فكثرت و جرت على ذلك حتى صارت بمعنى القسم ، فلذلك يجاب بما يجاب به القسم ، فيقال : لا جرم لآتينك ، و لا جرم أنك قائم[2]، فمن فتح فللنظر إلى أصل 'لا جرم' كما نقول[3]: لا بد أن تفعل كذا و أنك تفعل ، أى من أن و من أنك تفعل ، و من كسر فلمعنى القسم العارض فى 'لا جرم' - انتهى . فتفسيره لها بالقطع نظر منه إلى أن مادة 'جرم' بخصوصها دائرة على القطع ، و الأصنع تفسيرها بالظن نظرا إلى ما تدور عليه المادة من حيث هى - بأى ترتيب كان[4]- من جرم [و جمر -[5]] و رجم و ربح و مجر و مرج ، و إنما جعلتها كذلك لأنهم قالوا : جرم النخل : خرصها ، و أجمر النخل أيضا : خرصها ، و رجم - إذا ظن ، و المجر : العقل ، و يلزم الظن اتقاد الذهن و منه جمرة النار ، و الجرم - للأرض / الشديدة الجر ، و يلزم الظن أيضا اجتماع الفكر ، ٦٣١ /
و منه الجمرة للقبيلة[6] و كل ما شاكلها فى الجمع ، و منه الجرم بالكسر و هو الجسد فانه بالنظر إلى جميعه ، و الصوت أو جهارته فانه يجمع فيه الحلق[7] لقطعه ، و يلزم الاجتماع أيضا العظمة ، و منه أجرم - إذا عظم ،

(١) فى ظ : الرشد (٢) فى ظ : قادم (٣) فى ظ : تقول (٤) فى ظ : كل .
(٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : للتلبية (٧) فى ظ : الخلق .

و الجمير[1] كأمير : مجتمع القوم ، و من الجمع الرياء و العقل ، فينشأ منه الصفاء ، و منه "مارج من نار" أى لا دخان فيه ، و منه أجرم لونه : صفا ، و من الاجتماع المجر - بالتحريك ، و هو أن يملأ بطنه من الماء ولم يرو ، و الكسب ، جرم لأهله - إذا كسب ، و منه الذنب فانه كسب خاص ، و يمكن أن يكون من القطع لأنه يقطع صاحبه عن الخير ، و يلزم الاجتماع أيضا [الاستتار - [2]] و منه أجمرت الليلة - استتر فيها الهلال ، و المجر لما فى بطون الحوامل من الإبل و الغنم ، أو يجعل هذا مما يلزم نفس الظن من الخفاء ، و من الاجتماع الضمور[3]، أجمر الخيل : أضمرها ، و شاة مجمرة : مهزولة ، و يلزم الاجتماع الصلابة و التمام ، و منه حول مجرم كمعظم : تام ، فينشأ الافتراق ، و منه تجرم[4] الليل : ذهب ، و ابنا جمير كأمير : الليل و النهار ، أو يكون ذلك من لوازم القطع كما يأتى ؛ و من الاجتماع الرجم[5] الذى هو الخليل[6] و النديم ، و يلزم الظن الفصل بين الأشياء ، و منه جرام النخل لصرامها ؛ و الجمرة : الحصاة[7] ، فيلزم مطلق الرمى فينشأ الرمى بالجمار ، و هى الحجارة فينشأ القتل للرجوم ، و هو يرجع أيضا إلى نفس القطع ، فانه قطع النفس عما كانت عليه ، و يلزم الفصل القذف و العيب ؛ و الرماج كسحاب : كعوب الرمح لانفصال بعضها عن بعض ، و الرمج بالفتح و هو إلقاء الطير ذرقه ، و يلزم الظن [المبالغة فى النظر فتأتى المبالغة فى الكلام و العزيمة ، و منه المرجام للماد

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الجمر (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الضمار .
(٤) فى ظ : يجمر (٥) من ظ ، و فى الأصل : الرحمه (٦) فى ظ : الخيل (٧) فى ظ : للحصاة .

عنقه فى السير من الإبل ، و أجمر : أسرع فى السير ، و قد يلزم الظن -[1]] الحيرة ، و منه[2] حديث مرجم كمعظم : لا يوقف على حقيقته ، فيلزم حينئذ الذنب و الفساد و القلق و الاضطراب ، و منه أمرج العهد : لم يف به ، أى جعله مارجا مزلزلا ، و على الاضطراب تدور مادة ' مرج ' بخصوص هذا الترتيب ، [3]و الترميج : إفساد سطور بعد كتبتها ، و يلزم الظن الاختلاط ، و منه الجرم للون لأنه لا يخلو عن شوب . و أجرم الدم به : لصق ، و الإجرام : متاع الراعى ، أو هى من الكسب ، و الجرام كرمان : السمك ؛ و المرج : موضع الرعى ، و قد علم من هذا أن جميع تصاريف المادة تدور على الاضطراب[3] و هو بين فى غير العقل ، و أما فيه فانه يقدر العقل بكون اضطراب الرأى لأن العاقل كلما أنعم[4] النظر انفتح له ما كان مغلقا فيعدل إليه ، فاذا ظهر هذا ظهر أن معنى " لاجرم " أنهم لا ظن و لا اضطراب فى أنهم ، و يكون نفى الظن[5] فى مثل هذا السياق نفيا لجميع ما يقابله إلا العلم الذى هو بمعنى القطع كما إذا قيل : لا شك فى كذا و لا ريب ، فاتضح أن تفسيرهم لها بـ ' حتما '[6] تفسير معنى لمجموع[7] الكلمتين لأنه إذا نفى فى مثل هذا السياق الظن ثبت اليقين و القطع ، و إليه يرجع تفسير سيبويه بلا حق لأنه يريد - و الله أعلم - أن لا صلة ، و موضوعها فى الأصل النفى[8] ، فهى نافية[9] لضد ما دخلت عليه ، فكأنه

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : فيه (٣ - ٣) تأخرما بين الرقمين فى ظ عن « مارجا مزلزلا » (٤) فى ظ : امعن (٥) فى ظ : النفى (٦) من ظ ، و فى الأصل : بحق (٧) من ظ ، و فى الأصل : مجموع (٨) فى ظ : المنفى (٩) من ظ ، و فى الأصل :باقية .

قيل

قيل: حق و ثبت أنهم كذا و انتفى كل ما يضاده، فهذا وجه كونها صلة مؤكدة، و قريب من ذلك ما قيل في 'إنما' نحو إنما زيد قائم، أي أن زيدا قائم، ما هو إلا كذلك، فقد بان[1] أن النافي[1] مثل ذلك مؤكد - و الله[2] الموفق.

و لما توعد الكافرين و أخبر عن مآلهم بسببه، كان موضع أن يسأل عن حال المؤمنين فقال: ﴿ ان الذين اٰمنوا ﴾ أي أوجدوا هذه الحقيقة ﴿ و عملوا الصّٰلحٰت ﴾ و لما كان حاصل ما مضى من وصف الكافرين بعد مطلق الأعمال السيئة الإعراض عن ربهم و النفرة عن[3] المحسن إليهم جلافة و غلظة، وصف المؤمنين بالإقبال / عليه و الطمأنينة / ٦٣٢ إليه فقال: ﴿ و اخبتوآ ﴾ أي خشعوا متوجهين منقطعين ﴿ الى ربهم ﻻ ﴾ أي المحسن إليهم فشكروه فوفقهم لاستطاعة السمع و الإبصار.

و لما ذكر وصفهم ذكر جزاءهم [عليه -[4]] بقوله: ﴿ اولٓئك ﴾ أي العالو الرتبة ﴿ اصحٰب الجنة ج ﴾ و لما كانوا مختصين بها أو بالخلود من أول الأمر، أعاد الضمير فقال: ﴿ هم فيها ﴾ أي خاصة لا في غيرها ﴿ خٰلدون ۝ ﴾.

و لما استوفى أوصاف الحزبين و جزاءهم، [5]ضرب للكل مثلا بقوله: ﴿ مثل الفريقين ﴾ أي الكافرين و المؤمنين، و هو من باب [اللف -[4]]

(١-١) في ظ: النافي في (٢) زيد بعده في الأصل: اعلم، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٣) من ظ، و في الأصل: من (٤) زيد من ظ (٥) زيد في الأصل: ثم، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها.

و النشر المرتب، فان الكافر ذكر فيما قبل أولا ﴿ كالاعمى ﴾ أى العام العمى فى بصره و بصيرته ﴿ و الاصم ﴾ فى سمعه كذلك، فهذا للكافرين ﴿ و البصير ﴾ بعينه و قلبه ﴿ و السميع ط ﴾ على أتم أحوالهما، و هذا للمؤمنين، و فى أفراد المثل طباق[1] أيضا ﴿ هل يستوين ﴾ أى الفريقان[2] ﴿ مثلا ط ﴾ أى من جهة المثل. و لما كان الجواب قطعا لمن له أدنى تأمل: لا يستويان مثلا فلا يستويان ممثولا، حسن تسبب الإنكار عنه فى قوله: ﴿ا فلا تذكرون ع﴾ أى يحصل لكم[3] أدنى تذكر بما أشار إليه الإدغام فتعلموا صدق ما وصفوا به بما ترونه من أحوالهم، و ذلك ما قدم فى حق الكفار من قوله "ما كانوا يستطيعون السمع"- الآية؛ و الإخبات: الخشوع المستمر على استواء فيه. و أصله الاستواء من الخبت، و هو الأرض المستوية الواسعة، و لعله وصله بالى فى موضع اللام[4] إشارة إلى الإخلاص أى إخباتا ينتهى إلى ربهم من غير أن يحجب عنه؛ و المثل: قول سائر يشبه فيه حال الثانى بحال الأول، و الأمثال لا تغير[5] عن صورتها.

و لما تم ذلك على أوضح المسالك، وختم بالحث على[6] التذكر، وكان تقديم[7] ذكر كتاب موسى محركا لتوقع ذكر نبأه و نبأ غيره من الرسل، عطف - مقرونا بحرف التوقع على العامل الذى قدرته فى قوله " الا[8] تعبدوا

(١) من ظ، و فى الأصل: لف و نشر مرتب (٢) فى ظ: الفريقين. (٣) من ظ، و فى الأصل: منكم (٤) فى ظ: اللازم (٥) من ظ، و فى الأصل: لا يغير (٦) من ظ، و فى الأصل: عن (٧) فى ظ: تقدير (٨) فى ظ: لا.

الا

الا الله " أو على قوله " انما انت نذير " و هو أحسن و أقرب - قوله : ﴿ ولقد ارسلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ نوحا الى قومهٓ ﴾ أى الذين هم على لسانه ؛ و ما بعد ذلك من القصص تقريرا لمضمون هذا المثل و تثبيتا و تسلية و تأييدا و تعزية لهذا النبى الكريم لئلا يضيق صدره بشيء مما أمر بابلاغه حرصا على إيمان أحد و إن كان أقرب الخلائق إليه و أعزهم عليه كما تقدمت الإشارة إليه فى قوله تعالى " فلا يكن فى صدرك حرج منه " و قوله " و ضائق به صدرك " و يأتى فى قوله " و كلا نقص عليك من انبوئ الرسل ما نثبت به فؤادك " فوضح أن هذه القصص لهذا المعنى سيقت ، و أن سياقها فى الاعراف و غيرها كان لغير ذلك كما تقدم و أن تضمن هذا الغرض بيان إهلاك من كانوا أشد من العرب قوة و أكثر جمعا و أمكن أمرا و أقوى عنادا و أعظم فسادا و أحد شوكة و ما اتفق فى ديارهم[1] من الطامات و الأهوال المفظعات تحذيرا من مثل حالهم بارتكاب أفعالهم ، ففرق بين ما يساق للشيء و ما يلزم منه الشيء ، و لهذا الغرض المقصود هنا طولت قصة نوح فى هذه السورة ما لم يطوله[2] فى غيرها ، و ضدرت بقوله : ﴿ انى ﴾ أى قائلا على قراءة الجمهور بالكسر ، و التقدير عند ابن كثير و أبى عمرو و[3] الكسائى : ملتبسا بأنى ﴿ لكم ﴾ أى خاصة ﴿ نذير مبين ۙ ﴾ أى مخوف بليغ التحذير ، أبين ما أرسلت به غاية البيان ، و ذكر فيها أنه طالت مجادلته لهم و أنه لما وضح له أمر الله تعوذ من السؤال فيه و فى كل ما يشبهه ، و خللت

(١) فى ظ : مادتهم (٢) فى ظ : تطوله (٣) سقط من ظ .

قصته بقوله "ام يقولون افترنه" خطابا لهذا النبي[١] الكريم و ختمت بقوله "فاصبر ان العاقبة للمتقين" و ذكرت قصة إبراهيم عليه السلام لما ضمنته[٢] من أنه بشر[٣] الولد بما لم يجر بمثله[٤] عادة فلم يتردد فيه ، و أنه جادل[٥] / الرسل فى قوم[٦] ابن أخيه لوط ، و أنه لما تحقق حتم الأمر و بت الحكم سلم لربه مع كونه حليما أواها[٧] منيبا إلى غير ذلك مما يؤمى إليه[٦] سياق القصص ، فكأنه قيل : إنما أنت نذير أرسلناك لتبلغ ما أرسلت به من الإنذار و إن شق عليهم و عزتنا[٨] لقد أرسلنا من قبلك رسلا منذرين فدعوا إلى ما أمرت[٩] بالدعوة إليه و أنذروهم ما يشق عليهم من بأسنا امتثالا لأمرنا و ما تركوا شيئا منه خوفا من إعراض و لا رجاء فى إقبال على أن أممهم قالوا لهم ما قالت لك أمتك كما[١٠] يشير إليه قوله تعالى عن نوح "و لا اقول لكم عندى خزائن الله" - الآية ، و قد كان فى المخالفين من أممهم القريب منهم نسبه و العزيز عليهم أمره من ابن و صاحبة و غيرهما ، هذا مع أن قصصهم دليل على قوله تعالى "الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم" و زجر لهم عن مثل قولهم "ما يحبسه" و تأييد لقوله "و من قبله كتب موسى اماما و رحمة" - و غير ذلك مما تقدم ، فقد علم من هذا الوجهُ فى تكرير هذه القصص ، و أنه فى كل سورة لمقصد يخالف المقصد فى غيرها و إن كان يستفاد من

/ ٦٣٣

---

(١) فى ظ : القرآن (٢) فى ظ : تضمنته (٣) من ظ ، وفى الأصل : سر (٤) من ظ ، و فى الأصل : به مثله (٥) فى ظ : حاول (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : اوابا (٨) من ظ ، و فى الأصل : وعدتنا (٩) من ظ ، و فى الأصل : ابرت . (١٠) من ظ ، و فى الأصل : لما .

ذلك

ذلك فوائد أخر : منها إظهار القدرة فى بيان الإعجاز بتصريف المعنى فى الوجوه المختلفة لما فى ذلك من علو الطبقة فى البلاغة لأنه ربما قال متعنت عند التحدى : قد استوفى اللفظ البليغ على الأسلوب الأكمل البديع فى[1] هذه القصص فلم تبق لنا ألفاظ نعبر بها عن هذه[2] المعانى حتى نأتى بمثل هذه القصة ؛ فأتى بها ثانيا إظهارا[3] لعجزه و قطعا لحجته، و ربما كررت ثالثا و رابعا توكيدا لذلك و تمكينا للاعتبار بضروب البيان و تصبيرا للنبى صلى الله عليه و سلم على أذى قومه حالا لحالا ، فان قيل : فما بالها تأتى تارة فى غاية البسط و تارة فى غاية الإيجاز و تارة على الوسط ؟ قيل : هذا من أعلى درجات البلاغة و أجل مراتب الفصاحة و البراعة ، فان قيل : فانا نرى القصة تبسط فى بعض السور غاية البسط ثم توجز فى غيرها غاية الإيجاز و يؤتى[4] فيها بما لم يؤت فى المبسوطة كما فى العنكبوت فانه[5] عين فيها مقدار لبثه و أنه كان ألف سنة إلا خمسين عاما ، فلم لا استوعبت جميع المعانى فى الموضع المبسوط كما هو الأليق بمقام البسط لاسيما لمن لا يخفى عليه شىء و لا ينسى ، و إذا وقع حذف[6] كان فى الموجزة ، قيل : قال شيخنا حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر : إن الإمام أبا حاتم ابن حبان البستى ذكر فى كتابه التقاسيم و الأنواع : إنما[7] لم يرتبه ليحفظ إذ لو رتبه ترتيبا سهلا لاتكل من يكون عنده على سهولة الكشف منه فلا يتحفظه ، و إذا وعر[8] طريق الكشف

---

(١) فى ظ « و» (٢) فى ظ : هذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : اظهار (٤) فى ظ : يوت (٥) فى ظ : فان (٦) فى ظ : حدث (٧) فى ظ : انه لما (٨) فى ظ : اوعر .

كان أدعى إلى حفظه ليكون على ذكر من جميعه ، و ذكر[١] أنه فعل ذلك اقتداء بالكتاب العزيز فانه ربما أتى بالقصص غير مرتبة ، قال شيخنا : و من هنا يظهر أن من أسرار تخصيص بعض الموجزات بما ليس فى المبسوط الحث على حفظ الجميع - انتهى . و هذه فوائد لا ينبغى إهمالها بل تستعمل حيث أمكن ، و العمدة فى المناسبة الوجه الأول و هو[٢] أنها فى كل سورة لمناسبة تخص تلك السورة ، ثم يراعى فى البسط و غيره المعانى المناسبة للقصد الذى سيقت له القصة - و الله الموفق .

و اللام فى 'لقد' للقسم : قال الإمام أبو الحسن على بن عيسى الرمانى : لأنها تدخل على الفعل و الحرف[٣] الذى يختص بالفعل[٣] مما يصح معناه معه . و لام الابتداء للاسم خاصة ، و معنى 'قد' توقع الخبر للتقريب من الحال ، يقال : قد ركب الأمير - لقوم يتوقعون ركوبه / فعلى هذا ٦٣٤ /
القول جرى " و لقد ارسلنا " و الإبانة : إظهار المعنى للنفس بما[٤] يمكن إدراكه ، و أصله القطع ، فالإبانة قطع المعنى من غيره ليظهر فى نفسه - انتهى . و المقصود من الرسالة قوله سبحانه : ﴿ ان ﴾ أى نذير[٥] لأجل أن ﴿ لا تعبدوآ ﴾ أى شيئا أصلا ﴿ الا الله ﴾ أى الملك الأعظم - و [معنى النذارة -[٦]] قوله : ﴿ انى اخاف عليكم ﴾ و عظم العذاب المحذر[٧] منه بقوله : ﴿ عذاب يوم اليم ﴾ و إذا كان اليوم مؤلما فما الظن بما فيه من العذاب ! فهو إسناد[٨] مجازى مثل نهاره صائم ، و لم يذكر بشارة

(١) فى ظ : ذلك (٢) فى ظ : هى (٣) سقط من ظ (٤) زيد فى ظ : لم (٥) من ظ ، وفى الأصل : يريد (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : المحذور (٨) من ظ ، وفى الأصل : استناد .

كما تقدم عن النبي صلى الله عليه و سلم في قوله " انى لكم [منه -[1]] نذير و بشير " إرشادا إلى ما سيقت له القصة من تقرير معنى " انما انت نذير " و لذلك صرح بالألم بخلاف الاعراف ، و كذا ما أمر به النبي صلى الله عليه و سلم أول هذه من عذاب يوم كبير . و هما متقاربان ؛ ثم[2] ساق سبحانه جواب قومه على وجه هو في غاية التسلية و المناسبة للسياق بقوله : ﴿ فقال ﴾ أى فتسبب عن هذا النصح العظيم أن قال ؛ [3]و لما[3] كان هذا بعد أن تبعه بعضهم قال : ﴿ الملا ﴾ و بين أن الجدال مع الضلال [4]بعد أن بين[4] أنهم هم الأشراف زيادة في التسلية بقوله : ﴿ الذين كفروا ﴾ و بين أنهم أقارب أعزة بقوله : ﴿ من قومه ﴾ أى الذين هم في غاية القوة لما يريدون محاولة القيام به ﴿ ما نرٰك ﴾ أى شيئا من الأشياء ﴿ الا بشرا ﴾ أى آدميا ﴿ مثلنا ﴾ أى في مطلق البشرية ، لست بملك تصلح [5]لما لا تصلح[5] له من الرسالة . و هذا قول البراهمة ، و هو منع نبوة البشر على الإطلاق . و هو قول من يحسد على فضل الله و يعمى عن جلى حكمته فيمنع أن يكون النبي بشرا و يجعل الإله حجرا .

و لما كانت العظمة عندهم منحصرة[6] في عظمة الأتباع قالوا : ﴿ و ما نرٰك ﴾ و لما نفوا الرؤية عنه فتشوف السامع إلى ما يقع عليه من المعاني ، بينوا أن مرادهم رؤية من اتبعه فقالوا : ﴿ اتبعك ﴾ أى

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ١١ آية ٢ (٢) سقط من ظ (٣-٣) من ظ ، و في الأصل : مهلا - كذا (٤-٤) من ظ ، و في الأصل : بقواه يعني . (٥-٥) في الأصل : لا تصالح ، و في ظ : يصلح - كذا (٦) من ظ ، و في الأصل : منحرة .

تكلف اتباعك ﴿ الا الذين هم ﴾ أى خاصة ﴿ اراذلنا ﴾ أى كالحائك و نحوه ، و ليس منا رذل[1] غيرهم ، و هو جمع أرذل [2] كأ كلب جمع رذل[2] ككلب ، و الرذل : الخسيس الدنىء . و هذا ينتج أنه لم يتبعك أحد له قدر ؛ قالوا : و'اتبعك' عامل فى قوله : ﴿بادى الراى ﴾ و هو ظرف أى اتبعوك بديهة من غير تأمل ، فاتباعهم لا يدل على سداد لما اتبعوه من وجهين : رذالتهم فى أنفسهم ، و أنهم لم يفكروا[3] فيه ، لكن يضعفه إيراد الاتباع بصيغة الافتعال التى تدل على علاج و مجاذبة ، فالأحسن إسناده - كما قالوه[4] أيضا - إلى أراذل . أى أنهم بحيث لا يتوقف ناظرهم عند أول وقوع بصره عليهم أنهم سفلة أسقاط ، و يجوز أن يكون المراد 'بادى رأيك' أى[5] أنك تظن أنهم اتبعوك . و لم يتبعوك .

و لما كانوا لا يعظمون إلا بالتوسع فى الدنيا ، قالوا : ﴿وما نرى لكم﴾ أى لك و لمن تبعك ﴿ علينا ﴾ و أعرقوا فى النفى بقولهم[6] : ﴿من فضل﴾ أى فى شرف و لا مال ، و هذا - مع ما مضى من قولهم - قول من يعرف الحق بالرجال و لا يعرف الرجال بالحق ، و ذلك أنه يستدل على كون الشىء حقا بعظمة متبعه فى الدنيا ، و على كونه باطلا بحقارته فيها . و مجموع قولهم يدل على أنهم يريدون : لو صح كون النبوة فى البشر لكانت[7] فى واحد ممن أقروا له بالعلو فى الأرض ، و عمل " اتبعك " فى " بادى[8] " يمنعه تمادى

(١) من ظ ، و فى الأصل : رمل - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) فى ظ : لم يكفروا (٤) فى ظ : قالوا (٥) من ظ ، وفى الأصل : ان (٦) فى ظ : بقوله (٧) من ظ ، و فى الأصل : لكان (٨) من ظ ، و فى الأصل : دل .

الاتباع على الإيمان، فانتفى الطعن بعدم التأمل ﴿ بل نظنكم كٰذبين ﴾ أى لكم هذا الوصف لازما دائما لأنكم لم تتصفوا بما جعلناه مظنة الاتباع مما يوجب العظمة فى القلوب و الانقياد للنفوس بالتقدم فى الدنيا بالمال و الجاه؛ فكان [1]داءهم بطر[1] الحق و غمط[2] الناس، و هو احتقارهم، / ٦٣٥ [3]و هذا[3] قد سرى إلى أكثر[4] أهل الإسلام، فصاروا لا يعظمون إلا بذلك، و هو أجهل الجهل لأن الرسل أتت[5] للتزهيد فى الدنيا و انظر إلى رضاهم لأنفسهم بالعدول عن البينة إلى اتباع الظن ما أرداه! و هذا أفظع مما حكى هنا من قول قريش "لو لا انزل عليه كنز او جاء معه ملك[6]" و أبشع؛ و البشر: الإنسان لظهور بشرته أى ظاهر جلده لأن الغالب على غيره من الحيوان سترها[7] بالصوف أو الشعر أو الوبر أو الريش؛ و المثل: الساد مسد غيره فى الحس بمعنى أنه لو ظهر للشاهدة لسد مسده؛ [8]و الرذل: الحقير بما عليه من صفات النقص و جمعه[8]؛ و الفضل: الزيادة من الخير، و الإفضال: مضاعفة الخير[9] التى توجب الشكر.

و لما كان ختام جوابهم أشده، بدأ فى جوابه برده مبينا لضلالاتهم[10] مغضيا عن شناعاتهم شفقة عليهم و محبة لنجاتهم، فقال تعالى

(١ - ١) من ظ، و فى الأصل: دلهم ينظر (٢) من ظ، و فى الأصل: غيظ.
(٣-٣) تأخر فى الأصل عن «بذلك و هو» و الترتيب من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: اكبر (٥) فى ظ: اتوا (٦) آية ١٢ (٧) من ظ، وفى الأصل: بشرها.
(٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد بعده فى ظ: الافضال (١٠) فى ظ: اضلالتهم.

حكاية عنه : ﴿قال يٰقوم﴾ و شرع يكرر هذه اللفظة كل قليل تذكيرا لهم أنه منهم لتعطفهم الأرحام و تردهم القرابات عن حسده أو اتهامه إلى قبول ما يلقى إليهم من الكلام ، و أشار بأداة البعد - مع قربهم - إلى مباعدتهم فيما يقتضى غاية القرب ﴿ارءيتم﴾ أى أخبرونى ﴿ان كنت﴾ على سبيل الفرض منكم و التقدير ﴿على بينة﴾ أى برهان ساطع ، و زاد ترغيبا فيه بقوله : ﴿من ربى﴾ أى الذى أوجدنى و أحسن إلىّ بالرسالة و غيرها يشهد بصحة دعواى[1] [شهادة -[2]] لا يتطرق إليها عند المنصف شبهة فكيف بالظن ! ﴿و اٰتٰنى﴾ فضلا منه علىّ لا لمعنى فىّ أزيد عليكم به ، بل ﴿رحمة﴾ أى إكراما بالرسالة بعد النبوة ، و عظمها بقوله : ﴿من عنده﴾ فيها فضل عظيم النور واضح الظهور .

و لما كانت[3] البينة من الرحمة ، وحد الضمير فقال : ﴿فعميت﴾ أى فتسبب عن تخصيصى بها أن أظلمت و وقع ظلامها ﴿عليكم﴾ أى فعميتم أنتم عنها لضعف عقولكم و لم يقع عليكم شىء من نورها ، و ذلك أن الدليل إذا كان[4] أعمى عاد ضرره على التابع بالحيرة و الضلال ، و هو معنى قراءة حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم بالبناء للفعول مشددة ﴿انلزمكموها﴾ و قوله : ﴿و انتم لها كٰرهون﴾ مع تسميته لها بينة - إشارة إلى أنها لم تعم و لا خفيت عليهم لقوة نورها و شدة ظهورها ، و إنما هم معاندون فى نفيهم لفضله و فضل من تبعه ، و التعبير عن ذلك بالجملة الاسمية

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : دعوى (٢) زيد من ظ (٣) زيد بعده فى ظ : الرحمة .
(٤) سقط من ظ .

و اسم الفاعل إشارة إلى أن أفعالهم أفعال من كراهته لها ثابتة مستحكمة ، وكأنه لم يكن مأمورا بالقتال كما كان نبينا صلى الله عليه و سلم فى أول الأمر، و الآية ناظرة إلى قوله تعالى "أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين[1]" و يجوز أن يكون ذلك كناية عن أنهم معاندون مع قطع النظر عن الجهاد و غيره فان الأنبياء عليهم السلام مأمورن بالمجادلة للعاندين إلى أن يلزموهم الحجة . و هى لا تفيد إلا الإلزام فى الظاهر مع الإنكار و الكراهة فى الباطن ، و الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة للكاملين ، و بالموعظة و الخطابة للمنافقين الذين لايعاندون و يحسنون الظن فى الداعى ، فيكون[2] المعنى أن البينة لم تنفعكم[3] لشكاسة و اعوجاج فى طباعكم ، فلم يبق إلا الموعظة و هى لاتفيد [إلا -[4]] مع حسن الظن ، و أما مع الكراهة فلا ينفعكم النصح . فلا فائدة فى المجادلة إلا الإلزام ، و هو مع الكراهة غير نافع لكم .

و لما كان نفى ذلك عاما للفضل الدنيوى ، و كان الاتصاف بقلة ما فى اليد إنما يكون ضارا إذا كان صاحبه يسأل غيره ، نفى عنه هذا اللازم العائب فقال مجيبا عن نفيهم الفضل عنه و عن اتباعه بأنه قد يريد منهم على ذلك ثوابا دنيويا : ﴿ و يقوم ﴾ استعطافا لهم ﴿ لآ اسئلكم ﴾ أى فى وقت / من[5] الأوقات ﴿ عليه ﴾ أى الإنذار كما يأخذ منكم من /٦٣٦
يندركم أمر من يريد منكم من ينذركم أمر من يريد بكم بعض ما تكرهون

(١) سورة ١٠ آية ٩٩ (٢) فى ظ : فتكون (٣) من ظ ، و فى الأصل : لم ينفعكم .
(٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : فى .

في أمور دنياكم حتى تكون عاقبة ذلك أن تتهموني ﴿ مالا ط ان ﴾ أي ما ﴿ اجري الا على الله ﴾ أي الذي له الجلال و الإكرام فبيده الخزائن كلها، و نبه بهذا على أنه لا غرض له من عرض دنيوي ينفر[1] المدعو عنه فوجب تصديقه، و فيه تلقين للجواب عن قول قريش: لو لا ألقي إليه[2] كنز - كما سيأتي بأبين من ذلك عقب قصة يوسف عليه السلام في قوله "و ما تسئلهم[3] عليه من اجر" لأن هذه القصص كالشيء الواحد متابعة في بيان حقية هذا القرآن و التأسية في الاقتداء بالرسل في الصبر على أداء جميع الرسالة مع ما يلزم ذلك من جليل العبر و بديع الحكم، فلما اتحد الغرض منها مع تواليها اتحدت متفرقاتها.

و لما كان التعبير برذالة المتبع مما ينفر أهل الدنيا عن ذلك التابع، بين لهم أن شأنه غير شأنهم و أنه رفيق على من آمن به رفيق به رحيم له و إن كان متأخرا في الدنيا محروما منها خوفا من الله الذي[4] اتبعوه فيه فقال: ﴿ و مآ انا ﴾ و أغرق في النفي بقوله: ﴿ بطارد الذين امنوا ط ﴾ أي أقروا بألسنتهم بالإيمان؛ ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لإنكارهم ﴿ انهم ملقوا ربهم ﴾ أي المحسن إليهم بعد إيجادهم و تربيتهم لهدايتهم[5]، فلو طردتهم لشكوني إليه فلا أرى لكم وجها في الإشارة إلى طردهم و لا في شيء مما أحبتموني[6] به ﴿ و لكني ارىكم ﴾ أي أعلمكم علما هو كالرؤية ﴿ قوما تجهلون ﴾ [أي - [7]] تفعلون أفعال أهل الجهل فتكذبون

(١) من ظ، و موضعه بياض في الأصل (٢) في ظ: عليه (٣) سقط من ظ.
(٤) في ظ: الذين (٥) في ظ: بهدايتهم (٦) في ظ: اجبتموني (٧) زيد من ظ.

الصادق و تعيرون المؤمنين بما لا يعنيهم[1] و تنسون لقاء الله و توقعون الأشياء في غير مواقعها، و في تعبيره بـ "تجهلون" دون "جاهلين" إشارة إلى[2] أن الجهل متجدد لهم و هو غير عادتهم استعطافا لهم إلى الحلم، ثم عطف إلى صريح الاستعطاف في سياق محذر من سطوات الله فقال: ﴿و[3] يـٰقوم﴾ أي الذين هم أعز الناس عليّ ﴿من ينصرني من الله﴾ أي الذي له جميع العظمة ﴿ان طردتهم﴾ و لو لم يشكوني إليه لاطلاعه على ما دق و جل؛ و لما تم الجواب عن ازدرائهم، سبب عنه الإنكار لعدم تذكرهم ما قاله لهم بما يجدونه في أنفسهم فقال: ﴿ا فلا تذكرون﴾ أي و لو أدنى تذكر - بما يشير إليه الإدغام - فتعلموا أن من طرد صديقا لكم عاديتموه و قصدتموه بالأذى فترجعوا عما طرأ لكم من جهل إلى عادتكم من الحلم الباعث على التأمل الموقف على الحق؛ و الطرد: إبعاد الشيء على جهة الهوان؛ و القوم: الجماعة الذين يقومون[4] بالأمر، اسم جمع لا واحد له من لفظه؛ و التذكير: طلب معنى قد كان حاضرا للنفس، و التفكر طلبه و إن لم يكن حاضرا.

و لما كان نفيهم للفضل شاملا للأموال[5] و علم الغيب، أقرهم على ذلك منبها على خطائهم فيه بأنه لم يقل بينهم قط ما يكون سببا له، فقال عاطفا على قوله "لا اسئلكم عليه اجرا": ﴿و لآ اقول لكم﴾ أي في وقت من الأوقات ﴿عندي خزآئن الله﴾ أي الملك الأعظم فأتفضل عليكم بها؛

(١) في ظ: لا يعيبهم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و القرآن الكريم.
(٤) في ظ: يقيمون (٥) من ظ، و في الأصل: بالاموال.

و لما كان من الجائز أن يمكن الله من يشاء من خزائن الأرزاق و نحوها فيسوغ له أن يطلق ملك ذلك مجازا ، و لا يجوز أن يمكنـه من علم الغيب ، و هو ما غاب عن الخلق كلهم ، لأنه خاصته سبحانه ، قال عاطفا على " اقول " لا على المقول : ﴿ و لآ اعلم الغيب ﴾ لا حقيقة و لا مجازا فأعلم[1] وقت ما توعدون به أو ما[2] فى قلوب المؤمنين مما[3] قد يتوهم[3] به من السوء ، و أعلمهم أنه لا مانع من إرسال البشر بقوله : ﴿ ولآ اقول انى ملك ﴾ فتكون قوتى أفضل من قوتكم أو خلقى أعظم قدرا من خلقكم و نحو ذلك[4] من الفضل الصورى الذى جعلتموه هو الفضل ، فلا / تكون[5] ٦٣٧ /
الآية دليلا على أفضلية الملائكة . و تقدم فى الانعام سر إسقاطه ' لكم '.

و لما كان تعريضهم بنفى الملكية[6] عنه من باب الإزراء ، أتبعه تأكيد قبوله لمن آمن كائنا من كان و إن ازدروه بقوله : ﴿ و لآ اقول للذين ﴾ أى لأجل الذين ﴿ تزدرىٓ ﴾ أى تحتقر[7] ﴿ اعينكم ﴾ أى تقصرون به عن الفضل عند نظركم له و تعيبونه[8] ﴿ لن يؤتيهم الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ خيرا ط ﴾ و لما كان كأنه قيل : ما لك لا تقول ذلك ؟ أجاب بما تقديره : لأنى لا أعلم ضمائرهم و لا أحكم إلا على الظاهر : ﴿ الله ﴾ أى المحيط بكل شيء ﴿ اعلم ﴾ أى حتى منهم[9] ﴿ بما فىٓ انفسهم صلے ج ﴾ و من المعلوم أنه لا يظلم أحدا[10] . فمن كان فى نفسه خير[11] جازاه عليه ، و يجوز

(١) من ظ ، وفى الأصل : علم (٢) فى ظ : اما (٣-٣) فى ظ : قذفتموهم (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : فلا يكون (٦) فى ظ : الملائكة (٧) فى ظ : تستصغر (٨) من ظ ، وفى الأصل : تعينونه (٩) فى ظ : منى (١٠) من ظ ، و فى الأصل : احد (١١) من ظ ، و فى الأصل : خيرا .

أن

أن يكون هذا راجعا إلى "بادي الراي" بالنسبة إليه صلى الله عليه و سلم كما تقدم؛ [ثم علل كفه عن ذلك بقوله مؤكدا لإنكارهم ظلمه على ذلك التقدير -[1]]: ﴿إني إذاً﴾ أي إذا قلت لهم ذلك ﴿لمن الظلمين ﴾ أي العريقين في وضع[2] الشيء في غير موضعه؛ و الخزائن: أخبية المتاع الفاخرة[3]، [و خزائن الله مقدوراته لأنه يوجد منها ما يشاء، و في وصفها بذلك بلاغة -[1]]؛ و الغيب: ذهاب الشيء عن الإدراك، و منه الشاهد خلاف الغائب[4]، و إذا قيل: علم غيب، كان معناه: علم من غير تعليم؛ و الازدراء: الاحتقار. و هو افتعال من الزراية، زريت عليه - إذا عبته، و أزريت عليه - إذا قصرت به؛ و الملك أصله مألك من الألوكة و هي الرسالة.

فلما استوفى نقض[5] ما أبرموه في زعمهم من جوابهم على غاية الإنصاف و اللين و الاستعطاف، استأنف الحكاية عنهم بقوله: ﴿قالوا﴾ [أي -[1]] قول[6] من لم يجد في رده شبهة يبديها ولا مدفعا يغير به: ﴿ينوح[7] قد جادلتنا﴾ أي أردت فتلنا و صرفنا عن آرائنا بالحجاج[8] و أردنا صرفك عن رأيك بمثل ذلك ﴿فأكثرت﴾ أي فتسبب عن[9] ذلك [و عن تضجرنا -[1]] أنك أكثرت ﴿جدالنا﴾ أي كلامنا على صورة الجدال ﴿فاتنا﴾ أي فتسبب عن ذلك [و عن -[1]] تضجرنا أنا نقول لك[10]: لم يصح[11]

---

(١) زيد من ظ (٢) في ظ: وصف (٣) في ظ: الفاخر (٤) في ظ: الغيب.
(٥) من ظ، و في الأصل: بعض (٦) من ظ، و في الأصل: قوله (٧) سقط من ظ (٨) في ظ: بالنجاح (٩) من ظ، وفي الأصل: من (١٠) من ظ، و في الأصل: لكم (١١) في ظ: لم تصح.

عندنا دعواك، ائتنا ﴿ بما تعدنآ ﴾ من العذاب ﴿ ان كنت ﴾ أي كونا هو جبلة لك ﴿ من الصّٰدقين ﴾ أي العريقين [في الصدق في أنه يأتينا -[1]] فصرحوا[2] بالعناد المبعد من الإنصاف و الاتصاف بالسداد و سموه باسمه و لم يسمحوا بأن يقولوا له: يا ابن عمنا، مرة واحدة كما كرر لهم: يا قوم، فكان[3] المعنى أنا غير قابلين لشيء مما تقول و إن أكثرت و أطلت - بغير حجة منهم بل عنادا و كبرا - فلا تتعب، بل قصر الأمر بما تتوعدنا به، و سموه وعدا سخرية به، أي أن هذا الذي جعلته وعيدا هو عندنا وعد حسن سارّ باعتبار أنا نحب حلوله. المعنى أنك لست قادرا على ذلك و لا أنت صادق فيه، فان كان حقا فائتنا به. فكأنه قيل: ماذا قال لهم؟ فقيل: ﴿ قال ﴾ جريا على سنن قوله "ولا اقول لكم عندي خزآئن الله و لا اعلم الغيب": ﴿ انما ياتيكم به الله ﴾ أي الذي له الإحاطة بكل شيء فتبرأ من الحول و القوة و رد ذلك [إلى -[1]] من هو له، و أشار بقوله: ﴿ ان شآء ﴾ إلى أنه مخير في إيقاعه و إن كان قد تقدم قوله به إرشادا إلى أنه سبحانه لا يجب عليه شيء و لا يقبح منه شيء، بل [و -[1]] لا يسأل عما يفعل [و إن كان لا يقع إلا ما أخبر به -[1]]؛ ثم بين لهم[4] عجزهم و خطأهم في تعرضهم للهلاك فقال: ﴿ و مآ انتم بمعجزين ﴾ أي في شيء من الأوقات لشيء مما يريده بكم سبحانه؛ و الإكثار: الزيادة على مقدار الكفاية؛ و المجادلة: المقابلة[5] بما يفتل الخصم عن مذهبه بحجة أو شبهة. و هو من الجدل و هو شدة الفتل. و المطلوب[6] به الرجوع عن المذهب، و المطلوب[6]

(١) زيد من ظ (٢) في ظ: فصرح (٣) في ظ: فقال (٤) سقط من ظ (٥) في ظ: المقاتلة (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ.

بالحجاج

بالحجاج ظهور الحجة ، فهو قد يكون مذموما كالمراء ، و ذلك حيث يكون للتشكيك فى الحق بعد ظهوره . و حيث قيد الجدال بـ" التى هى احسن " فالمراد به إظهار الحق .

و لما بين أنهم إنما هم فى قبضته سبحانه . زاد فى بيان عظمته و أن إرادته تضمحل معها كل إرادة فى سياق دال على أنه بذلك ناصح لهم و أن نصحه خاص بهم ، فقال جوابا لما وهموا[1] من أن جداله لهم / كلام بلا طائل : ﴿ و لا ينفعكم نصحى ﴾ و ذكر إرادته لما يريد /٦٣٨ أن يذكره من إرادة الله فقال : ﴿ ان اردت ﴾ [أى جمعت إلى فعل النصح إرادة -[2]] ﴿ ان انصح لكم ﴾ باعلام موضع الغى ليتقى و الرشد ليتبع ، و جزاءه محذوف تقديره : لا ينفعكم نصحى ﴿ ان كان الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ يريد ان يغويكم[4] ﴾ أى يضلكم و يركبكم غير الصواب [فانه إرادته سبحانه تغلب إرادتى و فعلى معا -[3]] لا ينفعكم شىء إشارة إلى أنكم لا تقدرون على دفع العذاب بقوة فتكونوا [3]غالبين ، و لا بطاعة فتكونوا[3] محبوبين مقربين إن كان الله يريد إهلاككم بالإغواء ، و إن أردت أنا نجاتكم ، و لم يقل[4] : و لا ينفعكم نصحى إن نصحت لكم ، إشارة إلى أنى لا أملك إلا إرادتى لنصحكم ، فاذا أردته فغاية ما يترتب عليه من فعلى وقوع النصح و إخلاصه لكم ، و أما[5] النفع به فلا شىء منه إلىّ . بل هو تابع لمراد الله ، فان أراد غوايتكم حصلت

(١) فى ظ : اوهموا (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط مابين الرقمين من ظ (٤) فى الأصل: ولا يقل، والعبارة من هنا إلى « نصحت لكم » ساقطة من ظ (٥) فى ظ: ما.

لا محالة ، و لم يقع ما قد يترتب على النصح من عمل المنصوح بمقتضاه المستجلب للنفع المستدفع للضر[1]؛ ثم رغبهم فى إحسانه و رهبهم من انتقامه معللا لعدم ما لا يريده : ﴿هو ربكم قف﴾ أى الموجد لكم المدبر لأموركم فهو يتصرف وحده لما يريد .

و لما كان التقدير: فمنه مبدءكم ، عطف عليه قوله : ﴿ و اليه ﴾ أى لا إلى غيره ﴿ترجعون ط﴾ أى بأيسر أمر و أهونه بالموت ثم البعث فيجازيكم على أعمالكم كما هى عادة الملوك مع عمالهم .

و لما كان مضمون هذه الآية نحو مضمون قوله "انما انت نذير و الله على كل شيء وكيل" فان النذير من ينصح المنذر ، و الوكيل [هو - [2]] المرجوع إليه فى أمر الشيء الموكول إليه ، و ما قبلها تعريض[3] بنسبة نوح عليه السلام إلى الافتراء ، تلاه بما تلا به ذاك من النسبة إلى الافتراء [4]و إشارة إلى أن هذه القصص كلها للتسلية فى أمر النذارة و التأسية فكأنه قيل : أيقولون لك مثل هذه الأقوال فقد قالوها لنوح كما ترى ، ثم والى[5] عليهم من الإنذار ما لم يطمعوا معه فى ترك شيء مما أمرناه به أعجبهم أو أغضبهم ، فلك[6] به أسوة و حسبك به قدوة فى أن تعد[4] كلامهم عدما و تقبل على ما أرسلناك به من بذل النصيحة بالنذارة : ﴿ ام يقولون ﴾ فى القرآن ﴿ افترىه ﴾ إصرارا على ما تقوّلوه فدمغه الدليل و أدحضته الحجة فكأنه قيل : نعم ، [إنهم - [2]] يقولون ذلك .

(١) فى ظ : للضرر (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : تعريضا (٤) سقط من ظ .
(٥) فى ظ : ولى (٦) فى ظ : ذلك .

فقيل : لا عليك فانه قول يقصدون به مجرد العناد و هم يعلمون خلافه بعد ما قام عليهم من الحجج التى وصلوا معها إلى عين اليقين فلا يهمنك قولهم هذا، فانهم يجعلونه وسيلة إلى تركك بعض ما يوحى إليك فلا تفعل، بل ﴿ قل ﴾ فى جواب قولهم هذا ﴿ ان افتريته ﴾ أى قطعت كذبه ﴿ فعلىّ ﴾ أى خاصا بى ﴿ اجرامى ﴾، أى وباله و عقابه دونكم و إذا[1] استعلى علىّ الإجرام عرف ذلك لأرباب العقول و ظهر ظهورا أفتضح به و أنتم أعرف الناس بأنى أبعد من ذلك مما بين اجتماع الضدين و ارتفاع النقيضين لما تعلمون منى من طهارة الشيم و علو الهمم و طيب الذكر و شريف القدر و كريم الأمر، هذا لو كنت قادرا على ذلك فكيف و أنا و أنتم[2]فى العجز عنه[2] سواء ﴿ و انا برىء ﴾ أى غاية البراءة ﴿ مما تجرمون ﴾ أى توجدون إجرامه، ليس علىّ من إجرامكم عائد ضرر بعد أن أوضحته لكم و كشفت عنكم غطاء الشبه، إنما ضرره عليكم فاغلبوا[3] على تذكر هذا المعنى فان سوق جوابهم على هذا الوجه أنكى[4] لهم من إقامة حجة أخرى لأنهم يعلمون منه أنه إلزام لهم بالفضيحة[5] لانقطاعهم لدى من له وعى، و يمكن أن يكون التقدير: هل انتبه قومك يا محمد فعلموا قبح مثل هذه الحال و أنها حال المعاندين، فرجعوا تكرما عن ركوب مثلها / و استحياء " ام يقولون افترنه[6] " أى كذبه / ٦٣٩
متعمدا استمرارا على العناد و تماديا فى البعاد كما تمادى قوم نوح فيحل

(١) فى ظ : ان (٢-٢) فى ظ : عنه فى العجز (٣) من ظ ، و فى الأصل : فاعملوا.
(٤) من ظ ، و فى الأصل : ازكا - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : بالنصيحة .

بهم ما حل بهم، أى هل رجعوا بهذا المقدار من قصة قوم نوح أم هم مستمرون على ما نسبوك إليه فى أوائل السورة من افترائه فيحتاجون إلى تكميل القصة بما وقع من عذابهم ليخافوا مثل مصابهم؛ و افتراء الكذب: افتعاله من قبل النفس فهو أخص من مطلق الكذب لأنه[1] قد يكون تقليدا للغير.

و لما فرغ من هذه الجملة التى هى المقصود بهذا السياق كله و إن كانت اعتراضية فى هذه القصة، رجع إلى إكمالها بيانا لأن نوحا عليه السلام كان يكاشف قومه بجميع ما أمر به و إن عظمت مشقته عليهم بحيث لم يكن قط موضع رجاء لهم فى أن يترك شيئا منه و تحذيرا لكل من سمع قصتهم من أن يحل به ما حل بهم فقال: ﴿ و اوحى ﴾ أى من الذى لا موحى إلا هو و هو ملك الملوك ﴿ الى نوح ﴾ بعد تلك الخطوب ﴿ انه لن يؤمن ﴾ بما جئت به ﴿ من قومك الا من ﴾ و لما كان الذى يجيب الإنسان إلى ما يسأله فيه يلوح[2] عليه مخايل قبل الإجابة يتوقع السائل بها الإجابة، قال: ﴿ قد 'امن فلا ﴾ أى فتسبب عن علمك بأنه قد تم شقاءهم أنا نقول لك: [لا -[3]] ﴿ تبتئس ﴾ أى يحصل لك بؤس، أى شدة يعظم عليك خطبها بكثرة تأملك فى عواقبها ﴿ بما كانوا ﴾ أى بما جبلوا عليه ﴿ يفعلون ج ﴾ فانا نأخذ لك بحقك منهم قريبا، و كأنه كان أعلمه أنهم [إن -[3]] لم يجيبوه أغرقهم و أنجاه و من معه فى فلك[4] يحملهم فيه على متن الماء فقال: ﴿ و اصنع الفلك ﴾ حال

---

(١) فى ظ: فانه (٢) فى ظ: تلوح (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: ذلك.

كونك

كونك محفوظا ﴿ باعيننا ﴾ نحفظك أن تزيغ فى عملها[1]، و جمع مبالغة فى الحفظ و الرعاية على طريق التمثيل ﴿ و وحينا ﴾ فنحن نلهمك أصلح ما يكون من عملها و أنت تعلم ما لنا من العظمة التى تغلب كل شيء و لا يتعاظمها شيء، فلا تهتم بكونك لا تعرف صنعتها؛ و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله أوحى إليه أن يصنعه مثل جؤجوء الطائر - أى صدره . و أشار إلى شفقته على قومه و حبه لنجاتهم كما هو حال هذا النبى الكريم مع أمته فقال: ﴿ و لا تخاطبنى ﴾ أى بنوع مخاطبة و إن قلّت ﴿فى الذين ظلموا ج﴾ أى أوجدوا الظلم و استمروا عليه فى أن أنجيهم؛ ثم علل النهى بأن الحكم فيهم [قد -[2]] انبرم فقال: ﴿ انهم مغرقون ۝ ﴾ قد [3]انبرم الأمر بذلك[3]؛ و الابتئاس: حزن فى استكانة، لأن أصل البؤس الفقر و المسكنة؛ و الوحى: إلقاء المعنى إلى النفس فى خفاء، و قد يكون إفهاما من غير كلام باشارة و نحوها، و قد يكون بكلام خفى؛ و الفلك: السفينة، [4]يؤنث و يذكر[4]، واحده و جمعه سواء، و أصله الإدارة[5] من الفلكة .

و لما أمره تعالى و نهاه، أخبر أنه امتثل ذلك بقوله عاطفا على ما تقديره: فأيس من إيمان أحد منهم فترك دعاءهم و شرع يسلى نفسه: ﴿و يصنع﴾ أى صنعة ماهر جدا، له ملكة عظيمة بذلك الصنع ﴿الفلك قف﴾ لخلى[6] فعله حالُ علمه بأنه سبحانه بت الأمر بأنه كان يعمل ما أمره[7] به

(١) فى ظ : علمها (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) فى ظ : فرغ من ذلك (٤ - ٤) فى ظ : يذكر و يونث (٥) من ظ ، و فى الأصل : الارادة (٦) فى ظ : على .
(٧) فى ظ : امن .

سبحانه و لم يخاطبه فيهم و لا أسف عليهم ، و أشار إلى أنهم ازدادوا بغيا بقوله : ﴿ و كلما ﴾ أى و الحال أنه كلما ﴿ مر عليه ملا ﴾ أى أشراف ﴿ من قومه ﴾ و أجاب ' كلما ' بقوله : ﴿ سخروا منه ط ﴾ أى و لم يمنعهم شرفهم من ذلك ، و ذلك أنهم رأوه يعانى ما لم يروا قبله مثله ليجرى على الماء و هو فى البر و هو على صفة من الهول عظيمة فمن الحسن أن طولها ألف ذراع و مائتا ذراع و عرضها ستمائة ، فقالوا : يا نوح ! ما تصنع ؟ قال : أبنى بيتا على الماء ، و يجوز أن يكون ' سخروا ' : صفة لملا ، و جواب ' كلما ' ' قال ' . و لما أيأسه الله من خيرهم ، ترك ما كان من لينه لهم و استعطافهم فعلم أن ذلك ما كان إلا له سبحانه ، فقال حاكيا عنه

٦٤٠ / استئنافا[١] : / ﴿ قال ان تسخروا منا ﴾ و لما كانوا يظنون أنه غائب فى عمله كان [عندهم - [٢]] موضعا للخزى و السخرية ، و كان هو[٣] صلى الله عليه و سلم عالما بأن عملهم سبب لخزيهم بالعذاب المستأصل ، فكان المعنى : إن تسخروا منا - أى منى و ممن[٤] يساعدنى - لظن أن عملنا غير مثمر ﴿ فانا نسخر ﴾ أى نوجد السخرية ﴿ منكم ﴾ جزاء لكم ﴿ كما تسخرون ط ﴾ منا الآن لأن عملنا منج و عملكم ليس مقتصرا على الضياع بل هو[٤] موجب لما توعدون من العذاب فأنتم المخزيون[٥] دونى . و لما كان قوله " نسخر منكم " واقعا موقع هذا الإخبار ، حسن الإتيان بالفاء المؤذنة بتسبب العلم المذكور عنه فى قوله : ﴿ فسوف تعلمون لا ﴾ أى بوعد لا خلف فيه

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : هود (٤) فى ظ : بمن (٥) فى ظ : المجزون .

﴿من يأتيه عذاب يخزيه﴾ أى يفضحه فيذله، وكأن المراد به عذاب الدنيا ﴿ويحل عليه﴾ أى حلول الدين الذى لا محيد عنه ﴿عذاب مقيم ۝﴾ وهو عذاب الآخرة، وقد مضى نحوه فى الانعام عند قوله "فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار[١]"؛ والسخرية: إظهار ما يخالف الإبطان على جهة تفهم استضعاف العقل، من التسخير وهو التذليل استضعافا بالقهر. وهى تفارق اللعب بأن فيها خديعة استنقاص، فلا تكون[٢] إلا بحيوان، واللعب قد يكون بجماد لأنه مطلق طلب الفرح؛ والخزى: العيب الذى تظهر فضيحته والعار به، ونظيره الذل والهوان؛ واستمر ذلك دأبه ودابهم ﴿حتى اذا جآء امرنا﴾ أى وقت إرادتنا لإهلاكهم[٣] ﴿وفار﴾ أى غلا وطفح ﴿التنور[٤]﴾ [٤]وعن ابن عباس رضى الله عنهما والحسن ومجاهد أنه[٤] الحقيقى الذى يخبز فيه، و[٥]هذا هو[٥] الظاهر فلا يعدل عنه إلا بدليل، لأن صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل عبث [كما - [٦]] قاله أهل الأصول ﴿قلنا﴾ [بعظمتنا - [٦]] ﴿احمل﴾ [ولما كان الله تعالى قد أمره أن يجعل لها غطاء - كما قال أهل التفسير - لئلا تمتلئ من شدة الأمطار، كانت الظرفية فيها بخلاف غيرها من السفن واضحة فلذلك قال - [٦]] : ﴿فيها﴾ أى السفينة ﴿من كل زوجين﴾ من الحيوانات، [٧]والزوج فرد يكون معه آخر لا يكمل نفعه إلا به[٧] ﴿اثنين﴾ ذكر أو أنثى ﴿واهلك﴾ أى احملهم، والأهل:

(١) آية ١٣٥ (٢) فى ظ: فلا يكون (٣) فى ظ: بالاهلاك (٤ - ٤) من ظ، وفى الأصل: اى (٥ - ٥) فى ظ: هوهذا (٦) زيد من ظ (٧-٧) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « ابنه كنعان » والترتيب من ظ.

العيال ﴿إلا من سبق﴾ غالبا ﴿عليه القول﴾ بأنى أغرقه و هو امرأته و ابنه كنعان ﴿و من﴾ [1] أى و أحمل فيها من [1] ﴿ءامن﴾ قال أبو حيان [2] : و كانت السفينة ثلاث طبقات : السفلى للوحوش ، و الوسطى للطعام و الشراب ، و العليا له و لمن آمن معه ؛ ثم سلى المخاطب بهذه القصص صلى الله عليه و سلم و ذكره نعمته بكثرة من اتبعه مع صدعهم بمؤلم الإنذار على قصر الزمان دون نوح عليهم السلام مع تطاول الزمن فقال : ﴿و ما ءامن﴾ أى و الحال أنه ما ﴿ءامن﴾ كائنا ﴿معه﴾ أى بإنذاره ﴿إلا قليل﴾ بسبب تقديرنا لا باغضائهم بما كوفحوا به من الإنذار ؛ و التنور - قال أبو حيان : [3] وزنه فعول عند أبى على و هو أعجمى ، و قال ثعلب : وزنه تفعول من النور ، و أصله تنوور ، همزت الواو ثم خففت و شدد الحرف الذى قبلها . و الزوج قد كثر على الرجل الذى له امرأة ؛ قال الرمانى : و قال الحسن فى "و من كل شيء خلقنا زوجين [4]" : السماء زوج و الأرض زوج ، و الشتاء زوج و الصيف زوج ، و الليل زوج و النهار زوج ، حتى يصير الأمر إلى الله الفرد الذى لا يشبهه شيء ، و معنى ذلك فى صحيح البخارى . و أقل ما قيل فيمن كان فى السفينة ثمانية : نوح و امرأة له ، و ثلاثة بنين : سام و حام و يافث ، و نساؤهم ؛ و أكثر ما قيل أنهم ثمانون - روى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

(١ - ١) تقدم ما بين الرقمين على « اثنين » و الترتيب من ظ (٢) راجع البحر المحيط ٥/٢٢٣ (٣) راجع النهر على هامش البحر المحيط ٥/٢٢١ (٤) سورة ٥١ آية ٤٩ .

و لما

و لما أتاه الأمر بذلك ، بادر الامتثال فجمع من أمره الله به إلى السفينة بعد أن هيأها لهم ﴿ و قال ﴾ أى لمن أمر بحمله[1] ﴿ اركبوا ﴾ و لما كانت الظرفية أغلب على السفينة قال : ﴿ فيها ﴾ أى السفينة ؛ و لما أمرهم بالركوب فركبوا ، استأنف قوله ، أو أمرهم بالركوب قائلين : ﴿ بسم الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ مجرىها و مرسٰها ﴾ أى إجراءها و إرساءها و محلهما و وقتهما ، و قرأ الحسن و قتادة و حميد الأعرج و إسماعيل بن مجالد[2] عن عاصم بكسر الراء و السين كسرا خالصا بعده ياءان خالصتان على أن الاسمين صفتان للجلالة ؛ ثم علل نجاتهم /٦١٤
بالإجراء و الإرساء اعترافا بأنه لا نجاة إلا بعفوه بقوله[3] : ﴿ ان ربى ﴾ أى المحسن إلى بما دبر من هذا الأمر و غيره ، و زاد فى التأكيد تطييبا لقلوب من معه معرفا لهم بأن أحدا لن يقدر الله حق قدره و أن العبد لا يسعه إلا الغفران[4] فقال : ﴿ لغفور ﴾ أى بالغ الستر للزلات و الهفوات ﴿ رحيم ﴾ أى بالغ[5] الإكرام لمن يريد . فركبوها و استمروا سائرين فيها يقولون : بسم الله ﴿ و هى ﴾ أى و الحال أنها ﴿ تجرى بهم ﴾ .

و لما كان الماء مهيئا للاغراق ، فكان السير على ظهره من الخوارق ، أشار الى ذلك بالظرف فقال : ﴿ فى موج ﴾ و نبه على علوه بقوله[6] : ﴿ كالجبال قف ﴾ أى فى عظمه و تراكمه [و ارتفاعه -[7]] ، فالجملة حال من ' فركبوها ' المقدر لأنه لظهوره فى قوة الملفوظ ، و كان هذه[8] الحال مع

(١) فى ظ : ان يحمله (٢) من ظ و غاية النهاية ١/١٦٧ ، و فى الأصل : مخالد.
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : العفو (٥) فى ظ : بليغ (٦) فى ظ : فقال (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : هذا .

أن استدامة الركوب ركوب إشارة إلى سرعة امتلاء الأرض من الماء و صيرورته فيها أمثال الجبال عقب ركوبهم السفينة من غير كبير[1] تراخ ، قالوا : و كان أول ما ركب معه الذرة ، و آخر ما ركب معه[2] الحمار ، و تعلق إبليس بذنبه فلم يستطع الدخول حتى قال له[2] نوح عليه السلام : ادخل و لو كان الشيطان معك - كذا قالوا ، و قيل : إنه منع الحية و العقرب و قال : إنكما سبب الضر[3] ، فقالا : احملنا و لك أن لا نضر أحدا ذكرك ، فمن قال " سلٰم على نوح فى العٰلمين ۝ انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين[4] " لم تضراه . و لما كان ابتداء الحال فى تفجر الأرض كلها عيونا و انهمار السماء انهمارا - مرشدا إلى أن الحال سيصير إلى ما أخبر الله به من كون الموج كالجبال لا ينجى منه إلا السبب الذى أقامه سبحانه ، تلا ذلك بأمر ابن نوح فقال عاطفا[5] على قوله " و قال اركبوا " ﴿ و نادى نوح ابنه ﴾ [أى - [6]] كنعان و هو اصلبه - نقله الرمانى[7] عن ابن عباس و سعيد بن جبير و الضحاك ﴿ و كان ﴾ أى الابن ﴿ فى معزل ﴾ أى عن أبيه فى مكانه و فى دينه لأنه كان كافرا ، و بين أن ذلك المعزل[2] كان على بعض البعد بقوله : ﴿ يٰبنى ﴾ صغره تحننا و تعطفا ﴿ اركب ﴾ كائنا ﴿ معنا ﴾ - أى فى السفينة لتكون من الناجين ﴿ و لا تكن ﴾ أى[2] بوجه من الوجوه ﴿ مع الكٰفرين ۝ ﴾ أى فى دين و لا مكان إشارة إلى أن حرص الرسل عليهم السلام

(١) من ظ ، وفى الأصل : كثير (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الضر (٤) سورة آية ٧٩ - ٨١ (٥) فى ظ : عطفا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : الكرمانى .

، شفقتهم - و إن كانت مع رؤية الآيات العظام و الأمور الهائلة - ليست سببا للين القلوب و خضوع النفوس ما لم يأذن الله ، انظر إلى استعطاف نوح عليه السلام بقوله "يٰبني" مذكرا له بالبنوة مع تصغير التحنن والتراؤف و فظاظة[1] الابن مع[2] عدم سماحه [3]بأن يقول[3]: يا أبت ، و لم يلن[4] مع ما رأى من الآيات العظام و لا تناهى اشىء منها عن تقحم الجهل بدلا من العلم و تعسف الشبهة بدلا من الحجة .

و لما كان الحال حال دهش و اختلال . كان السامع جديرا بأن لا يصبر بل يبادر إلى السؤال فيقول: فما قال ؟ فقيل : ﴿قال﴾ قول من ليس له عقل تبعا لمراد الله ﴿سأوى الى جبل يعصمنى﴾ أى يعلوه ﴿من المآء﴾ أى فلا أغرق ﴿ قال ﴾ أى نوح عليه السلام ﴿ لا عاصم ﴾ أى لا[5] مانع من جبل و لا غيره موجود[6] ﴿ اليوم ﴾ أى لأحد ﴿ من امر الله ﴾ أى الملك الأعظم المحيط أمره و قدرته و علمه ، و هو حكمه بالغرق على كل ذى روح [لا يعيش فى الماء - [7]] ﴿الا من رحمج﴾ أى إلا مكان من رحمة[8] الله فانه مانع من ذلك و هو السفينة ، أو لكن من رحمه الله فان الله يعصمه .

و لما ركب نوح و من أمره الله به و أراده . و لم تبق حاجة فى تدرج ارتفاع الماء . فعلا[9] و طما و غلب و عتا فهال الأمر و زاد على الحد و القدر ، [قال تعالى عاطفا على ما تقديره : فلم يسمع ابنه ذلك

(١) فى ظ : فظاعة (٢) فى ظ : فى (٣ - ٣) من ظ ، و فى الأصل : بقوله (٤) فى الأصل و ظ : لم يكن (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : موجودا (٧) زيد من ظ .
(٨) من ظ ، و فى الأصل : رحم (٩) من ظ ، و فى الأصل : على .

منه بل عصى أباه كما عصى الله فأوى إلى الجبل الذى أراده فعلا الماء عليه و لم يمكنه بعد ذلك اللحاق بأبيه و لا الوصول إليه - [١]] : ﴿ و حال بينهما ﴾ أى بين الابن و الجبل أو بينه و بين أبيه ﴿ الموج ﴾ المذكور فى قوله "فى[٢] موج كالجبال" ﴿ فكان ﴾ أى [الابن - [١]] بأهون أمر ﴿ من المغرقين ۝ ﴾ [و هم كل من لم يركب مع نوح عليه السلام من جميع أهل الأرض - [١]]؛ قال أبو حيان[٣]: قيل كانا يتراجعان الكلام فما استتمت المراجعة حتى جاءت موجة عظيمة وكان راكبا على فرس قد بطر و أعجب بنفسه فالتقمته[٤] و فرسه و حيل بينه و بين نوح عليه السلام فغرق - انتهى . و الركوب : العلو على ظهر الشيء ، ركب الدابة و السفينة و البر و البحر ؛ و الجرى : مر سريع ؛ يقال : هذه العلة تجرى فى أحكامها . أى تمر من غير مانع ، و الموج جمع موجة - لقطعة عظيمة من الماء الكثير ترتفع[٥] عن جملته ، و أعظم ما يكون ذلك إذا اشتدت الريح ؛ و الجبل : جسم عظيم الغلظ شاخص من الأرض هو لها كالوتد ؛ و العصمة : المنع من الآفة ﴿ و قيل ﴾ أى[٢] بأدنى إشارة بعد هلاك أهل الأرض و خلوها من الكافرين وتدمير من فى السهول و الجبال من الخاسرين ، و هو من إطلاق المسبب - و هو القول - على السبب - و هو الإرادة - لتصوير أمر و مأمور هو فى غاية الطاعة فانه أوقع فى النفس .

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) راجع البحر المحيط ٥/٢٢٧ (٤) فى ظ : فالتقمه (٥) من ظ ، و فى الأصل : يرتفع .

و لما كان كل شيء دون مقام الجلال و الكبرياء و العزة بأمر[1] لا يعلمه إلا الله . دل على ذلك بأداة البعد فقال: ﴿ يٰأرض ابلعى ﴾ أى اجذبى من غير مضغ إلى مكان خفى بالتدريج . و عين المبلوع لئلا يعم فتبتلع[2] كل شيء على ظهرها من جبل و غيره، و لذلك أفرد و لم يجمع فقال: ﴿ مآءك ﴾ أى الذى تجدد على ظهرك الاغراق ليكون ذلك كالغذاء للآكل الذى يقوى بدنه به فيقوى به على الإنبات و سائر المنافع و جعله ماءها لاتصاله بها اتصال الملك بالمالك ﴿ و يسمآء اقلعى ﴾ أى أمسكى عن الإمطار ، ففعلتا مبادرتين لأمر الملك الذى[3] لا يخرج عن مراده شيء ﴿ و غيض المآء ﴾ أى المعهود ، حكم عليه بالدبوب[4] فى أعماق الأرض ، من المتعدى فانه يقال: غاض الماء و غاضه الله ، كما يقال: نقص الشيء و نقصته أنا ﴿ و قضى الامر ﴾ أى فرغ و انبتّ و انبرم فى إهلاك من هلك و نجاة من نجا كما أراد الجليل على ما تقدم به وعده نوحا عليه السلام ، لم يقدر أحد أن يحبسه عنهم و لا أن يصرفه و لا أن يؤخره دقيقة و لا أصغر منها . فليحمد الله من أخر عنه العذاب و لا يقل "ما يحبسه" لئلا يأتيه مثل ما أتى هؤلاء أو من بعدهم ﴿ و استوت ﴾ أى استقرت و اعتدلت السفينة ﴿ على الجودى ﴾ إشارة[5] باسمه إلى أن الانتقام العام قد مضى، و ما بقى إلا الجود بالماء[6] و الخير و الخصب و الرحمة العامة ، و هو جبل بالموصل بعد خمسة أشهر ؛ قال قتادة : استقلت بهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : يامن (٢) فى ظ : فتبلع (٣) فى ظ : التى (٤) فى ظ : بالرسوب (٥) فى ظ : اشار (٦) فى ظ : و النماء .

لعشر خلون من رجب و كانت فى الماء[١] خمسين و مائة يوم ، و استقرت بهم على الجودى شهرا ، و هبط بهم يوم عاشوراء ﴿ و قيل ﴾ أى إعلاما بهوان المهلكين و الراحة منهم ﴿ بعدا ﴾ هو من بعد - بالكسر مرادا به البعد من حيث الهلاك ، فان حقيقته بعدٌ بعيدٌ لا يرجى منه عود ، ثم استعير للهلاك و خص بدعاء السوء ، و عبر بالمصدر لتعليقه باللام الدالة على الاستحقاق و الاختصاص ﴿ للقوم ﴾ [أى المعهودين فى هذه القصة التى كان فيها من شدة القيام فيما يحاولونه ما لا يعلمه إلا الله -[٢]] ﴿ الظلمين ﴾ أى العريقين فى الظلم ، و هذه الآية تسع عشرة لفظة فيها أحد و عشرون نوعا من البديع - عدها أبو حيان و قال : و روى أن أعرابيا سمعها فقال : هذا كلام القادرين . و ذكر الرمانى[٣] عدة من معانيها ، منها إخراج الأمر على جهة التعظيم لفاعله من غير معاناة و لا لغوب ، و منها حسن تقابل المعانى ، و منها حسن ائتلاف الألفاظ ، و منها حسن البيان فى تصوير الحال ، و منها الإيجاز من غير إخلال ، و منها تقبل الفهم على أتم الكمال ؛ و البلع : إجراء لشيء فى الحلق إلى الجوف ؛ و الإقلاع : إذهاب الشيء / من أصله / ٦٤٣
حتى لا يبقى له أثر ؛ و الغيض : غيبة الماء فى الأرض على جهة النشف[٤] و إبراز الكلام على البناء للفعول أدل[٥] على الكبرياء و العظمة للفاعل للاشارة إلى أنه معلوم لأنه لا يقدر على مثل هذه الأفعال غيره ، و نقل

(١) من ظ ، وفى الأصل : المائة - كذا (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : الكرمالى .
(٤) فى ظ : النسف (٥) فى ظ : دل .

الأصبهانى عن صاحب المفتاح فيها كلاما أغلى من الجوهر .

و لما كان الاستثناء من أهله فى قوله " الا من سبق عليه القول" يجوز أن يراد به امرأته فقط . فتكون نجاة ابنه جائزة ، وكان ما عند الأنبياء عليهم الصلاة و السلام من فرط الشفقة على الخلق لا سيما الأقارب يحملهم على السعى فى صلاحهم ما كان لذلك وجه كما تقدم[1] مثل ذلك فى قوله تعالى " ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم[2]" لأن أجنحة الخلق كسيرة و أيديهم قصيرة و أمرهم ضعيف و حالهم رث ، فأدنى هوان يورثهم الخسران ، و أما جناب الحق[3] ففسيح و شأنه عظيم و أمره علىّ ، فلا يلحقه نقص بوجه و لا يدانيه ضرر و لا يعترى[4] أمره وهن[5]، لما كان ذلك كذلك . سأل نوح عليه السلام نجاة ولده كما أخبر عنه تعالى فى قوله : ﴿ و نادى نوح ربه ﴾ [أى الذى عوده بالإحسان الجزيل -[6]] ، و دل سبحانه بالعطف بالفاء[7] دون أن يأتى بالاستئناف[8] المفسر للنداء على أن ما ذكر هنا من نداء نوح عليه السلام بعض ندائه و أن هذا المذكور مرتب معقب على شيء منه سابق عليه أقربه[10] أن يكون ما أرشده[9] إليه سبحانه فى سورة المؤمنين و يشعر به قوله تعالى بعد هذا جوابا له "ينوح اهبط بسلم منا" فيكون

(١) زيد بعده فى ظ : فى (٢) سورة ٩ آية ٨٠ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الخلق (٤) فى ظ : لا يعتنى (٥) زيدت الواو بعده فى ظ (٦) زيد من ظ .
(٧) من ظ ، وفى الأصل : بالباء (٨) من ظ ، و فى الأصل : للاستيناف (٩) من ظ ، و فى الأصل : اقربته (١٠) فى ظ : ارشد .

تقدير الكلام قال[1]: رب أنزلني منزلا مباركا - و ما قدر له من الكلام ﴿ فقال ﴾ أى عقبة لما حمله على ذلك من رحمة النبوة و شفقة الأبوة و سجية[2] البشر متعرضا لنفحات الرحمة و عواطف العفو ؛ أو الفاء تفصيل لمجمل[3] "نادى" مثل ما [فى - [4]] : توضأ[5] فغسل ﴿ رب ان ابنى ﴾ أى الذى غرق ﴿ من اهلى ﴾ أى و قد أمرتنى بحمل أهلى ، و ذلك الأمر محتمل للاشارة إلى إرادة نجاتهم ﴿ و ان وعدك الحق ﴾ أى الكامل فى نجاتهم إلا من سبق عليه القول ، و قد علمت ذلك فى المرأة الكافرة ﴿ و انت احكم الحكمين ۝ ﴾ لأنك أعلمهم ، و من كان أعلم كان أحكم فتعلم أن[5] قولك "الا من سبق عليه القول" يصح باستثنائها وحدها ، فان كان ابنى ممن نجا فأتنى به ؛ و إن كان هذا الدعاء عند حيلولة[6] الموج بينهما فالمعنى : فلا تهلكه ﴿ قال ينوح ﴾ و أكد فى نفى ما تقدم منه إثباته فقال : ﴿ انه ليس من اهلك ج ﴾ [أى - [4]] المحكوم بنجاتهم لإيمانهم و كفره ، و لهذا علل بقوله : ﴿ انه عمل ﴾ أى ذو عمل ، [و لكنه جعله نفس العمل فى قراءة الجماعة مبالغة فى ذمه ، و ذلك لأن الجواهر متساوية الأقدام فى نفس الوجود لا تشرف إلا بآثارها ، فبين أنه ليس فيه أثر صالح أصلا ، و يثبت قراءة يعقوب و الكسائى بالفعل أن من باشر السوء مطلق مباشرة وجبت البراءة منه ، و لا سيما للأمر فلا يواصل إلا باذن ، و عبر بالعمل دون الفعل لزعمه أن أعماله مبنية على العلم ، و أكده لما لا يخص من سؤال نوح عليه السلام هذا - [4]]

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : شجية (٣) من ظ . وفى الأصل : المجمل (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : قومنا (٦) فى ظ : حيولة .

غير

﴿غير صالح ز سلم﴾ بعلمى، و قد حكمت فى هذا الأمر أنى لا أنجى منه إلا من اتصف بالصلاح و أنا عليم بذات الصدور. و أنت يخفى عليك كثير من الأمور فربما ظننت الإيمان بمن ليس بمؤمن لبنائك الأمر على ما رآه من ظاهره؛ و قد نقل الرمانى[1] عن الحسن أنه كان ينافق باظهار الإيمان، و هذا يدل على أن الموافق فى الدين ألصق ما يكون و إن كان فى غاية البعد فى النسب، [و المخالف فيه أبعد ما يكون و إن كان فى غاية القرب فى النسب -[2]].

و لما تسبب عن هذا الجواب أن ترك السؤال كان أولى، ذكر أمرا كليا يندرج فيه فقال: ﴿فلا تسئلن﴾ أى بنوع من أنواع السؤال ﴿ما ليس لك به علم ط﴾ فلا تعلم أصواب السؤال فيه أم لا، لأن اللائق بأمثالك من أولى القرب بناء أمورهم على التحقيق و انتظار[3] الإعلام منا، انظر إلى قول موسى عليه السلام فى حديث الشفاعة فى الصحيح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه: و إنى قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها. و من المعلوم أن تلك النفس كانت كافرة من آل فرعون ﴿انىّ اعظك﴾ بمواعظى كراهية ﴿ان تكون﴾ أى كونا تتخلق به ﴿من الجهلين ه﴾ أى فى عداد الذين يعملون بالظن لأنهم لا سبيل لهم / إلى الوقوف على حقائق الأمور من قبلنا فتسأل مثل ما يسألون. / ٦٣٤

و لما انجلى للسامع ما هو فيه صلى الله عليه و سلم من علو المقام و[4] عظيم

(١) فى ظ: الكرمانى (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: انتظام (٤) سقط من ظ.

الشأن الموجب للعتاب على كثير من الصواب وتشوف للجواب، استأنف بيانه بقوله: ﴿ قال ﴾ أي مبادرا على ما[1] يقتضيه له من كمال الصفات ﴿ رب ﴾ أي أيها المحسن إليّ، و أكد دلالة للسامعين[2] على عظيم رغبته فقال: ﴿ انيّ اعوذ بك ان ﴾ أي من أن ﴿ اسئلك ﴾ [أي - [3]] في شيء من الأشياء ﴿ ما ليس لي به علمٌ ﴾ تأدبا باذنك و اتعاظا بموعظتك و ارتقاء[4] لما رقيتني إليه من علو الدرجة و رفيع المنزلة ﴿ و الا تغفر لي ﴾ أي الآن و في المستقبل ﴿ و ترحمنيّ ﴾ أي تستر زلاتي و تمحها و تكرمني ﴿ اكن من الخسرين ﴾ أي العريقين في الخسارة فكأنه[5] قيل: ما ذا أجيب عن ذلك؟ فقيل: ﴿ قيل ﴾ بالبناء للفعول دلالة على العظمة و الجلال الذي[6] تكون الأمور العظيمة لأجله بأدنى إشارة ﴿ ينوح اهبط ﴾ أي من السفينة ﴿ بسلم ﴾ أي عظيم ﴿ منا ﴾ أي و من سلمنا عليه فلا هلك يلحقه ﴿ و بركت ﴾ أي خيرات نامية [7]عظيمة صالحة[7] ﴿ عليك ﴾ أي خاصة بك ﴿ و على امم ﴾ ناشئة ﴿ ممن معك ﴾ لكونهم على ما يرضينا و لا نمتعهم بالدنيا إلا قليلا، و لهم إذا رجعوا إلينا نعيم مقيم، و قد دخل في هذا الكلام[8] كل مؤمن و مؤمنة إلى يوم القيامة ﴿ و امم ﴾ أي منهم ﴿ سنمتعهم ﴾ في الدنيا بالسعة في الرزق[9] و الخفض في العيش على وفق علمنا و إرادتنا و لا بركات عليهم منا و لا سلام، فالآية من الاحتباك:

(١) في ظ: حسبما (٢) من ظ، و في الأصل: للسابق (٣) زيد من ظ (٤) في ظ: ارتفاعا (٥) في ظ: فكان (٦) من ظ، و في الأصل: التي (٧ - ٧) في ظ: صالحة عظيمة (٨) في ظ: السلام (٩) من ظ، و في الأصل: الدنيا.

ذكر البركات و السلام [1]أولا دليلا[1] على نفيهما ثانيا ، و المتاع[2] ثانيا ، دليلا على حذفه[3] أولا ﴿ ثم يمسهم منا﴾ أي في الدارين أو في الآخرة [4]أو فيهما[4] ﴿ عذاب اليم ه ﴾ لجريهم على غير هدينا و جرأتهم على ما يسخطنا ، و يجوز أن يكون " و امم" مبتدأ[5] من غير تقدير صفة محذوفة ، فيكون المسوغ للابتداء كون المقام مقام التفصيل ؛ و العياذ : طلب النجاة بما يمنع من الشر ؛ و البركة : ثبوت الخير بنمائه حالا بعد حال ، و أصله الثبوت ، و منه البروك و البركة لثبوت الماء فيها .

ذكر قصة نوح عليه السلام من التوراة و هو نوح بن لمك بن متوشلح بن خنوخ[6] بن يارد بن مهلاليل[7] بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام ، و ذلك[8] لأنه في أوائل السفر الأول[9] منها : و إن آدم طاف نحو حايلته[10] فحبلت و ولدت ابنا فسماه[11] شيث و قال : الآن أخلف الله عليّ نسلا آخر بدل هابيل الذي قتله قابيل ، و ذلك بعد أن عاش آدم مائة و ثلاثين سنة . و كان جميع حياة آدم تسعمائة[12] و ثلاثين سنة ، و عاش شيث مائة و خمس[13] سنين فولد له أنوش ، و كان

(١ - ١) في ظ : لا دليل (٢) زيد في ظ : و العذاب (٣) زيد في ظ : ضدهما .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) في ظ : ممتدا (٦) في تاريخ اليعقوبي ١/١٢ : اخنوخ (٧) في تاريخ اليعقوبي ١/١٠ مهلائيل ، وفي التوراة : مهللئيل ، - راجع الأصحاح الخامس من السفر الأول (٨) في ظ : ذكر (٩) سقط من ظ .
(١٠) في ظ : حلقلته (١١) في ظ : وسماه (١٢) من ظ و الأصحاح الخامس من السفر الأول ، و في الأصل : سبعمائة (١٣) في ظ : خمسة .

جميع حياة [١] شيث تسعمائة و اثنى عشرة سنة ، فعاش أنوش تسعين سنة فولد له قينان وكان جميع حياة [١] أنوش تسعمائة و خمس سنين ، و عاش قينان سبعين سنة فولد له مهلاليل و كان جميع [حياة - [٢]] قينان تسعمائة و عشرين سنة ، و عاش مهلاليل خمسا و ستين سنة فولد له يارد [١] وكانت جميع حياة مهلاليل ثمانمائة سنة و خمسا و تسعين سنة ، و عاش يارد [١] مائة و اثنتين و ستين سنة فولد له خنوخ فكانت جميع حياة يارد تسعمائة و اثنتين و ستين سنة ، و عاش خنوخ خمسا و ستين سنة فولد له متوشلح و كانت جميع حياة خنوخ ثلاثمائة و خمسا و ستين سنة ، و عاش متوشلح مائة و سبعا و ثمانين سنة فولد له لمك و كانت جميع حياة متوشلح تسعمائة و تسعا و ستين سنة ، و عاش لمك مائة و اثنتين و ثمانين سنة فولد له ابن [٣]
/ ٦٤٥ فسماه نوحا ، ثم قال : هذا يريحنا من أعمالنا ، و كد / أيدينا فى الأرض التى قد لعنها الله ، و كانت جميع أيام حياة لمك سبعمائة و سبعا و سبعين سنة ، و توفى و نوح ابن خمسمائة [٤] سنة . فولد لنوح بنون : سام و حام و يافث ، فلما بدأ الناس أن يكثروا على وجه الأرض و ولد لهم البنات نظر بنو الأشراف منهم بنات العامة حسانا جدا فأخذوا منهم النساء على ما اختاروا و أحبوا ، فقال الله عند ذلك : لا تحل عنايتى و شفقتى على هؤلاء الناس لأنهم يتبعون أهواء الجسد و اللحم و كانت [٥] على الأرض جبابرة فى تلك الأيام و من بعدها ، لأن بنى الأشراف دخلوا على بنات العامة فولد لهم جبابرة مذكورون ، فرأى الرب أن شر الناس قد كثر

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : ابنا (٤) فى ظ : مائة (٥) فى ظ : كان .

على

على الأرض وأن هوىء[1] فكرهم وحقدهم ردىء فى جميع الأيام ، فقال الرب: أمحق الذين خلقت و أبيدهم عن جديد الأرض من الناس و البهائم حتى الهوام و طير السماء ؛ و ظفر نوح من الله برحمة و رأفة ، و كان نوح رجلا بارا تقيا فى حقبه فأرضى الله . و فسدت الأرض بين يدى الله و امتلأت إثما و فجورا ، فرأى الرب الإله أن الأرض قد فسدت و قال الله لنوح : قد وصل[2] إلىّ [أمر - [3]] جميع الناس و سوء أعمالهم لأن الأرض قد امتلأت إثما و فجورا بسوء سيرتهم . فهأنذا مفسدهم مع[4] الأرض . فاتخذ لك أنت تابوتا مربعا من خشب الساج - و فى نسخة : الشمشار - و اجعل فى التابوت [5]علالى ، و اطلها[5] بالقار من داخلها و خارجها ، و ليكن طول الفلك ثلاثمائة ذراع ، و عرضه خمسين ذراعا ، و سمكه ثلاثين ذراعا ، و اجعل فى التابوت كوى[6] و ليكن عرضها من أعلاها ذراعا واحدا ، و اجعل باب الفلك فى جانبه ، و اجعل فيه منازل أسفل و أوساط و علالى . و هأنذا[7] محدر ماء الطوفان على الأرض لأفسد به كل ذى لحم فيه نسمة[8] الحياة من تحت السماء ، و يبيد كل ما على الأرض ، و أثبت عهدى بينى و بينك ، و تدخل التابوت أنت و بنوك و امرأتك و نساء بنيك معك ، و من كل حى من ذوى[9] اللحوم من كل صنف اثنان لتحيي معك ، و لتكن[10] ذكورا و إناثا ، من كل الطيور كأجناسها ،

---

(١) فى ظ : هو (٢) زيد فى ظ : الله (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : من (٥ ٥) فى ظ : عالى و اطلقها - كذا (٦) فى ظ : كوة (٧) فى ظ : هانا (٨) فى ظ : نسبة . (٩) فى ظ : ذى (١٠) من ظ ، وفى الأصل : ليكن .

و من الأنعام لأصنافها ، و من كل الهوام التى تدب على الأرض لجواهرها، اثنين اثنين أدخل معك من كلها لتستحييها ذكرا و أنثى ، و اجعل من كل [ما -[1]] يؤكل فاخزنه معك ، و ليكن مأكلك و مأكلها ؛ فصنع نوح كل شيء كما أمر الله ثم قال الله لنوح: ادخل أنت و كل أهل بيتك إلى التابوت لأنى إياك وجدت بارا تقيا فى هذا الحقب ، و من كل الأنعام الزكية أدخل معك سبعة سبعة من الذكور و الإناث ، و من الأنعام التى ليست بزكية[2] أدخل معك اثنين [3]ذكورا و إناثا ، و من الطير الزكى سبعة سبعة ذكورا و إناثا ، و من الطير الذى ليس بزكى اثنين اثنين ذكورا و إناثا[3]، ليحيي منها نسل على وجه الأرض . لأنى من الآن إلى سبعة أيام أهبط القطر على وجه الأرض أربعين يوما و لياليها ، و أبيد[4] كل ما خلقت على وجه الأرض : فصنع نوح كما[5] أمره الرب الإله . فلما كان بعد ذلك بسبعة أيام نزلت مياه الطوفان ، تفجرت [مياه - [1]] الغمر و تفتحت مشاعب[6] السماء . و أقبلت الأمطار على وجه الأرض أربعين نهارا و أربعين ليلة ، [و - [1]] فى هذا اليوم دخل نوح و سام و حام و يافث بنو نوح و امرأة نوح و نساء بنيه الثلاث معه الفلك هم[7] و جميع السباع لأجناسها و جميع الدواب لأصنافها و كل حشرة تدب على الأرض بجواهرها و جميع الطيور[7] لأجناسها ، و دخل مع نوح التابوت من كل عصفور و من كل ذى جناحين اثنان اثنان ، و من[7] كل ذى لحم فيه

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : بزكى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : ابتداء (٥) فى ظ : ما (٦) جمع مثعب و هو المسيل (٧) سقط من ظ .

روح الحياة / و كل شيء دخل[1] من ذوى اللحوم دخلوا ذكورا و إناثا /٦٤٦ كما أمر الله نوحا، ثم أغلق الله الرب الباب عليه، و كان الطوفان على الأرض أربعين يوما و أربعين ليلة، و كثرت المياه[2] حتى احتملت التابوت فارتفع عن الأرض، و غزرت المياه و كثرت على الأرض جدا [و جعل التابوت يسير على وجه الماء و اشتدت المياه على وجه الأرض جدا - [3]] جدا[1]. و توارت جميع الجبال العالية الشاهقة التى تحت السماء، و ارتفعت المياه من فوق كل جبل خمسة عشر ذراعا، و باد كل ذى لحم على الأرض من الطيور[4] أجمع و السباع و الدواب و جميع الحشرة التى تدب على الأرض و جميع الناس و البهائم، و مات كل شيء كان [فيه - [3]] نسمة الحياة مما فى اليبس، و بقى نوح و من معه فى الفلك، [5]و اشتدت المياه على الأرض مائة و خمسين يوما؛ و إن الله ذكر نوحا و كل السباع و الدواب و جميع الطيور التى معه فى التابوت. فأهاج الله ريحا على وجه الأرض فسكنت المياه و الأمطار. و اشتدت ينابيع الغمر و ميازيب السماء، و غاضت المياه بعد مائة و خمسين يوما، و سكن التابوت و وقف فى الشهر السابع لثلاث عشرة[6] ليلة بقيت من الشهر على جبال قودى[7] و جعلت المياه تنصرف و تنتقص إلى الشهر العاشر، و ظهرت رؤس الجبال فى أول يوم من الشهر العاشر، فلما كان بعد[8] ذلك بأربعين

(١) تكرر فى ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: الماء (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: الطير (٥) و من هنا استأنفت نسخة مد (٦) فى ظ: عشر (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فودى، و فى التوراة: اراراط (٨) سقط من ظ.

يوما فتح نوح الكوة التى عملها فى التابوت فأرسل الغراب ، فخرج الغراب من عنده فلم يعد إليه حتى يبست المياه عن[1] وجه الأرض ، [ثم أرسل الحمامة من بعده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض -[2]] فلم تجد الحمامة موضعا لموطئ رجليها فرجعت إلى التابوت لأن المياه كانت بعد على وجه الأرض ، فمد يده فأخذها[4] و أدخلها إليه و انتظر سبعة أيام أخرى ، ثم عاد فأرسل الحمامة فعادت عند المساء و[5] فى منقارها ورقة زيتون ، فعلم أن الماء[6] قد غاض عن وجه الأرض فصبر أيضا سبعة [أيام -[3]] أخر ، ثم أرسل الحمامة فلم تعد إليه أيضا ، ففتح نوح باب الفلك فرأى فاذا وجه الأرض قد ظهر و جفت[7] الأرض . فكلم الرب الإله نوحا و قال له : اخرج من التابوت أنت و امرأتك و بنوك و نساء بنيك معك و كل السباع التى معك من كل ذى لحم و الطيور و الدواب ، و أخرج[8] كل الهوام التى تدب على الأرض معك ، و لتتولد و تنمو فى الأرض و تكثر و تزداد على الأرض . فخرج نوح و من ذكر و بنى للرب مذبحا و أخذ من جميع الدواب و الطيور الزكية فأصعد منها على المذبح قربانا للرب الإله . فقال الرب الإله : لا أعود ألعن الأرض أبدا من أجل أعمال الناس لأن هوى قلب الانسان و حقده ردىء[9] منذ صباه ، و لا أعود أيضا أبيد كل حى كما فعلت ، و من الآن جميع أيام الأرض

(١) فى ظ : على (٢) زيد من ظ ومد غير أن فى ظ : الماء ـ موضع : المياه (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ : فاخذ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : المياه (٧) فى ظ ومد : خفت (٨) فى مد : اخر (٩) فى ظ : روى .

يكون

يكون فيها الزرع و الحصاد و البرد و الحر و القيظ و الشتاء، فبارك الله على نوح و بنيه و قال لهم: انموا و اكثروا و املأوا الأرض، و ليغش رعبكم و خوفكم جميع السباع و بهائم الأرض و كل طيور السماء و كل دابة تدب على الأرض، و جميع حيتان البحور [تكون -[1]] تحت أيديكم، و كل الدواب الطاهرة[2] الحية تكون لأكلكم، و قد جعلت الأشياء كلها حلالا لكم مثل عشب البرية و خضرها. و أما المخنوق الذى دمه فيه[3] فلا تأكلوه فان دمه نفسه، و أما دماؤكم من أنفسكم فأطلبها بالنهى من يد جميع الحيوان و من يد جميع الناس، أيّ إنسان قتل أخاه طالبته بدمه، و من سفك دم الإنسان سفك[4] دمه لأن الله خلق آدم بصورته، و أنتم فانموا و اكثروا و تولدوا فى الأرض و اكثروا فيها؛ و قال الله لنوح و لبنيه معه: هأنذا مثبت عهدى بينى و بينكم و مع أنسالكم من بعدكم و مع كل نفس حية منكم[5]، / و مع الطيور و الدواب و مع كل / ٦٤٧
سباع الأرض جميع الذين خرجوا من الفلك، و أثبت عهدى بينى و بينكم فلا يبيد كل ذى لحم أيضا بماء الطوفان و لا يهبط الطوفان أيضا ليفسد[6] جميع الأرض. قال الله لنوح: هذه علامة لعهدى الذى أجعله بينى و بينكم و بين كل[7] نفس حية معكم فى جميع أحقاب العالم، قد أظهرت قوسى فى السحاب فهى أمارة ذكر العهد [الذى -[8]]

(١) زيد من ظ ومد (٢) فى ظ : الظاهرة (٣) سقط من ظ (٤) زيد فى ظ : لأن الإنسان سفك - كذا (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : معكم (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : ليعد (٧) فى ظ : ذى (٨) زيد من مد .

بيني و بينـك و بين أهل الأرض ، فاذا أنشأت السحاب في الأرض و أظهرت قوس السحاب فاذكروا العهد[١] الذي بيني و بينكم ، و كان بنو نوح الذين خرجوا معه من التابوت سام و حام و يافث ، [و حام -[٢]] يكنى أبا كنعان ، هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح ، و تفرق الناس من هؤلاء في الأرض كلها ؛ ثم ذكر أن نوحا عليه السلام نام فرأى حام عريه فأظهر ذلك لأخويه[٣] ، فتناول سام و يافث رداء فألقياه على أكتافهما ثم سعيا على أعقابهما مدبرين فواريا عرى أبيهما ، فلما علم نوح ما صنع ابنه الأصغر دعا عليه أن يكون عبدا لأخويه ، و كانت جميع أيام حياة نوح تسعمائة[٤] سنة و خمسين سنة ، ثم توفى عليه الصلاة و السلام و التحية و الإكرام ؛ ثم ذكر أن الناس [٥]بعده أرادوا[٥] أن يبنوا صرحا لاحقا بالسماء ، و اجتمع جميعهم على ذلك لأن لغتهم كانت واحدة و رأيهم واحد[٦] ففرق الله ألسنتهم و فرقهم من هنالك على وجه الأرض و لم يبنوا القرية التي هموا بها ، و لذلك سميت بابل و بوبال معناه بالعبراني : الشتات ، و ما في تفسير البغوي و غيره من أن عوج بن عوق - بضمهما كما في القاموس - كان [في -[٧]] زمن نوح و سلم من الطوفان ، و أن الماء لم يجاوز ركبتيه و نحو هذا كذب بحت[٨] منابذ لقوله تعالى " و لا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون " و قوله " لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم " و قوله "رب لا تذر على الارض من الكٰفرين ديارا[٩] " و نحوها ، فان

(١) في ظ : للعهد (٢) زيد من ظ ومد (٣) في ظ : لاخوته (٤) في ظ : ستمائة. (٥ - ٥) في ظ : ارادوا بعده (٦) في ظ : واحده (٧) زيد من ظ (٨) في الأصل : تحت ، و غير منقوط في ظ ومد (٩) سورة ٧١ آية ٢٦ .

كل من ذكر ذلك ذكر أن موسى عليه السلام قتله كافرا .

و لما تمت هذه القصة على النحو الوافى ببيان اجتهاد نوح عليه السلام فى إبلاغ الإنذار من غير مراعاة إقبال و لا إدبار ، وكانت مع ذلك دالة[1] على علم تام و اطلاع على دقائق لا سبيل إليها إلا من جهة الملك العلام ، فهى على إزالة اللبس عن أمره صلى الله عليه و سلم أوضح من الشمس ، قال تعالى منبها على ذلك : ﴿ تلك ﴾ أى هذه الأنباء البديعة الشأن الغريبة [2] الأمر البعيدة[2] عن طوق المعارض ، العلية الرتب عن يد المتناول ﴿ من انبآء الغيب ﴾ أى أخباره العظيمة ، ثم أشار إلى أنه لا يزال يجدد له أمثالها بالمضارع فى قوله : ﴿ نوحيهآ اليك ﴾ فكأنه قيل : إن بعض أهل الكتاب يعلم بعض تفاصيلها ، فأشار إلى أن[3] ذلك بمجموعه غيب و بما يعلمونه غيب نسبى[4] بقوله : ﴿ ما كنت تعلمهآ ﴾ أى على هذا التفصيل ﴿ انت ﴾ و لما كان خفاءها عن قومه دليلا على خفائها عنه لأنه لم يخالط غيرهم قال : ﴿ و لا قومك ﴾ أى و إن كانوا أهل قوة فى القيام على ما يحاولونه[5] [6] و عددا كثيرا[6] ، و منهم من يكتب و يخالط العلماء .

و لما كان زمان [7] خفاء ذلك عنهم - و إن[7] كان عاما لهم - بعض الزمان الماضى ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل هذا ﴾ أى من إيحائى[8] إليك حتى يطرق[9] الوهم حينئذ أنك تعلمتها من أحد منهم و إن كان يعلم

(١) فى ظ : دلالة (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : سى - كذا (٥) فى ظ : يجادلونه (٦-٦) من ظ و مد ، فى الأصل : عدد كثير (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : جهلهم دال (٨) فى ظ : انجائى (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يطوف .

كثيرا منها أهل الكتاب كما رأيت عن نص التوراة فبان أن لا غرض لقومك إلا العناد ، ﴿ فاصبر[ط] ﴾ على ذلك و لا تفتر عن الإنذار ، فستكون لك العاقبة كما كانت لنوح لأجل تقواه ﴿ ان العاقبة ﴾ أي آخر الأمر من[1] الفوز و النصر و السعادة ﴿ للمتقين ع ﴾ أي العريقين في مخافة الله في كل زمن ، و قد تضمنت القصة البيان عما يوجبه حال أهل الخير و الإيمان و أهل الشر و الطغيان / من الاعتبار بالنبأ عن الفريقين ليجتبي حال[2] هؤلاء و يتقي حال أولئك لسوء العاقبة في الدنيا و الآخرة . /٦٤٨

و لما تم من ذلك ما هو كفيل بغرض السورة ، و ختم بأن العاقبة دائما للمتقين ، اتبع بالدليل على ذلك من قصص الأنبياء مع الوفاء بما سيقت له قصة نوح - على جميعهم السلام - من الحث على المجاهرة[3] بالإنذار فقال تعالى : ﴿ و الى ﴾ أي[4] و لقد أرسلنا إلى ﴿ عاد اخاهم ﴾ و بينه فقال : ﴿ هودا[ط] ﴾ و لما تقدم أمر نوح مع قومه ، استشرف السامع[5] إلى معرفة ما قال هود عليه السلام هل[6] هو مثل قوله أو لا ؟ فاستأنف الجواب بقوله : ﴿ قال يٰقوم ﴾ الذين هم أعز الناس لدىّ ﴿ اعبدوا الله ﴾ أي ذا[7] الجلال و الإكرام وحده ؛ ثم صرح و علل فقال : ﴿ ما لكم ﴾ و أغرق في النفي فقال : ﴿ من الٰه ﴾ أي معبود بحق ﴿ غيره[8 ط] ﴾ فدعا إلى أصل الدين كما هو دأب سائر النبيين و المرسلين ؛ ثم ختم ذلك بمواجهتهم

(١) في ظ و مد : في (٢) زيد في مد : اهل الخير والإيمان (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : المجاهدة (٤) سقط من مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : بمثل (٧) من مد ، وفي الأصل : ذو (٨) تقدم في الأصل على « من الٰه » والترتيب من ظ و مد .

بما

بما يسوءهم من الحق و ما ثناه[1] عن ذلك رجاء و لا خوف فقال: ﴿ ان ﴾ أي [ما - [2]] ﴿ انتم الا مفترون ۝ ﴾ أي متعمدون الكذب على الله في إشراككم به سبحانه لأن ما على التوحيد من أدلة العقل غير خاف على عاقل فكيف مع تنبيه النقل! و ذلك مكذب لمن أشرك، أي فاحذروا عقوبة المفترى؛ ثم نفى أن يكون له في ذلك غرض غير نصحهم بقوله [موضع " إني ناصح لكم بهذا الأمر فلا يسوءكم مواجهتي لكم فيه بما تكرهون " [2]] ﴿ يقوم ﴾ مكررا لاستعطاف ﴿ لآ اسئلكم ﴾ أي في المستقبل كما لم أسألكم في الماضي ﴿ عليه ﴾ أي على هذا الإنذار ﴿ اجرا ط ﴾ أي فلست موضع تهمة ﴿ ان ﴾ [أي ما - [2]]؛ ﴿ اجرى ﴾ [ثم وصف من توكل عليه سبحانه بما يدل على الكفاية فعلىّ وجوب شكره فقال - [6]]: ﴿ الا على الذي فطرني ط ﴾ أي ابتدأ خلقي [3] و لم يشاركه في [3] أحد فهو الغني المطلق لا أوجه رغبتي إلى غيره كما يجب[4] على كل أحد ذلك لكونه فطرة.

و لما كان الخلاف الذي لا حظ فيه جهة الدنيا لا يحتاج الإنسان في الدلالة على أن صاحبه ملجأ إليه من جهة الله، و أنه لا نجاة إلا به إلى غير العقل، سبب عن[5] قوله هذا[6] الإنكار عليهم في قوله: ﴿ افلا تعقلون ۝ ﴾.

و لما دعاهم مشيرا إلى ترهيبهم مستدلا على الصدق بنفي الغرض، رغبهم في إدامة [7] الخوف مما [7] مضى بقوله: ﴿ و يقوم ﴾ و من هم

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: بنا - كذا (٢) زيد من ظ و مد (٣ - ٣) في ظ: لم يشا فيه (٤) زيد في ظ: ذلك (٥) في ظ: عنه (٦) في ظ: هـ-ل. (٧-٧) في ظ: الحرف بما.

أعز الناس علىّ و لهم قدرة على ما[1] طلب منهم ﴿ استغفروا ربكم ﴾ أى اطلبوا غفرانه بطاعتكم له لما يجب له باحسانه إليكم. و أشار إلى علو رتبة التوبة بأداة التراخى فقال: ﴿ ثم توبوآ اليه ﴾ أى تسموا عالى هذه الرتبة بأن تطلبوا ستر الله لذنوبكم ثم ترجعوا إلى طاعته بالندم و الإقلاع و الاستمرار ﴿ يرسل السمآء ﴾ أى الماء النازل منها أو السحاب بالماء ﴿ عليكم مدرارا ﴾ أى هاطلة بمطر غزير متتابع ﴿ و يزدكم قوة ﴾ أى عظيمة مجموعة ﴿ الى قوتكم ﴾ ثم عطف على قوله "استغفروا" قوله: ﴿ و لا تتولوا ﴾ أى تكلفوا أنفسكم غير ما جبلت عليه من سلامة[2] الانقياد فتبالغوا فى الإعراض - بما أشار إليه إثبات التاء ﴿ مجرمين ۝ ﴾ أى قاطعين لأنفسكم - ببناء أمركم على الظنون الفاسدة عن[3] خيرات الدنيا و الآخرة.

و لما محّض لهم النصح على غاية البيان، ما كان جوابهم إلا أن ﴿ قالوا ﴾ أى عاد بعد أن أظهر[4] لهم [هود عليه السلام -[5]] من المعجزات ما مثله آمن عليه البشر ﴿ يٰهود ﴾ نادوه باسمه غلظة و جفاء ﴿ ما جئتنا ببينة ﴾ فأوضحوا لكل[6] ذى لب أنهم مكابرون لقويم العقل وصريح النقل، فهم[7] مفترون كما[8] كان العرب يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم بعد أن أتاهم من الآيات[9] على يده ما يفوت الحصر "لو لا انزل عليه

(١) سقط من مد (٢) من ظ، و فى الأصل: سلالة، وفى مد: سلاسة (٣) فى ظ: من (٤) من ظ، و فى الأصل و مد: ظهر (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى مد: كل (٧) فى ظ: فمنهم (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ: الايمان.

آية من ربه" ﴿و ما نحن﴾ و أغرقوا فى النفى فقالوا: ﴿بتاركىٓ الهتنا﴾ مجاوزين لها أو صادرين ﴿عن قولك﴾ و تركهم للعطف بالفاء - المؤذنة بأن الأول سبب للثانى أى الواو فى قولهم: ﴿و ما نحن لك﴾ أى خاصة، و أغرقوا فى النفى فقالوا: ﴿بمؤمنين ۝﴾ - دليل على أنهم تركوا اتباعه[1] عنادا، لا[2] أنهم يعتقدون أنه لم يأت ببينة؛ [و إلى ذلك يرشد أيضا تعبيرهم بالاسمية التى تدل على الثبات فاذا نفى لم ينتف الأصل -[3]]؛ و البينة: الحجة الواضحة فى الفصل بين الحق و الباطل، و البيان / : فصل المعنى /٦٤٩ من غيره حتى يظهر[4] للنفس محررا مما سواه، و الحامل على ترك البينة بعد ظهورها صد[5] الشبهة عنها أو تقليد الرؤساء فى دفعها و اتهام موردها أو[6] اعتقاد أصول فاسدة تدعو إلى جحدها أو العناد للحسد و نحوه، و الجامع له كله وجود الشبهة.

و لما قالوا هذا الكلام البين الفساد من غير تعرض لنقض ما قال لهم بنوع شبهة، كان كأنه قيل لهم: هذا الذى قلته لكم و هو لا أبين منه و لا أعدل، افرضوا أنه ما ظهر[7] لكم صحته فما تقولون إنه حملنى عليه مع أن فيه منابذتكم و أنتم أولاد عمى و أعز الناس علىّ؟ فقالوا: ﴿ان نقول الا اعترٰىك﴾ أى أصابك و غشيك غشيانا التصق [8]بك التصاق[8] العروة بما هى فيه مع التعمد و القوة ﴿بعض الهتنا بسوٓء ط﴾ من نحو الجنون و الخبال[9] فذاك الحامل لك على[10] النهى عن عبادتها.

(١) فى ظ: اتبعوه (٢) فى ظ: الا (٣) زيدت من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: تظهر (٥) فى ظ: بل (٦) من مد، و فى الأصل و ظ «و» (٧) فى ظ: اظهر (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى ظ و مد: الخبل. (١٠) فى ظ: عن.

و لما كان الطبع البشرى قاضيا بأن الإنسان يخشى ممن مسه بسوء و هو يتوهم أنه قادر على ضرره فلا يواجهه بما يكره، [و كان قولهم محركا للسامع إلى الاستعلام عن جوابه لهم، استأنف سبحانه الإخبار عنه بقوله -[1]]: ﴿قال﴾ نافيا لما قالوا مبينا أن آلهتهم لا شيء ضاما لهم معها، و أكد لأنهم بحيث لا يظنون أن أحدا [لا -[1]] يقول ما قاله ﴿انىٓ اشهد الله﴾ أى الملك الأعظم ليقوم عذرى عنده [[2]- و عدل أدبا مع الله عن أن يقول: و أشهدكم - لئلا يتوهم تسوية - إلى صيغة الأمر تهاونا بهم فقال -[2]]: ﴿و اشهدوآ﴾ [أى -[1]] أنتم لتقوم الحجة عليكم لأيكم و يبين[3] عجزكم و يعرف كل أحد أنكم بحيث يتهاون بكم و بدينكم و لا يبالى بكم و لا به ﴿انى برىٓء مما تشركون﴾ و بين سفولها[4] بقوله: ﴿من دونه﴾ كائنا ما كان و من كان، فكيف إذا لم يكن إلا جمادا ﴿فكيدونى﴾ حال كونكم ﴿جميعا﴾ أى فرادى إن شئتم أو مجتمعين أنتم و آلهتكم.

و لما كانت المعاجلة فى الحرب أهول، و كان شأنها أصعب و أخطر، بين عظمها بأداة التراخى فقال: ﴿ثم لا تنظرون﴾ و الكيد: طلب [5]الغيظ بالسر[5] فى مكر، و هذه الآية من أعلام النبوة الواضحة لهود عليه السلام. فكأنه[6] قيل: هب أن آلهتنا لا شيء، فما حملك على الاجتراء

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، و فى ظ: فقالوا (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: بين (٤) من ظ ومد، و فى الأصل: عقولها (٥-٥) من مد، و فى الأصل: الفيض بالسر، و فى ظ: الغيظ بالسل (٦) فى ظ: فكان.

على مخالفتنا نحن و أنت تعلم كثرتنا و قوتنا و أنت لا تزيد على أن تكون[1] واحدا منا فقال: ﴿ انى ﴾ أى جسرت[2] على ذلك لأنى ﴿ توكلت ﴾ معتمدا[3] ﴿ على الله ﴾ الملك المرهوب عقابه الذى لا ملك سواه و لا رب غيره؛ و بين إحاطة ملكه بقوله: ﴿ ربى و ربكم ط ﴾ أى الذى أوجدنا و دبر أمورنا قبل أن يخلقنا[4] فعلم ما يعمل[5] كل منا فى حق الآخر لأنه ﴿ ما من دآبة ﴾ أى صغرت أو كبرت ﴿ الا هو ءاخذ ﴾ أى أخذ قهر[6] و غلبة ﴿ بناصيتها ط ﴾ أى قادر عليها، و قد صار الأخذ بالناصية عرفا فى القدرة، لأن الكل جارون[7] مع مراده لا مع مرادهم بل لا ينفك أحد عن كراهة لبعض ما هو فيه فدل ذلك قطعا على أنه بغير مراده و إنما هو بمراد قاهر قهره على ذلك و هو الملك الأعلى سبحانه؛ و الناصية: شعر[8] مقدم الرأس، و من[9] أخذ بناصيته فقد انقاد لآخذه لا يستطيع ميلا ﴿ ان ﴾ أى لأن ﴿ ربى ﴾ أى المحسن إلىّ بما أقامنى فيه ﴿ على صراط ﴾ أى طريق واسع بين ﴿ مستقيم ﴾ ظاهر أمره لكل أحد لا لبس فيه أصلا و لا خلل و لا اضطراب و لا اعوجاج[10] بوجه، فلذلك كان كل من فى الكون يتألهه و يدعوه و يخافه[11] و يرجوه و إن اتخذ بعضهم من دونه شركاء، و أما ما يعبد من دونه فلا يعظمه إلا عابده، و أما غير عابده فانه لا يقيم له وزنا؛ فصح بهذا أنه غالب

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: يكون (٢) من ظ ومد، و فى الأصل: حرب. (٣) فى مد: متعمدا (٤) من مد. وفى الأصل: نخلقها، وفى ظ: يخلقها (٥) فى ظ: يعلم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: قهرا (٧) فى ظ: جبارون (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: صفة (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: ممن (١٠) فى ظ: عوج (١١) فى ظ: يخالفه.

على كل شيء [غلبة -[١]] يعلمها كل موجود من غير خفاء أصلا ، فهو مرجو مرهوب باجماع العقلاء بخلاف معبوداتكم ، و الحاصل أنه يلزم الصراط[٢] المستقيم الظهور ، فيلزم عدم الاختلاف لانتفاء اللبس ، فمن كان عليه كان علىّ[٣] القدر شهير الأمر ، بصيرا بما يريد ، مع الثبات و التمكن ، مرهوب العاقبة ، مقصودا بالاتباع و المحبة ، من لم/ يقبل إليه ضل ، و من ٦٥٠/ أعرض عنه أخذ لكثرة أعوانه و عز سلطانه ، فظهرت قدرته على عصمة من يتوكل عليه و عجز معبوداتهم معهم ، لأن نواصى الكل بيده و هو ربها و ربهم و رب كل شيء ،[٣] فقد انطبق ختام الآية على قولهم "ما جئتنا ببينة" ردا له لأن من كان على صراط مستقيم لم يكن شيء أبين من أمره ، و على جوابه فى توكله و ما فى حيزه أتم انطباق ؛ و الناصية : [٤]مقدم الشعر من الرأس ، و[٤] أصلها الاتصال[٥] من قولهم : مفازة تناصى مفازة - إذا كانت متصلة بها .

و لما استوفى تشييد أمره و هدم قولهم ، أخذ يحذرهم فقال مبينا أن العدول عما جاء به لا يكون إلا بمعالجة الطبع السليم : ﴿فان[٦] تولوا﴾ و لو أدنى تولية - بما يشير إليه حذف التاء ، فعليكم اللوم دونى ، لأنى فعلت ما علىّ ﴿ فقد ﴾ أى بسبب أنى قد ﴿ ابلغتكم[٧] مآ[٨]﴾ أى كل شيء

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من مد (٣) سقط من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) فى ظ و مد : الايصال (٦) من القرآن الكريم وظ ، وفى الأصل ومد : وان (٧) من ظ ومد و القرآن الكريم ، وفى الأصل : بلغتكم (٨) تأخر فى الأصل عن « كل شيء » و الترتيب من ظ و مد .

﴿ ارسلت ﴾ أى تقدم[1] إرسالى من[2] عند من لا مرسل فى الحقيقة غيره ﴿ بـه اليكم ط ﴾ كاملا لم أدع منه شيئا رجاء لإقبالكم و لا خوفا من إعراضكم، فأبيتم إلا التكذيب لى[3] و الاستكبار عما جئت به، فالذى أرسلنى ينتقم منكم فيهلككم ﴿ و يستخلف ربى ﴾ أى يوجد المحسن إلىّ باقامتى فيما يرضيه ﴿ قوما غيركم ج ﴾ يخلفونكم فى دياركم و أموالكم، فتكونون أعداءه، و يكون المستخلفون متعرضين لأن يكونوا أولياء [مع كونهم ذوى بأس و قوة ـ[4]] فيختص الضرر بكم ﴿ و لا تضرونه ﴾ أى الله باعراضكم ﴿ شيئا ط ﴾ ثم علل وعيده لهم بقوله مؤكدا لأن العاصى فاعل بعصيانه فعل[5] من يظن[6] أن الله غافل عنه : ﴿ ان ربى ﴾ أى المحسن إلىّ المدبر لمصالحى.

و لما كان الأهم فى هذا السياق بيان استعلائه و قدرته، قدم قوله : ﴿ على كل شىء ﴾ صغير أو كبير جليل أو حقير ﴿ حفيظ ۝ ﴾ أى عالم بكل شىء و قادر على كل شىء [و ـ[4]] بالغ الحفظ له، فيعلم ما يعمل محفوظه فيجازيه بما يستحق من نعمه و نقمه، فهو تعليل لاستخلاف غيرهم و تنزهه عن لحوق ضرر، لأن الحفظ : الحراسة، و يلزمها العلم و القدرة، فمن القدرة حافظ العين، أى[6] لا يغلبه نوم، و الحفيظة ـ للحمية و الغضب، و منهما[7] معا المحافظة ـ للمواظبة على الشىء؛ و التولى عن الشىء : الذهاب إلى غير جهته إعراضا عنه؛ و الإبلاغ : إلحاق الشىء نهايته؛

(١) من ظ ومد، و فى الأصل : بعدم ـ كذا (٢) سقط من ظ (٣) سقط من مد (٤) زيد من ظ ومد (٥) فى ظ : ظن (٦) فى مد : ان (٧) فى ظ : منها.

و الاستخلاف : جعل الثانى بدلا من الأول يقوم مقامه ؛ و الضر[1] : إيجاب الألم بفعله أو التسبب له .

و لما تم ذلك كان كأنه قيل : فلم يرجعوا و لم يرعووا لبينة و لا رغبة و لا رهبة فأنزلنا بهم أمرنا ﴿ و لما جآء امرنا ﴾ أى وقت إرادتنا لإهلاك عاد ﴿ نجينا ﴾ أى تنجية عظيمة بما لنا من العظمة ﴿ هودا و الذين اٰمنوا ﴾ كائنين ﴿ معه ﴾ فى الإيمان و النجاة من قومهم فلم يقدروا أن يصلوا إليهم بسوء مع اجتهادهم فى ذلك و إعجابهم بقواهم و يقال : إن [2]الذين آمنوا[2] كانوا أربعة آلاف .

و لما كان سبحانه [بحيث -[3]] لا يجب عليه لأحد شىء لأنه لا يقدر أحد[4] أن يقدره حق قدره و إن اجتهد فى طاعته ، فان طاعته نعمة منه عليه ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ برحمة مناج ﴾ تحقيقا لتوكل عبدنا ؛ و لما بين إنجاءهم من قومهم بين إنجاءهم مما أهلكهم به فقال [مكررا ذكر التنجية دلالة على أن عذابهم كان فى غاية الفظاعة -[3]] : ﴿ و نجينٰهم[5] ﴾ أى بما لنا من العظمة ، و بين فظاعة ما أهلك به أعداءهم بقوله : ﴿ من عذاب غليظ ﴾ أى أهلكنا به مخالفيهم و هو الريح الصرصر ، و هذا أولى[6] من حمله على عذاب الآخرة لما يأتى من قوله "و من خزى يومئذ" كأنهم كانوا إذا رأوا مخايل العذاب قصدوا نبيهم و من آمن به ليهلكوهم قبلهم كما

(١) فى ظ : الضرر (٢ - ٢) فى ظ و مد : المؤمنين (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : نجاهم (٦) من ظ ، و فى الأصل : ادل ، و فى مد : اول .

صرح به فى قصة صالح ؛ و النجاة : السلامة من الهلاك ؛ و حقيقة الغلظة[1] عظم الجثة ، فاستعير للعذاب لثقله على النفس و طول مكثه .

و لما تمت قصتهم على هذا الوجه البديع و الأسلوب / المطرب[2] ، / ٦٥١ قال تعالى عاطفا على قوله " تلك من انبوء الغيب" : ﴿و تلك عاد قف لا﴾ أى قصة القوم البعداء[3] البغضاء ، ما كنت تعلمها على هذا التفصيل أنت و لا قومك و لا أهل الكتاب ، و إنما نفيت عن أهل الكتاب لأنهم لا يعلمون إلا ما له أصل عن أنبيائهم ، و هذه و قصة ثمود ليستا فى التوراة و لا شىء من أسفار أنبيائهم ، و سألت بعض[4] علمائهم فلم أجد عنده شيئا من علمها و لا حرفا واحدا و لا سمع بعاد و لا هود ، وتلخيص قصتهم أنهم ﴿ جحدوا ﴾ أى كذبوا عنادا و[5] استهانة ﴿بايٰت ربهم﴾ المحسن إليهم ﴿و عصوا رسله ﴾ فان من عصى واحدا منهم فقد عصى الكل لاتفاقهم على أمر واحد مع التساوى فى[5] مطلق المعجزة ﴿ و اتبعوآ ﴾ أى بغاية جهدهم ﴿ امر كل جبار ﴾ أى قاهر بليغ القهر[5] يجبر غيره على ما يريد ، و هذا يدل على أنه لا عذر فى أصل الدين بوجه فان الضمائر لا يعلمها إلا الله [فيمكن كل أحد[6] مخالفة الجبار فيه -[7]] ﴿ عنيد ه ﴾ أى طاغ باغ لا يقبل الحق بوجه ، فأهلكوا و لم يمنعهم تجبرهم و لا أغنى عنهم عنادهم و تكبرهم ﴿ و اتبعوا ﴾ جميعا بعد

---

(١) فى ظ و مد : الغلظ (٢) فى مد : المضطرب (٣) زيد فى مد : اى (٤) زيد بعده فى مد : القوم (٥) سقط من ظ و مد (٦) من مد ، وفى ظ : واحد . (٧) زيد من ظ و مد .

إهلاكهم بأيسر وجه لعظيم قدرة المتبع ﴿ فى هذه الدنيا ﴾ حقرها فى هذه العبارة بما أشارت إليه الإشارة مع[١] التصغير ، و بما دل على الدنو و بأن من اغتر بها فهو ممن وقف مع الشاهد لما له من الجمود ﴿لعنة﴾ أى طردا و بعدا و إهلاكا[٢] ﴿و يوم القيمة[٤]﴾ أى كذلك بل[٣] أشد ، فكأنه قيل : أفما لمصيبتهم من تلاف ؟ فقيل : لا ، ﴿ الآ ﴾ مفتتحا[٤] للاخبار عنهم بهذه الأداة التى لا تذكر إلا بين يدى كلام يعظم موقعه و يحل[٥] خطبه ، و التأكيد فى الإخبار بكفرهم تحقيق لحالهم ، و فيه من أدلة النبوة و أعلام الرسالة الرد على طائفة قد حدثت[٦] بالقرب من زماننا يصوّبون جميع الملل و خصوا عادا هذه لكونها أغناهم بأن قالوا : إنهم من المقربين إلى الله و إنهم بعين الرضى [منه -[٧]] ، فالله المسؤل فى الادالة عليهم و شفاء الصدور منهم ، وهم [٨]أتباع ابن عربى[٨] الكافر العنيد أهل الاتحاد ، المجاهرون بعظيم الإلحاد ، المستخفون برب العباد ، فلذلك قال تعالى مبينا لحالهم بيانا لا خفاء معه : ﴿ ان عادا كفروا ﴾ و لم يقصر الفعل ، بل عداه إعظاما لطغيانهم فقال : ﴿ ربهم[٤] ﴾ أى غطوا [جميع أنوار -[٧]] الظاهر الذى لا يصح أصلا خفاءه لأنه لانعمة على مخلوق إلا منه ، [فكان كفرهم أغلظ الكفر ، و مع ذلك فلم ينثن هود عليه السلام عن إبلاغهم جميع ما أمر به و لاترك شيئا مما أوحى إليه فلك به أسوة حسنة[٩] و فيهم قدوة -[٧]] ، و من كفر من

---

(١) فى مد : من (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : هلاكا (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل « و » (٤) فى ظ ومد : افتتاحا (٥) فى ظ : يجعل (٦) فى مد : حشت .
(٧) زيد من ظ و مد (٨-٨) فى ظ : كبعض (٩) ليس فى ظ .

أحسن إليه بعد بعدا لا قرب معه.

و لما كان الأمر عظيما و الخطب جليلا، كرر الأداة التى تقال[1] عند الأمور الجليلة فقال: ﴿الا بعدا لعاد﴾ [هو -[2]] من بعد[3] - [4]بكسر العين[4] إذا كان بعده[5] بالهلاك، و بينهم بقوله: ﴿قوم هود ﴾ تحقيقا لهم[6] لأنهم عادان: الأولى و الآخرة، و إيماء إلى أن استحقاقهم للابعاد بما جرى لهود عليه السلام معهم من الإنكار و الدعاء عليهم بعد الهلاك كناية [7]عن الإخبار[7] بأنهم كانوا مستحقين[8] للهلاك؛ و الجحد: الخبر عما[9] يعلم صحته أنه لا يعلمها، و هو ضد الاعتراف [10]كما أن[10] النفى ضد الإثبات، فهو خبر بمجرد العدم فهو أعم؛ و العصيان خلاف ما أمر به الداعى على طريق الإيجاب؛ و اللعنة: الدعاء بالإبعاد، و أصلها الإبعاد من الخير؛ و الاتباع: جعل الثانى على أثر الأول، و الإبلاغ أخص منه، و المراد هنا بلوغها لهم لأن الذى قضى بذلك قادر و قد ألحق بهم عذاب الدنيا المبعد لهم من مظان الرحمة.

و لما انقضت قصة عاد على ما أراد سبحانه، أتبعها[11] قصة من كانوا عقبهم فى الزمن و مثلهم فى سكنى[12] أرض العرب و عبادة الأوثان و المناسبة فى الأمر المعذب به لأن الموصل للصيحة[13] إلى الأسماع هو الريح

---

(١) فى مد: يقال (٢) زيد من ظ ومد (٣) سقط من ظ (٤-٤) من ظ ومد، و فى الأصل: بالكسر (٥) فى مد: بعدوا (٦) زيدت الواو فى ظ (٧-٧) من ظ ومد، و فى الأصل: بالاخبار (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: متحققين. (٩) فى ظ: مما (١٠-١٠) فى ظ: كان (١١) فى ظ: اتبعه (١٢) من مد، و فى الأصل وظ: سكن (١٣) من ظ ومد، وفى الأصل: الصحبة.

و فى خفاء[1] أمرهم . مفصلا على أهل ذلك الزمان فقال : ﴿ و الى ﴾ أى[2] و لقد أرسلنا إلى[3] ﴿ ثمود اخاهم ﴾ و بينه[4] بقوله : ﴿ صٰلحا ﴾ ثم أخرج قوله صلى الله عليه و سلم على تقدير سؤال فقال : ﴿ قال يٰقوم ﴾ أى
/٦٥٢ يا من[5] يعز علىّ أن يحصل لهم سوء ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى الملك الأعظم وحده لأن عبادتكم له مع غيره ليست بشىء ؛ ثم استأنف تفسير ذلك فقال : ﴿ ما لكم ﴾ و أغرق فى النفى فقال : ﴿ من اله غيره ﴾ جريا على منهاج الدعاة إلى الله فى أصل الدين . و هو إفراد المنعم بالعبادة .

و لما أمرهم[6] بذلك ، ذكرهم قدرته و نعمته مرغبا مرهبا فقال : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ انشاكم ﴾ أى ابتدأ خلقكم ﴿ من الارض ﴾ بخلق آدم عليه السلام منها بغير واسطة و بخلقكم من المنى [من الدم -[7]] و هو من[2] الغذاء و هو من النبات و هو من الأرض كما أنشأ[8] أوثانكم منها ﴿ و ﴾ رفع مقداركم عليها بأن ﴿ استعمركم ﴾ أى أهلكم[9] لما لم يؤهل[10] له الأوثان من أن تكونوا[11] عمارا ﴿ فيها ﴾ فلا تنسوا حق إلهكم[12] و ما فضلكم به من حق أنفسكم بخضوعكم لما لا[13] يساويكم فكيف بمن أنشأكم و إياها ؛ و الإنشاء : الابتداء بالإيجاد من غير استعانة بشىء من الأسباب .

و لما بين لهم سبحانه عظمته . و كان الشيطان قد شبه عليهم أنه لعظمته لا يوصل إليه إلا بوسيلة كما هو حال الملوك و ألقى إليهم أن الأوثان

(١) فى ظ : اخفاء (٢) سقط من ظ (٣) سقط من مد (٤) فى ظ : بينهم (٥) فى ظ : قوم (٦) فى ظ : امر لهم (٧) زيد من ظ و مد (٨) من مد ، و فى الأصل : انشالكم ، و فى ظ : انشاكم (٩) فى ظ : اهلكهم (١٠) فى ظ : لم توهل ، و فى مد : لم يتوهل (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يكونوا (١٢) فى ظ : آلهتكم . (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم .

وسائل

وسائل، نفى ذلك مبينا طريق الرجوع إليه بقوله: ﴿فاستغفروه﴾ أى فأقبلوا بكل قلوبكم عليه طالبين أن يستر ذنوبكم؛ وذكر شرط المغفرة بقوله مشيرا بأداة البعد إلى عظيم المنزلة: ﴿ثم توبوآ﴾ أى ارجعوا بجميع قلوبكم ﴿إليه﴾ ثم علل ذلك بلطفه وعطفه ترغيبا فى الإقبال إليه فقال مؤكدا لأن من يرى إمهاله للعصاة يظن الظنون ومن عصاه كان عمله[1] عمل من ينكر قربه وإجابته: ﴿إن ربى﴾ الذى أخلصت[2] له العبادة لإحسانه إلىّ وأدعوكم إلى الإخلاص له لإحسانه إليكم ﴿قريب﴾ من كل من أقبل إليه من غير حاجة إلى معاناة مشى ولا حركة جارحة ﴿مجيب﴾ لكل من ناداه لا كمعبوداتكم[3] فى الأمرين معا.

ولما دعاهم إلى الحق ونصب لهم عليه من الأدلة ما هم به معترفون وذكرهم نعمه مومئا إلى التحذير من نقمه، وسهل لهم طريق الوصول[4] إليه، ما كان جوابهم إلا أن سلخوه من طور البشرية لمحض[5] التقليد، فلذلك استأنف الإخبار[6] عن جوابهم بقوله: ﴿قالوا﴾ أى ثمود ﴿يٰصٰلح﴾ نادوه باسمه قلة أدب منهم وجفاء ﴿قد كنت فينا﴾ أى فيما بيننا إذا تذاكرنا أمرك[7] ﴿مرجوا﴾ أى فى حيز من يصح أن يرجى أن يكون فيه خير وسؤدد ورشد وصلاح، واستغرقوا الزمان فحذفوا الجار وقالوا: ﴿قبل هذآ﴾ أى الذى دعوتنا إليه فأما بعد هذا فانسلخت من هذا العداد؛ ثم بينوا ما أوجب سقوطه عندهم بقولهم منكرين إنكار

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: عليه (٢) فى ظ: اخصت (٣) فى ظ: كمعبودتكم، وفى مد: كمعبوداتهم (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ ومد: بمحض (٦) فى ظ: الاجبار (٧) زيد فى مد: له.

محترق[1] ﴿ اتنهنآ ﴾ اى مطلق نهى ﴿ ان نعبد ﴾ أى دائما ﴿ ما يعبد اٰبآؤنا ﴾ و عبروا بصيغة المضارع تصويرا للحال كأن آباءهم موجودون فلا تمكن مخالفتهم[2] إجلالا لهم، فأجلوا من يرونه سببا قريبا فى وجودهم ولم يهابوا[3] من أوجدهم و آباءهم أولا من الأرض و ثانيا من النطف، ثم خولهم فيما هم فيه، ثم فزعوا - فى أصل الدين بعد ذكر الحامل لهم على الكفر المانع لهم من تركه - إلى البهت بأن[4] ما يوجب القطع لكل عاقل من آيته[5] الباهرة لم يؤثر عندهم إلا ما هو دون الظن فى ترك إجابته، فقالوا مؤكدين لأن شكهم حقيق بأن ينكر لأنه فى أمر واضح جدا لا يحتمل الشك أصلا : ﴿ و اننا لفى شك ﴾ [و -[6]] زادوا التأكيد بالنون و اللام و بالإشارة بالظرف إلى إحاطة الشك بهم ﴿ مما ﴾ و لما كان الداعى واحدا و هو صالح عليه السلام [7]لم يلحق بالفعل[8] غير نون واحدة هى[9] ضميرهم بخلاف ما فى سورة إبراهيم عليه السلام فلذلك قالوا : ﴿ تدعونآ اليه ﴾ من عبادة الله وحده ﴿ مريب ۝ ﴾ أى موقع فى الريبة وهى قلق النفس و انتفاء الطمأنينة باليقين ؛ و الرجاء : تعلق النفس
٦٥٣ / لمجىء الخير على / جهة الظن، و نظيره الأمن و الطمع ؛ و النهى : المنع من[10] الفعل بصيغة [11]"لا تفعل"[11] .

---

(١) فى ظ : محترق، و زيد بعده فى الأصل : بقولهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) زيد فى ظ : فى (٣) فى ظ : لم تهابوا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : بانه (٥) فى مد : آياته (٦) زيد من ظ و مد (٧) العبارة من هنا إلى «إبراهيم عليه السلام» ساقطة من ظ (٨) فى مد : الفعل (٩) من مد، و فى الأصل : على (١٠) فى مد : عن (١١-١١) فى ظ : الفعل .

و لما أبرزوا له أمرهم فى قالب الشك على سبيل الجزم ، قابلهم بمثله على سبيل الفرض [إنصافا لهم لئلا يلائم الخطاب حال المخاطبين -[١]] ، فاستأنف سبحانه الإخبار عنه بذلك فى قوله : ﴿ قال ﴾ أى صالح نادبا لهم إلى النظر فى أمره برفق ﴿ يٰقوم ارءيتم ﴾ أى أخبرونى ﴿ ان كنت ﴾ [٢]أورده بصيغة الشك لأن خطابه للجاحدين[٢] ﴿ على بينة من ربى ﴾ أى المحسن إلى[٣] ، لا شك عندى فيها ﴿ و اٰتٰنى منه رحمة ﴾ أى أوامر هى سبب الرحمة ﴿ فمن ينصرنى ﴾ و أظهر موضع الإضمار و عبر بالاسم الأعظم لاقتضاء[٤] المقام التهويل فقال : ﴿ من الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ ان عصيته‍ﻢ ﴾ أى أن[٣] وقوعكم فى الشك [على زعمكم -[٥]] حماكم على هيئة الإباء فى التلبس[٥] بأعمالهم[٦] مع زوالهم و اضمحلالهم و لو كانوا موجودين و عصيتموهم لم تبالوا بهم ، و أما أنا فالذى [٧]أمرنى بعبادته[٧] حى قادر على جزاء من يطيعه أو يعصيه ، و أقل ما يحمل على طاعته الشك فى عقوبته ، و هو كاف للعاقل فى ترك الخطر ﴿ فما ﴾ أى فتسبب عن نهيكم لى[٣] عن الدعاء إليه سبحانه أنكم ما[٨] ﴿ تزيدوننى ﴾ بذلك شيئا فى عملى بما ترومونه[٩] منى من عطفى عنه باتباعكم فى عملكم أو الكف عنكم لأصير فى عداد من يرجى عندكم ممن له عقل ﴿ غير تخسير ﴾ أى إيقاعى فى الخسارة على هذا التقدير : فلا تطمعوا فى تركى لشىء من مخالفتكم ما دمتم

(١) زيد من ظ ومد (٢-٢) فى ظ ومد : ذا يقين و استعلاء (٣) سقط من ظ . (٤) فى مد : اقتضاء (٥) من مد . و فى الأصل وظ : التلبيس (٦) فى ظ : باعمالكم (٧ - ٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : نامرنى عبادته - كذا (٨) سقط من مد (٩) فى ظ : ترمونه .

على ما أنتم عليه، و الآية كما ترى ناظرة إلى قوله تعالى " فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك ".

و لما أخبرهم أن معصية الله خسران، ذكرهم[1] أمر الناقة التى أخرجها سبحانه لهم[2] من الأرض شاهدا على كونهم مساوين للأوثان فى كونهم منها مفضلين عليها بالحياة محذرا لهم من شديد انتقامه فقال: ﴿ويـٰقوم هذه﴾ إشاره إلى حاضر، و ذلك بعد أن أخرجها لهم سبحانه عند ما دعاه صالح عليه السلام؛ و بين الإشارة بقوله: ﴿ناقة الله﴾ أى الملك الأعلى، ثم بنى حالا من "ءاية" مقدما عليها لئلا يكون صفة لها فقال: ﴿لـكم﴾ أى خاصة لنظركم إياها عند ما خرجت و لكل من سمع بها بعدكم، و ليس الخبر كالمعاينة، أشير إليها حال كونها ﴿ءاية﴾ بكون الله تعالى أخرجها لكم من صخرة، و هى عشراء على حسب[3] ما اقترحتم و أنتم تشاهدون و بكونها تنفرد بشرب يوم، و تنفردون[4] كلكم بشرب يوم، و تنفرد برعى يوم، و تنفرد[5] جميع الحيوانات من دوابكم و وحوش بلادكم برعى يوم الى غير ذلك مما أنتم له مبصرون و به عارفون ﴿فذروها﴾ أى اتركوها على أىّ حالة كان[6] تركـكم لها ﴿تاكل﴾ [أى[7] مما أرادت -[8]] ﴿فىٓ ارض الله﴾ أى الملك الذى له الأمر كله التى خلقها منها ﴿ولا تمسوها بسوٓء﴾ و الأكل: مضغ يقع عنه بلع؛ و المس[9] مطلق الإصابة و يكون بين الحيوان وغيره، و اللمس أخص منه لما فيه من الإدراك

(١) زيد فى ظ و مد: ان (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: سبب (٤) فى ظ: تنفرد؛ (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: ينفرد (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: يكون؛ (٧) ليس فى ظ (٨) زيد من ظ و مد (٩) فى ظ: السوء.

فياخذكم

﴿ فياخذكم ﴾ أى فيتسبب عن ذلك أن يأخذكم ﴿ عذاب قريب ﴾ أى من[1] زمن إصابتكم لها بالسوء؛ ثم أشار إلى قرب مخالفتهم لأمره فيها بقوله مسببا عن أوامره و نواهيه و معقبا: ﴿فعقروها ﴾ أى الناقة ﴿ فقال ﴾ أى [عند - [2]] بلوغه الخبر ﴿ تمتعوا ﴾ أى [أنتم - [2]] تعيشون ﴿ فى داركم ﴾ أى داركم[3] هذه، و هى بلدة الحجر ﴿ ثلثة ايام[4] ﴾ أى بغير زيادة عليها، فانظروا ما ذا يغنى عنكم تلذذكم و ترفهكم و إن اجتهدتم فيه .

و لما كان كأنه قيل : هل فى هذا الوعيد مثنوية[4]، قال مجيبا : ﴿ذلك ﴾ أى الوعد العالى الرتبة فى الصدق و الغضب ﴿ وعد غير مكذوب ﴾ أى فيه؛ و التمتع: التلذذ بالمدركات الحسان من المناظر و الأصوات و غيرها مما يدرك بالحواس، و سميت البلاد دارا لأنها جامعة لأهلها - كما تجمع الدار - و يدار فيها، و أشار إلى تعقب العذاب للأيام و تسببه[5] عن الوعيد المعين بقوله: ﴿ فلما جآء امرنا ﴾ بالفاء / [٦٥٤] بخلاف ما فى قصة هود و شعيب عليهما السلام، أى مع مضى الأيام كان أول ما فعلنا أن ﴿ نجينا ﴾ بما لنا من العظمة أولياءنا ﴿ صلحا و الذين امنوا[6] معه ﴾ من كيد قومهم، [و بين أن[7] إحسانه سبحانه لا يكون إلا فضلا منه بقوله - [2]] : ﴿ برحمة منا ﴾ و ذلك أنه عليه السلام قال لهم: تصبحون

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: فى (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ ومد (٤) فى ظ : مشوبة (٥) من ظ و مد ؛ و فى الأصل: تنبيه (٦) سقط من ظ (٧) ليس فى مد .

غدا يوم مؤنس[1] - يعنى الخميس - و وجوهكم مصفرة ، ثم تصبحون[2] يوم عروبة - يعنى الجمعة - و وجوهكم محمرة ، ثم تصبحون يوم شبار و وجوهكم مسودة ، ثم يصبحكم العذاب يوم أول - أى الأحد - فقال التسعة رهط الذين عقروا الناقة : هلم فلنقتل صالحا ، فان كان صادقا عجلناه قبلنا[3] ، و إن كان كاذبا قد [كنا - [4]] ألحقناه بناقته ، فأتوه ليلا ليبيتوه فى أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطأوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح : أنت قتلتهم ! ثم هموا به فقامت عشيرته[5] دونهم و لبسوا السلاح و قالوا لهم[6] : و الله لا تقتلونه[7] أبدا فقد وعدكم أن العذاب يكون بكم بعد ثلاث ، فان كان صادقا لم تزيدوا[8] ربكم عليكم إلا غضبا ، و إن كان كاذبا فأنتم وراء ما تريدون ، فانصرفوا فلما أصبحت وجوههم مصفرة عرفوا أنه قد صدقهم ، فطلبوه ليقتلوه فجاء إلى بطن منهم يقال له ' بنوغنم ' فنزل على سيدهم [رجل -[9]] فغيبه عنده[10] ، فعدوا على أصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه فقالوا : يا نبى الله ! إنهم يعذبوننا لندلهم عليك ، أ فندلهم ؟ قال :

---

(١) من ظ و مد و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٢/٢١١ ، و فى الأصل : موس (٢) فى ظ : يصبحون (٣) من المعالم ، وفى الأصول الثلاثة : قبلها (٤) زيد من ظ و مد و المعالم (٥) من ظ ومد و المعالم ، و فى الأصل : غيرته (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : لا تقتلوه (٨) من ظ ومد والمعالم ، وفى الأصل : لم يزيدوا (٩) زيد من المعالم (١٠) فى المعالم : عنهم .

نعم، فدلوهم عليه فأتوه فقال الغنمي[1]: نعم[2] عندي و لا سبيل إليه، فتركوه و شغلهم عنه ما أنزل الله بهم - [كذا - [3]] [4]ذكر ذلك[4] البغوي عن ابن إسحاق و وهب و غيرهما مطولا.

و لما ذكر نجاتهم من كل هلكة، ذكر نجاتهم من خصوص ما عذب به قومهم[5] فقال: ﴿و من﴾ أي و نجيناهم من ﴿خزي﴾ أي ذل[6] و فضيحة ﴿يومئذ ط﴾ أي يوم إذ جاء أمرنا باهلاكهم بالصيحة و حل بهم دونهم فرقا [بين - [7]] أوليائنا[8] [و - [7]] أعدائنا، [و حذف 'نجينا' هنا يدل على أن عذابهم دون عذاب عاد - [7]]؛ ثم عقب ذلك بتعليله إهلاكا و إنجاء باختصاصه بصفات القهر و الغلبة و الانتقام فقال: ﴿ان ربك﴾ أي المحسن إليك كما أحسن إلى الأنبياء من[2] قبلك ﴿هو﴾ أي وحده ﴿القوى﴾ فهو يغلب كل شيء ﴿العزيز ه﴾ أي القادر على منع غيره من غير أن يقدر أحد عليه أو على الامتناع منه، من عز الشيء أي امتنع، و منه العزاز - للأرض الصلبة الممتنعة بذلك عن التصرف فيها؛ و الخزي: العيب الذي تظهر فضيحته[9] و يستحيي من مثله؛ ثم بين إيقاعه بأعدائه بعد إنجائه لأوليائه فقال معظما الأخذ بتذكير الفعل: ﴿و اخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ و أشار[10] إلى عظمة هذه الصيحة

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: الغنم، و في المعالم: أباهدب (٢) سقط من ظ.
(٣) زيد من ظ (٤ - ٤) في ظ: ذكره (٥) في ظ: قومه (٦) في ظ: ذلة.
(٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و في الأصل: اوليا - كذا (٩) في ظ: نصيحته (١٠) في الأصل: اشارة، و العبارة مع ضم هذه الكلمة إلى «علامة التأنيث» ساقطة من ظ و مد.

باسقاط علامة التأنيث و سبب عنها[1] قوله: ﴿ فاصبحوا فى ديارهم جثمين ﴾ أى ساقطين على وجوههم ، و قيل : جاثين على الركب موتى لا حراك بهم ، و تقدم سر التعبير بالديار مع الصيحة و الدار مع الرجفة فى الاعراف ، و خصت هود بما ذكر فيها لأن لمقصودها[2] أعظم نظر[3] إلى التفصيل ، وكل من الديار و الصيحة أقرب إلى ذلك .

و لما كان الجثوم كناية عن الموت أوضحه بقوله : ﴿ كأن ﴾ أى كأنهم[4] ﴿ لم يغنوا ﴾ أى يقيموا أغنياء لاهين بالغناء ﴿ فيها ﴾ ثم نبه - على ما استحقوا به ذلك لمن لعله يغفل فيسأل - بقوله مفتتحا بالأداة التى لا تقال إلا عند الأمور الهائلة : ﴿ الآ ان ثمودا ﴾ قراءة الصرف دالة على الاستخفاف بهم [لطيشهم فى المعصية -[5]] ﴿ كفروا ربهم ﴾ أى أوقعوا التغطية و الستر على المحسن إليهم بالخلق و الرزق و الإرسال و هو الظاهر و بصفاته[6] و أفعاله ، فلا يخفى على أحد أصلا ، [فايصال الفعل دون قصره كما فى أكثر أضرابه بيان لغلظة كفرهم -[5]] ؛ ثم كرر ذلك تأكيدا له و إعلاما بتأييد[7] هلاكهم بقوله : ﴿ الا بعدا لثمود ﴾ ترك صرفهم فى قراءة غير الكسائى إيذانا بدوام لبثهم فى الطرد و البعد؛ و الصيحة : صوت / عظيم من فم حى ، [8]و الجثوم لدوام مكان واحد أو السقوط على الوجه ، ٦٥٥/ و قيل: القعود على الركب[8]؛ و قال "اصبحوا" زيادة فى التخويف و التأسيف

---

(١) فى مد : عنه (٢) فى ظ : بمقصودها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : نظرا (٤) فى ظ : كانوا (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : صفاته (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بابيدها - كذا (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

بما

بما وقع لهم من التحسير لو أدركه أحد منهم لأن الإنسان يفرح إذا أصبح بقيامه من نومه مستريحا قادرا[1] على ما يريد من الحركات للاستمتاع بما يشتهي من التصرفات ، فأصبح هؤلاء - بعد هذه الصفة على ما قص الله - خفوتا أجمعين كنفس واحدة رجالا و نساء صغارا وكبارا كأنهم[2] لم يكونوا [أصلا ، و لا أصدروا فصلا [3]و لا وصلا[3] كأنهم لم يكونوا -[4]] للعيون قرة ، و لم يعدوا في الأحياء مرة كأن لم [5]يغنوا أي[5] يقيموا لانقطاع آثارهم إلا ما بقي من أجسادهم الدالة على الخزي ؛ و المغاني : المنازل ، و أصل الغناء : الاكتفاء ؛ و معنى ' الا ' التنبيه[6] ؛ قال الرماني : [5]و هي ألف الاستفهام دخلت على ' لا ' فالألف تقتضي معنى ، و ' لا ' تنفي معنى ، فاقتضى الكلام بهما معنى التنبيه[5] مع نفي الغفلة - انتهى . و كان حقيقته - و الله أعلم - أن ' لا ' دخلت على ما بعدها فنفته[7] ، ثم دخلت عليها همزة الإنكار فنفتها ، و من المعلوم أن نفي النفي إثبات فرجع المعنى كما كان على أتم وجوه [التنبيه و -[8]] التأكيد ، لأن إثبات المعنى بعد نفيه آكد من إثباته عريا عن النفي و لا سيما إذا كان المفيد لذلك الإنكار ، و هذا المعنى[9] مطرد في [' ألا ' -[4]] العرضية و ' هلا ' التخصيصية و نحوهما ، و يمشي[10] في كل صلة بأن تردها[11] إلى أصل مدلولها في اللغة ثم تتصرف[12] بما يقتضيه الحال -

(١) في ظ : قادر (٢) في ظ : فانهم (٣-٣) ليس ما بين الرقمين في ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيدت الواو بعده في الأصل ، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : فنفيه (٨) زيد من مد (٩) في ظ : معنى (١٠) في ظ : لمشي (١١) من ظ و مد ، و في الأصل : يردها (١٢) من مد ، و في الأصل و ظ : يتصرف .

و الله الهادى! [1]و لما جاز الصرف فى ثمود باعتبار أنه اسم أبى القبيلة و عدمه باعتبار إطلاقه على القبيلة اختير الصرف فى النصب فقط لخفته[1] .

و لما انقضت القصة على هذا الوجه الرائع، أتبعها قصة لوط عليه السلام إذ كانت أشهر الوقائع بعدها و هى أفظع منها و أروع، و قدم عليها ما يتعلق بها من أمر إبراهيم عليه السلام و ذكر[2] بشراه لما فى ذلك كله من التنبيه لمن تعنت بطلب إنزال الملائكة فى قولهم[3] "اوجاء معه ملك" على أن ذلك ليس عزيزا عليه . و قد أكثر من فعله و لكن نزولهم مرهب[4]، و أمرهم عند المكاشفة مرعب، و أما مع الستر فلا يقطع تعنتهم[5]، هذا مع ما فى ذلك من مناسبة أمر هذا الولد لأمر الناقة فى تكوين كل منهما بخارق[6] للعادة إشارة إلى تمام القدرة و كمال العلم المبنى عليه أمر السورة فى إحكام الكتاب و تفصيله و تناسب جدالى نوح و إبراهيم عليهما السلام فى أن كلا منهما شفقة على الكافرين و رجاء لنجاتهم من العذاب بحسن[7] المثاب، و لعله سبحانه كرر ' لقد ' فى صدرها عطفا على ما فى قصة نوح للتنبيه على مثل هذه الأغراض، لأن ' قد ' للتوقع[8] فجاءت لتؤذن بأن السامع[9] فى حال توقع لذلك لأنه إذا انقضت قصة توقع الخبر عما بعدها فقال تعالى: ﴿ و لقد ﴾ قال الرمانى: و دخلت اللام لتأكيد الخبر كما يؤكد

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل « ذ » كذا (٣) فى ظ : قوله (٤) فى ظ : مرتاب (٥) فى ظ : نعتهم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : لخارق (٧) فى ظ : بحسب (٨) من ظ، و فى الأصل : المتوقع، و فى مد : للتوقع (٩) فى ظ : للسامع .

القسم ﴿ جآءت رسلنآ ﴾ أى الذين[١] عظمتهم من عظمتنا ، قيل : كانوا جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل عليهم السلام ﴿ ابرٰهيم ﴾ هو[٢] خليل الله عليه السلام ﴿ بالبشرى ﴾ أى التى هى من أعظم البشائر و هى إكرامه باسحاق عليه السلام ولدا له من زوجته سارة رضى الله عنها ، [جاءوه -[٣]] فى الصفة التى يحبها و هى صفة الأضياف ، فلم يعرفهم مع أنه الخليل بل أنكرهم كما قال تعالى فى الذريٰت " قال سلٰم قوم منكرون[٤] " فيحمل إنكاره أولا على الاستغراب بمعنى أنه لم ير عليهم زىّ أهل تلك البلاد و لا أثر السفر، فكأنه قيل : ما كان من أمرهم ؟ فقيل : ﴿قالوا سلٰما[٥] ﴾ أى سلمنا عليك سلاما عظيما ﴿ قال سلٰم ﴾ أى ثابت دائم عليكم لا زوال له أبدا ، فللرفع مزية على النصب لأنه إخبار عن ثابت ، و النصب تجديد ما لم يكن ، فصار مندرجا / فى " فحيوا باحسن منها " ثم أكرم نزلهم / ٦٥٦ و ذهب يفعل ما طبعه الله عليه من سجايا الكرم و أفعال الكرام فى أدب الضيافة من التعجيل مع الإتقان ﴿ فما لبث ﴾ أى [فتسبب عن مجيئهم و تعقبه أنه -[٦]] ما[٧] تأخر ﴿ ان جآء بعجل حنيذ ۝ ﴾ أى مشوى على حجارة محماة فى أخدود [و فوقه حجارة محماة ليشتد نضجه ، فكان بعد الشئ -[٦]] يقطر[٨] دسمه لأنه سمين ، كل ذلك و هو لا يعرف أنهم ملائكة ، بل هو قاطع بأنهم ممن يأكل ، و هذا ناظر إلى قول قوم[٩] نوح

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : الذى (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ ومد غير أن فى الأخرى «جاءوها» (٤) آية ٢٥ (٥) راجع سورة ٤ آية ٨٦ (٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: فما (٨) فى ظ : يطر (٩) سقط من ظ .

"و ما نرى لكم علينا من فضل" و قوله "و لا اقول للذين تزدرى اعينكم" الآية ، أي أن[1] الله جعل المعانى فى القلوب و ناط بها السعادة و الشقاوة ، و قد تخفى تلك المعانى كما خفى على أكمل أهل ذلك الزمان أن ضيفه ملائكة حتى خاف منهم و قد أتوه بالبشرى ، فلا ينبغى لأحد أن يحتقر أحدا إلا بما أذن الله فيه .

و لما وضع الطعام بين أيديهم لم يلموا به ﴿ فلما رآ ايديهم ﴾ أي الرسل [عقب الوضع سواء[2] -] ﴿ لا تصل اليه ﴾ أى [إلى -[3]] العجل الذى وضعه ليأكلوه ﴿ نكرهم ﴾ أى اشتدت نكارته لهم[4] و انفعل لذلك ، و هذا يدل على ما قال بعض العلماء : إن نكر أبلغ من أنكر[5] ﴿ و اوجس ﴾ أي أضمر [6]مخفيا فى قلبه[6] ﴿ منهم خيفة ﴾ [أى عظيمة -[2]] لما رأى من أحوالهم و شاهد من جلالهم، [و أصل الوجوس: الدخول -[2]] ، و الدليل - على أن خوفه كان لعلمه بالتوسم أنهم ملائكة نزلوا لأمر يكرهه من تعذيب من يعز عليه أو نحو هذا - أنهم ﴿ قالوا لا تخف ﴾ ثم عللوا ذلك بقولهم: ﴿ انآ ارسلنآ ﴾ أى ممن لا يرد أمره ﴿ الى قوم لوط ﴾ فانهم نفوا الخوف عنه بالإعلام بمن أرسلوا إليه ، لا [1] بكونهم ملائكة ، قالوا[1] ذلك و بشروه[7] بالولد ﴿ و امراته ﴾ أى [جاءته الرسل بالبشرى أى ذكروها له -[2]] و الحال أن زوجة إبراهيم التى هى كاملة المروءة و هى سارة ﴿ قآئمة ﴾ قيل: على باب الخيمة [لأجل -[2]] ما لعلها

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ ومد (٣) زيد من ظ (٤) سقط من مد .
(٥) فى ظ : نكر (٦-٦) فى ظ: فى قلبه مخفيا (٧) فى ظ : بشرف .

تفوز به من المعاونة على خدمتهم، فسمعت البشارة بالولد التى دل عليها فيما مضى قوله " بالبشرى " ﴿ فضحكت ﴾ أى تعجبت من تلك البشرى لزوجها[١] مع كبره، و ربما ظنته من غيرها لأنها - مع أنها كانت عقيما - عجوز[٢]، فهو من إطلاق المسبب على السبب [إشارة إلى أنه تعجب عظيم -[٣]] ﴿ فبشرنـٰها ﴾ أى فتسبب[٤] عن تعجبها أنا أعدنا لها البشرى مشافهة بلسان الملائكة تشريفا لها و تحقيقا أنه منها ﴿ باسحٰق ﴾ تلده ﴿ و من ورآء اسحٰق يعقوب ﴾ أى يكون يعقوب ابنا لإسحاق، و الذى يدل على [ما -[٣]] قدّرته - من أنهم بشروه بالولد قبل امرأته فسمعت فعجبت - ما يأتى عن نص التوراة، و الحكم العدل على ذلك كله قوله تعالى فى الذٰريٰت " قالوا لا تخف و بشروه بغلام عليم فاقبلت امراته فى صرة فصكت وجهها[٥] " - الآية.

و لما شافهوها بذلك، صرحت[٦] بوجه العجب من أنه جامع بين عجبين فى كونه منه[٧] و منها بأن ﴿ قالت يٰويلتىٓ ﴾ و هى كلمة تؤذن بأمر فظيع تخف على أفواه النساء و يستعملنها إلى اليوم، لكنهن غيرن فى لفظها كما[٨] غير كثير من الكلام؛ و الويل: حلول الشر، و الألف فى آخره بدل عن ياء الإضافة، كنى بها هنا[٩] عن العجب الشديد لما فيه من الشهرة و مراجعة[١٠] الظنون؛ و قال الرمانى[١١]: إن

(١) فى ظ: لزوجه (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: عجوزا (٣) زيد من ظ و مد (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: تسبب (٥) آية ٢٨ و ٢٩ (٦) فى مد: خرجت (٧) سقط من مد (٨) فى ظ: لا (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ: مزاحمة. (١١) فى ظ: الكرمانى.

معناها الإيذان بورود الأمر الفظيع كما تقول العرب : يا للدواهي ! أي تعالين فانه من أحيانك لحضور ما حضر من أشكالك .

و لما كان ما [1]بشرت به[1] منكرا في نفسه بحسب العادة قالت : ﴿ ءالد وانا ﴾ أي و الحال أني ﴿ عجوز و هذا ﴾ أي من هو حاضري[2] ﴿ بعلي شيخا[5] ﴾ [3]ثم ترجمت[3] ذلك بما هو نتيجته فقالت [مؤكدة لأنه - لما له من خرق العوائد - في حيز المنكر عند الناس -[4]] : ﴿ ان هذا ﴾ أي الأمر المبشر به ﴿ لشيء عجيب ﴾ فكأنه قيل : فما ذا[5] قيل لها ؟ فقيل : ﴿ قالوآ ﴾ أي الملائكة متعجبين من تعجبها ﴿ اتعجبين من امر الله ﴾ أي الذي له الكمال كله ، و هو لا ينبغي لك لأنك[6] معتادة من[7] الله بما ليس لغيركم من الخوارق ، و العجب إنما يكون مما خرج عن أشكاله و خفي سببه ، و أنت - لثبات علمك بالسبب الذي هو قدرة الله على كل شيء و حضوره / ٦٥٧ لديك مع اصطفاء الله لكم و تكرر خرقه للعوائد في شؤنكم - لست كغيرك[8] ممن ليس كذلك ؛ ثم عللوا إنكارهم لتعجبها بقولهم : ﴿ رحمت الله ﴾ أي كرامة الذي له الإحاطة بصفات الجلال و الإكرام ﴿ و بركته ﴾ أي خيراته النامية الثابتة ﴿ عليكم ﴾ و بينوا خصوصيتهم باسقاط أداة النداء [مدحة[9] لهم فقال -[4]] : ﴿ اهل البيت[5] ﴾ قد تمرتم[10] على مشاهدة العجائب لكثرة ما ترون من آثاره بمثل ذلك

(١-١) في ظ : يشرب منه (٢) في مد : حاضر يرى - كذا (٣-٣) في ظ : اى ترجمة ، و في مد : ترجمت (٤) زيد من ظ ومد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : لانه (٧) في ظ : عن (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : كغيرى (٩) في ظ : فرحة (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : تمرنهم .

و غيره ؛ [ثم علل إحسانه إليهم مؤكدا تثبيتا لأصل الكلام الذي أنكرته فقال -[1]] : ﴿ انه ﴾ أي بخصوص هذا الإحسان ﴿ حميد مجيد ﴾ [أي -[1]] كثير التعرف إلى من يشاء من[2] جلائل النعم و عظيم المقدور بما يعرف أنه مستحق الحمد على المجد ، و هو الكرم الذي ينشأ عنه الجود ، فلما سمعوا ذلك و اطمأنوا ، أخذ في قص ما كان بعده ، فقال مشيرا بالفاء إلى قلة[3] زمن الإنكار الذي هو سبب[4] الفزع : ﴿ فلما ذهب ﴾ بانكشاف الأمر ﴿ عن ابرٰهيم الروع ﴾ أي الخوف و الفزع الشديد ﴿ و[5] جآءته البشرى ﴾ فامتلأ سرورا ﴿ يجادلنا ﴾ أي أخذ يفعل معنا بمجادلة رسلنا فعل المجادل الذي يكثر كلامه إرادة لفتل مخاطبه عما يقوله[6] ﴿ في قوم لوط ﴾ أي يسألنا في نجاتهم سؤالا يحرص فيه حرص المجادل في صرف الشيء ، من[7] الجدل و هو الفتل ، و وضع المضارع موضع الماضي إشارة إلى تكرر المجادلة مع[8] تصوير الحال ، أي جادلنا فيهم جدالا كثيرا ؛ ثم علل مجادلته بقوله : ﴿ ان ابرٰهيم لحليم[9] ﴾ أي بليغ الحلم ، و هو إمهال صاحب الذنب على ما يقتضيه العقل ﴿ اواه ﴾ أي رجاع للتأوه خوفا من التقصير ﴿ منيب ﴾ أي رجاع إلى الله بالسبق في ارتقاء درج القرب ، فهو - لما عنده هذه المحاسن - لا يزال يتوقع الإقلاع من العصاة .

و لما [كان -[10]] أكثر المجادلة لما عنده من الشفقة على عباد الله لما له

(١) زيد من ظ ومد (٢) في ظ : ما (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : قرب .
(٤) في ظ : زمن (٥) سقطت الواو من مد (٦) في ظ و مد : يقول (٧) في ظ ومد : ممن (٨) في ظ : في (٩) من ظ ومد والقرآن الكريم ، و في الأصل : حليم .
(١٠) زيد من ظ .

من هذه الصفات الجليلة ، أعلمه الله أن الأمر قد حتم بقوله حكاية أن الرسل قالت له بعد طول[1] المجادلة منادين بالأداة التى هى أم الباب إعلاما بأن ما بعدها عظيم الشأن عالى[2] المنزلة : ﴿ يٰابرٰهيم اعرض ﴾ أى بكليتك ﴿ عن هذا ج ﴾ أى السؤال فى نجاتهم ؛ ثم علل ذلك بقوله[3] مؤكدا لأنه بمجادلته فى حيز من [4]ينكربتّ[4] الأمر : ﴿ انه قد ﴾ افتتحه[5] بحرف التوقع لأنه موضعه ﴿ جآء امر ربك ﴾ أى الذى عودك باحسانه الجم ، فلو لا أنه حتم الأمر[6] بعذابهم لأمهلهم لأجلك ، و لذا[7] عطف على العلة قوله مؤكدا إعلاما بأنه أمر[8] قد انبرم و مضى : ﴿ و انهم اٰتيهم ﴾ أى إتيانا ثابتا ﴿ عذاب غير مردود ه ﴾ أى بوجه من الوجوه من أحد كائنا من كان ؛ و الإعراض : الانصراف ، و حقيقته الذهاب عن الشيء فى جهة العرض ؛ و الرد : إذهاب الشيء إلى ما جاء منه كالرجع ؛ و الدفع أعم لأنه قد يكون إلى جهة القدام ؛ فلما علم مراد الله تعالى فيهم ، قدمه على مراده و لم ينطق بعده ببنت شفة .

ذكر هذه القصة من التوراة : قال فى السفر الأول[9] : و استعلن الله لإبراهيم فى مرج - و فى نسخة : بين بلوط ممرى الأمورانى - و كان جالسا على باب خيمته إذ اشتد النهار ، فرفع عينيه فنظر فاذا هو بثلاثة رجال وقوف على رأسه ، فلما رآهم أحضر إليهم من باب الخيمة

(١) فى ظ : طلوع (٢) فى ظ : على (٣) زيد بعده فى ظ : لا (٤-٤) فى الأصل : منكرت ، و فى ظ و مد : ينكرتب (٥) فى ظ : افتتح (٦) سقط من مد . (٧) فى مد : كذا (٨) سقط من ظ (٩) راجع الأصحاح الثامن عشر.

و سجد

و سجد على الأرض و قال: يارب - و فى نسخة : يا ولى الله - إن كان لى عندك مودة فلا تبعد عن عبدك حتى آتى بماء أغسل بـه أرجلكم . واتكئوا تحت الشجرة و أصيبوا شيئا من الطعام تقرون به أنفسكم، ثم حينئذ تجوزون لأنكم مررتم[1] بعبدكم بغتة، فقالوا له: اصنع كما قلت، فاستعجل إبراهيم فأحضر إلى الخيمة إلى سارة و قال : عجلى[2] بثلاثة آصع من درمك[3] - و فى نسخة : دقيق سميد - فاعجنيه و اخبزى منه مليلا[4]، و سعى إلى قطيع البقر فأخذ عجلا سمينا شابا فدفعه إلى الغلام و أمر بتعجيل صنعته و أخذ سمنا و لبنا و العجل الذى / صنع له أيضا فقربه إليهم. وكان هو واقفا / ٦٥٨
بين أيديهم تحت الشجرة و قالوا له : أين سارة امرأتك ؟ فقال : فى الخيمة، فقال له : إنى أرجع إليك فى مثل هذا الحين من قابل و هى فى الحياة ولها منك ابن، فسمعت سارة و هى على باب الخيمة مستترة و كان هو خلفها، وكان إبراهيم و سارة قد شاخا و قدم[5] سنهما و انقطع عن سارة سبيل النساء، فضحكت سارة فى قلبها و قالت : أمن بعد ما بليت أرجع شابة و سيدى قد شاخ ؟ فقال الله لإبراهيم : لم ضحكت سارة و قالت : أنى لى بالولد وقد شخت ؟ أيعسر هذا على الله ؟ إنى أرجع إليك فى [مثل -[6]] هذا الحين من قابل و هى حية و لها ابن، فجحدت سارة و قالت : كلا ! ما ضحكت، لأنها فزعت، فقال : كلا[7] ! و لكنك قد ضحكت، ثم قام

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مرر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عجل .
(٣) فى ظ : إدريكه (٤) فى ظ : ميلا (٥) فى ظ : قدا، و فى مد: قدتم - كذا.
(٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ .

الرجال و تعمدوا طريق سدوم و عامورا ، و انطلق معهم إبراهيم ليشيعهم . و قال الله : [1]أ أكتم[1] عبدي إبراهيم شيئا مما أصنع ؟ و إبراهيم يكون رئيسا لشعب[2] عظيم كبير ، و تتبارك به شعوب الأرض ، لأني عالم أنه يوصي بنيه و أهل بيته من بعده أن يحفظوا طرق الرب ليعملوا[3] بالبر و العدل ، لأن الرب يكمل لإبراهيم جميع ما وعده به . فقال[4] الرب [لإبراهيم - [5]] : لقد وصل إليّ حديث سدوم و عامورا و قد كثرت خطاياهم جدا ، ثم ولى القوم و مضوا إلى سدوم ، و كان إبراهيم بعد واقفا قدام الرب ، [فدنا إبراهيم - [6]] و قال : يا رب ! تهلك الأبرار مع الفجار بغضب واحد ؟ إن كان في القرية خمسون بارا أتهلكهم بغضب واحد ؟ حاشاك[7] يا رب [8]أن تصنع[8] هذا الصنيع و تهلك البرئ مع السقيم[9] ، و يكون البرئ بحال السقيم ، حاشا لك يا حاكم الأرض كلها ! لا يكون هذا من صنيعك ! فقال الرب : إن وجدت بسدوم خمسين بارا في القرية عفوت عن جميع البلد من أجلهم ، فأجاب إبراهيم و قال : إني قد بدأت بالكلام بين يدي الرب ، و إنما أنا تراب و رماد ، فان نقص من الخمسين بارا خمسة تخرب القرية[10] كلها من أجل الخمسة[11] ؟ فقال : لا أخربها إن وجدت بها[12] خمسة [13]و أربعين بارا ، فعاد إبراهيم و قال له : فان وجد فيها أربعون[13] ؟

(١-١) في ظ : لا كتم ، و في مد : لا اكتم (٢) في ظ : لشعيب (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : ليعلموا (٤) في ظ : قال (٥) زيد من مد (٦) زيد من ظ و مد .
(٧) في ظ : حاشاه (٨-٨) في مد : اتصنع (٩) في ظ : المستقيم (١٠) في ظ : الارض
(١١) في ظ : القرية (١٢) في ظ : فيها (١٣-١٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .

[١]فقال : لا أخربها إن وجدت فيها أربعين[١] ، فقال : لا يمكن الرب كلامى فأتكلم ، فان كان هناك[٢] ثلاثون ؟ فقال : لا أخربها إن وجدت فيها ثلاثين ، فقال : إنى قد أمعنت[٣] فى الكلام بين يدى الرب ، فان وجد بها عشرون ؟ فقال : لا أخربها من أجل العشرين ، فقال لا نشقن[٤] على الرب ، فأتكلم هذه المرة يا رب فقط[٥] ، فان وجد بها عشرة رهط[٦] ؟ فقال : لا أفسدها من أجل العشرة ؛ فارتفع استعلان الرب عن إبراهيم لما فرغ إبراهيم من كلامه و رجع إبراهيم إلى موضعه ـ انتهى . و قد مضى أمر حبل سارة و ولادها فى البقرة .

و لما انقضى[٧] أمر إنبائهم[٧] ببشارة الأولياء و هلاك الأعداء ، و علم من ذلك أنهم لا ينزلون إلا للأمور الهائلة و الأحوال المعجبة ، أخذ يقص أمرهم مع لوط عليه السلام ، فقال عاطفا على ما تقديره : فعلوا مع إبراهيم [٨]انفصالهم عن إبراهيم عليه السلام[٨] ما ذكر ، ثم فارقوه نحو لوط ، [و لم يذكر الحرف المصدرى لأن سياقه[٩] و مقصود السورة لا يقتضى ذلك كما نشير إليه فى العنكبوت ـ [١٠]] : ﴿و لما جآءت رسلنا﴾ على ما قارنهم من عظمتنا ﴿لوطا﴾ بعد انفصالهم عن إبراهيم عليه السلام ، و بين البلدين ثمانية أميال ، و قيل : أربعة[١١] فراسخ ، استضافوه [١٢]فلم يجد بدا[١٢]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ و مد : هنالك (٣) ظ : اصفعت .
(٤) من مد ، و فى الأصل : لاشقن ، و فى ظ : لايشقن (٥) سقط من ظ .
(٦) فى مد : ربط (٧-٧) من مد ، و فى الأصل : إبراهيم بيانهم ، و فى ظ : إبراهيم انبائهم ـ كذا (٨-٨) فى ظ : مع السلام (٩) زيد بعده فى مد : السياق .
(١٠) زيد من ظ و مد (١١) فى ظ : اربع (١٢-١٢) فى مد : فلم يجدوا .

من قبولهم على ما أوصى الله بالضيف مطابقا لعوائد [أهل - [1]] المكارم ، فقبلهم و أزمع المقاتلة عنهم لما رأى من حسن أشكالهم و رونق جمالهم مع ما يعلم من قبح أفعال قومه و خبث سرائرهم ، و لما جاءوه على هذه الصفة ﴿ سیٓء بهم ﴾ أی حصلت له المساءة بسبب/ مجيئهم إلى قربته لما يعلم ٦٥٩/
من لؤم أهلها ، و التعبير عن هذا المعنى بالمبنى للفعول أحضر و أوقع فى النفس و أرشق[2] ﴿ و ضاق بهم ذرعا ﴾ أی ذرعه أی اتساعه فی كل [وقت - [3]] قوة أوتيها ، و هو مثل يقال لمن لم يجد من المكروه مخلصا ، و مادة ذرع - بأیّ ترتيب كان - تدور[4] على الاتساع لأنه لا يذرع إلا الكثير ، و ذرع الرمل : اتسع ، و موت ذريع : فاش ، و المذرع : الذى أمه عربية و أبوه غير عربى ، فهو أكثر انتشارا ممن انحصر فی أحدهما ؛ و الذريعة : ما يختلى[5] به الصيد ، فهو يوسع له من الأمل ما يحمله على الإقدام ، و حلقة يتعلم عليها الرمى[6] ، لأنها تسع[7] السهم ، أو لأن مصيبها واسع الأمر فى صناعة الرمى ، و الوسيلة لأنها توصل المتوسل ؛ و الذعر : الخوف ، لاتساع الفكر فيه و تجويز[8] أدنى احتمال ؛ و العذر : إيساع الحيلة فی وجه يزيل ما ظهر من التقصير ، من العذوّر - للحمار الواسع الجوف ، و هو أيضا الملك لسعته ، و العذار[9] : أوسع ما فی الوجه ، و أعذرت الغلام : ختنته[10] ، أی أوسعت

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ارسق (٣) زيد من مد .
(٤) فى ظ : يدوع (٥) فى ظ : يحتظر (٦) فى ظ : الرمس (٧) فى ظ : تسرع (٨) فى ظ : تجوز (٩) زيد بعده فى مد : اتساع الحيلة فى وجه يزيل ما ظهر (١٠) فى ظ : حقنته .

أكرته ، و الإعذار - لطعام الختان و نحوه منه ، و عذرة الجارية موجبة لعذرها فى النفرة[1] للخوف على نفسها ، و العذرة : وجع فى الحلق ، و هو سقوطه حتى يغمز ، كأنه شبه بعذرة البكر فى سده[2] الحلق بما يوجب الغمز ، و كذا العذرة - للناصية لبذل الجهد فى المدافعة عنها ، و العذراء : نجم إذا طلع اشتد الحر فاتسع بساط الأرض ، و العذرة - بفتح ثم كسر : فناء الدار ، و به سمى الحدث ، و العذراء[3] : شيء من حديد يعذب به الإنسان ، كأنه سمى لأنه يوسع الخوف بما يجنب[4] ما يوجب الاعتذار ، فلا تزال تلك الحديدة بكرا لا يوجد من يعذب بها ، و أما عذر - بالتشديد - إذا قصر فهو للسلب ، أى فعل ما لا يوجد له عذر ، و[5] كذا تعذر[5] الأمر أى صعب ، يعنى أنه تجنّب[6] العذر فلم يبق لسهولته[7] وجه ، و أعذر - إذا كثرت عيوبه ، أى دخل فيما يطلب له العذر كأنجد .

و لما ذكر حاله ، ذكر قاله [بقوله -[8]] : ﴿ و قال ﴾ أى لوط ﴿ هذا ﴾ أى اليوم ﴿ يوم عصيب ۝ ﴾ أى شديد جدا لما أعلم من جهالة مَنْ أنا بين ظهرانيهم[9] ، و هو مشتق من العصب و هو أطناب المفاصل و روابطها ، و مداره على الشدة ﴿ و جآءه قومه ﴾ أى الذين فيهم قوة المحاولة ﴿ يهرعون ﴾ أى كأنهم يحملهم على ذلك حامل لا يستطيعون دفعه ﴿ اليه ﴾ أى فى غاية الإسراع فعل الطامع الخائف فوت ما يطلبه ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الصفرة (٢) فى مد : شدة (٣) فى ظ : العذارا . (٤) فى ظ : يجتنب (٥-٥) فى ظ : ذلك العذر - كذا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يجنب (٧) زيد بعده فى مد : صعب - كذا (٨) زيد من ظ و مد . (٩) من مد ، و فى الأصل : ظهرانهم ، و فى ظ : ظهرنيهم - كذا .

فهو يضطرب[1] لذلك، أو لأجل الرعب من لوط عليه السلام أو من الملائكة عليهم السلام.

و لما كان وجدانهم - فكيف عصيانهم - لم يستغرق زمن القبل، أدخل[2] الجار فقال: ﴿ و من قبل ﴾ أى قبل هذا المجيء ﴿ كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ يعملون ﴾ أى مع الاستمرار ﴿ السيئات ﴾ أى الفواحش التى تسوء غاية المساءة فضربوا[3] بها و مرنوا عليها حتى زال عندهم استقباحها، فهو يعرف ما يريدون، و كأنهم كانوا لا يدعون مليحا[4] و لا غيره من الغرباء، فلذلك لم يذكر أن الرسل عليهم السلام كانوا على هيئة[5] المرد الحسان، و لا قيد الذكران فى قصتهم فى موضع من المواضع بالمرودية[6].
فكأنه قيل: فما قال لهم؟ فقيل[7]: ﴿ قال يقوم ﴾ مستعطفا لهم ﴿ هؤلاء بناتى ﴾ حاديا لهم إلى الحياء و الكرم.

و لما كان كأنه قيل: ما نفعل بهن؟ قال: ﴿ هن ﴾ و لما كان فى مقام المدافعة[8] باللين، قال إرخاء للعنان فى تسليم طهارة ما يفعلونه على زعمهم مشيرا بلطافة إلى خبث ما يريدونه: ﴿ اطهر لكم ﴾ و ليس المراد من هذا حقيقته، بل تنبيه القوم على أنهم لا يصلون إليهم إلا إن وصلوا إلى بناته لأن الخزى فيهما[9] على حد سواء أو[10] فى الضيف أعظم، و مثل

(١) فى ظ: يضرب (٢) فى ظ: ادخال (٣) فى ظ: فضروبها، و فى مد: فضروابها (٤) فى ظ: ملتجا، و فى من: ملتجيا (٥) فى ظ: هيئات (٦) سقط من ظ و مد (٧) فى ظ: فقال (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: المرافعة (٩) فى ظ: فيها (١٠) فى ظ «و».

/ هـذا أن يشفع الإنسان فيمن يضرب ، فاذا عظم الأمر ألقى[1] نفسه عليه فصورته أنه فعله ليقيه الضرب بنفسه ، و معناه احترامه باحترامه ، و على هذا يدل قوله فى الآية الأخرى "ان كنتم فعلين" و هنا قوله : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى الملك الأعظم فى هـذا الأمر الذى تريدونه ﴿ و لا تخزون ﴾ أى توقعوا بى الفضيحة التى فيها الذل و الهوان[2] و العار ﴿ فى ضيفى ﴾ إذ لا يشك ذو مسكة من أمره فى أن التقوى إذا حصلت منعت من الأمرين ، و أن الخزى على تقدير عدمها فى البنات أعظم لأنه عار لازم للزوم البنات للاب ، و كل هذا دليل على أنه لا يشك أنهم آدميون و لم يلم بخاطره أنهم ملائكة ، فهو تنبيه للكفار على أنه لا ينتفع بانزال الملائكة إلا البار الراشد التابع للحق ؛ ثم أنكر أشد الإنكار حالهم فى أنهم لا يكون منهم رشيد حثا على الإقلاع عن الغى و لزوم سبيل الرشد[3] فقال : ﴿ اليس منكم رجل ﴾ أى كامل الرجولية ﴿ رشيد ﴾ كامل الرشد [4] ليكفكم عن هذا القبيح[4] ، فلم يكن منهم ذلك ، بل ﴿ قالوا لقد علمت ﴾ أى يا لوط مجرين[5] الكلام على حقيقته غير معرجين على ما كنى به عنه ﴿ ما لنا فى بنتك ﴾ و أغرقوا فى النفى فقالو : ﴿ من حق ﴾ أى حاجة ثابتة ، [و لم يريدوا به[6] ضد الباطل لأن البنات و الضيف فى نفى حقهم عنهم[7] سواء -[8]] ، و أكدوا معلمين بما لهم / ٦٦٠

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٢) فى ظ : الاهوان (٣) فى ظ : الرشاد.
(٤-٤) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « فقال » و الترتيب من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بجرى (٦) سقط من ظ (٧) زيد بعده فى مد : فيه .
(٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .

من الرغبة في الفجور وقاحة[1] و جرأة فقالوا : ﴿ و انك لتعلم ﴾ أي علما لا تشك فيه ﴿ ما نريد ه ﴾ وهو إتيان الذكور[2] للتطرق و التطرف، فحملوا عرضه لبناته على الحقيقة خبثا منهم و شرعوا يبنون على ذلك بوقاحة و عدم مبالاة بالمظائم ، فأخبر تعالى عن قوله لهم على[3] طريق الاستئناف بقوله : ﴿ قال ﴾ [أي - [4]] متمنيا أن يكون له بهم طاقة ليروا ما يصنع من الإيقاع بهم متفجعا على فوات ذلك ﴿ لو ان لى بكم ﴾ أي في[5] دفعكم ﴿ قوة ﴾ بنفسي ﴿ او ﴾ لو أني ﴿ اوىٓ ﴾ من الأعوان و الأنصار ﴿ الى ركن شديد ه ﴾ أي جماعة هم كالركن الموصوف بالشدة لحلت بينكم و بين ما جئتم له ، و حذفه أبلغ لذهاب النفس فيه كل مذهب ؛ و السوء : ما يظهر مكروهه لصاحبه ؛ و العصيب : الشديد في الشر خاصة كأنه التف شره ؛ و القوة خاصة يمكن أن يقع بها[5] الفعل و أن لا يقع ؛ و الركن : معتمد البناء بعد الأساس ، و الركن هنا[6] من هو مثله ؛ و الشدة : مجمع[7] يصعب معه الإمكان ، و وصفه الركن بالشدة و هو يتضمنها تأكيد يدل على أن قومه كانوا في غاية القوة و الجلادة ، و أنه كان يود معاجلتهم لو قدر . وذلك أن مادة "ركن" بكل ترتيب تدور على الرزانة ، من ركن - بالضم بمعنى رزن ، و يلزمها القوة ، و منه الركن للجانب الأقوى و الأمر العظيم و ما يتقوى به من ملك و جند و غيره و العز

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : الذكر (٣) من ظ ومد، وفي الأصل : عن .
(٤) زيد من ظ ومد (٥) في مد : فيها (٦) من ظ ومد ، و في الأصل : هذا .
(٧) من ظ و مد ، و في الأصل : تجمع .

والمنعة

و المنعة ، و من ذلك النكر بالضم للدهاء و الفطنة ، و النكر للنكر و الأمر الشديد و ما يخرج من الزحير من دم أو قيح ، و نكر الأمر : صعب و طريق ينكور[١] : على غير قصد ، و المنكر ضد المعروف[٢] لأن الشيء إذا جهل صعب أمره ، و تناكر القوم : تعادوا ، و التنكر[٣] : التغير من حال يسر إلى حال يكره[٤] ، و المكنر - كمحدث : الضخم السمج ، و يلزم الرزانة أيضا الميل و السكون ، و منه ركن إليه - بالفتح : مال و سكن ، و ركن بالمنزل - بالكسر : أقام ؛ و الكنارة - بالكسر و التشديد : الشقة من ثياب الكتان ، لأنه يمال إليه لبهجته ، و كذا الكنارات للعيدان و الطبول ، و الكران ككتاب للعود أو الصنج[٥] ، أو يكون ذلك من الشدة لقوة أصواتها - و الله أعلم .

فلما عظم الشقاق و ضاق الخناق كان كأنه قيل : فما قال له الرسل ؟ فقيل : ﴿ قالوا ﴾ و دلوا بحرف النداء الموضوع للبعد على أنه كان قد خرج عن الدار و أجاف بابها و أن الصياح كان شديدا ﴿ يلوط ﴾ إنك لتاوي إلى ركن / شديد ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم : / ٦٦١
﴿ انا رسل ربك ﴾ أى المحسن إليك باحسانك وكل ما ترى[٦] مما يسوءك و يسرك ؛ ثم لما ثبت له ذلك كان من المحقق أنه سبب فى ألا يدانيه معه سوء فأوضحوه بقولهم : ﴿ لن يصلوآ اليك ﴾ من غير احتياج

---

(١) من القاموس ، و فى الأصول : منكور (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ ومد فحذفناها (٣) فى ظ : التنكير (٤) فى ظ ومد : تكره (٥) من القاموس ، و فى الأصول : الصيح (٦) فى ظ : تريد .

إلى الربط بالفاء ، أي و نحن مهلكوهم و قالبو [١]مدنهم بهم[١] ﴿ فاسر ﴾ أي سر[٢] بالليل ماضيا ﴿ باهلك ﴾ موقعا ذلك السير و الإسراء ﴿ بقطع ﴾ أي بطائفة[٣] ، أي و الحال أنه قد بقي عند خروجك جانب ﴿ من الّيل ولا يلتفت ﴾ أي ينظر إلى ورائه و[٤] لا يتخلف ﴿ منكم احد ﴾ أي لا تلتفت أنت و لا تدع أحدا من أهلك يلتفت ﴿ الا امراتك ﴾ استثناء من "احد" بالرفع و النصب لأن المنهى كالمنفى[٥] فى جواز الوجهين ، و النهى له صلى الله عليه و سلم ، [٦]فالفعل بالنسبة إليه منهى ، و بالنسبة إليهم منفى[٦]. [٧]و يمكن أن يكون أخرجها معه لأن معنى الاستثناء أنه غير مأمور بالإسراء بها إلا أنه منهى عنه[٧] ، و استثناءها من الالتفات معهم[٨] مفهم أنه لا حجر عليه فى الإسراء بها ، أو أنه خلفها فتبعتهم و التفتت ، فيكون قراءة النصب من " اهلك " ، و قراءة الرفع من "احد" و لا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات بل مخالفتها للمستثنى منه فى عدم النهى ، و لذلك عللوا ما أفهمه[٩] إهمالها[١٠] من الإسراء و النهى من أنها تلتفت بقولهم مؤكدين لأن تعلق الأمل[١١] بنجاتها [١٢]شديد رحمة لها[١٢]: ﴿ انه ﴾ أي الشأن ﴿ مصيبها ﴾

(١-١) فى ظ : مدتهم به (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : مسرا (٣) فى ظ ومد : طائفة (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : او (٥) سقط من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) سقط من ظ و مد . (٩) زيد بعده فى مد : انهاثنا امر لا ـ كذا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : اهماله (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الامر (١٢ - ١٢) فى ظ : رحمة لها شديدة ، و فى مد : رحمة لها شديد .

لا محالة ﴿ مآ اصابهم ﴾ [سواء التفتت أو لا ، تخلفت أو لا ، ثم ظهر لى من التعبير [1]فى حقها[1] باسم الفاعل و فى حقهم بالماضى أنه حكم باصابة العذاب لهم عند هذا القول للوط عليه السلام لأن ذنوبهم تمت ، و أما هى فانما يبرم الحكم بذلك فى حقها عند تمام ذنوبها التى رتبت عليها الإصابة و ذلك عند الالتفات - [2]] .

و لما عبروا[3] بالماضى تحقيقا للوقوع و تنبيها على أنه تقدم دخولها معهم[4] فى أسباب العذاب ، كان منبها لأن يقال : كان الإيقاع بهم قد دنا [بهم - [2]] جدا؟ فقيل : نعم ، و أكد تحقيقا للوقوع تلذيذا به و لأنه - لقرب الوقت - بحيث ينكر : ﴿ ان موعدهم ﴾ أى لابتداء[5] الأخذ ﴿ الصبح ﴾ و كأن [6]لوطا عليه السلام أبطأ فى جميع أهله و ما يصلحهم ، فكان فعله فعل من يستبعد الصبح ، فأنكروا[6] ذلك بقولهم : ﴿ اليس الصبح بقريب ﴾ أى فأسرع الخروج بمن أمرت بهم ؛ و الإسراء : سير الليل كالسرى .

و لما انقضى تسكين لوط عليه السلام و التقدم إليه فيما يفعل ، أخبر تعالى عن حال قومه فقال : ﴿ فلما جآء امرنا ﴾ بالفاء لما مضى فى قصة صالح عليه السلام من التسبيب و التعقيب ، أى فلما خرج منها لوط بأهله جاءها أمرنا ، و لما جاء أمرنا الذى هو عذابنا و الأمر به ﴿ جعلنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ عاليها ﴾ أى عالى مدنهم و هم فيها

(١ - ١) ليس ما بين الرقمين فى ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .
(٣) فى ظ : عبر (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : معه (٥) فى ظ : للابتداء .
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿سافلها و امطرنا عليها﴾ أى على مدنهم بعد قلبها من أجلهم و سيأتى فى سورة الحجر سر الإتيان هنا بضمير "ها" دون ضمير "هم" ﴿حجارة من سجيل ۙ﴾ أى مرسلة من مكان هو فى غاية العلو ﴿منضود ۙ﴾ بالحجارة هى[1] فيه متراكبة[1] بعضها على بعض حال كونها ﴿ مسومة ﴾ أى معلمة بعلامات تدل على أنها معدة للعذاب من السيما [و السومة -[2]] و هى العلامة تجعل للابل السائمة لتتميز إذا اختلطت فى المرعى ، و فى الذريت " حجارة من طين[3] " و ذلك أن الحجارة أصلها تراب يجعل[4] الله فيه بواسطة الماء [5]قابلية للاستحجار[5] كما جعل فيه قابلية التحول إلى المعدن من الذهب و الفضة و الحديد و غيرها ، فباعتبار أصله[6] هو طين ، و باعتبار أوله حجر و كبريت و نار ، و لعل حجر الكبريت أثقل الحجارة مع ما فيه من قوة النار و قبح الريح ؛ ثم فخمها بقوله : ﴿عند ربك ط﴾ و عبر بالرب إشارة إلى كثرة إحسانه إليه و أنه إنما أمره صلى الله عليه و سلم بالإنذار رحمة لأمته التى جعلها خير الأمم و سيجعلها أكثر الأمم ، و لا يهلكها كما أهلكهم ؛ و مادة سجل - بأى ترتيب كان - تدور على العلو ، من الجلس لما ارتفع عن[7] الغور و هو النجد ، و يلزم منه الغلظ و العلو ، و من الغلظ الجلس للغليظ من الأرض و الجمل الوثيق ، و يلزم العلو التصويب / ٦٦٢ و منه جلس - إذا قعد ؛ و السجل للدلو العظيمة ، و يكون غالبا فى مقابلتها أخرى ، كلما نزلت واحدة طلعت الأخرى ، فتأتى المساجلة [8]بمعنى المباراة و المفاخرة[8] ،

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : متراكبة فيها (٢) زيد من ظ و مد .
(٣) آية ٣٣ (٤) فى ظ : جعل (٥-٥) فى ظ : قابلة الاستحجار (٦) فى ظ : اصلها .
(٧) فى ظ : على (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

[1]و السجل : الضرع العظيم[1] ، و السجل - بالكسر و شد[2] اللام : الكتاب لأنه يذكر فيه ما يكون به المفاخرة و المغالبة ، و سلج الطعام : بلعه ، و السلجان : نبات رخو ، كأنه سمى بذلك لأن أغصانه [تأخذ - [3]] إلى أسفل لرخاوتها ، و قد دل على هذا المعنى فى هذه الآية بثلاثة أشياء : الإمطار ، و لفظ « على » ، و سجيل .

و لما كان المعنى أنها من مكان هو فى غاية العلو ليعظم[4] وقعها ، حسن كل الحسن إتباع ذلك قوله : ﴿ و ما هى ﴾ على شدة بعد مكانها ﴿ من الظلمين[5] ﴾ أى من أحد من العريقين فى الظلم فى ذلك الزمان و لا هذا و لا زمن من الأزمان ﴿ ببعيد ﴾ لئلا يتوهم الاحتياج فى وصولها إلى المرمى بها إلى زمن طويل .

ذكر هذه القصة من التوراة : قال فى السفر الأول بعد ما مضى فى قصة بشرى إبراهيم عليه السلام : فأتى الملكان إلى سدوم عشاء ، و كان لوط جالسا على باب سدوم ، فنظر إليهما لوط فتلقاهما ، ثم خرّ على وجهه ساجدا على الأرض و قال : إنى طالب إليكما يا سيدى ، اعدلا إلى منزل عبد كما فبيتا فيه و اغسلا أقدامكما و بكرا فانطلقا فى طريقكما ، فقالا : كلا ! و لكنا نبيت فى السوق ، فألح عليهما لوط إلحاحا شديدا فانصرفا معه و دخلا منزله فأعد لهما طعاما ، و من قبل وقت الهجوع إذا أهل القرية أهل سدوم قد أحاطوا بالباب من الشبان إلى المشايخ جميع الشعب بأسره ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) فى ظ : بشد (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتعظيم (٥) زيد بعده فى ظ : ببعيد .

فدعوا بلوط و قالوا له : أين الرجلان اللذان أتياك ممسين[1] أخرجهما إلينا فنعرفهما - و في نسخة : حتى نواقعهما - فخرج لوط إليهم و أغلق الباب خلفه ، فقال لهم لوط : لا تسيئوا بي يا إخوة ! هذا لي بنتان لم يمسهما رجل ، أخرجهما إليكم فاصنعوا بهما ما حسن في أعينكم ، و لا ترتكبوا من هذين الرجلين شيئا لأنهما ولجا ظلال بيتي ، فقالوا له : تنح عنا ، إن واحدا أتى ليسكن بيتنا فصار يحكم فينا[2] ، فالآن نسيء إليك أكثر منهما ، فجاهد لوط القوم جدا فدنوا ليكسروا الباب فمد الرجلان أيديهما فأدخلا لوطا إليهما إلى منزله ، ثم إن القوم الذين كانوا بالباب ضربوا بالعشى من كبيرهم حتى صغيرهم فأعيوا في طلب الباب ، فقال الملكان للوط : ما تصنع ههنا ؟ اعمد إلى أختانك و بنيك و بناتك و جميع ما لك في هذه القرية فأخرجهم من هذه البلدة [3]لأنا نريد الخسف بالبلدة[3] لأن فعالهم و خبث صنيعهم قد بلغ الرب ، فأرسلنا الرب لنفسدها . فخرج لوط وكلم أختانه و أزواج بناته و قال لهم : قوموا فاخرجوا من هذه القرية فان الرب مزمع لخرابها ، و كان عند أختانه كالمستهزئ بهم ، فلما كان عند طلوع الصبح[4] ألح الملكان على لوط و قالا له : قم فأخرج امرأتك و ابنتيك اللتين معك لكيلا[5] تبتلى بخطايا أهل هذه[6] القرية ، فأبطأ لوط فأخذ الملكان بيده و بيد امرأته و ابنتيه[7] لأن الله رحمه فأخرجاه و صيراه خارجا عن القرية . فلما أخرجاهم خارجا

(١) من ظ ومد ، و في الأصل : ممسين (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : بيتنا.
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) في مد : الشمس (٥) في ظ : لئلا .
(٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد، و في الأصل : ابنته.

قالا له : انج بنفسك و لا تلتفتن إلى خلفك و لا تقف[1] فى شيء من جميع القـاع ، و التجئ إلى الجبل و خلص نفسك ، فقال لهما لوط : أطلب إليكما يا سيدى أن أظفر الآن لأن[2] عبد كما [3]برحمة و رأفة[3] و كثرت[4] نعماكما إلىّ لتحيي[5] نفسى ، لست أقدر أن أنجو إلى الجبل ، لعل الشر يرهقنى فأموت ، و هذه القرية هى قريبة للهرب إليها و هى صغيرة . أتأذنان لى بالهرب إليها لأنها حقيرة ، فلتحييا نفسى ، فقال له : قد شفعتك فى هذا[6] أيضا فلا أقلب / هذه القرية التى سألت ، أسرع فنج نفسك إلى هناك ، / ٦٦٣
لأنا لسنا نقدر أن نعمل شيئا حتى تدخلها ، و لذلك سميت تلك القرية صاغار - و فى نسخة : زغر - فشرقت الشمس على الأرض و قد دخل لوط صاغار ، و فى نسخة : زغر - فأهبط الرب على سدوم و عامورا نارا و كبريتا من بين يدى الرب [7]من السماء[7] فقلب[8] هذه القرى و القاع[9] بأسره ، و أهلك جميع سكانها و جميع من فيها و جميع نبت الأرض ، فالتفتت امرأته إلى خلفها لتنظر فصارت[10] نصبة ملح ، فأدلج إبراهيم باكرا إلى الموضع الذى كان يقف فيه بين يدى[2] الرب ؛ فمد بصره نحو سدوم و عامورا و إلى جميع أرض القاع فنظر فاذا دخان القرية يرتفع كدخان الأخدود ، فلما خسف الله قرى القاع ذكر الله إبراهيم فأرسل لوطا من المأفوكة إذ قلب الله القرى التى كان[2] ينزلها لوط فطلع [لوط -[11]] من

---

(١) فى ظ : لا تفت (٢) سقط من ظ (٣-٣) فى ظ : برافة و رحمة (٤) من مد ، و فى الأصل : كثر ، وفى ظ : كثرته (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتنجى . (٦) فى ظ و مد : هذه (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ : فقلت . (٩) فى ظ : القلوع (١٠) فى ظ : فصار (١١) زيد من ظ و مد .

صاغار - و في نسخة : زغر - فسكن الجبل هو و [1]ابنتاه معه لأنه[1] تخوف أن يسكن صاغار، لجلس في مغارة[2] .

و لما انتهت القصة معلمة بما قام به لوط عليه السلام من أمر الله غير وانٍ فيه لرغبة و لا رهبة و بما في إنزال الملائكة من الخطر، أتبعت أقرب القصص الشهيرة إليها في الزمن فقال تعالى: ﴿ و الى ﴾ أي و لقد أرسلنا إلى ﴿مدين﴾ و هم قبيلة أبيهم[3] مدين بن إبراهيم عليه السلام ﴿اخاهم شعيبا[4]﴾ فكأن [4]قائلا قال: ما قال لهم[4]؟ فقيل: ﴿قال﴾ ما قال إخوانه من[5] الأنبياء [6]في البداءة[6] بأصل الدين: ﴿ يٰقوم ﴾ مستعطفا لهم مظهرا غاية الشفقة ﴿ اعبدوا الله ﴾ أي الملك الأعلى غير مشركين به شيئا لأنه واحد ﴿ما لكم﴾ و أغرق في النفي فقال[7]: ﴿من اله غيره[7]﴾ فلقد اتفقت - كما ترى - كلمتهم و اتحدت إلى الله وحده دعوتهم، و هذا وحده قطعي الدلالة على صدق كل منهم[8] لما علم قطعا من تباعد أعصارهم و تنائي ديارهم و أن بعضهم لم يُلِمّ[9] بالعلوم و لا عرف أخبار الناس إلا من الحي القيوم؛ قال الإمام شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي في كتابه "رشف [10]النصائح الإيمانية[10] و كشف الفضائح اليونانية" في ذكر الأنبياء: اتحدت مصادرهم[11] كأنهم بنيان مرصوص، عبروا

(١-١) في ظ : نباته مع لان - كذا (٢) من ظ ومد، و في الأصل : مغارها .
(٣) في ظ : ابراهيم، وفي مد : ابوهم (٤-٤) في ظ: وائل فقال ما قالهم - كذا.
(٥) زيد بعده في ظ : ان (٦-٦) في ظ : بالبداءة (٧) زيد بعده في ظ : مالكم.
(٨) في مد: منهما (٩) في ظ : لم يلوم (١٠-١٠) في ظ: المصابيح الابالينت - كذا.
(١١) من ظ و مد، وفي الأصل: مصارهم .

بألسنة

بألسنة مختلفة تنتهي إلى بحر متصل بالقلوب متحد بها يستمد من البحر المحيط بعالمي الشهادة و الغيب ، و اختلف الموارد من الشرائع بحسب ما اقتضت الحكمة الإلهية من مصلحة أهل كل زمان[1] وكل ملة ، فما ضر اختلافهم في الفروع مع اتحادهم في الأصول ، و قال قبل ذلك : إن الفلاسفة لما لم يغترفوا من بحار الأنبياء وقفت بهم أفراس أفكارهم في عالم الشهادة ، فلما حاولوا الخوض في الإلهيات انكشفت عورة جهلهم و افتضحوا باضطرابهم[2] و اختلافهم " تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى " انقطع بهم سير الفكر في منتهى[1] عالم الملك و الشهادة ، و لم يدخل إسكندر نظرهم ظلمات عالم الغيوب حتى يظفروا[3] بعين الحياة التي من شرب منها لايموت - انتهى .

و لما دعا إلى العدل فيما بينهم و بين الله ، دعاهم إلى العدل فيما بينهم و بين عبيده في أقبح ما كانوا قد اتخذوه بعد الشرك دينا[4] فقال : ﴿ و لا تنقصوا ﴾ أي بوجه من الوجوه ﴿ المكيال و الميزان ﴾ لا الكيل ولا [5]آلته و لا الوزن و لا آلته[5] ؛ و الكيل : تعديل الشيء بالآلة في القلة و الكثرة ؛ و الوزن : تعديله في الخفة و الثقل ، فالكيل للعدل في [6]الكمية و الوزن للعدل في[6] الكيفية ؛ ثم علل ذلك بقوله - : ﴿ اني ارىكم بخير ﴾ أي بسعة تغنيكم عن البخس - مرهبا و مرغبا بالإشارة

---

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : باضرابهم (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : نظروا .
(٤) في مد : دينا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد .

إلى أن الكفر موجب للنقمة كما أن الشكر موجب للنعمة .

٦٦٤ / و لما كان كأنه / قيل : فانى أخاف عليكم الفقر بالنقص ، عطف عليه مؤكدا لإنكارهم : ﴿ و انىّ اخاف عليكم ﴾ به و بالشرك ﴿ عذاب يوم محيط ﴾ بكم صغارا وكبارا و بأموالكم طيبا و خبيثا ، أى مهلك كقوله[1] " و احيط بثمره[2] " و أصله من إحاطة العدو ، و وصف اليوم بالإحاطة أبلغ[3] لأنه محيط بما فيه من عذاب و غيره ، و العذاب محيط بالمعذب فذكر المحيط [بالمحيط - [4]] أهول ، و هو الدائر بالشيء من كل جانب ، و ذلك يكون بالتقاء طرفيه ؛ و النقصان : أخذ شيء من المقدار كما أن الزيادة ضم شيء إليه ، وكلاهما خروج عن[5] المقدار ؛ [6]و الوزن : تعديل الشيء بالميزان ، كما أن الكيل تعديله بالمكيال[6]، و من الإحاطة ما رواه ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لم ينقص قوم المكيال و الميزان إلا أخذوا بالسنين و شدة المؤنة و جور السلطان عليهم ، و لم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، و لو لا البهائم لم يمطروا .

و لما كان عدم النقص قد يفهم منه التقريب ، اتبعه بما[7] ينفى هذا الاحتمال و للتنبيه على أنه [لا - [4]] يكفى الكف عن تعمد التطفيف ، بل يلزم السعى فى الإيفاء و لو بزيادة لا يتأتى بدونها ، و لأن التصريح

(١) فى ظ : لقوله (٢) راجع سورة ١٨ آية ٤٢ (٣) سقط من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : على (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) فى ظ و مد : ما .

بالأمر بالشيء بعد النهى عن ضده أوكد ، فقال مستعطفا لهم بالتذكير بأنه منهم يسوءه ما يسوءهم و بأنهم لما أعطاهم الله من القوة جديرون بأن يعرضوا عن تعاطى سفساف الأخلاق و رذائلها: ﴿ و يٰقوم ﴾ أى أيها[1] الذين لهم قوة فى القيام فيما ينوبهم ﴿ اوفوا ﴾ أى أتموا إتماما حسنا ﴿المكيال و الميزان﴾ [أى-[2]] ، [3]المكيل و الموزون[3] و آلتهما؛ و أكده بقوله: ﴿ بالقسط ﴾ أى العدل السوى ، فصار الوفاء مأمورا به فى هاتين الجملتين مرارا تأكيدا له و حرصا عليه و إظهارا لعموم نفعه و شمول بركته ، فزال بالمجموع توهم المجاز على أبلغ وجه ، و قد مضى فى الأنعام و يأتى فى هذه السورة[1] عند "غير منقوص" أن الشيء يطلق مجازا على ما قاربه ؛ ثم أكده أيضا بتعميم النهى عن كل نقص بذلك و غيره فى جميع الأموال[4] فقال: ﴿ ولا تبخسوا ﴾ أى تنقصوا [على وجه الجحد و الإهانة - [2]] ﴿ الناس اشيآءهم ﴾ ثم بين أن أفعالهم ثمرة الهجوم[5] عن غير فكر لأنها ليست ناشئة عن شرع فأولها سفه و آخرها فساد فقال: ﴿ و لا تعثوا فى الارض ﴾ أى تتصرفوا و تضطربوا فيها عن غير بصيرة و لا تأمل حال كونكم ﴿ مفسدين ﴾ أى فاعلين ما يكون فسادا فى المعنى كما كان فسادا فى الصورة ، فهودعاء إلى تقديم التأمل و التروى على كل فعل [و ذلك -[2]] لأن مادة "عثى" بكل ترتيب دائرة على الطلب عن غير[6] بصيرة ، من العيث - للأرض السهلة ، فانها لسهولتها

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣ - ٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : الكيل و الوزن (٤) فى ظ : الامور (٥) فى ظ : اللحوم (٦) فى ظ : كل .

يغتر بها فيسلكها الغبي بلا دليل فيأتي الخفاء و الجهل ، و منه التعييث - لطلب الأعمى الشيء ؛ و الأعثى : الأحمق الثقيل ، و لون إلى السواد ، و الكثير الشعر ، و يلزم ذلك اتباع الهوى فيأتي الإفساد و المسارعة فيه ، و ذلك هو معنى العثى ؛ قال أئمة اللغة : عثى و عاث : أفسد ، و في مختصر العين للزبيدي : عثى في الأرض بمعنى عاث يعيث عيثا ، و هو الإسراع في الفساد ، فالمعنى على ما قال الجمهور : و لا تفعلوا الفساد عمدا و هو واضح ، [1]و على ما قدرته من أصل المعنى الذي هو المدار أوضح[1]. و على ما قال الزبيدي : و لا تسرعوا فيه ، فلا يظن أنه يكون الإسراع حينئذ قيدا حتى ينصب النهي إليه ، بل هو إشارة إلى أنه لا يكون [2]الإقدام بلا[2] تأمل إلا كذلك لملاءمته للشهوة - و الله أعلم ؛ و الوفاء : تمام الحق ؛ و البخس : النقص ، فهو أخص من الظلم لأنه وضع الشيء في غير موضعه .

/٦٦٥ و لما كان نظرهم / بعد الشرك مقصورا على الأموال ، و كان نهيه عما نهى عنه موجبا لمحقها[3] في زعمهم ، كانوا كأنهم قالوا : [4]إنا إذا[4] اتبعناك فيما قلت فنيت أموالنا أو قلت فتضعضعت أحوالنا ، فلا يبقى لنا شيء ؟ فقال : ﴿ بقيت الله ﴾ أي فضل الملك الأعلى [5]المستجمع لصفات[5] الكمال ، و بركته في أموالكم و جميع أحوالكم و إبقاءه عليكم و نظره إليكم الموجب

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) من مد ، و في الأصل : للاقدام بل ، و في ظ : اقدام بل - كذا (٣) في ظ : لحقها (٤-٤) من مد ، و في الأصل : اذا انا ، و في ظ : انا (٥-٥) في ظ : المحيط لصفات ، و في مد : المحيط بصفات .

لعفوه

لعفوه الذى هو[1] ثمرة اتباع أمره ﴿ خير لكم ﴾ مما تظنونه زيادة بالنقص و الظلم ، و ذلك أن بقية الشيء ما فضل منه ، و تكون[2] أيضا بمعنى البقيا[3] ، من أبقى عليه يبقى إبقاء، و استبقيت فلانا - إذا عفوت عن ذنبه ، كأن ذلك الذنب أوجب فناء وده أوفناه عندك ، فاذا استبقيته فقد تركت ما كان وجب ، و يقولون : أراك تبقى هذا ببصرك - إذا كان ينظر إليه - قاله الإمام أبو عبد الله القزاز فى ديوانه الجامع ، و سيأتى فى آخر السورة بيان ما تدور عليه المادة .

و لما كانت[4] خيرية ما يبقيه العدل من الظهور بمحل لا يخفى على ذى لب ، تركها و بين شرطها بقوله : ﴿ ان كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ مؤمنين ﴾ أى راسخين فى الإيمان إشارة إلى أن خيريتها[5] لغير المؤمن مبنية على غير أساس ، فهى غير مجدية[6] إلا فى الدنيا ، فهى عدم لسرعة الزوال و النزوح عنها و الارتحال ، و دلت الواو العاطفة على غير مذكور أن المعنى : فآمنوا فاعلين ما أمرتكم به لتظفروا بالخير فانما أنا نذير ﴿ و مآ انا ﴾ و قدم ما يتوهمونه من قصده للاستعلاء نافيا[7] له فقال : ﴿ عليكم ﴾ و أعرق فى النفى فقال : ﴿ بحفيظ ﴾ أعلم جميع أعمالكم [و أحوالكم -[8]] و أقدر على كفكم عما يكون منها[9] فسادا ؛ [10]و أصل البقية ترك شيء من شيء قد مضى[10] .

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ومد، وفى الأصل : يكون (٣) فى ظ : البقايا (٤) فى ظ : كان (٥) من ظ ومد : وفى الأصل : خيرتها (٦) من ظ ومد، وفى الأصل : محرية (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : ناليا - كذا (٨) زيد من مد (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : منهما (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

و لما كان حاصل ما دعاهم إليه[١] ترك ما كان عليه آباؤهم من السفه في حق الخالق بالشرك و الخلائق بالخيانة ، وكان ذلك الترك[٢] عندهم قطيعة و سفها ، كان ذلك محكا[٣] للعقول و محزا للآراء يعرف به نافذها من جامدها ، فكان كأنه قيل : ما قالوا؟ فقيل : ﴿قالوا يشعيب﴾ سموه باسمه جفاء و غلظة و أنكروا عليه مستهزئين بصلاته ﴿اصلوتك تامرك﴾ أي تفعل معك فعل [من - [٤]] كان[٥] يأمر دائما بتكليفنا ﴿ان نترك ما يعبد﴾ أي على سبيل المواظبة ﴿ابآؤنا او﴾ نترك ﴿ان نفعل﴾ أي دائما ﴿في اموالنا ما نشؤا﴾ من قطع الدرهم و الدينار و إفساد المعاملة و المقامرة و نحوها مما يكون[٦] إفسادا للمال[٦]، يعنون أن ما تأمرنا به لا يمشي على منهاج العقل، فما يأمرك به إلا ما نراك تفعله من هذا الشيء[٧] الذي تسميه صلاة، أي أنه من وادي: فعالك للصلاة[٧]؛ و مادة صلا - واوية و يائية مهموزة [٨]وغير مهموزة بجميع تقاليبها[٨] - تدور على الوصلة ، فالصلاة لصلة العبد بربه ، و كذا الدعاء و الاستغفار ، و صلوات اليهود : كنائسهم اللاتي تجمعهم ، و الصلا : وسط الظهر و مجمعه و ما حول الذنب أيضا ، و المصلي من الخيل : التابع للسابق ، وصال الفحل - إذا حمل على العانة ، و لصوت الرجل و لصيته : عبته ، كأنك ألصقت به العيب ، و الواصلة[٩] واضحة في ذلك ، و كأنها الحقيقة التي تفرعت منها جميع معاني المادة ، و سيأتي[١٠] شرح ذلك عند قوله تعالى "بالغدو و الآصال[١١]"

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : الشرك (٣) في ظ : محكما .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ و مد (٦-٦) من ظ و مد ، وفي الأصل: افاد الكمال (٧) سقط من ظ (٨-٨) في ظ : بتقاليبها (٩) في مد : الوصلة (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : ليأتي (١١) آية ١٥ .

فى سورة الرعد إن شاء الله تعالى، فمعنى الآية حينئذ: أ ما تعانيه من الصلوات[1] : الحقيقية ذات الأركان ، و المعنوية من الدعاء و الاستغفار و جميع أفعال البر الحاملة على أنواع الوصل الناهية عن كل قطيعة تأمرك [2]بمجاهرتنا لآبائنا بالقطيعة[2] مع تقدير حضورهم و مشاهدتهم لما نفعل[3] مما يخالف أغراضهم و بترك التنمية لأموالنا بالنقص و هو مع مخالفة أفعال[4] الآباء تبذير فهو سفه ـ فدارت شبهتهم فى الأمرين على تقليد الآباء و تنزيههم عن الغلط لاحتمال أن يكون لأفعالهم / وجه من الصواب / ٦٦٦ خفى عنهم ، و زادت فى الأموال بظن التبذير ـ فقد صرت بدعائنا إلى كل من الأمرين حينئذ داعيا إلى ضد ما أنت متلبس به ﴿ انك ﴾ إذا ﴿ لانت ﴾ وحدك ﴿ الحليم ﴾ فى رضاك بما يغضب[5] منه ذوو[6] الأرحام ﴿ الرشيد ﴾ فى تضييع الأموال ، يريدون بهذا ـ [كما ـ[7]] زعموا ـ سلخه من كل ما هو متصف به دونهم من هاتين الصفتين الفائقتين[8] بما خيل إليهم سفههم أنه دليل عليه قاطع ، و عنوا بذلك نسبته إلى السفه و الغى على طريق التهكم .

و لما اتهموه بالقطيعة و السفه ، شرع[9] فى إبطال ما قالوا و نفى التهمة فيه ، و أخرج مخرج الجواب لمن كأنه قال : ما أجابهم به ؟ فقيل :

(١) فى ظ : الصلاة (٢-٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمجاهرة آبائنا لقطيعة.
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يفعل (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : تغضب .
(٦) فى الأصل : وذو ، وفى ظ و مد : ذو (٧) زيد لاستقامة العبارة (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الغائبتين (٩) فى ظ : شرعوا .

﴿ قال يقوم ﴾ مستعطفا لهم بما بينهم من عواطف القرابة منبها لهم على حسن النظر فيما ساقه على سبيل الفرض و التقدير ليكون أدعى إلى الوفاق و الإنصاف ﴿ ارءيتم ﴾ أى أخبرونى ﴿ ان كنت ﴾ أى كونا هو فى غاية الثبات ﴿ على بينة ﴾ أى برهان ﴿ من ربى ﴾ الذى أحسن إلىّ بما هو إحسان إليكم، و عطف على جملة الشرط المستفهم عنه قوله ﴿ و[1] ﴾ قد ﴿ رزقنى ﴾ و عظم الرزق بقوله : ﴿ منه رزقا حسنا ﴾ جليلا و مالا جما حلالا لم أظلم فيه أحدا ، و الجواب محذوف لتذهب النفس فيه كل مذهب ، و يمكن أن يقال فيه : هل يسع عاقلا أن ينسبنى إلى السفه بتبذير المال بترك الظلم ، أو يسعنى أن أحلم عمن عبد غيره و أترك دعاءكم إلى الله . فقد بان بهذا أنى ما أمرتكم بما يسوءكم من ترك ما ألفتم و تعرضت لغضبكم كلكم ، و تركت مثل أفعالكم إلا خوفا من غضبه و رجاء لرضاه ، فظهر أن لا تهمة فى شيء من أمرى و لا خطأ ، ما فعلت قط ما نهيتكم عنه فيما مضى ﴿ و مآ اريد ﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿ ان اخالفكم ﴾ أى [بأن - [2]] أذهب وحدى ﴿ الى مآ انهكم عنه ﴾ فى المستقبل ، و ما نقص مال بترك مثل أفعالكم ، فهو إرشاد إلى النظر فى باب :

لا تنه عن خلق و تأتى بمثله عار عليك إذا فعلت عظيم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهيت عنه فأنت حكيم

---

(١) زيدت الواو من ظ و مد و القرآن الكريم (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .

[و قد نبهت هذه الأجوبة الثلاثة[١] على أن العاقل يجب أن يراعى فى كل ما يأتى و يذر أحد حقوق ثلاثة أهمها و أعلاها حق الله و ثانيها حق النفس و ثالثها حق العباد على وجه الإخلاص فى الكل -[٢]] فثبت[٣] ببعده عن التهمة مع سداد الأفعال و حسن المقاصد - حلمه صلى الله عليه و سلم و رشده، فلذلك اتبعه بما[٤] تضمن معناه مصرحا به فقال: ﴿ان﴾ أى ما ﴿ اريد ﴾ أى شيئا من الأشياء ﴿ الا الاصلاح ﴾ و أقر بالعجز فقال: ﴿ما استطعت[٤] ﴾ أى مدة استطاعتى الاصلاح و هو كما أردت فان مالى - مع اجتنابى ما أنتم عليه - صالح، ليس بدون مال أحد منكم، فعلم، مشاهدة أن لا تبذير فى العدل، و أما التوحيد[٥] فهو - مع انتفاء التهمة عنى[٦] فيه - دعاء إلى القادر على كل شيء الذى لا خير إلا منه و لا محيص عن الرجوع إليه؛ ثم تبرأ من الحول و القوة، و أسند الأمر إلى من هو له فقال: ﴿ و ما توفيقى ﴾ أى فيما استطعت من فعل الإصلاح ﴿ الا بالله[٤] ﴾أى الذى له الكمال كله؛ ثم بين أنه الأهل لأن يرجى فقال مشيرا إلى محض التوحيد الذى هو أقصى مراتب العلم بالمبدإ ﴿عليه﴾ أى وحده ﴿ توكلت ﴾ و لما طلب[٧] التوفيق لإصابة الحق فيما يأتى و يذر من[٨] الله و الاستعانة به[٩] فى مجامع أمره و أقبل عليه بكليته و حسم أطماع الكفار عنه و أظهر الفراغ عنهم و عدم المبالاة بهم، و كان فى قوله " ما استطعت "

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) فى ظ و مد: فثبتت (٤) فى ظ و مد: ما (٥) فى ظ: التوجيه (٦) من مد، وفى الأصل وظ: عن (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: علب (٨) فى ظ: فى (٩) سقط من مد.

إقرار بأنه محل التقصير، أخبر بأنه لا يزال يجدد التوبة لعظم الأمر، و عبر عن ذلك بعبارة صالحة للتحذير من يوم البعث تهديدا لهم فقال منبها على معرفة المعاد ليكمل الإيمان بالله و اليوم الآخر: ﴿ و اليه ﴾ أي خاصة ﴿ انيب ﴾ أي أرجع معنى سبق[1] للتوبة و حسا تيقى[2] بالبعث بعد الموت؛ و التوفيق: خلق قدرة ما هو وفق الأمر من الطاعة، من الموافقة للطابقة؛ و التوكل على الله: تفويض الأمر إليه على الرضاء بتدبيره مع التمسك بطاعته[3].

و لما بين لهم عذره بما انتفت به[4] تهمته[5]، / اتبعه بما يدلهم[4] على ٦٦٧ /
أن الحق وضح لهم وضوحا لم يبق معه إلا المعاندة، فحذرهم عواقبها و ذكرهم أمر من ارتكبها فقال: ﴿ و يٰقوم ﴾ و أعز الناس علىّ ﴿ لا يجرمنكم ﴾ أي يحملنكم ﴿ شقاقيٓ ﴾ [أي - [6]] شقاقكم لى على ﴿ ان يصيبكم ﴾ من العذاب ﴿ مثل مآ ﴾ [أي العذاب الذي - [6]] ﴿ اصاب قوم نوح ﴾ بعد طول أعمارهم و تنائى أقطارهم ﴿ او[7] قوم هود ﴾ على شدة أبدانهم و تمادى أمانهم ﴿ او[7] قوم صٰلح ﴾ مع نحتهم البيوت من الصخور و تشييدهم عوالى القصور.

و لما كان للقاربة[8] أثر فى المشاكلة و المناسبة، غير الأسلوب تعظيما للتهويل فقال: ﴿ و ما قوم لوط ﴾ [أي - [6]] على قبح أعمالهم و سوء

---

(١) فى ظ: يبقى (٢) فى ظ: بنفسى (٣) فى ظ: بطاعتك (٤) سقط من ظ. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: التهمة (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل « و » (٨) فى ظ: للقارة.

حالهم و قوة أخذهم و وبالهم ﴿ منكم ببعيد ه ﴾ [أى - [1]] لا فى الزمان و لا فى المكان فأنتم أجدر الناس بذكر حالهم للاتعاظ بها ، و إنما فسرت جرم بحمل لأن ابن القطاع نقل أنه يقال : جرمت الرجل : حملته على الشىء ، و قد عزا الرمانى تفسيرها بذلك للحسن و قتادة ، و يجوز أن تفسر بما تدور[2] عليه المادة من القطع ، أى لا يقطعنكم شقاقى عن[3] اتباع[4] ما أدعوكم إليه خوف أن يصيبكم ، و قد جوزه الرمانى .

و لما رهبهم ، أتبعه الترغيب فى سياق مؤذن بأنهم إن[5] لم يبادروا إلى المتاب بادرهم العذاب ، بقوله عاطفا لهذا الأمر على ذلك النهى المتقدم : ﴿ و استغفروا ربكم ﴾ أى اطلبوا ستر المحسن إليكم ، و نبه على مقدار التوبة بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم توبوآ اليه ط ﴾ ثم علل ذلك مرغبا فى الإقبال عليه بقوله : ﴿ ان ربى ﴾ أى المختص لى[5] بما ترون من الإحسان دينا و دنيا ﴿ رحيم ودود ه ﴾ أى بليغ الإكرام لمن يرجع إليه بأن يحفظه على ما يرضاه بليغ التحبب إليه ، و لم يبدأه بالاستعطاف على عادته بقوله[6]: يا قوم، إشارة إلى أنه لم يبق لى وقت آمن فيه وقوع العذاب حتى أشتغل فيه بالاستعطاف ، فربما كان الأمر أعجل من ذلك ، فاطلبوا مغفرته بأن تجعلوها غرضكم ثم توصلوا إليها بالتوبة ؛ فثم على بابها فى الترتيب ، و أما التراخى فباعتبار عظم[7] مقدار التوبة و علو رتبتها

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : يدل ، و فى مد : تدل (٣) فى ظ : عند .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اتباعى (٥) سقط من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : عظيم .

لأن الغفران لا يحصل بالطلب إلا إن اقترن بها ، هذا الشأن فى كل كبيرة من أنها لا يكفر إلا بالتوبة ، و ذلك لأن الطاعة المفعولة بعدها يكون[1] مثلها كبيرة [2]فى جنس الطاعات[2] [كما أن تلك كبيرة فى جنس المعاصى فلا تقوى الطاعة على محوها و تكرر -[3]] الطاعات يقابله تكرر المعاصى بالإصرار الذى هو بمنزلة تكرير المعصية فى كل حال ، فلما رأوه لا ينزع عنهم و لم يقدروا لكلامه على جواب ، أيأسوه من الرجوع إليه بأن أنزلوا أنفسهم عنادا فى الفهم لهذا الكلام الواضح [4]جدا إلى[4] عداد البهائم ، و هددوه فأخبر تعالى عنهم [بذلك -[3]] استئنافا فى جواب من يقول : ما قالوا بعد هذا الدعاء الحسن ؟ بقوله : ﴿ قالوا يٰشعيب ﴾ منادين له باسمه جفاء و غلظة ﴿ ما نفقه ﴾ أى الآن لأن "ما" تخص[5] بالحال ﴿ كثيرا مما تقول ﴾ و إذا لم يفهم الكثير من الكلام لم يفهم مقصوده ، يعنون : خفض عليك و اترك كلامك فانا لا نفهمه تهاونا [به -[3]] كما يقول الإنسان لخصمه إذا نسبه إلى الهذيان : أنا لا أدرى ما تقول ، و لما كان غرضهم مع العناد قطع الأمر ، خصوا عدم الفهم بالكثير ليكون أقرب إلى امكان ، و كأنهم - و الله أعلم - أشاروا إلى أنه كلام غير منتظم فلا حاصل له و لا لمضمونه وجود فى الخارج .

و لما كان فى ذلك إشارة إلى أنه ضعيف العقل لأن كلامه مثل كلام المجانين ،

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : تكون (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بجنسها لطاعة رب - كذا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : تختص .

أتبعوه

أتبعوه قولهم[١] : ﴿ و انا لنرٰك ﴾ أى رؤية مجددة مستمرة ﴿ فينا ضعيفا ج ﴾ أى فى البدن و غيره ، فلا تتعرض لسخطنا فانك لا تقدر على الامتناع من مكروه نحله بك بقوة عقل و لا جسم و لا عشيرة ، و أشاروا الى ضعف العشيرة بتعبيرهم بالرهط فى قولهم : ﴿ و لو لا رهطك لرجمنٰك ج ﴾ أى قتلناك شر قتلة ـ فان الرهط من ثلاثة إلى عشرة و أكثر ما قيل : إن نخذه أربعون ـ فما أنت علينا بممتنع لضعفك / و قلة قومك ﴿ و مآ انت ﴾ / ٦٦٨ أى خاصة ، لأن " ما " لنفى الحال اختصاص بالزمان ، و القياس أن يكون مدخولها فعلا أو شبهه ، و حيث أوليت الاسم لا سيما الضمير دل على أن التقديم للاهتمام و الاختصاص ﴿ علينا بعزيز ﴾ بكريم مودود ، تقول : أعززت فلانا ـ إذا كان له عندك ود ، بل قومك هم الأعزة عندنا لموافقتهم لنا ، و لو كان المراد : ما عززت علينا ، لكان الجواب : لم لا أعز و قد شرفنى الله ـ أو نحو هذا ، و يصح أن يراد بالعزيز القوى الممتنع ، و يصير إفهامه لامتناع رهطه محمولا على أن المانع لهم موافقتهم لهم لا قوتهم ؛ و الفقه : فهم الكلام على ما تضمن من المعنى ، و قد صار اسما لضرب من علوم الدين ، و أصل الرهط : الشدة ، من الترهيط لشدة الأكل ، و منه الراهطاء : جحر اليربوع لشدته و توثقه ليخبأ فيه ولده .

و لما كان تخصيصهم نفى العزة به يفهم أن رهطه عليهم أعزة ، أنكر عليهم ذلك فى سياق مهدد لهم فقال تعالى حاكيا عنه استئنافا : ﴿ قال ﴾

(١) فى ظ : قوله .

أى شعيب ﴿ يٰقوم ﴾ و[1] لم يخل[1] الأمر من جذب و استعطاف بذكر الرحم العاطفة ﴿ ارهطى ﴾ أى أقاربى الأقربون منكم ﴿ اعز عليكم من الله ﴾ أى المحيط بكل شىء[2] علما و قدرة[2] حتى نظرتم إليهم[3] فىّ لقرابتى منهم و لم تنظروا إلى الله فى قربى منه بما ظهر علىّ من كرامته ﴿ و اتخذتموه ﴾ أى [بما - [4]] كلفتم به أنفسكم مما[5] هو خلاف الفطرة الأولى ﴿ وراءكم ﴾ أى أعرضتم عنه إعراض من جعل الشىء وراءه ؛ و حقق معنى الوراء بقوله : ﴿ ظهريا ﴾ أى جعلتموه كالشىء الغائب عنكم المنسى عندكم الذى لا يعبأ به، و لم تراقبوه فىّ لنسبتى إليه بالرسالة و العبودية .

و لما كان معنى الكلام لأجل الإنكار : إنكم عكستم فى الفعل فلم تعرفوا الحق لأهله إذ كان ينبغى لكم أن لا تنسوا الله بل تراقبوه فى كل أموركم، حسن تعليل هذا المفهوم بقوله : ﴿ ان ربى ﴾ أى المحسن إلىّ ؛ و لما كان المراد المبالغة[6] فى إحاطة علمه تعالى بأعمالهم قدم قوله : ﴿ بما تعملون محيط ۝ ﴾ من جليل و حقير ، فهو مقتدر فى كل فعل من أفعالكم على إنفاذه و إبطاله ، فهو محيط بكم لا يرده عن نصرتى منكم و الإيقاع بكم مراعاة أحد لعزة و لا قوة ، بل لكم عنده أجل هو مؤخركم إليه لأنه لا يخشى الفوت[7] ؛ و الا تخاذ : أخذ الشى لأمر يستمر فى المستأنف كاتخاذ[8] البيت ؛ و المحيط : المدير على الشىء كالحائط يحصره بحيث

(١-١) فى ظ : لمن نحل (٢-٢) فى ظ و مد : قدرة و علما (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : اليه (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : بما (٦) فى مد : بالمبالغة .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : القوة ـ كذا (٨) فى ظ : لاتخاد .

لا يفوته منه شيء .

و لما ختم الآية بتهديدهم[1] بما بين أن تهديدهم له عدم لا يبالى به ، أتبعه ما يصدقه من أنه ليس بتارك شيئا من عمله لشيء مما جبلوا به ، و زاد فى التهديد فقال : ﴿ و يٰقوم اعملوا ﴾ أى أوقعوا العمل لكل ما تريدون قارين مستعلين ﴿ على مكانتكم ﴾ أى حالكم الذى تتمكنون به من العمل ﴿انى عامل﴾ على ما صار لى مكانة ، أى حالا أتمكن به من العمل لا أنفك عنه ما أنا عامل من تحذيرى لمن كفر و تبشيرى لمن آمن و قيامى بكل ما أوجب[2] علىّ الملك غير هائب لكم و لا خائف منكم و لا طامع فى مؤالفتكم و لا معتمد على[3] سواه .

و لما كانت ملازمتهم لأعمالهم سببا لوقوع العذاب المتوعد به [و -[4]] وقوعه سببا للعلم بمن يخزى لمن[5] يعلم أىّ هذين الأمرين يراد[6] ، ذكره بعد هذا التهديد فحسن حذف الفاء من قوله : ﴿سوف تعلمون[7] لا﴾ أى بوعد لا خلف فيه و إن تأخر زمانه ، و سوقه مساق الجواب لمن كأنه قال : ما المراد بهذا الأمر بالعمل المبالغ قبل فى النهى عنه ؟ و قد تقدم فى قصة نوح عليه السلام ما يوضحه . و أحسن منه أنهم لما قالوا "ما نفقه كثيرا مما تقول" كذبهم - فى إخراج الكلام على تقدير سؤال من هو منصب الفكر كله إلى كلامه - قائل : ما ذا يكون إذا عملنا و عملت ؟ فهذا وصل خفى مشير إلى تقدير السؤال و لو ذكر الفاء لكان

---

(١) فى ظ : بتهديد (٢) فى ظ : اوجبه (٣) زيد بعده فى ظ : ما (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : لم (٦) زيد بعده فى ظ : ان (٧) فى ظ : يعلمون .

وصلا ظاهرا ، [وقد ظهر الفرق بين كلام الله العالم بالأسباب وما يتصل بها من المسببات المأمور بها أشرف خلقه صلى الله عليه وسلم في سورة الأنعام والزمر والكلام المحكي عن نبيه شعيب عليه السلام في هذه السورة -[1]] ﴿من﴾ أي أينا أو الذي ﴿يأتيه عذاب يخزيه﴾ ولما كان من مضمون قولهم "ما نفقه كثيرا مما تقول" النسبة إلى الكذب لأنه التكلم[2] بما ليس له نسبة في الواقع تطابقه[3]، قال: ﴿ومن هو كاذب﴾ أي مني ومنكم، فالتقدير إن كانت 'من' موصولة: ستعلمون المخزى بالعذاب والكذب أنا أو أنتم، وإن كانت استفهامية: أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب، فالزموا مكانتكم[4] لا تتقدموا عنها ﴿وارتقبوا﴾ أي انتظروا ما يكون من عواقبها.

ولما كانوا يكذبونه[5] وينكرون قوله، أكد فقال: ﴿إني معكم رقيب﴾ لمثل ذلك، وإنما قدرت هذا المعطوف عليه لفصل الكلام [في قوله "سوف" ويجوز عطفه على "اعملوا" وجرد ولم يقل: مرتقب، إشارة إلى أن همه الاجتهاد في العمل بما أمره الله لأنه مبالغ في ارتقاب عاقبته معهم استهانة بهم.

ولما كان كأنه قيل: فأخذوا الكلام -[1]] على ظاهره ولم ينتفعوا بصادع وعيده وباهره، فاستمروا على ما هم عليه من القبيح إلى أن جاء أمرنا في الأجل المضروب له، قال عاطفا[6] عليه، وكأن العطف بالواو

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٢) في ظ: المتكلم (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: بطايفة (٤) في ظ: مكانكم (٥) في ظ: يكذبون (٦) في ظ: عطفا.

لأنه

لأنه[1] لم يتقدم[1] وعيد بوقت معين - كما فى قصتى[2] صالح ولوط عليهما السلام - يتسبب عنه المجيء و يتعقبه: ﴿ و لما جآء امرنا ﴾ أى تعلق إرادتنا بالعذاب ﴿ نجينا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿شعيبا﴾ أى تنجية عظيمة ﴿و الذين ءامنوا﴾ كائنين ﴿ معه ﴾ منهم[3] و مما عذبناهم به ، و كان إنجاءنا لهم ﴿ برحمة[4] منا ﴾ و لما ذكر[5] نجاة المؤمنين ، أتبعه هلاك الكافرين فقال: ﴿و اخذت الذين ظلموا﴾ أى أوقعوا الظلم ولم يتوبوا ﴿ الصيحة ﴾ و كأنها كانت دون صيحة ثمود لأنهم كانوا أضعف منهم فلذلك أبرز علامة التأنيث فى هذه دون تلك .

و لما ذكر الصيحة ذكر ما تسبب عنها فقال : ﴿ فاصبحوا ﴾ أى فى الوقت الذى يتوقع الإنسان فيه السرور و كل خير ﴿فى ديارهم جثمين ۙ﴾ أى ساقطين لازمين لمكانهم .

و لما كان الجثوم قد لا يكون بالموت ، أوضح المراد بقوله : ﴿كأن لم يغنوا فيها ؕ ﴾ أى لم يقيموا فى ديارهم أغنياء متصرفين مترددين مع الغوانى لاهين بالغناء ؛ و لما كان مضمون ذلك الإبعاد أكده بقوله : ﴿ الا بعدا لمدين﴾ بعدا مع أنه بمعنى ضد القرب معه هلاك ، فهو من بعد - بالكسر ، و أيد ما فهمته من أن أمرهم كان أخف من أمر ثمود بقوله: ﴿ كما بعدت ثمود ۧ ﴾ .

و لما كان شعيب ختن موسى عليهما السلام ، كان ذكر قصته هنا

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لو تقدم (٢) فى مد : قصة (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : رحمة (٥) من مد ، فى الأصل و ظ : كان .

متوقعا مع ما حرك إلى توقعها من ذكر كتابه أول السورة و ما فى عصى موسى من مناسبة ناقة من ختم بالتشبيه بحالهم ، فذكرها بعدها مفتتحا لها بحرف التوقع فقال مؤكدا تنبيها على أن فرعون فعل فعل قريش فى الإدبار عن الآيات العظيمة و لم يترك موسى عليه السلام شيئا مما أوحى إليه من إنذاره : ﴿ و لقد ارسلنا ﴾ أعاد الفعل و أبرزه فى مظهر العظمة إشارة إلى باهر معجزاته ﴿موسى بٰايٰتنا﴾ أى المعجزات التى أظهرها ﴿و سلٰطن ﴾ أى أمر قاهر للقبط[1] ، و الظاهر أنه حكاية[2] موسى عليه السلام منه على ما كان له من السطوة و التحرق عليه ﴿ مبين ﴾[3] أى بين بنفسه ، و هو فى قوة بيانه كأنه مبين لغيره ما فيه من الأسرار[4] ، و الآية تعم الأمارة[5] و الدليل القاطع ، و السلطان يخص القاطع ، و المبين [يخص -[6]] ما فيه جلاء ﴿ الى فرعون ﴾ طاغية القبط ﴿ و ملائه ﴾ أى أشراف قومه الذين تتبعهم الأذناب ، لأن القصد الأكبر رفع أيديهم عن بنى إسرائيل .

و لما كان الناصح لنفسه من لا يتبع أحدا إلا فيما يعلم أنه صواب ، قال معجبا من الملإ مشيرا إلى سرعة[7] تكذيبهم بالبينات و اتباعهم فيما ضلاله لا يخفى على من له مسكة : ﴿فاتبعوآ ﴾ أى فتسبب عن هذا الأمر الباهر أن عصى فرعون و حمل ملاه أنفسهم على أن تبعوا لإرادتنا ذلك

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : للغيظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : حماية.
(٣) العبارة من « حكاية موسى » إلى هنا تأخرت فى مد عن « مبين لغيره » .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاشرار (٥) فى ظ : المارة (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : شرعة .

منهم ﴿ امر فرعونج ﴾ [أى كل ما يفهمون عنه أنه يهواه و يأمر به -[1]] و تبعهم السفلة فأطبقوا على المنابذة إلا من شاء الله منهم ﴿ و مآ ﴾ أى و الحال أنه ما ﴿ امر فرعون برشيد * ﴾ / أى سديد ، مع أن فى هذا ٣٧٠/ التعقيب بعد ذكر ثمود من التذكير بآيتى الناقة و العصا إشارة إلى القدرة على البعث المذكور أول السورة الموجب خوفه لكل خير كما أن ذلك أيضا كان من فوائد تعقيب قصة إبراهيم لقصة صالح عليهما السلام ، و اقتصر هنا على ذكر فرعون و قومه لأن المقصود من هذه القصص - كما تقدم - التثبيت فى المكافحة بابلاغ الإنذار و إن اشتدت كراهية المبلغين و قل المتبع منهم ، و أن لا يترك شيء منه خوف إصرارهم أو إدبارهم و لا رجاء إقبالهم و كثرة مؤمنيهم ، و هذه حال آل فرعون ، و أما بنو إسرايل فانهم لم[2] يتوقفوا إلا خوفا من فرعون فى أول الأمر ، ثم أطبق كلهم على الاتباع ، ثم صاروا بعد ذلك كل قليل يبدلون[3] لا كراهية للانذار بل لغير ذلك من الأمور و عجائب المقدور كما بين فى قصصهم ؛ و الملأ : الأشراف الذين[4] تملأ الصدور هيبتهم[5] عند رؤيتهم ؛ و الاتباع ، طلب الثانى للتصرف[6] بتصرف الأول[7] فى أى جهة أخذ ، و قد يكون عن كره بخلاف الطاعة ؛ و الأمر : الإيجاب بصيغة ' افعل ' و هو يتضمن إرادة المأمور به فى الجملة ، و قد لا يراد امتثال عين

(١) زيد من ظ ومد (٢) فى ظ : لا (٣) فى ظ : يتبدلون (٤) فى ظ : الذى (٥) فى ظ : هيئتهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : للتصرف (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاولى .

المأمور ؛ و الرشيد : القائد إلى الخير الهادى إليه ؛ ثم أوضح عدم رشد أمر فرعون بقوله : ﴿ يقدم قومه ﴾ أى الذين كان لهم قوة المدافعة ﴿ يوم القيٰمة ﴾ و يكونون[1] له تبعا كما كانوا فى الدنيا ، و أشار بايراد ما حقه المضارع ماضيا إلى تحقق وقوعه تحقق ما وقع و مضى فقال : ﴿ فاوردهم النار ط ﴾ أى كما أوردهم فى الدنيا غطاءها و هو البحر . و لما كان التقدير : فبئس الواردون ، عطف عليه بيان الفعل و المفعول فقال[2]: ﴿ و بئس الورد المورود ﴾ كما كان البحر إذ وردوه أقبح ورد ورده إنسان ، لأن الورد يراد لتسكين العطش و تبريد الأكباد ، و هذا يفيد[3] ضد ذلك[4] .

و لما كان فرعون موصوفا بعظم الحال و كثرة الجنود و الأموال و ضخامة المملكة ، حقر تعالى دنياه بتحقير جميع الدنيا التى هى منها باسقاطها فى الذكر اكتفاء بالإشارة إليها و لم يثبتها كما فى قصة عاد فقال[5]: ﴿ و اتبعوا ﴾ ببنائه للفعول لأن المنكى الفعل لا كونه من معين ﴿ فى هذه ﴾ أى الحياة الخسيسة ﴿ لعنة ﴾ فهم يلعنون فيها من كل لاعن من المسلمين و غيرهم من أهل الملل[6] فلعنة الله على من حسّن حالهم و ارتضى ضلالهم لإضلال العباد من أهل الإلحاد بفتنة الاتحاد ﴿ و يوم القيٰمة ط ﴾ أيضا يلعنهم اللاعنون ، حتى أهل الاتحاد الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ؛ ثم بين ما يحق أن يقوله سامع ذلك بقوله[7]: ﴿ بئس الرفد المرفود ﴾ أى التبع المتبوع و العون

(١) فى ظ : يكونوا (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يزيد (٤) فى ظ : ذلك (٥) فى ظ : فقالوا (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : الملك . (٧) سقط من ظ .

المعان، فان اللعنة تابعة لعذابهم فى الدنيا ومتبوعة [باللعنة - [1]] فى الآخرة و العذاب رفد لها و هى رفد له، و مادة "رفد" تدور على التبع، أو يكون المراد أن لعنهم لا يزال مترادفا تابعا بعضه لبعض، فكل لعنة تابعة لشيء من الخزى[2] : عذاب أو لعن، متبوعة بلعنة مضافة إليها، و سمى ذلك رفدا و هو[3] حقيقة العون من باب قولهم : تحية بينهم ضرب وجيع و معنى "يقدم[4]" أنه يكون قدامهم [غير - [1]] سائق لهم، بل هم على أثره متلاحقين، فيكون دخولهم إلى النار معا؛ و القيامة : القومة من الموت للحساب؛ و الإتباع : طلب الثانى للحاق[5] بالأول كيف تصرف؛ و اللعن من الله : الإبعاد من الرحمة بالحكم بذلك، و من العباد[6] : الدعاء به .

و لما كانت هذه الأخبار على غاية من التحذير[7]، لا يعرفه إلا بالغ فى العلم، كان من المعلوم قطعا أنه صلى الله عليه و سلم لم يأت بها إلا من عند الله للعلم المشاهد[8] بأنه لم يعان علما و لا ألمّ بعالم يوما، هذا [مع - [9]] ما اشتملت عليه من أنواع البلاغة و تضمنته من أنحاء الفصاحة و أومأت / إليه بحسن سياقاتها من صروف الحكم[2] و إفادة تفصيلها من فنون المعارف، / ٦٧١
فلذلك[10] استحقت أن يشار إليها بأداة البعد إيماء إلى بعد المرتبة و علو الأمر فقال تعالى : ﴿ذلك﴾ أى النبأ العظيم و الخطب الجسيم ﴿من انبآء القرى﴾

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : هى (٤) فى ظ : تقدم.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل : للخفاو - كذا (٦) فى ظ : البعاد (٧) فى ظ : التجويز، و فى مد : التحوير (٨) فى ظ : المتشاهد (٩) زيد من مد (١٠) فى مد : فكذلك .

و أكد هذا المعنى بلفظ النبأ لأنـه الخبر بما فيه عظيم الشأن ، و منه النبي ، و أشار بالتعبير بالمضارع فى قوله : ﴿ نقصه عليك ﴾ إلى أنا كما قصصناها عليك فى هذا الحال للمقصد المتقدم سنقصها عليك لغير ذلك من الأغراض فى فنون البلاغة و تصاريف الحكم كما سترى عند قصه ؛ ثم أشار - بما أخبر من حالها بقوله : ﴿ منها ﴾ أى القرى ﴿ قآئم و حصيد ﴾ - إلى أنك مثل ما سمعت ما قصصنا [عليك -[1]] من أمرها بأذنك و وعيته[2] بقلبك تحسها بعينك بمشاهدة أبنيتها و آثارها قائمة و مستحصدة ، أى متهدمة[3] لم يبق من بنيانها[4] إلا بعض جدرانها .

و لما كان فيما تقـدم فى هذه السورة من القصص أشد تهـديد و أعظم وعيـد لمن له تبصرة ، صرح لغليظى الأكباد بأن الموجب للايقاع بهم إنما هو الظلم ، فقال تعالى عاطفا على نحو أن يقال : فعلنا بهم و أنبأناك[5] به : ﴿ و ما ظلمنٰهم ﴾ فى شيء منه ﴿ و لـكن ظلموآ انفسهم ﴾ و اعتمدوا على أندادهم[6] معرضين عن جنابنا آمنـين من عذابنا فأخذناهم ﴿ فمآ ﴾ أى فتسبب عن اعتمادهم على غيرنا أنه ما ﴿ اغنت عنهم ﴾ أى بوجـــه من الوجوه ﴿ الهتهـم التى ﴾ و صور حالهم الماضيـة[7] فقال : ﴿ يدعون ﴾ أى دعوها و استمروا على دعائهـم لها إلى حين الأخذ ، [و بين خسة رتبتها فقال -[8]] : ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى له جميع

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : غيبة (٣) فى ظ : متهمة (٤) فى ظ : بنائها (٥) فى ظ : اتيناك (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انذارهم (٧) زيد بعده فى الأصل و ظ : التى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .

صفات الكمال ؛ و ذكر مفعول " اغنت " معرقا فى النفى فقال : ﴿من شىء﴾ أى و إن قل ﴿ لما جآء امر ﴾ أى عذاب ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك بتأخير العذاب المستأصل عن أمتك و جعلك نبى الرحمة ﴿ و ما زادوهم ﴾ فى أحوالهم التى كانت لهم قبل عبادتهم إياها ﴿ غير تتبيب ﴾ أى إهلاك و تخسير ، فانهم كانوا فى عداد [1]من يرجى[1] فلاحه ، فلما تورطوا فى عبادتها و نشبوا فى غوايتها و بعدوا عن الاستقامة[2] بضلالتها خسروا أنفسهم التى هى رأس المال . فكيف لهم بعد ذلك بالأرباح ؛ و القص : إتباع الأثر ، فهو هنا الإخبار بالأمور التى يتلو بعضها بعضا ؛ و الدعاء : طلب الطالب الفعل من غيره ، و نداء الشىء [باسمه - [3]] بحرف النداء ، [4]وكلا الأمرين مرادان[5] ؛ و " من دون [6] الله " : من[6] منزلة أدنى من منزلة عبادة[7] الله لأنه من الأدون ، و هو الأقرب إلى جهة السفل ؛ [8]و التب : الهلاك و الخسر[8] .

و لما كان المقصود من ذلك رمى[9] قلوب العرب بما فيه من سهام التهديد ليقلعوا عما تمكنوا فيه[4] من عمى التقليد ، قال تعالى معلما بأن الذى أوقع بأولئك لظلمهم [و - [10]] هو لكل ظالم بالمرصاد سواء ظلم نفسه أو غيره : ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ذلك الأخذ العظيم ﴿ اخذ ربك ﴾

(١-١) من مد ، و فى الأصل : من ترجى ، و فى ظ : فلا يرجى (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : الاستعانة - كذا (٣) زيد من ظ ومد (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : مراد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : عباد . (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٩) من ظ ومد ، و فى الأصل : من . (١٠) زيد من ظ .

ذكره بوصف الإحسان ما له إليه من البر لئلا يخاف على قومه من مثل هذا الأخذ ﴿ اذآ اخذ القرى ﴾ أى أهلها و إن كانوا غير من تقدم الإخبار عنهم و إن عظموا و كثروا[1] ، و لكن الإخبار عنها أهول[2] لأنه يفهم أنه ربما يعمها الهلاك لأجلهم بشدة[3] الغضب من فعلهم كقرى قوم لوط عليه السلام ﴿ و هى ظالمة[4] ﴾ روى البخارى فى التفسير عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ " و كذلك اخذ ربك " - الآية .

و لما كان مثل هذا الآخذ لا يدانيه مخلوق و لا يقدر عليه ملك ، حسن كل الحسن إتباع ذلك قوله : ﴿ أن اخذه اليم ﴾ أى مؤلم قاطع للآمال مالئ[5] البدن و الروح و النفس بالنكال ﴿ شديد ﴾ أى صعب مفتت للقوى ، و لعله عبر هنا باسم الرب / مضيفا له إلى المنبأ بهذه ٦٧٢ / الأنباء مكررا لذلك فى هذا المقام الذى ربما سبق فيه الوهم إلى أنه باسم الجبار و[4] المنتقم مثلا أليق ، إشارة إلى أنه سبحانه يربيك أحسن تربية فى إظهارك على الدين كله و انقياد العظماء لأمرك و ذل الأعزة لسطوتك و خفض الرؤس[5] لعلو شأنك ، فلا تتكلف أنت شيئا من قصد إجابتهم إلى إنزال آية أو ترك ما يغيظ من إنذار و نحو ذلك - و الله الموفق .

و لما كان مما جر هذه القصص و هذه المواعظ تكذيبهم لما يوعدون

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اكثروا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اهون (٣) فى مد : لشدة (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الراس .

من العذاب الناشئ عن إنكار البعث المذكور فى قوله تعالى "و لئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت" - الآيات ، أشار تعالى إلى تحقق أمر الآخرة و أنه مما ينبغي الاهتمام به ردا للقطع على المطالع . و إعلاما بأنه لا فرق بينه و بين ما تحقق إيقاعه من عذاب هذه الأمم[1] فى القدرة عليه بقوله مؤكدا لأجل جحودهم أن يكون فى شيء مما مضى د دلالة عليه بوجه من الوجوه: ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى النبأ العظيم و القصص و الوعظ بما يذكر ﴿ لآية ﴾ أى لعلامة عظيمة و دلالة بتة[2] . و لما كان وجود الشيء عدما بالنسبة إلى ما[3] لا نفع له به ، قال: ﴿ لمن خاف عذاب ﴾ يوم الحياة ﴿ الآخرة[4] ﴾ لأنه نفع خاص به . و إنما كان آية له لأنه إذا نظر إلى إهلاكه للظالمين إهلاكا عاما بسبب ظلمهم و إنجائه للمؤمنين ، علم أنه قادر على ما يريد ، و أنه لابد أن يجازى كلا بما فعل ، فاذا رأى أن ظلمة كثيرين[4] يموتون بغير انتقام ، علم أنه لا بد من يوم يجازيهم فيه ، و هو اليوم الذى أخبرت به عنه رسله . و زاد فى الإشارة إلى تهويله باعادة اسم الإشارة فى قوله : ﴿ ذلك ﴾ أى اليوم العظيم الذى يكون فيه عذاب الآخرة ﴿ يوم ﴾ و أشار - إلى يسر البعث و سهولته عليه و أنه [أمر ثابت -[5]] لا بد[6] منه - باسم المفعول من قوله: ﴿ مجموع له ﴾ أى لإظهار[7] العدل فيه

(١) فى مد: الامة (٢) فى ظ و مد: بينة (٣) فى مد: من (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: كثيرة (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد بعده فى مد: له (٧) فى ظ و مد: لاجل اظهار .

و الفضل ﴿ الناس ﴾ أى كل من فيه أهليـة التحرك و الاضطراب، و ما ثَمّ يوم غيره يكون بهذه [1]الصفة أصلا[1].

و لما لم يسبقه يوم اجتمـع فيه جميـع الخلق من الجن و الإنس و الملائكة و جميع الحيوانات أحياء، كان ذلك مسوغا لأن تعد شهادة غيره عدما فقال تعالى: ﴿ و ذلك ﴾ أى اليوم العظيم ﴿ يوم مشهود ۝ ﴾ أى هو نفسه لهم و لغيرهم من جميع الخلق، فيكون تنوينه للتعظيم بدلالة المقام، أو يكون المعنى أنه أهل لأن يشهـد، و تتوفر الدواعى على حضوره لما فيه من عجائب الأمور و الأهوال العظام و المواقف الصعبة، فلا يكون ثم شغل إلا نظرِ ما فيه و الإحاطة بحوادثه خوف التلاف و رجاء الخلاص؛ [1]و الآية: العـلامة العظيمة لما فيها من البيان عن الأمر الكبير[1]؛ و الخوف: انزعاج النفس بتوقع الشر، و ضده الأمن و هو سكون النفس بتوقع الخير؛ و العذاب: استمرار الألم.

و لما تقـدم قولهم "ما يحبسه" كان كأنه قيل فى الرد عليهـم: نحن قادرون على تعجيله، و هو - كما أشرنا إليـه فى هذه الآية - عندنا متى شئنا فى غاية السهولة: ﴿و ما نؤخره ﴾ أى اليوم أو الجزاء مع ما لنا من العظمة والقدرة التامة على إيجاده لشىء من الأشياء ﴿ الا لاجل﴾ أى لأجل انتهاء أجل ﴿معدود ۝ ﴾ سبق فى الأزل تقديره ممن لا يبدل القول لديه وكل شىء فى حكمه، فهو لا يخشى الفوت؛ و مادة 'أجل' بتراكيبها الأربعة: أجل وجأل و جلأ ولجأ تدور على المدة المضروبة للشىء، فالأجل - محركة: مدة الشىء و غاية الوقت فى الموت و حلول الدين[2]

(١-١) سقط ما بين من الرقمين من ظ (٢) فى ظ: الاجل.

من تسمية الجزء باسم الكل، و التأجيل: تحديد الأجل، و يلزمه التأخير، و منه أجل الشيء كفرح - اذا تأخر، و الآجلة: الآخرة، و أجل الشيء - بالفتح: حبسه و منعه، لأن الأجل حابس و مانع للمؤجل، و منه أجلى كجمزي[1]، و هو مرعى لهم معروف كأنه لحسنه يحبس الراعي فيه.

و أجل الشر عليهم: جناه و أثاره / و هيجه، و لأهله[2]: كسب و جمع /٦٧٣ و احتال، لأن ذلك كله من لوازم ذى الأجل، أو[3] المعنى أنه أوجد أجل ذلك، و كمقعد و معظم: مستنقع الماء، لأنه محيط به إحاطة الاجل بالمؤجل. و أجله فيه تأجيلا: جمعه[4] فتأجل، و المأجل: الحوض يحبس فيه الماء، و أجلوا ما لهم: حبسوه فى[5] المرعى، [6]والإجل - بالكسر: قطيع من بقرالوحش، تشبيها له فى اجتماعه من حيث أنه أحصن له بالأجل لأنه - كما قيل - حصن حصين[6]، و الإجل - بالكسر أيضا: وجع فى العنق، لأنه من أسباب حلول الأجل، و أجله: داواه منه، و بالضم جمع أجيل للتأخر و للجتمع من الطين يجعل حوله النخلة، لإحاطته بها إحاطة الأجل و تحصينه لها، و تأجل القوم: تجمعوا، لأن التجمع أحصن لهم، و أجل - بفتحتين ثم سكون: جواب كنعم وزنا و معنى إلا أنه أحسن منه فى التصديق، و[7]نعم منه فى الاستفهام، و حقيقة ذلك الإخبار بأن أجل - أى وقت - ذلك الفعل الموجب أو المستفهم

(١) من القاموس، و فى الأصول: كمرى (٢) فى ظ: لاهل (٣) فى ظ و مد « و » (٤) سقط من ظ (٥) فى تاج العروس: عن (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ: او.

عنه [1]قد حضر[1] ، و فعلت ذلك أجلك ـ من غير "من" ـ و من أجلك ، و من أجلاك [و من أجلالك ـ [2]] و يكسر في الكل ، أي من جللك ـ قاله في القاموس ، و قال في فصل الجيم : و فعلته من جلك ـ بالضم ـ و جلالك[3] و جللك ـ محركة[4] ـ و تجلتك [1]و إجلالك[1] ـ بالكسر ، و من أجل إجلالك و من أجلك بمعنى ـ انتهى . و حقيقته أن فعلي مبتدئ من أجلك ـ بالتحريك ، أو تكون "من" سببية ، أي أجلك سبب فيه ، و لو لا وجودك ما فعلته فهو لتعظيمك ؛ و الملجأ و اللجأ ـ محركة : المعقل و الملاذ ، كأنه شبه بالأجل ، و منه لجأ إليه ـ كمنع و فرح : لاذ ، و ألجأ أمره إلى الله : أسنده ، و ألجأ فلانا إلى كذا : اضطره ، و التلجئة[5] : الإكراه ، و اللجأ ـ محركا : الضفدع ، لالتجائها إلى الماء ؛ و من ذلك الجيأل ـ كصيقل ، و جيأل[6] و جيألة ممنوعين ، و جيل بلا همز كله اسم الضبع لكثرة لجائها إلى وجارها ، و منه جئل ـ كفرح ـ جألانا : عرج ، كأنه تشبيه[7] بمشيتها ، لأن من أسمائها العرجاء ، أو تشبيه بمشية الراقي في درج الملجأ ، أي الحصن ، و كذا الأجل ـ كقنب[8] و قبر ـ و هو ذكر الأوعال ، لأن قرونه كالحصن له ، و جيألة[9] الجرح : غثيثه ، و هو مريه ، لأنه من أسباب قرب الأجل ، و كذا الاجئلال[10] ـ أي الفزع ـ ربما كان سببا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من القاموس (٣) في ظ : جلاك .
(٤) من القاموس ، و في الأصول : محركا (٥) في ظ : اللجية (٦) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل : جيالب (٧) في ظ و مد : تشبه (٨) من ظ و مد و القاموس ، وفي الأصل : كعنب (٩) في ظ : جالة (١٠) في ظ و مد : الاجلال .

لذلك

لذلك، و ربما كان سببا للمبادرة[1] إلى الحصن، و جأل - كمنع: ذهب و جاء، و الصوف: جمعه و اجتمع - لازم متعد، كله من لوازم الأجل بمعنى المدة، و جلأ بالرجل[2] - كمنع[3]: صرعه، و بثوبه: رماه، كأنه جعله فى قوة من حضر أجله، و إن شئت قلت فى ضبط[4] ذلك: إن المادة - مع دورانها على المدة - تارة تنظر إلى نفس المدة، [5]و تارة إلى آخرها[5]، و تارة [إلى -[6]] امتدادها و تأخرها، و تارة إلى ما يدنى منه[7]، و تارة إلى[4] منفعتها، و تارة إلى ما يلزم فيها[8]. فمن النظر إلى نفس المدة: التأجيل بمعنى تحديد الأجل، و هو مدة الشيء[9]، و فعلت هذا من أجلك، أى لو لا وجودك ما فعلته، و أجل بمعنى نعم، أى حضرت مدة الفعل، و من النظر إلى الآخر: دنا الأجل - فى الموت و الدّين، و من النظر إلى التأخر: أجل[10] الشيء - إذا تأخر، و الآجلة: الآخرة، و من النظر إلى السبب المدنى: الأجل - بالكسر - لوجع فى العنق، و جيألة[11] الجرح - لغثيثه أى مريه، و جلأ بالرجل: صرعه، و بثوبه: رماه، و أجل الشر عليهم: جناه، أو أثاره و هيجه، و الاجئلال: الفزع، و من النظر إلى المنفعة و هى[12] أن التأجيل الذى هو تحديد الأجل للشيء مانع من أخذه دون ما ضرب له من المدة: الآجل - بالكسر - للقطيع من بقر الوحش، و أجل الشيء: حبسه و منعه، و أجلى بجمزى[13]: مرعى

(١) فى مد: للمادة (٢) فى القاموس: الرجل (٣) فى ظ: منع (٤) سقط من ظ.
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: منها - كذا (٨) فى ظ: منها (٩) سقط من مد (١٠) فى ظ: اجر.
(١١) فى ظ: جالة (١٢) فى ظ: هو (١٣) من القاموس، وفى الأصول: كجمزى.

لهم معروف، و تأجل القوم : تجمعوا، و جأل الصوف : جمعه، و اللجاء و الملجأ : المعقل و الملاذ . و الضفدع للزومها ملجأها من الماء، و الجيأل للضبع للزومها وجارها، و لذلك تسمى[1] أم عامر، و جئل - كفرح: عرج، كأنه شبه بمشيتها لأنها تسمى العرجاء، و الأجل كقنب[2] و قبر - لذكر الأوعال، / لتحصنه بقرونه، و الأجل - بالضم: ٦٧٤ /
المجتمع من الطين يجعل حول النخلة، و المأجل : الحوض يحبس فيه الماء، و مستنقع الماء مطلقا، و أجله تأجيلا : جمعه، و من النظر إلى ما يلزم فى المدة : أجل لأهله : كسب و جمع و جلب و احتال، و جأل - كمنع : جاء و ذهب؛ فقد تبين أن المراد بالأجل هنا الحين .

و لما كان كأنه قيل : يا ليت شعرى ما ذا يكون حال الناس إذا أتى ذلك الأجل و فيهم الجبابرة و الرؤساء و ذوو العظمة و الكبراء! أجيب بقوله : ﴿ يوم يات ﴾ أى ذلك الأجل لا يقدرون على الامتناع بل[3] و لا على مطلق الكلام، و حذف ابن عامر و عاصم و حمزة الياء اجتزاء عنها بالكسرة[4] كما هو فاش فى لغة هذيل، و كان ذلك إشارة إلى أن شدة هوله تمنع أهل الموقف الكلام أصلا فى مقدار ثلثيه، ثم يؤذن لهم فى الكلام فى الثلث الآخر بدلالة المحذوف و قرينة الاستثناء، فان العادة أن يكون المستثنى أقل من المستثنى منه ﴿ لا تكلم ﴾ و لو أقل كلام بدلالة حذف التاء ﴿ نفس ﴾ من جميع الخلق فى ذلك اليوم

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : سمى (٢) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل : كعنب (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى ظ : كالكسرة .

الذى هو يوم الآخرة، و هو ظرف هذا الأجل و هو يوم طويل جدا ذو ألوان و فنون و أهوال و شؤون، تارة يؤذن فيه فى الكلام، و تارة يكون على الأفواه الختام، و تارة يسكتهم الخوف و الحسرة و الآلام، و تارة ينطقهم الجدال و الخصام ﴿الا باذنه ج﴾ أى باذن ربك المكرر ذكره فى هذه الآيات إشارة إلى حسن التربية[1] و إحكام التدبير[2].

و لما علم من هذا[3] أنه يوم عظمة و قهر، سبب عن تلك العظمة تقسيم الحاضرين فقال: ﴿فمنهم﴾ أى الخلائق الحاضرين لأمره ﴿شقى﴾ ثبتت له الشقاوة فيسر فى الدنيا لأعمالها ﴿و سعيد ه﴾ ثبتت له السعادة فمشى على منوالها؛ و التأخير: الإذهاب عن جهة الشيء بالإبعاد منه، و ضده التقديم؛ [4]و الأجل: الوقت المضروب لوقوع أمر من الأمور[4]؛ و اللام تدل على العلة و الغرض و الحكمة بخلاف[5] "إلى"؛ و الشقاء: قوة أسباب البلاء.

و لما كان أكثر الخلق هالكا مع أن المقام مقام تهديد و تهويل، بدأ تعالى بالأشقياء ترتيبا للنشر[6] على ترتيب اللف[7] فقال: ﴿فاما الذين شقوا﴾ أى أدركهم العسر و الشدة ﴿ففى النار﴾ أى [[8]محكوم لهم[8] بأنهم يدخلون النار - [9]] التى هى النار لو علمتم ﴿لهم فيها زفير﴾ أى عظيم جدا ﴿و شهيق لا﴾ من زفر - إذا أخرج نفسه بعد مدّه إياه[10]، و شهق - إذا تردد البكاء فى صدره - قاله فى القاموس؛ و قال ابن كثير فى تفسير

(١) سقط من ظ و مد (٢) فى ظ: التذكير (٣) فى ظ: هذه (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بخلا - كذا (٦) فى ظ و مد: للتقسيم (٧) فى ظ و مد: التفريق (٨-٨) فى ظ: محكم بهم (٩) زيد من ظ ومد (١٠) فى ظ: ايام.

سورة الأنبياء : الزفير : خروج أنفاسهم ، [١]و الشهيق : ولوج أنفاسهم[١] ؛ و عن ابن عباس رضى الله عنهما : الزفير : الصوت الشديد ، و الشهيق : الصوت الضعيف . و عن الضحاك و مقاتل : الزفير أول نهيق الحمار ، و الشهيق آخره حين يفرغ من صوته إذا رده فى جوفه ، و سيأتى كلام الرمانى فى ذلك ﴿ خلدين فيها ﴾ أى بلا انقطاع ، و عبر عنه بقوله جريا على أساليب العرب : ﴿ ما دامت السموٰت و الارض ﴾ .

و لما كان له كل شىء لا يقبح منه شىء و هو قادر على كل شىء ، دل على ذلك بقوله : ﴿ الا ما شآء ﴾ [أى مدة شاءها فانه لا يحكم لهم بذلك فيها فلا يدخلونها - [٢]] .

و لما كان الحال فى هذه السورة مقتضيا - كما تقدم - لتسلية النبى صلى الله عليه و سلم عما[٣] أخبر به سبحانه فى قوله " فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك " - الآية ، من ضيق صدره ، و لذلك أتى بهذه القصص كما مضى بيان ذلك ، عبر باسم الرب إشارة إلى أنه يحسن إليه بكل ما يسر قلبه و يشرح صدره فقال : ﴿ ربك ﴾ و قد جرى الناس فى هذا الاستثناء على ظاهره ثم أطالوا الاختلاف فى تعيين المدة المستثناة ، و الذى ظهر لى - و الله أعلم - أنه لما تكرر الجزم بالخلود فى الدارين و أن الشرك لا يغفر و الإيمان موجب للجنة فكان ربما ظن أنه لا يمكن غير ذلك كما ظنه المعتزلة لا سيما إذا تؤمل القطع فى مثل قوله " ان الله لا يغفر ان يشرك به " مع تقييد غيره بالمشيئة فى قوله " و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء "

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : كما .

جاء

جاء هذا الاستثناء معلما[1] أن الأمر فيه إلى الله تعالى كغيره من الأمور، له أن يفعل فى كلها ما يشاء و إن جزم القول فيه، لكنه لا يقع غير ما أخبر به، و هذا كما تقول: اسكن هذه الدار عمرك إلا ما شاء زيد، و قد لا يشاء / زيد شيئا، فكما أن التعليق بدوام السماوات و الأرض غير مراد / ٦٧٥
الظاهر كذلك الاستثناء. لا يشاء الله قطع ود لأحد من الفريقين، و سوقه هكذا أدل[2] على القدرة و أعظم فى تقليد المنة، ثم رأيت الإمام أبا أحمد البغوى قد ذكر معنى هذا آخر ما أورده فى تفسيره من الأقوال فى الآية و حكى نحوه عن الفراء، و مثله بان تقول[3]: و الله لأضربنك إلا أن أرى، و عزيمتك[4] أن تضربه. و عزاه الطحاوى فى بيان المشكل إلى أهل اللغة منهم الفراء.

و لما كان تخليد الكفار من الحكم بالقسط بين الفريقين لأنه من أكبر[5] تنعيم المؤمنين الذين عادوهم فى الله كما تقدم التنبيـــه عليه أول سورة يونس عليه السلام عند قوله " ليجزى الذين ءامنوا و عملوا الصّٰلحٰت بالقسط " كان ربما توهم أن الاستثناء لو أخذ على ظاهره لم يكن إخراجهم من النار حينا، نفى هذا التوهم بقوله: ﴿ان ربك﴾ أى المحسن إليك ﴿فعال لما يريد﴾ أى لا يجوز عليه البدء بالرجوع عما أراد و لا المنع عن مراده و لا يتعذر عليه شىء منه مع كثرة المرادات[6] فلا اعتراض عليه و لا يلزمه لأحد شىء، بل له أن يخلد العاصين فى الجنة و يخلد

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: دال (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يقول.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: عزمتك (٥) زيد فى مد: من (٦) فى ظ: الروايات.

الطائعين فى النار[1]، و لكنه كما ثبت ذلك ليعتقد لكونه من صفة الكمال ثبت أنه لا يفعل ذلك سبحانه و لا يبدل القول لديه لأن ذلك من صفات الكمال أيضا مع أن فى ختم الآية بذلك ترجية لأهل النار فى إخراجهم منها زيادة فى عذابهم .

و لما تم أمر الأشقياء، عطف عليه قسيمهم فقال: ﴿ و اما الذين سعدوا ﴾ أى فازوا بمطالبهم و تيسر أمرهم ﴿ ففى الجنة ﴾ أى التى صارت معلومة من الدين بالضرورة ﴿ خلدين فيها ﴾ دائما أبدا ﴿ ما دامت السموت و الارض ﴾ على[1] ما جرت به عادة العرب فى إرادة التأبيد بلا آخر بمثل هذا ﴿ الا ما شآء ربك ط ﴾ و أدل دليل على ما قلت فى الاستثناء قوله: ﴿ عطاء ﴾ هو[2] نصب على[2] المصدر ﴿ غير مجذوذ ه ﴾ أى مقطوع [و لا مكسور و لا مفصول - لعطاء من الأعطية و لا مفرق و لا مستهان به -[3]] : لأنهم لو انفكوا من النعيم حقيقة أو معنى و لو لحظة لكان مقطوعا [أو منقوصا -[3]] ؛ و فى الختم بذلك من الجزم بالدوام طمأنينة لأهل الجنة زيادة فى نعيمهم عكس ما كان لأهل النار؛ قال أبو الحسن الرمانى: و الزفير: ترديد النفس مع الصوت حتى تنتفخ الضلوع، و أصله الشدة من المزفور الخلق، و الزفر: الحمل على الظهر، لشدته، و الزفر: السيد[4] لأنه يطيق حمل الشدائد، و زفرت النار- إذا سمعت لها صوتا فى شدة توقدها، و الشهيق: صوت فظيع يخرج من الجوف بمد النفس، و أصله الطول المفرط من قولهم: جبل شاهق

(١) سقط من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: على نصب (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: الشد .

أى ممتنع طولا ؛ و الخالد : الكائن فى الشيء أبدا ؛ و الدائم : البـاقى أبدا[1] ، و لهذا يوصف الله تعالى بالدائم دون الخالد .

و لما أخبره تعالى بوقوع القضاء بتميز الناس فى اليوم المشهود إلى القسمين المذكورين على الحكم المشروح[2] مرهبا و مرغبا ، كان ذلك كافيا فى الثبات على أمر الله و المضىّ لإنفاذ[3] جميع ما أرسل به و إن شق اعتمادا على النصرة فى ذلك اليوم بحضرة تلك الجموع[4] ، فكان ذلك سببا للنهى عن القلق فى شيء من الأشياء و إن جل وقعه[5] و تعاظم خطبه ، فقـال تعالى : ﴿ فلا ﴾ و لما كان ما تضمنه هذا التقسيم أمرا عظيما وخطبا جسيما ، اقتضى عظيم تشوف النفس[6] و شديد شوقها[6] لعلم ما سبب[7] عنه ، فاقتضى ذلك حذف النون من ' كان ' إيجازا فى الكلام للاسراع بالإيقاف[8] على المراد [و الإبلاغ فى نفى الـكون على أعلى الوجوه -[9]] فقال : ﴿ تك ﴾ [أى[10] فى حالة[10] من الأحوال -[9]] ﴿ فى مرية ﴾ و المرية : الشك مع ظهور الدلالة للتهمة - قاله الرمانى ﴿ مما يعبد هؤلآء[1] ﴾ أى لا تفعل فعل من هو فى مرية بأن تضطرب من أجل ما يعبدون مواظبين على عبادتهم مجددين ذلك [فى -[11]] كل حين فتتجع نفسك فى إرادة مبادرتهم إلى امتثال الأوامر فى النزوع[12] عن ذلك بالكف عن مكاشفتهم بغائظ الإنذار

---

(١) سقط من مد (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : المشروع (٣) من ظ ومد ، و فى الأصل : لايعـاد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : المجموع (٥) فى ظ : دفعه (٦ - ٦) فى ظ : شدة توتها (٧) فى ظ : تسبب (٨) فى ظ ومد : الاتفاق .
(٩) زيد من ظ ومد (١٠-١٠) فى ظ : بحالة (١١) زيد من مد (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الروع .

/٦٧٦ و الطلب لإجابة مقترحاتهم رجاء الازدجار كما مضى / فى قوله تعالى "فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك" - الآية ، و ذلك أن مادة مرى[1] - بأى[2] ترتيب كان - تدور على الاضطراب ، و قد يلزمه الطرح و الفصل : رمى يرمى رميا ، و المرماة : ظلف الشاة لأنه يطرح ، و الرمى : قطع من السحاب رقاق ؛ و الريم : البراح ، ما يريم يفعل كذا : ما يزال ، و الريم : الدرج للاضطراب فيها ، و القبر لنبذه فى جانب من الأرض و طرح الميت فيه ، و ريم فلان بالمكان : أقام به[3] مجاوزا لغيره منفصلا عنه كأنه رمى بنفسه فيه ، و ريمت السحابة - إذا دامت فلم تقلع ، لأن من شأنها رمى القطر ، و مرى الضرع : مسحه للحلب ، و الريح تمرى السحاب[3] ، و المرى[4] : المعدة[5] لقذفها ما فيها ، و المرية : الشك ، أى تزلزل الاعتقاد ، و الميرة : جلب الطعام ؛ ثم استأنف تعالى خبرا هو بمنزلة العلة لذلك فقال : ﴿ ما يعبدون ﴾ أى يوقعون العبادة على وجه الاستمرار ﴿ الا كما يعبد اٰبآؤهم ﴾ و لما كانت عبادتهم فى قليل من الزمن الماضى أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلُ ﴾ أى أنهم لم يفعلوا ذلك لشبهة إذا كشف عنها القناع رجعوا ، بل لمحض تقليد الآباء مع استحضارهم لتلبسهم بالعبادة كأنهم حاضرون لديهم يشاهدونهم مع العمى عن النظر فى الدلائل و الحجج كما كان من قصصنا عليك أخبارهم من الأمم فى تقليد الآباء سواء بسواء مع عظيم شكيمتهم و شدة عصبتهم[6] للأجانب

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : برى (٢) فى ظ : نيه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ و مد : بمرى (٥) فى ظ : المعدى (٦) فى ظ : عصبيتهم .

فكيف بالأقارب فكيف بالآباء! فأقم عليهم الحجة بابلاغ جميع ما تأمرك به كما فعل من قصصنا عليك أنباءهم من إخوانك من الرسل غير مخطر فى البال شيئا مما قد يترتب عليه إلى[1] أن ينفذ ما نريد من أوامرنا كما سبق فى العلم فلا تستعجل فانا ندبر الأمر فى سفول شأنهم و علو[2] شأنك كما نريد ﴿ و انا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ لموفوهم نصيبهم ﴾ من الخير و الشر من الآجال و غيرها و ما هو ثابت ثباتا لا يفارق أصلا ؛ و لما كانت التوفية قد تطلق على مجرد الإعطاء و قد يكون ذلك على التقريب ، نفى هذا الاحتمال بقوله : ﴿ غير منقوص ؏ ﴾ و النصيب : القسم المجعول[3] لصاحبه كالحظ ؛ و المنقوص : المقدار المأخوذ جزء منه ؛ و النقص : أخذ جزء من المقدار .

و لما ذكر فى هذه الآية إعراضهم عن الاتباع مع ما أتى به من المعجزات و أنزل عليه من الكتاب ، سلاه بأخيه موسى عليهما السلام لأن الحال إذا عم خف ، و ابتدأ ذكره بحرف التوقع بما دعا إلى توقعه من قرب ذكره مع فرعون مع ذكر كتابه أول السورة فقال تعالى : ﴿ و لقد اتينا ﴾ [أى -[4]] بما لنا من العظمة ﴿ موسى الكتب ﴾ أى التوراة الجامعة للخير .

و لما كان الضار و المسلى[5] نفس الاختلاف ، بنى للفعول قوله : ﴿ فاختلف فيه[6] ﴾ فامن به قوم و كفر به آخرون مع أنه إمام و رحمة

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الا (٢) فى ظ : على (٣) فى ظ : المجموع .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : النسلى .

و كتب سبحانه له فيه من كل شيء[1] موعظة و تفصيلا لكل شيء ، و كان معجبا لأهل ذلك الزمان [كما اختلف فى كتابك مع إعجابه لأهل هذا الزمان - [2]] و بيانه للهدى أتم بيان ، إشارة إلى أن الخلق مهما جاءهم عن الله ، و هو لا يكون إلا مصحوبا بالأدلة القاطعة نأوا عنه و اختلفوا فيه ، و مهما تلقفوه عن آبائهم تلقوه بالقبول و ناضلوا عنه و سمحوا فيه بالمهج و إن كان منابذا للعقول ، فكان قوم موسى باختلافهم فى الكتاب كل قليل يأبى[3] فريق منهم بعض أحكامه و يريدون نقض إبرامه كما سلف بيانه غير مرة عن نص التوراة و سفر يوشع إلى أن آل أمرهم الآن إلى أن صاروا ثلاث فرق : ربانيين[4] ، و قرايين ، و سامرة ؛ يضلل بعضهم بعضا ، و مع ذلك فلم يعاجلهم بالأخذ مع قدرته على ذلك كما فعل بمن قص أمره من الأمم لما سبق من حكمه[5] بتأخيرهم إلى الأجل المعدود ، و فصل بين هذا و بين قصة موسى عليه السلام مع فرعون ليكون مع ما دعا إلى تقديم ما تقدم من الآيات أوقع فى التسلية و أبلغ فى التعزية و التأسية كما هو شأن / كل ما ألقى إلى المحتاج شيئا فشيئا /٦٧٧
﴿و لو لا كلمة ﴾ أى عظيمة لا يمكن تغييرها لأنها من كلام الملك الأعظم ﴿ سبقت من ربك ﴾ [أى - [2]] المحسن إليك و إليهم بارسالك رحمة للعالمين ﴿ لقضى ﴾ أى لوقع القضاء ﴿ بينهم[4] ﴾ أى بين من[6] اختلف فى

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يأتى (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : ابانيين (٥) فى ظ : حكمة .
(٦) فى ظ : ما .

كتاب موسى عاجلا ، و لكن سبقت الكلمة أن القضاء الكامل إنما يكون يوم القيامة كما قال فى سورة يونس " فما اختلفوا حتى جاءهم العلم[1] " - الآية .

و لما كان الاختلاف قد يكون بغير الكفر بين أنه به ، فقال مؤكدا لأن كل طائفة من اليهود تنكر شكها فيه و فعلها فعل الشاك : ﴿ وانهم لفى شك ﴾ أى عظيم محيط بهم ﴿ منه ﴾ أى من القضاء أو[2] الكتاب ﴿ مريب ۝ ﴾ أى موقع فى الريب و التهمة و الاضطراب مع ما رأوا من الآيات التى منها سماع كلام الله و رؤية ما كان يتجلى فى جبل الطور من الجلال و يتبدى لهم فى قبة الزمان من خارق الأحوال ﴿ و ان كلا ﴾ من المختلفين فى الحق من قوم موسى و غيرهم ممن هو على الحق و ممن هو على الباطل ؛ و " ان[3] " عند نافع و ابن كثير و أبى بكر عن عاصم عاملة مع [تخفيفها - [4]] من الثقيلة فى قراءة غيرهم اعتبارا بأصلها ﴿ لما ﴾ هى فى قراءة ابن عامر و حمزة و عاصم بالتشديد الجازمة حذف فعلها - قال ابن الحاجب : و هو شائع فصيح ، و فى قراءة غيرهم بالتخفيف مركبة من لام الابتداء و ' ما ' المؤكدة بنفى نقيض ما أثبته الكلام ليكون ثبوته[5] مع نفى نقيضه على أبلغ وجه .

و لما كان الشرط فى حذف الفعل بعد ' لما ' الجازمة أن يكون مما يتوقع بوقوع فعل قبلها يدل عليه ، كان التقدير : يقض بينهم ، و سيقضى[6]

(١) آية ٩٣ (٢) فى ظ « و » (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : توبته (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتقضى .

و هو معنى ما قرن بعدها بلام القسم من قوله : ﴿ ليوفينهم ربك ﴾ أى المحسن إليك باقامتك على المنهاج الأعدل و الفضل من العباد ﴿ اعمالهم[1] ﴾ لا يدع منها شيئا لأنه لا يخفى عليه منها شىء[1] ، و السياق يقتضى أن يكون 'ما' فى 'لما' فى قراءة التخفيف للتأكيد على النحو الذى مر غير مرة أن النافى إذا زيد فى سياق الإثبات كان كأنه نفى النقيض تأكيدا لمثبت ﴿ انه بما يعملون[2] ﴾ قدم الظرف لتأكيد الخبر[3] ﴿ خبيره ﴾ فاذا علمت أن شأنك فى أمتك شأن الرسل فى أممهم و أنه لا بد من الاختلاف فى شأن الرسول و الكتاب كما جرت بذلك السنة الإلهية و أن الجزاء بالأعمال كلها لا بد منه ﴿ فاستقم ﴾ أى أوجد القوم بغاية جهدك بسبب أنك لا تكلف إلا نفسك و أن الذى أرسلك لا يغفل عن شىء ، و من استقام استقيم له

و لما كان من المقطوع به أن الآمر له صلى الله عليه و سلم مَن له الأمر كله ، بنى للفعول قوله : ﴿ كمآ امرت ﴾ أى كما استقام إخوانك من الأنبياء فى جميع الأصول و الفروع سواء كان فى نفسك أو فى تبليغ غيرك معتدلا بين الإفراط و التفريط و لا يضيق[4] صدرك من استهزائهم و تعنتهم و اقتراحهم للآيات و إرادتهم أن تترك بعض ما يوحى إليك من التشنيع عليهم و العيب لدينهم بل صارحهم بالأمر و اتركهم و أهواءهم ، نحن ندبر الأمر كما نريد على حسب[5] ما نعلم .

(١) فى ظ : شيئا ، و العبارة من هنا إلى « تأكيد المثبت » ساقطة منه (٢) فى ظ و مد : تعملون ـ كذا وليست هى بقراءة (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : الجزء (٤) فى ظ : لا يضيع (٥) فى ظ : حسن .

و لما

و لما كان الفاصل بين [المعطوف و -[1]] المعطوف عليه يقوم مقام تأكيد الضمير المستتر، عطف عليه قوله: ﴿و من﴾ أى و ليستقم[2] أيضا من ﴿تاب﴾ عن الكفر مؤمنا ﴿معك﴾ على ما أمروا تاركين القلق من استبطائهم للنصرة كما روى البخارى و أبو داود و النسائى عن خباب بن الأرت رضى الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو متوسد بردة فى ظل الكعبة و قد لقينا من المشركين شدة[3] فقلنا: ألا تدعو الله لنا، فقعد و هو محمر وجهه فقال: كان الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له فى الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار[4] فيوضع فوق رأسه فيشق باثنين، و ما يصده ذلك عن دينه [و يمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو[5] عصب و ما يصده ذلك عن دينه -[6]] و الله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله / و الذئب على غنمه و لكنكم تستعجلون؛ و عن / ٦٧٨ ابن عباس رضى الله عنهما: ما نزلت على النبى صلى الله عليه و سلم آية أشد و لا أشق من هذه الآية. و الاستقامه: الاستمرار فى جهة واحدة.

و لما كانت وسطا بين إفراط و تفريط و كان التفريط لا يكاد يسلم منه إلا الفرد النادر، و هو فى الأغلب يورث انكسار[7] النفس و احتقارها و الخوف من الله، و كان الإفراط يورث إعجابا، و ربما

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ: لتستقم (٣) سقط من مد (٤) فى ظ: بالميشار (٥) من صحيح البخارى ٥١٠، وفى مد «و» (٦) زيد ما بين الحاجزين من مد و الصحيح (٧) فى ظ: لكسادة.

أفضى بالإنسان إلى ظن أنه شارع فينسلخ لذلك من الدين، طوى التفريط و نهى عن الإفراط فقال: ﴿ و لا تطغوا ﴾ أي تتجاوزوا الحد فيما أمرتم به أو نهيتم عنه بالزيادة إفراطا ، فان الله تعالى إنما أمركم و نهاكم لتهذيب نفوسكم لا لحاجته إلى ذلك و لن تطيقوا أن تقدروا الله حق قدره . و الدين متين لن يشاده أحد إلا غلبه . فقد رضي منكم سبحانه لاقتصاد في العمل مع حسن المقاصد . و يجوز أن يكون المعنى : و لا تبطركم النعمة فتخرجكم عن طريق الاستقامة يمنة أو يسرة .

و لما نهى عن الإفراط و هو الزيادة تصريحا ، فأفهم النهي عن التفريط ، [1]و هو النقص عن المأمور تلويحا من باب الأولى ، علل ذلك مؤكدا تنزيلا لمن يفرط أو يفرط منزلة المنكر[1] فقال: ﴿ انه بما تعملون ﴾ قدم الظرف لما تقدم من تأكيد الإبصار ﴿ بصير ه ﴾ و مادة "طغى" واوية و يائية بكل ترتيب تدور على مجاوزة الحد مع العلو ، فالغطاء : ما ستر به الشيء عاليا عليه ، و لا يكون ساترا لجميعه إلا إذا فضل عنه فتجاوز حده ، و غطى الليل - إذا غشى ، و كل شيء إرتفع فهو غاط . و طغى السيل - إذا جاء بماء كثير ، و البحر[2] : هاجت أمواجه ،

(١-١) من ظ و مد ، و في الأصل : لا يكاد يسلم منه الا الفرد النادر و هو في الاغلب يورث انكسار النفس و احتقارها و الخوف من الله و كان الإفراط يورث إعجابا و ربما أفضى بالإنسان إلى أظن أنه شارع فينسلخ لذلك من الدين طوى التفريط و نهى عن الإفراط ـ و قد مر آنفا (٢) في ظ : الحب ـ كذا .

و الطغيان : مجاوزة الحد[1] في العصيان ، و الغائط و[1] الغيط : المطمئن من الأرض ، لأن[2] ما كان كذلك وكانت[3] أرضه طية كانت لا تزال ريّا فيعلو ما نبت فيها و يخصب فيتجاوز الحد في[4] ذلك ، و منه الغوطة - لموضع بالشام كثير الماء و الشجر .

و لما نهى عن الإفراط [5]في الدين ، أتبعه النهي عن التفريط بالتقصير فيه بسفول الهمم[5] [على وجه عام ، وكان الحب في الله و البغض منه أوثق عرى الإيمان ، إشارة إلى ضده الذي هو من أوثق عرى الشيطان -[6]] فقال : ﴿ و لا تركنوآ ﴾ أي شيئا من ركون ، و قال : ﴿ الى الذين ظلموا ﴾ أي وجد منهم الظلم ولم يقل[1] ' الظالمين ' أي بالميل إليهم بأن تثاقل أنفسكم نحوهم للميل إلى أعمالهم و لو بالرضى بها[7] [8]و التشبه[8] بهم و التزيّ بزيهم ، و حاصل الآيتين : لا تظلموا بأنفسكم[9] و لا تستحسنوا أفعال الظالمين ، و فسر الزمخشري الركون بالميل اليسير ، وهو حسن من جهة المعنى لكني لم أره لغيره من أهل اللغة ، و قال الرماني - و هو أقرب : الركون : السكون إلى الشيء بالمحبة و الانصباب إليه ، و نقيضه النفور عنه . و هو على التفسير الثاني في ' تطغوا ' من عطف الخاص على العام ، و الآية ملتفتة إلى قوله تعالى " فلعلك تارك

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : لا (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : كان (٤) سقط من مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و في مد : والتفريط (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٧) في مد : منها . (٨-٨) في ظ : بالتشبه (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : لا تفسكم .

بعض ما يوحى اليك " ﴿فتمسكم النار[٤]﴾ أى فيتسبب[١] عن ركونكم إليهم مسّها لكم فلا تقدروا على التخلص منها بنوع حيلة من أنفسكم؛ [و-[٢]] من إجلال النبي صلى الله عليه و سلم إفراده[٣] بالخطاب[٤] فى الأمر بأفعال الخير، و الإتيان بضمير الجمع فى النهى عن أفعال الشر - نبه على ذلك الإمام أبو حيان[٥].

و لما كان كل موجود سوى الله فى قهره و تحت أمره، قال تعالى: ﴿و ما لكم﴾ و لما كان دون رتبته تعالى من الرتب و الذوات ما لا يحصيه غيره سبحانه، أدخل الجار تبعيضا فقال: ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعظم، و أعرق فى النفى فقال: ﴿من اولياء﴾ أى يخلصونكم من عذابه لما تقرر أن 'دون' من الأدون و هو الأقرب إلى جهة السفل؛ و الولى: المختص بأن من شأنه تولى / المعونة[٦] عند الحاجة، و أشار إلى أن نصر ٦٧٩ / مَنْ[٧] لا ناصر له من الله محال بأداة البعد و بناء الفعل للمفعول فقال: ﴿ثم لا تنصرون ۝﴾ أى ثم إذا فاتكم هذا و ذاك[٨] فما أبعدكم من النصرة!

و لما كان العلم حاصلا بما سبق من الحكم من أن الآدمى محل العجز و التقصير، اتبع ذلك بأعلى مكفر لما يوجبه العجز و يقضى به الفتور و الوهن من الصغائر و أعمه و أجلبه للاستقامة، و ذلك يدل على أنها بعد الإيمان أفضل العبادات، فقال تعالى: ﴿ و اقم الصلوٰة ﴾

---

(١) فى ظ: فتسبب (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: افراد. (٤) فى ظ: فى الخطاب (٥) راجع البحر المحيط ٥ / ٢٧٠ (٦) زيد بعده فى مد: من (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: ما (٨) فى ظ: ذلك.

أى

أي اعملها على استواء ﴿طرف النهار﴾ بالصبح و العصر كما كان مفروضا بمكة في أول الأمر قبل الإسراء، و يمكن أن يراد مع ذلك الظهر لأنها من الطرف الثاني ﴿و زلفا﴾ أي طوائف[1] و درجات و أوقات، جمع زلفة ﴿من اليل[2]﴾ يمكن أن يكون المراد به التهجد، فقد كان مفروضا في أول الإسلام، و يمكن أن يراد المغرب و العشاء مع الوتر أو[3] التهجد[3]؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ان الحسنٰت﴾ أي الطاعات كلها الصلاة و غيرها المبنية على أساس الإيمان ﴿يذهبن السيات[4]﴾ أي الصغائر، و أما الكبائر [التي يعبر عنها بالفواحش و نحوه - [4]] فقد تقدم في قصة شعيب عليه السلام عند قوله " ثم توبوا اليه " أنه لا يكفرها إلا التوبة لما فيها من الإشعار بالتهاون بالدين، و اجتنابها لا يكفر إلا إذا كان عن نية صالحة كما أفهمه صيغة الافتعال من قوله " ان تجتنبوا "؛ روى البخاري في التفسير عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا أصاب من امرأة قبلة، فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر له ذلك فأنزل الله عليه " اقم الصلوٰة طرفي النهار " - الآية، قال الرجل: ألي هذه؟ قال: لمن عمل بها من أمتي. و هذا الحديث يؤيد قول ابن عباس رضي الله عنهما: إن هذه الآية من هذه السورة المكية مدنية.

و لما تم هذا على هذا الوجه الأعلى و الترتيب الأولى[5]، قال تعالى

---

(١) في ظ : دوائف (٢) من ظ و مد . وفي الأصل « و » (٣) زيد بعده في الأصل : و لما كان دون رتبته تعالى من الرتب و الذوات ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها و قد تقدمت آنفا (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : الأولى.

مادحا له ليعرف مقداره فيلزم : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى الرتبة الذى تقدم من [١]الترغيب و الترهيب[١] و التسلية و تعليم الداء و الدواء للخلاص من الشقاء ﴿ ذكرى ﴾ أى ذكر عظيم ﴿ للذكرين ﴾ أى لمن فيه أهلية الذكر و الانتباه به بحضور القلب و صفاء الفكر [٢]و نفوذ الفهم[٢] .

و لما كان الصبر لله على المكاره أعلى الطاعة ، أتبع ذلك قوله : ﴿ و اصبر ﴾ أى ليكن منك صبر على الطاعات و عن المعاصى و لا تترك إنذارهم بما أمرت به مهما كان و لا تخفهم ، فان العاقبة لك إذا فعلت ؛ و لما كان مقام الصبر صعبا [٢]و الاستقامة[٢] على المحمود منه خاصة[٣] خطرا ، و كانت النفس ـ لما لها من الجزع فى كثير من الأحوال - كالمنكرة ، أكد قوله : ﴿ فان ﴾ [٤]الصبر هو الإحسان كل الإحسان و إن ﴿ الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ لا يضيع ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ اجر المحسنين ﴾ أى العريقين فى وصف الإحسان بحيث أنهم يعبدون الله كأنهم يرونه ، فلذلك يهون عليهم الصبر ، و ذلك لأن الطاعة كلفة فلا تكون[٥] إلا بالصبر ، و كل ما عداها فهو هوى النفس لا صبر فيه ، فالدين كله صبر « حفت الجنة بالمكاره و النار بالشهوات » و لذا فضل ثواب الصابر " انما يوفى[٦] الصٰبرون اجرهم بغير حساب " و الصـبر المحمود : حبس النفس عن

(١-١) فى ظ : الترهيب و الترغيب (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل : منه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد فى ظ و مد : اى (٥) فى ظ و مد : فلا يكون (٦) فى ظ : يوتى ، و راجع سورة ٣٩ آية ١٠ .

الخروج إلى ما لا يجوز من ترك الحق ، و نقيضه الجزع ، قال الشاعر :

إن تصبرا فالصبر خيرٌ مغبّة و إن تجزعا فالأمر ما تريان

و هو من الصبر الذى هو المر المعروف لأنه تجرع[1] مرارة الحق بحبس النفس عن[2] الخروج إلى المشتهى مع الزاجر المعتبر من الشرع و العقل ، فهو أكره[3] شيء إلى النفس[4] ، و المعين عليه ما فى استشعار لزوم الحق من العز و الأجر بالطاعة و العلم بما يعقب من الخير فى كل وجه و عادة النفس له ، و قد غلب إطلاقه °على الحق حتى لا يجوز إطلاقه° إلا فيه - قاله الرمانى .

/ ٦٨٠ / و لما كان ما تقدم كله مشيرا إلى استبعاد إيمان المعاندين بشيء من تدبير آدمى كما تكاد القصص تنطق به ، و كذا الإعلام بأن عبادتهم إنما هى للتقليد و باختلاف قوم موسى فى كتابه الذى هو هدى و رحمة ، وكل ذلك فطما عن طلب ما قد يهجس فى الخاطر من تمنى إجابتهم إلى ما يقترحون أو الكف عن بعض ما يغيظ من الإنذار ، و كان من طبع البشر البعد عن الانتهاء عن الخواطر إلا بعد التجربة ، كان ذلك ربما أوجب أن يقال : لو أجيبوا إلى سؤالهم[6] لربما رجعوا عن كثير مما هم فيه ، فدعاهم ذلك إلى الرشاد ، فتسبب عنه أن يقال دفعا له : ﴿ °فلو لا كان° ﴾ و يجوز أن يكون مناسبتها أنه لما ذكر إهلاك القرون الماضية و الأمم السالفة

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يجزع (٢) فى ظ : على (٣) فى ظ : اكراه .
(٤) سقط من ظ و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ و مد : سؤلهم .

بما مضى إلى أن ختم بالأمر بالصبر على الإحسان من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، كان من الجائز أن يقع فى فكر الاعتراض بأن يقال : ما الموجب لذلك ؟ فبين[١] أن سبب الهلاك الإعراض عن نهى منتهك الحرمات و المجترئ على هتك الأستار الجليلة[٢] و الرتع فى الحمى مع تمكنهم بما أودع فيهم سبحانه من القوى و القدر على اختيار[٣] جانب الخير و الإعراض عن جانب الشر فقال تعالى: "فلولا" بصيغة تحتمل[٤] التخصيص ، و فيها معنى التفجع و التأسيف[٥] [٦]لاعتبار كل من[٦] كان على مثل حالهم ﴿ من القرون ﴾ أى المهلكين الأشداء[٧] الكائنين فى زمان ما .

و لما كان المراد القرون التى تقدم ذكر إهلاكها ، و كانت أزمنتهم بعض الزمان الماضى ، أتى بالجار فقال : ﴿ من قبلكم اولوا ﴾ أى أصحاب ﴿ بقية ﴾ أى[٨] حفظ و خير و مراقبة لما يصلحهم ، لأن مادة ' بقى ' تدور على الجمع ، و يلزمه[٩] القوة و الثبات و الحفظ ، من قولهم : ابقه بقوتك مالَك - وزن ادعه - أى احفظه حفظك مالك ، و يلزمه النظر و المراقبة : بقيت الشيء - إذا نظرت إليه و رصدته ، و يلزمه الثبات : بقى بقاء - إذا دام[١٠] ، و الخير و الجودة ؛ قال الزمخشرى : لأن الرجل يستبقى مما[١١] يخرجه أجوده و أفضله ، و يقال : فلان من بقية قوم ، أى

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فتبين (٢) فى ظ: الجبلية (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اجتناب (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يحتمل (٥) فى ظ : التاسف. (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : الاسراء (٨) سقط من ظ (٩) فى مد : تلزمه (١٠) فى ظ : ادام (١١) فى ظ : بما .

من

من خيارهم، وسيأتى شرح ذلك مستوفى عند قوله تعالى "وجعلنا بينهم موبقا[1]" إن شاء الله تعالى ﴿ينهون﴾ أى يجددون[2] النهى فى كل حين إشارة إلى كثرة المفسدين ﴿عن الفساد﴾ [الكائن -[3]] ﴿فى الارض﴾ و'لولا' هنا كالتى فى يونس توبيخية أو استفهامية كما جوزهما الرمانى، ويجوز أن تكون[4] تخصيصية كما قال الزمخشرى، ويكون للسامع لا للمهلك، لأن الآية لما تضمنت إهلاك المقر على الفساد كان فى[5] ذلك أقوى حث لغيرهم على الأمر والنهى [و -[3]] أو فى تهديد زاجر عن ارتكاب مثل حالهم الموقع فى أضعاف نكالهم، وفى تعقيب هذه الآية[6] لآية الصبر إشارة إلى أن الصبر على [7] الأمر بالمعروف[7] والنهى عن المنكر فى الذروة العليا، والآية ناظرة إلى قوله تعالى "انما انت نذير".

ولما كانت المعانى الثلاثة متضمنة للنفى، كان المعنى: لم يكن من يفعل ذلك، فاتصل الاستثناء فى قوله: ﴿الا قليلا﴾ أى صالحين ﴿ممن انجينا منهم ج﴾ والظاهر أن 'من' بيانية، أى هم الذين أنجينا فانهم نهوا عن الفساد، [وعبر بالإنجاء لأنه الدال على الخير الحامل للنهى عن الفساد دون التنجية الدالة على التدريج و[8] الإبلاغ فى[8] الإنجاء فلو عبر بها فسد المعنى -[3]] ﴿واتبع﴾ الأكثر وهم ﴿الذين ظلموا﴾

(١) سورة ١٨ آية ٢١ (٢) فى ظ: يجدون (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: يكون (٥) سقط من مد (٦) فى ظ: لانه (٧ - ٧) فى مد: المعروف (٨ - ٨) ليس ما بين الرقمين فى ظ.

أى أوقعوا الظلم بترك[١] النهى عن الفساد ، و ما أحسن إطلاقها عن التقييد بـ "منهم" ﴿ مآ ﴾ و لما كان المبطر لهم نفس الترف ، بنى للفعول قوله : ﴿ اترفوا فيه ﴾ فأبطرتهم[٢] النعمة حتى طغوا و تجبروا ﴿ وكانوا مجرمين ﴾ أى متصفين على سبيل الرسوخ بالإجرام ، و هو قطع حبل الله على الدوام ، فأهلكهم ربك لإجرامهم ، و لو لا ذلك لما فعل ، فان إهلاكهم على تقدير الانفكاك عن الإجرام يكون ظلما على ما يتعارفون[٣] .

و لما لاح بما مضى أن العبرة فى الإهلاك و الإنجاء للاكثر ، قرره و أكده و بينه بقوله : ﴿ و ما كان ربك ﴾ ذكر سبحانه بالوصف المفهم للاحسان[٤] تثبيتا [له -[٥]] و تأمينا ﴿ ليهلك القرى ﴾ أى إهلاكا عاما ﴿ بظلم ﴾ أى أى[٦] ظلم [٧]كان ، / صغير أو كبير[٧] ﴿ و اهلها مصلحون ﴾ [٧]أى فى حال ظلم[٧] بأن يوقع إهلاكهم فى حال إصلاحهم الذى هم عريقون فيه ، فيكون الإهلاك فى غير موقعه على ما يتعارف العباد مع العلم بأن له أن يفعل ذلك فى نفس الأمر لأنه[٨] لا يسئل عما يفعل ؛ و الإهلاك : إيجاب ما يبطل الإحساس ، و الهلاك : ضياع الشيء و هو حصوله بحيث لا يدرى أين هو ؛ و الإصلاح : إيجاب ما يستقيم به الأمر [٧]على ما يدعو إليه العقل[٧]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ترك (٢) فى ظ : فابطرتم (٣) سقط من ظ و مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : لاحسان (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) زيد فى ظ : فى (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) فى ظ : الذى .

٦٨١ /

و لما كان مثل هذه الآيات ربما أوهم أن إيمان مثل هؤلاء مما لا يدخل تحت المشيئة ، نفى ذلك الوهم مبينا انفكاك المشيئة عن الأمر بقوله : ﴿ و لو شآء ربك ﴾ أي المحسن إليك بكل إحسان يزيدك رفعة ﴿ لجعل الناس ﴾ أي كلهم ﴿ امة واحدة ﴾ على الإصلاح ، فهو قادر على أن يجعلهم كلهم مصلحين متفقين على الإيمان فلا يهلكهم ، و لكنه لم يشأ ذلك ، بل شاء اختلافهم و الأمر تابع لمشيئته فاختلفوا ﴿ و لا يزالون مختلفين ﴾ أي ثابتا[1] اختلافهم لكونهم على أديان شتى ﴿ الا من رحم ربك ﴾ أي المحسن إليك بالتأليف بينهم في جعلهم من أهل طاعتك فانهم لا يختلفون في أصول الحق[2] . و لما كان ما تقدم ربما أوجب أن يقال : لم لم يقبل بقلوبهم إلى الهدى و يصرفهم عن موجبات الردى إذا كان قادرا ؟ قال تعالى مجيبا عن ذلك : ﴿ و لذلك ﴾ أي الاختلاف ﴿ خلقهم ﴾ [أي اخترعهم و أوجدهم من العدم و قدرهم ـ[3]] ، و ذلك أنه لما طبعهم سبحانه على خلائق من الخير و الشر تقتضي الاختلاف لتفاوتهم فيها ، جعلوا كأنهم خلقوا له فجروا مع القضاء و القدر ، و لم يمكنهم الجري على ما تدعو إليه العقول في[4] أن الاتفاق رحمة و الاختلاف نقمة ، فاستحق فريق منهم النار و فريق الجنة ، و ليس ذلك مخالفا لقوله تعالى " و ما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون[5] "

---

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : ثابت (٢) زيد بعده في مد : شتى (٣) زيد من ظ ومد (٤) في مد : من (٥) سورة ٥١ آية ٥٦ .

بل هو من شكله، أى أنه تعالى لما ركبهم على العجز و منحهم العقول مع نصب الأدلة، كان ذلك مهيئا للعبادة فكانوا كأنهم ما خلقوا إلا لها أى ما خلقتهم[1] إلا ليعرفونِ بنفوذ أقضيتى و تصاريفى فيهم فيعبدون، أى [2]يخضعوا لى[2] فمن كان منهم طائعا فهو عابد حقيقة. و من كان عاصيا كان عابدا مجازا، أى خاضعا للأمر لنفوذه فيه و عجزه عن الامتناع كما قال تعالى "و لله يسجد من فى السموت و الارض طوعا و كرها[3]" - الآية، فقد بان أن خلقهم للعبادة فقط ينافى خلقهم للاختلاف، لأن جريهم فى قضائه بالاختلاف عبادة و سجود لغة. و ذلك أن مادتى عبد و سجد تدوران[4] على الخضوع و الذل و الانقياد، و بذلك كان الكل عبيد الله، أو[5] الإشارة إلى مجمع الاتفاق و الاختلاف ليظهر فضله على من ثبتهم و يظهر عدله فيمن خذلهم.

و لما كان هذا الاختلاف سبب الكفر الذى أرسل رسله بالقتال عليه، كان ربما ظن أنه بغير مشيئته، فبين أنه إنما[6] هو بمراده و لا اعتراض عليه فقال: ﴿ و تمت ﴾ أى فبادروا إلى ما خلقهم لهم[7] معرضين عن أوامره و لم تغن عنهم عقولهم، و تمت حينئذ ﴿ كلمت ربك ﴾ أى المحسن إليك بقهر أعدائك التى سبقت فى الأزل و هى و عزتى ﴿ لاملئن جهنم ﴾

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: خلقهم (٢-٢) فى ظ: يخضعون إلى.
(٣) سورة ١٣ آية ١٥ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يدوران (٥) من ظ و مد. وفى الأصل: ام (٦) فى ظ: ربما (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: له.

أى

[أى - [1]] التى تلق[2] المعذب فيها بالتجهم[3] و العبوسة ﴿ من الجنة ﴾ أى قبيل الجن ، [قدمهم لأنهم أصل فى الشر ، ثم عم فقال - [1]] : ﴿ و الناس اجمعين ﴾ فمشوا[4] على ما أراد[5] و لم يمكنهم مع عقولهم الجيدة الاستعداد و قوائم الشداد غير إلقاء القياد ، فمن قال : إنه يخلق فعله أو له قدرة على شيء[6] فليفعل غير ذلك بأن يخبر باتفاقهم ثم يفعله ليتم قوله . و إلا فليعلم أنه مربوب مقهور فيسمع رسالات ربه و يقبل إليه بقالبه و قلبه .

و لما أخبر سبحانه بما فعل بالقرى الظالمة . و حذر كل من فعل أفعالهم بسطواته فى الدنيا و الآخرة . و أمر باتباع أمره و الإعراض عن اختلافهم الذى حكم به و أراده ، عطف على قوله "نقصه عليك" قوله : ﴿ و كلا نقص ﴾ أى و نقص ﴿ عليك ﴾ كل نبا أى خبر عظيم جدا ﴿ من انبآء الرسل ﴾ مع أممهم : [7]صالحيهم و فاسديهم[7] ، فعم تفخيما للأمر ، و لما كان الذى جر هذه/ القصص ما مضى من قوله " فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك و ضائق به صدرك " - الآية ، و كان ساكن الصدر القلب ، و هو الفؤاد الذى به قوام الإنسان بل الحيوان ، و هو أحرّ ما فيه ، و لذا[8] عبر عنه بما اشتق من الفأد و هو

(١) زيد من ظ ومد (٢) من مد ، وفى الأصل : يلقى ، وفى ظ : تلتقى (٣) من مد ، وفى الأصل : بالتحميم ، وفى ظ : بالتحريم - كذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : ارادوا (٦) فى ظ : الشيء (٧ - ٧) فى ظ و مد : صالحهم و فاسدهم (٨) فى مد : كذا .

الحرق ، و كان من لازم الحرارة الاضطراب و التقلب الذى اشتق منه القلب فيضيق به الصدر ، أبدل من "كلا[١]" قوله : ﴿ ما نثبت ﴾ أى تثبيتا عظيما ﴿ به فؤادك ج ﴾ أى فيسكن فى موضعه و يطمئن أو يزداد يقينه فلا يضيق الصدر من قولهم "لو لا انزل عليه كنز او جاء معه[٢] ملك" و نحوه ، و [٣]بهذا تبين[٣] أن المراد بذلك العام خاص لحصول المقصود به ، و هو التسلية نظرا إلى قوله تعالى " و ضائق به صدرك " لأن المشاركة فى الأمور الصعبة تهون[٤] على الإنسان ما يلقى من الأذى ، و الإعلام بعقوبات المكذبين فيها تأنيس للمكروب ؛ و التثبيت : تمكين إقامة الشيء ؛ و الفؤاد : العضو الذى من شأنه أن يحمى بالغضب الحال فيه ، من المفتأد و هو المشتوى .

و لما بين أن كل[٥] ما قص عليه[٦] من أخبارهم يستلزم هذا المقصود ، بين أنه ليس كما يعلل به غالبا من الأخبار الفارغة و الأحاديث المزخرفة الباطلة و لا ما ينقله المؤرخون مشوبا[٧] بالتحريف فقال : ﴿ وجآءك فى هذه ﴾ أى الأخبار ﴿ الحق ﴾ أى الكامل فى الثبات الذى لا مرية فيه ، و فائدة الظرف التأكيد لعظم المقصود من آية[٨] "فلعلك" و صعوبته .

و لما[٩] كان الحق حقا بالنسبة إلى كل أحد عرفه و نكر ما هو خاص بقوم دون قوم فقال : ﴿ و موعظة ﴾ أى مرقق للقلوب ﴿ و ذكرى ﴾ أى تذكير عظيم جدا ﴿ للمؤمنين ۝ ﴾ أى الراسخين فى الإيمان ، و قد

(١) فى ظ : كل (٢) فى ظ : معك (٣-٣) فى ظ : هذا يعين (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يهون (٥) فى ظ : كلا (٦) فى ظ : فيه (٧) فى ظ : مشجونا . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه (٩) من ظ و مد ؛ و فى الأصل : كما .

تضمنت الآية الاعتبار من قصص الرسل[١] بما فيها من حسن صبرهم على أممهم و اجتهادهم على دعائهم إلى عبادة الله بالحق و تذكير الخير و الشر و ما يدعو إليه كل منهما من عاقبة النفع و الضر للثبات على ذلك جميعه اقتداء بهم .

و لما ذكر نفع هذا الحق ، كان كأنه قيل : فعظهم بذلك و ذكرهم به ، فعطف عليه قوله : ﴿ و قل ﴾ [٢]و يجوز أن يكون معطوفا على قوله " و اصبر " أى اصبر على ما أمرناك به من تبليغ وحينا و امتثاله ، و قل[٢] ﴿ للذين ﴾ أى لم تؤثر فيهم هذه الموعظة[٣] فهم ﴿ لا يؤمنون ﴾ أى لا[٤] يتجدد لهم[٥] إيمان منذرا لهم ﴿ اعملوا ﴾ متمكنين ﴿ على مكانتكم ﴾ أى طريقتكم التى تتمكنون من العمل عليها .

و لما كان العمل واجبا عليه صلى الله عليه و سلم و على كل من[٦] تبعه فهم عاملون لا محالة سواء عمل الكفار أو لا ، قال مؤكدا لأجل إنكار الكفار أن يدوموا على العمل المخالف لهم مع[٧] ما يصل إليهم [٢]لأجله من الضر ، معريا له عن فاء السبب[٢] [لذلك و الاستئناف -[٨]] : ﴿ انا ﴾ [أى أنا و من معى -[٨]] ﴿ عملون ﴾ [[٢]أى ثابت عملنا[٢] ، لا نحول عنه لأن ما كان لله فهو دائم بدوامه سبحانه -[٩]] ، و حذف النون

---

(١) من ظ ومد ، و فى الأصل : الرسول (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : المواعظ (٤) سقط من مد (٥) فى ظ و مد : منهم (٦) زيد فى مد : تبعهم (٧) فى ظ : على (٨) زيد من مد (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .

الثانية اكتفاء بمطلق التأكيد لأنه كافٍ فى[1] الإعلام بالجزم فى النية ، و فيه تأدب[2] بالإشارة إلى أن المستقبل أمر لا اطلاع عليه لغير الله فينبغى أن لا يبلغ فى التأكيد فيه غيره ، و هذا بخلاف ما فى سورة فصلت مما هو جارٍ على ألسنة[3] الكفرة ﴿ و انتظروا ج ﴾ أى ما أنتم منتظرون له من قهرنا ﴿ انا منتظرون ﴾ أى ما وعدنا الله فى أمركم ، فان الله مهلكهم و منجيك لأنه عالم بغيب حالك و حالهم [4]و قادر عليكم[4] ؛ و الانتظار : طلب الإدراك لما[5] يأتى من الأمر الذى يقدر النظر إليه ؛ و التوقع : طلب ما يقدر أنه يقع ، و هما يكونان فى الخير و الشر و مع العلم و الشك ، و الترجى لا يكون إلا مع الخير و الشك .

و لما تضمن هذا التهديد العلم و القدرة ، قال عاطفا على ما تقديره : فلله كل ما شوهد من أمرنا و أمركم و أمر عالم [الغيب و –[6]] الشهادة كله ما كان من ابتداء أمورنا ﴿ و لله ﴾ أى المحيط وحده بكل شىء مع ذلك ﴿ غيب السموٰت و الارض ﴾ أى جميع ما غاب علمه عن العباد فهو تام العلم ، [و منه ما ينهى عنه و إن ظن الجهلة أنه خارج عن قدرته لما أظهر[7] من الزجر عنه و من كراهيته .

و لما كان السياق هنا لأنه سبحانه خلق الخلق ذواتهم و معانيهم للاختلاف ، و كان تهديدهم على المعاصى ربما أوهم انه بغير إرادته ، فكان ربما قال جاهل : أنا برىء من المخالفين لأوليائه كثيرا جدا ، و عادة الخلق أن من خالفهم خارج عن أمرهم ، كان الجواب على تقدير التسليم لهذا الأمر

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٢) فى ظ : تأديب (٣) فى ظ و مد : السن (٤ – ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى مد : كما (٦) زيد من ظ .
(٧) فى ظ : ظهر .

الظاهر

الظاهر : فله كان الأمر كله ظاهرا و باطنا - [١]] ﴿ و اليه ﴾ أي وحده ﴿ يرجع ﴾ [بعد أن كان ظهر للجاهل أن خرج عنه - [١]] ؛ و الرجوع : ذهاب الشيء إلى حيث ابتدأ منه ﴿ الامر كله ﴾ في الحال على لبس و خفاء ، و في المآل على ظهور و اتضاح و جلاء ، فهو شامل القدرة كما هو شامل العلم ، فلا بد من أن يرجع إليه أمرك و أمر أعدائك ، أي يعمل فيه عمل من يرجع إليه الأمر فيجازي المحسن باحسانه و المسيء باساءته ، و لذلك سبب عن إسناد الأمور كلها [إليه قوله - [١]] : ﴿ فاعبده ﴾ أي وحده عبادة لا شوب فيها ﴿ و توكل ﴾ معتمدا في أمورك كلها ﴿ عليه ﴾ فانه القوي المتين ، و في تقديم الأمر / بالعبادة على / ٦٨٣ التوكل تنبيه على أنه إنما ينفع العابد .

و لما كانت العادة جارية بأن[٢] العالم قد يغفل ، نزه عن ذلك سبحانه [نفسه - [١]] فقال [مرغبا مرهبا - [١]] : ﴿ و ما ربك ﴾ أي المحسن إليك بما[٣] يعلمه[٤] باحاطة علمه[٤] إحسانا ، و أغرق في النفي فقال : ﴿ بغافل عما تعملون ﴾ [و لا تهديد أبلغ من العلم - [١]] ، و هـذا بعينه مضمون قوله تعالى " كتب احكمت ايته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير [٥] و بشير [٥] " [٦] .

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : ان .

(٣) في ظ : مما (٤ - ٤) في ظ : باحاطة عمله ، و في مد : من احاطة علمه .

(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) تحته في الأصل « النهاية ، الخزانة العامة ، الرباط . و إلى هنا ينتهي الجزء الثاني من الأصل » .

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء التاسع من تفسير « نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور » للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الاربعاء السادس من رجب الله المرجب سنة ١٣٩٥ هـ = ١٦ يوليو سنة ١٩٧٥ م تحت إشراف مدير الدائرة و عميدها أفضل العلماء بروفسور السيد عبد الوهاب البخارى - أبقاه الله لخدمة العلم و الدين!

و قد ألم بتصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة رفيق الفاضل محمد عمران الأعظمي العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس) حفظه الله! و اعتنى بتنقيحه خادم العلم و العلماء راقم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه!

و يليه الجزء العاشر إن شاء الله تعالى أوله « سورة يوسف عليه السلام » ، و نهائيا ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه و هو المسؤل لحسن الخاتمة ، و نصلي و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه . سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين . و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة ربه الغنى الحميد
السيد محمد حبيب الله القادرى الرشيد
(كامل الجامعة النظامية)
رئيس قسم التصحيح من دائرة المعارف العثمانية